

# انتشار الاسلام في آسيا

الجزء الثاني  
منذ الغزو المغولي  
دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية

دكتور

محمد نصر مهننا

استاذ ورئيس قسم العلوم السياسية  
وكيل كلية التجارة - جامعة أسيوط

الطبعة الثانية

« منقحة ومزودة »

٢٠٠١

المكتب الجامعي الحديث  
محطة الرمل - اسكندرية



انتشار  
الاسلام فى آسيا





## مقدمة الطبعة الثانية

انتشر الاسلام فى أقاليم أسيا الوسطى ووادى نهر الفولجا والقوقاز عقب الفتوحات الاسلامية ، وكان أوج الانتشار فى القرن الرابع الهجرى عن طريق التجار المسلمين . واتحدت جهود العرب والاييرانيين والأتراك الشرقيين والعثمانيين والقوقازيين ، وامتدت اشراقه الاسلام فى الأراضى الشاسعة من القوقاز حتى حدود الصين ، ومن قازان حتى الحدود الايرانية والأفغانية من ثنايا عمق الإيمان بهذا الدين الحنيف ، وكانت الجهود الرائدة لخلفاء الدولة العباسية والدولة العثمانية ونشاط التجار المسلمين والطرق الصوفية التى تحولت إلى حركة شعبية حتى أصبحت اسيا الوسطى إحدى المناطق الأكثر فاعلية فى انتشار التصوف .

وتجدر الإشارة أن نشاط الفتوحات الاسلامية فى بلاد ماوراء النهر كان فى سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م حيث استعاد العرب فيها منطقة طخارستان واستولوا على طالقان وبلخ . واستطاع " قتيبة بن مسلم " فتح اقليم بخارى فى الفترة من السنة التسعين إلى السنة الثالثة والتسعين للهجرة ، كما امتد تأثير الاسلام القوى إلى وادى جيحون والأقاليم الواقعة على نهر سيحون وإلى المناطق النائية فى اقليم فرغانة وبيكند وخوارزم وأرمينية وصولاً إلى كاشغر ثم حدود الصين .

كما تجدر الإشارة أن جهود الدولة الأموية كانت قد انصرفت إلى تثبيت السيادة العربية من ثنايا انتشار الاسلام بالطرق السلمية حيث بدأ الاسلام يشق طريقه بثبات فى أقاليم أسيا حتى سقوط الدولة الأموية

سنة ١٣٢ هـ ، وقد سبقت الإشارة إلى استقرار الأوضاع فى الأقاليم التى انتشرت فيها الاسلام نتيجة ظهور النزعة العربية والانفتاح على الأعاجم ، وكانت فى تركستان - تحت ظل الاسلام - دول وامبراطوريات اسلامية كان لها الفضل فى نشر الحضارة الاسلامية والقيم الاسلامية التى تنظم حياة الفرد وحياة الأمة وتحدد نظام الدولة والمجتمع وتوازن بين حاجة العقل وحاجة البدن ومتطلبات الانسان المادية والروحية حيث المسلمون سواسية على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم .

تأسست دولة " آل سامان " عام ٨٧٤م وخانات تركستان المعروفة " ايلكا خانات " والدولة الغزنوية ودولة السلاجقة ، وحكم سلاجقة الروم بلاد الأناضول منذ سنة ١٠٧٧م فنخزلت إلى بلاد اسلامية ، ثم جاء العثمانيون عام ١٢٩٩م ليحكموا الأناضول وصولاً إلى السلطان محمد الفاتح الذى فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م وأسماها " اسلام بول " ، ثم وصل السلطان سليمان القانونى إلى أبواب فينيا ، وجاء تيمورلنك ليقوم امبراطورية تتمزق بين أولاده وأحفاده الذين كانوا قد اعتنقوا الاسلام وأخلصوا لحضارته ، وأقام مظفر الدين بابر حفيد تيمورلنك الامبراطورية التركية المغولية فى " أفغانستان " والهند واكمل نشر الاسلام فى الهند وحكم الأتراك المسلمون جميع الأقاليم من شبه جزيرة البلقان فى أوروبا والشاطئ الشمالى للبحر الأسود والقرم والقوقاز إلى تخوم الصين فى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى .

وفى اطار الدين الاسلامى الذى انتشر فى أقاليم اسيا عاش السكان تحت حماية الدولة الاسلامية التى كفلت لغير المسلمين حرية العقيدة وحرية العمل وكان للمناخ المستقر والحر الذى كفله الاسلام أبلغ

الأثر فيما وصلت إليه انجازات الحضارة الاسلامية من رقر ورفعة حيث استطاعت العقلية الاسلامية أن تؤثر في كل مكان وصلت إليه في قارات العالم وخاصة قارة آسيا التي كان المد الاسلامي فيها عاملاً أساسياً في تطور مجتمعاتها . و قدمت الكثير من الفقهاء والعلماء والمفكرين المسلمين الأفاضل الذين أسهموا في إثراء التراث الاسلامي من ثانيا سمو الاسلام بالإنسان وقواعد السلوك والتعامل التي أرسى القرآن الكريم دعائمها .

وفي هذا السياق ، جاءت معالجة أوضاع المسلمين بعد تقسيم الاتحاد السوفيتي وظهور الدول المستقلة الخمسة عشرة الجديدة حيث أتاح انهيار الاتحاد السوفيتي السابق - مع ما شهدته المسلمون من اضطهاد - ١٢٠ مسجد فقط في الاتحاد السوفيتي السابق تم تحويل معظمها إلى مخازن ومعامل من ٢٠٠٠ مسجد بدون وضعية رسمية لها - وكانت عدد المساجد قبل الثورة البلشفية حوالي واحد وعشرين ألف مسجد ولم تكن هناك سوى مدرستين اسلاميتين لاعداد الدعاة في اسيا الوسطى ولا تتمتع هاتان المدرستان بأية امكانيات تذكر .

لقد تم احياء ايدولوجية الاسلام في هذه الأماكن وجاءت إشراقة الاسلام في جمهوريات روسيا المستقلة الاسلامية لتعيد تخطيط تنميتها المستقبلية واسترداد هويتها حيث التحم الدين الاسلامي الحنيف مع كل كيان الحياة اليومية لشعوب منطقة القوقاز الاسلامية ، وتجدر الإشارة ان جمهورية روسيا الاتحادية والتي تعتبر أوسع دول العالم - تحوى عشرين جمهورية مستقلة ومن بينها ست جمهوريات مستقلة تتمتع

بغالبية سكان مسلمين وهي داغستان وبتارستان والشيشان وباشتيرستان وكاباردينو - بالكار وقره جوكتس .

وقد استأثرت مشكلة جمهورية الشيشان باهتمام الباحثين لما عكسته من آثار محزنة على الرأى العام فى العالم الاسلامى وهو ما يقتضى وقفة لتحليل أوضاعها الجيويولتيكية فالشيشان هى مركز منطقة القوقاز الاستراتيجية وأزمتها بالنسبة لروسيا ذات دلالة باعتبار - أن جمهورية الشيشان - دورها أخطر من دور جمهوريات البلطيق وتجاور من الشرق والجنوب الشرقى جمهورية داغستان المستقلة ومن الجنوب الغربى جمهورية كرجستان ومن الغرب جمهورية انجوشى المستقلة وعاصمتها جروزنى وعدد سكانها حوالى ٩٠٠ ألف نسمة ، ويعتبر البترول والغاز الطبيعى من أهم مواردها فقد صدرت أكثر من ٤٠٠ مليون طن من البترول الى الاتحاد السوفيتى السابق فى بضعة العقود الماضية ، ومع ذلك فان مستوى معيشة شعبها منخفض والشيشانيون مسلمون يتبعون المذهب الحنفى ، فقد ساير تعاقب التطورات اختفاء الاتحاد السوفيتى السابق استقلال جمهورية الشيشان فى عام ١٩٩١ ، غير أن الحكومة الروسية لم تعترف رسمياً باستقلالها وهو ما يفسر تصاعد الأخطار على الجانبين وصولاً الى المرحلة الحالية .

والكتاب الذى بين أيدينا يقع فى أربعة أبواب ، وقد أضيف إليها فى هذه الطبعة من القراءات والتحليل والمناقشة الجديد الذى سوف يلمسه القارئ .

وانه لمن دواعى الغبطة ان أنهى مقدمة الطبعة الثانية مكرراً أن هدف هذا الكتاب هو ايضاح مدى تأثير الاسلام فى مختلف شئون

أحوال قارة أسيا ، هذه المعجزة الالهية التى سادت بين الأمم مشرقها  
ومغربها ، وقد بذل الدعاة العرب المسلمون جهوداً رائدة فى نشر الدعوة  
الاسلامية فى المناطق النائية من قارة أسيا .

وأرجو أن أكون قد أسهمت بهذا الجهد العلمى المتواضع - مع  
الباحثين المتعددين التخصصات فى أن يسد هذا الكتاب نقصاً فى  
المكتبة العربية ويفيد الباحثين والدارسين .

وأسأل الله العون والمدد ، إنه نعم المولى ونعم المجيب مصداقاً  
لقوله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون  
عن المنكر " .

المؤلف



## مقدمة الطبعة الأولى

برز الإسلام منذ العصور الوسطى كقوة رئيسية فى تجميع المسلمين لمواجهة القوى المعادية ، واستمر الدين الاسلامى مؤثرا فى الأحداث السياسية وتطورها حيث العلاقات الخصبة قد امتدت على طول فترة التاريخ الاسلامى ، ورغم تذبذب منحى هذه العلاقات صعودا وهبوطا الا أن الرباط المتين بين المسلمين وتماسكهم هو أروع ما حافظ عليه علماء المسلمين الذين لم يهنوا فى اظهار المواهب الروحية للشعوب الاسلامية وتأثيرها فى المحافظة على وحدتهم وهو ما كان بمثابة تنامى قوة المسلمين لدرء الاخطار المحدقة بهم وخاصة تجاهتشيوية الاسلام ، وفشلت محاولات القوى المعادية للإسلام فى تفتيت المسلمين أو زعزعة ثقتهم وقوتهم الروحية وتمسكهم بتطبيق الشريعة الاسلامية الغراء فى الدولة الاسلامية فى مختلف شئون الأمة الاسلامية .

وقد مرت شبه جزيرة العرب بفترات ظلام التفرقة والتخاصم والانقسام بين سكانها قبل ظهور الاسلام حيث تحكمت فارس عن طريق المناذرة فى العراق ، واستبد الروم من خلال الفساسنة فى الشام وسوريا ، فلما أضاء الاسلام أرجاء شبه الجزيرة العربية فان التفرقة خارت ، وانهارت العمالة التى كانت تعمل لصالح كسرى وقيصر ، وألغت الافكار الاسلامية بين قلوب سكان شبه الجزيرة العربية وأنارت عقولهم وجعلتهم اسايادا بعد عبودية ، وحين قدم الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة ومد بين المهاجرين والانصار وأقام العلاقات بينهم على اساس العقيدة الاسلامية والتآخى فى كافة شئونهم ، فكان صلى الله عليه وسلم وعلى بن ابن طالب اخوين ، وكان عمه حمزة ومولاه زيد أخوين ، وكان أبو بكر وخارجة بن زيد اخوين -ضى اللع عنهم جميعا . وخضع المشركون للحكم الاسلامى ثم تلاشى

وجردهم فيما بعد وازدادت الخلافات بين اليهود والمسلمين ، وحدد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أوضاع اليهود فى علاقتهم بالمسلمين فكتب صلى الله عليه وسلم كتابا ذكر فيه اليهود ، واشترط عليهم شروطا ، فكان الكتاب منهاجا تحددت فيه علاقات قبائل اليهود مع المسلمين ، واطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم الى بناء المجتمع الاسلامى فى المدينة .

وسواء تعلق الأمر بعصر النبوة والخلافة الراشدة أو الدولتين الاموية والعباسية ، فان الفتوحات الاسلامية فى آسيا وخاصة - فارس وشبه القارة الهندية - لم تكن القوة المسلحة هى التى حملت السكان على اعتناق الاسلام بدليل ان الفاتحين العرب تركوا للسكان فى آسيا حرية اقامة شعائرتهم الدينية ، ومن الثابت أن طريق الرحلة والتجارة الى قلب آسيا وما استتبعه ذلك - بالسياسة الرشيدة والمعاملة الحسنة والاقناع وحسن القدوة فكان الجهاد الاسلامى قائما على الاقناع بالدرجة الاولى . وهذه العوامل مجتمعة قد أتت ثمارها أكثر مما عملته السيوف ، وكان تأثير الاسلام فى شبه القارة الهندية - على سبيل المثال حيث ايمان هذه الشعوب بصدق الاسلام واقتنعوا بمصدره الالهى ، والفتوحات الاسلامية ذاتها بقيت ذكرها خالدة فى النفوس حتى الوقت الحاضر مقترنة بالاعجاب والتقدير .

ويهدف كتابى هذا الى ايضاح مدى تأثير الاسلام فى مختلف شئون احوال قارة آسيا بدليل انتشاره فى معظم جهاتها ، هذه المعجزة الالهية التى ساوت بين الأمم مشرقها ومغربها وبذل الدعاة العرب المسلمون جهودا جبارة فى نشر الدعوة الاسلامية فى المناطق النائية من قارة آسيا ، فالكتاب - على هذا - موجه الى الدارسين والقراء على اختلاف مستوياتهم ، وقد سبقت معالجة الفتوحات الاسلامية والعلاقات السياسية فى آسيا حتى عشية غزو المغول للعالم الاسلامى .



## الباب الأول الغزو المغولي

الفصل الأول :

غزو القسم الشرقي للعالم الاسلامي وسقوط بغداد .

الفصل الثاني :

غزو الشام .

الفصل الثالث :

المغول يعتقرون الاسلام .



## **الفصل الاول**

**غزو القسم الشرقي للعالم الاسلامي وسقوط بغداد**

- من هم المغول ؟
- من المغول الى التار .
- المغول والطائفة الاسماعيلية .
- سقوط بغداد .



## - من هم المغول ؟ (١)

أطلق هذا اللفظ على جماعتين ورد ذكرهما فى نقوش الأرخون التركية

وفى جميع الفتوحات المغولية التى وقعت فى القرن السابع الهجرى كان الفاتحون يسمون التتر فى كل مكان نزلوا فيه ، سواء أكان فى الصين أم فى البلاد الاسلامية أم فى بلاد روسيا غربى أوربا . ويسمى ابن الأثير أسلاف جنكيز خان باسم التتر ، وهم التتر الأوائل .

ولم يظهر اسم المغول على صفحات التاريخ حتى القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) .

وقد نزلت طائفة حربية من هؤلاء المغول الى بعض بلاد آسيا الصغرى . وعاشوا عيشة بدوية وقت - حملات تيمورلنك على البلاد الريفية الواقعة ما بين أماسيا وقيصرية وكانوا نحو ثلاثين أو أربعين ألف أسرة . وقد نفاهم تيمورلنك الى أواسط آسيا ، فأنزلهم بايزيد الثانى العثمانى بعض الأماكن فى بلاد كاشغر وخوارزم .

ويلاحظ بعض مؤرخى المسلمين أن التتر شعب كبير من الأمة التركية ، وأما كلمة تتر بالمعنى الخاص فإنها لا تطلق الا على شعب بعينه وهم سكان حوض نهر الفلجا الذين يعيشون فى تلك البقعة من الأرض التى تمتد من بلاد قازان الى استراخان ، وكذلك على سكان شبه جزيرة القرم ، وجزء سيبيريا ، وقد استبدلت كلمة تتر بعد جنكيز خان فى بلاد منغوليا واواسط

---

(1) Lane - Poole, The Muhammadan Dynasties. pp. 228-229.

وارجع أيضا دكتور حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، الجزء الرابع ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٢ ، ص ص ١٣٠ - ١٣١ .

آسيا بكلمة مُغل ( بضم الميم والغين ) .

ويرى مؤرخو الترك ونسابوهم إن النجاخان أحد ملوك التتر ولد له توأمان هما « تارخان » و « مغل خان » واستمر أبناء تارخان على صفاء الى أن وقع النزاع بينهما فى عهد « ايلخان » ملك المغل و « منج خان » ملك التتار ، وأدى هذا النزاع الى حروب انتهت بانتصار التتار وقتل ايلخان ملك المغل ، ومن ثم أصبحت السيادة للتتار ، فاستذلوا المغول مدة طويلة - حتى جمع هؤلاء جموعهم واتحدوا وحاربوا التتار واستردوا ما ضاع من حريتهم ، وأصبح الملك متوارثا فيهم الى زمن « يسوكى بهادرخان » والد جنكيز خان .

وعموما فان أمر المغول قد ظهر فى الوثائق فى اوائل القرن السابع الهجرى حينما استولى جنكيز خان زعيم المغول على بخارى وسمرقند وبلغ وفتكوا بأهلها المسلمين شرفتك فى الفترة ٦١٦ - ٦١٧ هـ ، حيث حرقوا المدن الاسلامية الكبرى مثل مدينة الرى واصفهان وكثيرا من مدن اقليمى اذريخان وخراسان . ومن الأرجح أن القبائل المغولية قد عاشت فى المنطقة الواقعة فى وسط آسيا بين نهري سيحون وجيحون فى الغرب ، حتى حدود الصين الجبلية من جهة الشرق ممتدة حتى أقصى الشمال الشرقى لآسيا . ومن الناحية الجيويولتيكية أيضا ، أن المغول كانوا قد توسعوا بحدودهم حتى امتدوا بها الى البحر الادرياتيكي ، وتعتبر هضبة منغوليا وسلاسل جبال « تيان شان » وجبال « التاي » وما بينهما من سهول وصحراء جوبى تعتبر هذه المنطقة الموطن الرئيسى لهذه القبائل التى كانت تستقر فى السهول الواقعة بين سلاسل الجبال ومناطقها الدافئة شتاء حيث تتوفر المراعى لحيواناتهم ، وفى الصيف يستقرون فى المرتفعات وأعالي الجبال لمدة شهرين أو ثلاثة حيث تكون المنطقة باردة وتتوفر فيها المياه والمراعى ، ومن المعروف أن القبائل الرحل يتنقلون طلبا للعشب والماء ، وقد عكست هذه

البيئة تأثيراتها على عادات<sup>(١)</sup> المغول وتقاليدهم حيث الطواف والبحث عن مراعى جديدة جعلهم يغيرون على بعضهم البعض ، وبما شملته هذه القارات من غزو واعتداءات عكست العوامل الجغرافية ( الموقع - المناخ ) تأثيراتها على سلوك المغول حيث ابتعاد المناطق السابقة عن البحار فضلا عن ارتفاعها قد اسهم فى مناخها القارى ، اذ تتراوح درجة الحرارة فى معظم أجزائها ما بين ٤٠ فوق الصفر الى ٤٢ درجة تحت الصفر ، مما يؤدى الى تجمد أنهارها وبحيراتها فترة طويلة من أشهر السنة ، بالاضافة الى الرياح الشديدة التى تهب من المنطقة الجليدية فى سيبيريا الواقعة شمالا<sup>(٢)</sup> ، وفى فصل الصيف ترتفع درجة الحرارة وتهب الرياح المحملة بالرمال ، وهذه البيئة القاسية تستلزم الانتقال كلما زحف الجفاف الى اراضى مجاورة ، واذا احتبست الامطار أو تعرضت المراعى للآفات وقلت الاعشاب تبعاً لذلك كثرت حوادث السرقة والنهب والسلب والقارات ، والقارات المضادة للأخذ بالثار<sup>(٣)</sup>.

ونظرا لاهمية الدور الذى قام به المغول فى آسيا بدءا بمواجهتهم المسلمين ومرورا بسقوط الخلافة العباسية وحروبهم فى بلاد الشام وانتهاء بدخولهم الاسلام - فسوف نتعرض فى تفصيل غير قليل لأصولهم وحياتهم السياسية العسكرية وأساليب إغاراتهم على المسلمين .

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك الدكتور محمد صالح القزاز ، الحياة السياسية فى العراق فى عهد السيطرة المغولية ، مطبعة القضاء ، النجف ١٩٧٠ .

(٢) السيد الباز المرينى ، المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٧ ص ٤ - ٩ .

(٣) المرجع نفسه ص ١ - ٣ وراجع أيضا ارمينيوس فامبرى ، ترجمة الدكتور أحمد محمود السادى ، الدكتور يحيى الخشاب ، تاريخ بخارى ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٦٥ .

بالرغم من صعوبة الفصل فى أصول المغول ، فانهم انقسموا الى قبائل عديدة منقسمة على نفسها ومجموعات تتخذ من الرعى والصيد مهنة لها ، وهذه المجموعات أما تركية أو منغولية أو تونغوزية ، فالقبائل التركية تكونت من قبيلة قبيلة توركش وهى اشهر القبائل التركية فى الغرب ، وكان رؤساؤها يلقبون بلقب « خان » ، وبقيت هذه القبيلة محافظة على استقلالها الى أن قضى عليها العرب المسلمين بقيادة « نصر بن سيار » سنة ١٢١هـ / ٧٣٩م ، والذي كان هشام بن عبد الملك قد ولاء على خراسان سنة ١٢٠هـ فقضى على الفتن الداخلية . أما قبيلة القرغيز ، فهى أيضا تركية تنزل فى أعالي نهر نيسى ، وكان أميرها يلقب « خاقان » ، ونالت القبيلة شهرة سياسية سنة ٢٢٥هـ / ٨٤٠م حينما أغار على الايفور من منغوليا حتى تم طردهم فى اوائل القرن الرابع الهجرى ، واحترفت القبيلة الزراعية وخضعت للمغول ، أما قبيلة الايفور فكان أهلها ينزلون شمال منشوريا على نهر « سلنجا » ، وكان أميرهم يلقب « التاير » ثم تغير الى « خاقان » سنة ١٢٧هـ / ٧٤٥م بعد أن انتقل اليهم الملك فى منغوليا عن « الاغوز » - الغز - ثم اعتنقوا المانوية حوالى النصف الاول من القرن الثانى الهجرى ، نسبة الى مانى ( أو مانو ) بن فانتك الذى قال بنبوة المسيح ، واقتبس من الديانة المجوسية القول بأن العالم مركب من أصلين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما أزليان لم يزاالا وسبقيان وأنكر شىء من أصل قديم <sup>(١)</sup> ، وتجدر الإشارة أن هذه الفترة قد شهدت نشاط دعاة البوذية ، والمسيحية ، والنسطورية <sup>(٢)</sup> لنشر دعاويهم فى

(١) راجع : دكتور عمارة نجيب ، الانسان فى ظل الاديان ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ١٩٧٧ .

(٢) النسطورية احدى طوائف المسيحيين نسبة الى نسطور بطريرك القسطنطينية ، اقاموا فى كردستان بين الموصل وارمينيا حتى حرب ١٩١٤ وأرقدوا المنصرين لآسيا الشرقية لنشر المسيحية فى الصين والهند ويران ، وهم ينكرون ان مريم «أم الله » - راجع اسماعيل عبد العزيز الخالدى ، العالم الاسلامى والغزو المغولى ، مكتبة الفلاح ، الكويت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م حاشية ص ٢٢ .



هذه المنطقة .

أما قبيلة الأغوز ( الغز ) فهي من القبائل التركية أيضا وهي تتكون من قبائل عشرة ، وذكرتهم نقوش « ارخون » فى القرن الثانى الهجرى ، ودخل « الغز » الى البلاد الاسلامية فى نهاية القرن الرابع الهجرى ، وتجدر الاشارة أن السلاجقة ينتمون الى هذه القبائل ، وقد اقاموا امبراطورية امتدت من تركستان حتى حدود مصر ، وتأتى قبيلة الفارلوق كأخر القبائل التركية التى تكون قسما من المجتمع المغولى ، وقد احتلت هذه القبيلة سنة ١٤٩ هـ / ٧٦٦م وادى نهر « جو » بعد سقوط امبراطورية « خاقان » - أى ملك - وانما اكتشفوا باتخاذ لقب « بيغوا » ، وكانوا كفارا حتى القرن الرابع الهجرى ، وتذكر المصادر أن بلادهم كانت تمتد من « فرغانة » مسافة يجتازها المسافر فى ثلاثين يوما ، ولقربهم من البلاد الاسلامية ، وقد تدثروا بالحضارة الفارسية (١) .

أما القبائل غير التركية فتمثلت فى الخطا ، والتار ، والكرايت ومن الأرجح أن الخطا من القبائل التونفوزية ، ويرى البعض أنهم مغول ، وكانوا ينزلون أقصى الشرق فى المنطقة التى بلغها « الاتراك » فى حملاتهم ، ويطلق عليهم أيضا قره خيتاوى أو خيتاوى ، ولكنها اسماء لشعب ختياى ، وقام « الختياى » بحملات حربية للتوسع ، فاستولوا على شمال الصين ، واخضعوا شمال منشوريا ، ووطدوا نفوذهم فى جنوب الصين بعد ذلك ، وامتدت مملكتهم من بلاد القرغيز - على نهر نيس - شمالا حتى بلغ جنوبا ، ومن خوارزم غربا الى بلاد الاليفور شرقا ، وكانت « بلا ساغن » عاصمتهم ، وكان لقب ملكيهم « الكورخان » أى : خان الخانات . ولما

---

(١) راجع : دكتور فؤاد الصياد ، المغول فى التاريخ ، مكتبة الشريف القاهرة ، ١٩٧٤ م ص ٢٨

تخطمت مملكتهم ، بقى اقليم ماوراء النهر فى ايديهم ، الى ان انتزعه منهم علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة ٦١٢هـ / ١٢١١م ، وتداعت مملكتهم بفضل نشاط المسلمين فى الغرب ، وطغيان المغول من الشرق .

### - من المغول الى التتار :

ورد ذكر التتار فى نقوش « ارخون » فى القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى ) ، واتخذ المغول فيما بعد اسم التتار ، وكان التتار فى القرن الثامن الهجرى قسمين : الأول ويتكون من تسع قبائل ، والثانى ثلاثين قبيلة ينقسمون بدورهم الى ثلاثة أقسام : التتار البيض وهم الذين ينزلون خارج الصين مباشرة ، وتأثر هؤلاء بالحضارة الصينية ، والتتار السود وكانوا ينزلون شمال صحراء « جوبى » وكانوا بدوا رحلا ، وتتا الغابة وكانوا يعيشون حول الروافد العليا لنهرى « ادنون » و « كيرولين » ، وتذكر المصادر (١) انه على الرغم من أن المغول الذين قاموا بالغزوات والفتوح المشهورة فى القرن السابع الهجرى - الثالث عشر الميلادى - كانوا يعرفون باسم التتار فى كل مكان ، وهذا الاسم اطلق على اسلاف « جنكيز خان » والواقع أن التتار قبائل مستقلة عن المغول ، غير أن اسم المغول قد اطلق على جميع الشعوب التى قهرها جنكيز خان وخضعت له ، ولم تلبث لفظة « تتار » أن تغلبت عليها ، خاصة فى الجهات الغربية من الامبراطورية المغولية ، ويؤكد البعض حقيقة أن لفظى « المغول » و « التتار » اسماء لقبيلتين كانتا تعيشان فى القسم الشرقى من آسيا الوسطى ، وفى الشمال الغربى من الصين ، وسوف تستولى هذه القبائل على معظم أجزاء الامبراطورية الصينية المتداعية ثم تتحول الى المراكز الاسلامية فى الغرب كما سيأتى تفصيل ذلك ، أما قبيلة الكرايت

---

(١) اسماعيل عبد العزيز الخالدى ، مرجع سابق ص ٢٦ .

- دكتور فؤاد الصياد ، مرجع سابق ص ٢٨ - السيد الباز العربى ، مرجع سابق ص ٣٢ .

فقد احتلت المنطقة الممتدة من نهر أرخون ، وجبال كنتارى حتى سور الصين ، وتغلبت هذه القبيلة على جميع العناصر المغولية ، وتحولوا الى النسطورية فى الفترة من ٤٠٠ - ٤٠٢ هـ / ١٠٠٧ - ١٠٠٩ م ، وفى القرن السادس الهجرى اتخذ زعمائهم اسماء مسيحية ، وكان طغرل من أشهر ملوكهم ، وساعده يوكاى والد جنكيز خان على طرد عمه ومتافسه على العرش ، كما استطاع هزيمة « التتار » وصار أقوى ملك فى منغوليا ، ومنحه الامبراطور « كين » لقب « وانج ش واشتھر ب » « وانج خان » .

أما بقية القبائل غير التركية فشملت قبائل المركيت ، وقبيلة النايمان ، وقبيلة برجقنين وجميعهم من المغول ونزلوا على ضفاف أنهار « تولا » ، وأرنون ، وكيرولين ، واستطاع جنكيز خان توحيد جميع القبائل تحت حكمه ، وكتب ما نظمه فيما يعرف « الياسا » وهى أحكام أو دستور جنكيز خان ، عبارة عن مزيج من القوانين موضوعة على ارادة الخان المغولى ، وسجلت أنفع العادات القبلية ، وكان المغول يرجعون اليها عندما يجلس خان جديد على العرش ، أو فى حالة تعبئة الجيوش والاستعداد للقتال ، واشتملت « الياسا » على عقوبات بالغة الصرامة وحددت العلاقة بين الحاكم والمحكومين ، والمحكومين ببعضهم البعض ، وعلاقة الفرد بالمجتمع . وقد نجح جنكيز خان من خلال « الياسا » أن يحول جموع المغول الى جيوش منظمة تسير وفقا لخطط حربية مرسومة .

يذكر ابن كثير بعض المبادئ التى تتضمنها الياسا فيما يتعلق بعقيدة المغول قائلا <sup>(١)</sup> : « انه من زنا قتل ، محصنا أو غير محصن ، وكذلك من لاط قتل ، ومن تعمد الكذب قتل ، ومن سحر قتل ، ومن تجسس قتل .. »

---

(١) ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥١ هـ ، المجلد السابع ، الجزء الثالث عشر ، ص ٨٨ ، ١١٨ - ١١٩ .

وجاء حديث لأحد ملوك المغول وهو « منكو خان » ١٢٥١ - ١٢٦٠ م قوله : « نحن المغول نعتقد بأن هناك الها واحدا ، له نجيا وله نموت ، وعندنا قلب يخفق بجنبه ، لكن الله الذذى أعطى اليد أصابع مختلفة ، كذلك أعطى الناس طرقا مختلفة ... » .

ولم يكن جنكيز خان متحمسا لدين معين ، ومال أولاده مع رغباتهم ، فممنهم من مال الى الاسلام ، ومنهم من مال الى المسيحية ، وآخرون الى عبادة الاصنام ، وغيرهم حسب قاعدة الآباء والاجداد <sup>(١)</sup> ، ومع ذلك فقد كانت الديانة الرسمية للمغول تسمى الشامانزم Shamanism وتمثلت فى عبادة مظاهر الطبيعة وخاصة الشمس ، وامتازت بشدة الطاعة لكهنتها الذين يتولون بدورهم الحياة الخاصة لأتباعها ، غير أن تعاليم الشامانزم لم تصمد أمام الديانات الاخرى التى احتك بها المغول مما أدى الى ذوبانها وتحول المغول عنها الى البوذية فى الصين ، والاسلام فى البلاد الاسلامية والمسيحية فى روسيا ، فى حين كتب ارنولد أن الشامية هى الديانة القديمة للمغول ، الذين كانوا على الرغم من اختلافهم باله عظيم قادر ، لا يؤدون له الصلوات ، وانما كانوا يعبدون طائفة من « الالهة » ، المنحطة ، وبخاصة تلك « الالهة » الشريرة التى كانوا يتقدمون اليها بالقرابين والضحايا لما كانوا يعتقدونه فيها من السلطان والقدرة على ابدانهم ، كما كانوا يعبدون أرواح أجدادهم القدماى التى كانوا يعتبرونها ذات سلطان عظيم على حياة أعقابهم ، ولكى يوفق المغول بين هذه القوى كانوا يلجأون الى القساوسة وهم الشامان Shamans والسحرة ، الذين كانوا يعتبرونهم ذوى نفوذ خفى ، وسلطان غريب على

---

(١) اسماعيل عبد العزيز الخالدى ، مرجع سابق ص ٢٣ نقلا عن الدكتور محمد صالح القزاز ،

مرجع سابق ص ١٩ - ٢١ .

عناصر الموتى وأرواحهم ... وتأثر المغول بحضارات الشعوب <sup>(١)</sup> الأخرى .

ومن الغريب أن أحكام « الياسا » ظلت موضع اهتمام المغول ومرجعهم الرئيسى فى الحكم والسياسة حتى بعد زوال دولة « الابلخانيين » فى إيران ، ثم سار عليها التيموريون فى أحكامهم ، وسياستهم .

### الفزو المغولى :

كانت هناك خمسة قوى متنافسة - لكنها ضعيفة - فى الجزء الشرقى من الاقاليم الاسلامية، وهم الخوارزميون السلاجقة ، والغوريون ، والطائفة الاسماعيلية ، والخليفة العباسى . وقد سبقت الاشارة الى كيفية انتهاء دولة السلاجقة فى الشرق لتتسع الدولة الخوارزمية وتصل أوجها فى عهد السلطان « علاء الدين محمد خوارزم شاه ٥٩٦-٦١٧هـ / ١١٩٩-١٢١٩م والذى دخل فى معارك مع الغوريين الذين كانوا يسكنون شرقى خراسان ، وقسما من افغانستان ، وغرب الهند ، ويرى البعض <sup>(٢)</sup> فداحة الخطأ الذى ارتكبه « خوارزم شاه » بمحاربه « القراخانيين » ثم هزيمتهم ، وهؤلاء كانوا بمثابة حاجز بشرى بين المغول والمسلمين وأصبح « المغول » بذلك وجها لوجه أمام المسلمين .

وسواء تعلق الامر بعلاقة الخوارزميين بالخليفة العباسى أو بالدور الذى قام به الفدائيون فى حركة الاسماعيلية تجاه الخليفة العباسى المسترشد وقتله هو وابنه أو بالخلافة العباسية ذاتها وضعفها الشديد فان هذه القوى بأوضاعها المتردية كانت مقدمة للحروب التى شنها المغول على البلاد الاسلامية

---

(١) سر توماس و . ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم وآخرون ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٠ من ص ٢٥١

(٢) اسماعيل عبد العزيز الخالدى ، مرجع سابق ص ٤٨ نقلا عن دكتور فؤاد الصياد ، مرجع سابق ص ٦١ - ٦٨

ومحاربتهم بل وقضائهم على هذه القوى بشكل أو بآخر .

بدأت المرحلة الاولى من مراحل الغزو المغولى تجاه العالم الاسلامى بتوريط خوارزم شاه الذى كان محاربا قديرا ، ومع ذلك لم يتمكن من مواجهة جيوش جنكيز خان الذى اتخذ ذريعة للهجوم عليه قتل خوارزم شاه تجارا كان جنكيز خان قد أرسلهم باسم التجارة ، لكن ابن الأثير يذكر ان جنكيز خان قد أرسلهم للتجسس ، فأرسل جنكيز خان الى خوارزم شاه يعتب عليه ويطلب مجازاه القتلة ، غير أن خوارزم شاه قتل رسول جنكيز خان الذى غضب لهذه الاهانة وأرسل يهدده قائلا : « تقتلون اصحابى ، وتأخذون مالى منهم ، استعدادا للحرب ، فانى واصل اليكم بجمع لا قبل لكم <sup>(١)</sup> به » .

وعموما فان غزو المغول لبلاد خوارزم تستدعى وقفه للتفسير .

كان من أثر تفاقم العداوة بين الخليفة العباسى وعلاء الدين خوارزم شاه محمد ، أن اعتقد بعض المؤرخين أن الخليفة العباسى الناصر استدعى التتار ليشغل بهم خوارزم شاه حتى يأمن شره ويحول بذلك دون ما يحدق ببلاد من خطر هجوم جيوش خوارزم شاه .

ويذكر ابن الأثير <sup>(٢)</sup> أن غزو التتار بلاد خوارزم وتوجيه أنظارهم للبلاد الاسلامية يرجع الى سوء التفاهم الذى وقع بسبب قتل تجار المغول الذين ترددوا على بلاد خوارزم .

وقد توجس خوارزم شاه خيفة من تهديد التتار فأرسل رسله الى بلاد جنكيز خان ليتفقدوا جيشه ويقفوا على مدى قوته ، فعادوا بعد مدة وأخبروه بكثرة جند التتار ، ووصفوا له شدة صبرهم على القتال ، وعملهم بأيديهم

---

(١) ابن الأثير : مصدر سابق ، الجزء الثانى عشر ، ص ٣٦٣ .

(٢) الكامل ج ١٢ ص ٢٣٦ .

ما يحتاجون اليه من السلاح . فندم خوارزم شاه على ما فعل ، وزاد قلقه من ناحية التتار ، ثم جاءته الأخبار بأن التتار قد ساروا لقتاله ، فاستشار أحد فقهاء دولته - فأشار عليه بأن يعسكر بجيوشه على ضفة نهر سيحون الذى كان يفصل بين المملكة الخوارزمية وبلاد الترك - وبذلك يستطيع أن يقضى على قوات جنكيز خان بعد أن يكون التعب قد أنهك قواهم لبعد الشقة ووعورة الطريق . ثم عقد خوارزم شاه مجلسا ضم أمراءه وذوى الرأى فى دولته ، فأشاروا عليه بأن يترك التتار حتى يعبروا نهر سيحون .

وكان من أثر إرسال جنكيز خان رسوله الى خوارزمشاه يتهدده بالحرب ، أن قتل خوارزم شاه هذا الرسول ، وجمع عساكره ، وانقض على بلاد التتار بعد مسيرة أربعة أشهر ، فلم يلق الا جموعا قليلة تخلفت مع النساء والصبيان والاطفال لاشتغال الجند بمحاربة أحد ملوك التتار ، فأوقع بهم وغنم ما معهم . ولما علم التتار بما فعل خولوزم شاه أدركته طائفة منهم تحت قيادة أحد أولاد جنكيز خان قيل أن يخرج من بلادهم . على أن هذه الحزب لم تنجل عن انتصار أحد الفريقين ، فعاد التتار الى بلادهم ، وعاد المسلمون الى بخارى ، وأخذ خولوزم شاه يعد العدة لقتال التتار ، وعسكر بالقرب من مدينة بلخ .

أما التتار فقد يمموا شطر بلاد ما وراء النهر حتى وصلوا الى مدينة بخارى بعد وصول خوارزم شاه بخمسة أشهر ، فدخلها جنكيز خان فى ٤ ذى الحجة سنة ٦١٦ هـ وقتل الجند الذين اعتصموا بالقلعة عن آخرهم وأخرج الاهالى لا يملكون سوى ثيابهم التى عليهم . ثم نهب جنده المدينة واسروا من بقى بها من الاهالى واقتسموهم ، ثم القى التتار المنابر والمصاحف فى الخندق ، واشعلوا النار فى المدارس والمساجد وغيرها من المباني حتى اصبحت

بخارى كان لم تغن بالأمس<sup>(١)</sup>.

رحل التتار بعد ذلك نحو سمرقند كعبة العلماء والأدباء ومعين الثروة والرخاء ، واستصحبوا معهم من سلب من أهل بخارى مشاة على أقبح صورة ، وقتلوا منهم من أعياء المشى . بسمرقند خمسون ألفا من جند خوارزم شاه وخارت قواهم لما علموه من فظائع التتار الذين قدموا فرسانهم وتفاقمت مخاوف الجند الخوارزميين لهذا الانكسار الذى حل بأهل سمرقند ، وطلبوا الأمان من التتار ظنا منهم أنهم يبقون عليهم لأنهم كانوا أتركا مثلهم . ومن ثم خرجوا فى أهلهم وأموالهم ، فطلب منهم التتار أن يسلموا سلاحهم وأموالهم ثمنا لأمانهم . ثم وضع التتار السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم ، ونهبوا المدينة وعاثوا فيها فسادا . فأحرقوا الجامع ، واستولوا على الأموال وسبوا الأهلين ، وقتلوا الشيوخ والعجزة ، وكان ذلك فى المحرم سنة ٦١٧ هـ .

بلغ من خوف جند الخوارزميين من التتار أن أصبحوا بحيث لا يستطيعون مواجهتهم ، ويذكر ابن الأثير أن خوارزمشاه علاء الدين محمد أرسل مرة عشرة آلاف من الجند ومرة عشرين ألفا فلم يجرموا على مواجهة التتار وعادوا أدراجهم .

ولما تم للتتار فتح بخارى وسمرقند عولوا على القبض على خوارزم شاه ، فبعث جنكيز خان عشرين ألفا من خيرة جيده وقال لهم : « اطلبوه ولو تعلق بالسما حتى تدركوه وتأخذوه » . فسار هؤلاء الجند ميممين غربى خراسان .

ولما علم المسلمون بذلك تفرقوا أمام التتار ، وهرب خوارزم شاه الى نيسابور . فلما أحس خوارزم شاه بقربهم هرب الى مازندران ، واقتفى التتار

---

(١) راجع ابن الأثير جـ ١٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .



أثره وأصبح خوارزم شاه ينتقل من بلد الى بلد والتتار فى إثره ، حتى وصل  
اخيرا الى الرى ثم الى همذان ثم الى حدود العراق . فلما جاء التتار ملكوها  
بسهولة لم تكن منتظرة واعملوا السيف فى رقاب أهلها وسلبوا أموالهم (١).

ولما تم للتتار فتح مازندران استأنفوا سيرهم قاصدين بلاد الرى فى طلب  
خوارزم شاه وقد فر اليها من مازندران ، وقبضوا على أمه ، وإرسلوها الى  
جنكيز خان فى قره قورم حاضرة ملكه ( ١٢٢٣/٦٢٠ ) .

ثم دخل التتار بلاد الرى على حين غفلة من أهلها فأذاقوهم كل صنوف  
العذاب وسبوا الحريم واسترقوا الاطفال ، ثم مضوا قدما فى طلب خوارزم شاه  
وصل التتار الى همذان ، وكان خوارزم شاه قد وصل اليها ، فغادرها وخرج  
الى المدينة الى التتار ، وطلب منهم الامان فأجابوه الى طلبه . ثم ساروا الى  
زنجان ثم الى قزوین فدخلوها عنوة .

وقد قصد التتار بعد ذلك أذربيجان فصالحهم صاحبها ، وكان منصرفا الى  
اللهو وإدمان الشراب ليلا ونهارا . وكانت أذربيجان فى عهد العباسيين من  
الاقاليم القليلة الأهمية ، ولم تقم لها قائمة سياسية الا عندما هبت ريح  
المغول . ذهب التتار الى أذربيجان فرارا من البرد والثلوج والأمطار ، فوصلوا  
الى تبريز وبها صاحب أذربيجان فصالحهم ، ثم يمموا ناحية البحر فى  
طريقهم الى بلاد الكرج ، فأرسل الكرج الى صاحب أذربيجان فى طلب  
الصلح والانفاق على قتال التتار ، كما تعاهدوا مع صاحب بلاد الجزيرة  
ويدعى الملك الاشرف بن الملك العادل . ولكن التتار لم يلبثوا أن تحركوا  
قاصدين بلاد الكرج ، وانضم اليهم كثير من التركمان والاكرد لمشاركتهم  
اياهم فى الجنس ، وتقدم التتار نحو بلاد الكرج فنهبوا أهلها وقتلوهم ، ثم

---

(١) ابن الأثير ج ١٢ ص ٢٤٣

واصلوا السير نحو نفليس ، فهزموا أهل هذه البلاد هزيمة منكرة وقتلوا منهم عددا لا يحصى ونترك ابن الأثير <sup>(١)</sup> يشرح ذلك فى تفصيل غير قليل قائلا :

« ولقد جرى لهؤلاء التتار مالم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه . طائفة تخرج من حذرد بلاد الصين لانتقضى عليهم سنة حتى يصل بعضهم الب بلاد أرمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همدان ، وتالله لأشك أن من يجىء بعدنا اذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ، ينكرها ويستبعدها والحق بيده ، فمتى استبعد ذلك ، فلينظر أننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ فى زماننا فى وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة استوى فى معرفتها العالم والجاهل لشهرتها ... يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوطهم ... ولم ينل المسلمين أذى وشدة منذ جاء النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت مثلما دفعوا اليه الآن ، وتعدت هذه الطائفة منهم النهر الى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك . هذا العدو الكافر التتر قد وطئوا بلاد ما وراء النهر وسلكوها وخربوها ثم الى الرى وبلد الجبل وأذربيجان (كذا) . وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم ، والعدو الآخر الفرنج قد ظهر من بلادهم فى أقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ، ووصلوا مصر فملكوا مثل دمياط وأقاموا فيها ، ولم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنها ولا أخراجهم منها ، وباقى ديار مصر على خطر ، فإننا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » .

وتجدر الاشارة ان ياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ) كان معاصرا لغارة المغول ، وكان صديقا لابن الأثير ، وقد استطاع أن ينجو بنفسه من غارتهم ، وأن يخلف لنا صورة واضحة لما كانوا يلقونه فى النفوس من رعب

---

(١) الكامل ج ١٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

ومرغ كما يتضح ذلك من اشاراته المتفرقة فى كتابه « معجم البلدان » وفى خطاب أورده ابن خللكان فى كتابه وفيات الاعيان ، وقد وجهه ياقوت <sup>(١)</sup> الى القاصى الأكرم جمال الدين أبى الحسن على الشيبانى القفطى وزير صاحب حلب فى كتابه الذى أرسله اليه من الموصل فى سنة ٦١٧هـ على تر وصوله اليها من خوارزم هاربا من انتشار يصف فيها ما حل بخراسان من التخريب والتدمير ولأهلها من الخطوب والويلات وما تعرض له من الأخطار حتى وصل الى الموصل ، كما عبر ياقوت عن أسفه العميق وحزنه الدفين لتركه مدينة مرو الزاهرة العامرة بمكتباتها ، وقال إن ما شملت عليه من الكتب النادرة قد أنساه الأهل والأحباب والوطن والأصحاب . ثم وصف الرخاء والعمران اللذين كانت تنعم بهما خراسان حتى أصبحت شبيهة بجنة الماوى ورياض الخلد وما قاله ياقوت :

« فإنا لله وإنا اليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر ، وتفت فى العضد ... وتشيب الوليد وتخب لب الجليد ، وتسود القلب وتذهل اللب ، فحيثذ تفهقر المملوك <sup>(٢)</sup> على عقبه ناكصا ومن الأوبة الى حيث تستقر فيه النفس بالأمن آيسا ... فتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل بعد مقاساة اخطار وابتلاء واصطيار » <sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) دون القفطى صورة هذا الخطاب فى كتابه الذى سماه « انباء الرواة على أنباء النحاة » ونقله ابن خللكان فى كتابه وفيات الاعيان ج٥ ص ١٨١ - ١٨٨ فى ترجمة ياقوت الحموى .
- (٢) يتكلم ياقوت عن نفسه ويصف حاله وما صادفه من أخطار .
- (٣) برون . تاريخ الأدب فى العراق ، الترجمة العربية ج٢ ص ٥٥٢ - ٥٥٣ .

## - المغول والطائفة الاسماعيلية :

ادرك المغول ضرورة القضاء على طائفة الاسماعيلية ، لأنها كانت تحول بين تحقيق اطماعهم فى السيطرة على القسم الغربى من العالم الاسلامى ، وتذكر بعض المصادر ان فريقا من هذه الطائفة حاولوا جمع الشعوب المعرضة للخطر المغولى بعد اجتياحه الصين ، وخراسان ، وآسيا الصغرى ، فى حين تذكر مصادر أخرى ان الشعوب الاسلامية قد عانت من ظلم هذه الطائفة لها حتى أن صاحب طبقات ناصرى يذكر أن القاضى « شمس الدين أحمد الكافى القزوینى » كان على اتصال بالمغول ، وكان أماما وعالما كبيرا ، قد طلب الى المغول وضع حد لشر هؤلاء « الملاحدة » - أى الاسماعيلية .

توجه جيش المغول من العاصمة « مرا قورم » سنة ۱۲۵۳/۶۵۱م بقيادة « هولاکو » ، وقد لاقى الجيش كل مساعدة ممكنة من أعيان إقليم خراسان ، ووجه هولاکو والذى ألت اليه الزعامة بعد جنکيز خان - رسائل الى الملوك والسلاطين فى ايران يطالبهم بالمساهمة فى حملته ، فان فعلوا فسوق تبقى لهم ولاياتهم ، والا فسوف يحل بهم مايحل بالملاحدة - يعنى الطائفة الاسماعيلية - « وكانت هذه الطائفة قد قوت من نفسها ، واستوطنت جبال ولاية « الطالقان » و « دودبار » ، وكان لهم حوالى خمسون قلعة حصينة ، وكانت عاصمتهم « الموت » هى الأخرى من أقوى هذه التلاع المحكمة ، وقد تقدم المغولى « كتبغا » فى طليعة جيش « هولاکو » الى « قهستان » واستولى على قلاعها ، وفى سنة ۱۲۵۲هـ / ۱۲۵۶م عبر هولاکو نهر « جيحون » وعمل على تحطيم القلاع الحصينة وخاصة قلعة « سرتخت » التى كان بها حاكم الاسماعيلية

ويلقب<sup>(١)</sup> « المحتشم » واسمه « ناصر الدين » ، واستطاع هولاكو بالتهديد تارة ، والترغيب تارة أخرى أن يجعله يستسلم ، وباستسلامه سقطت بقية القلاع الواحدة بعد الأخرى ، ولم تستعص عليه الا قلعا « ميمون دز » و « الموت » ، وبعد تهديد وترغيب ملكهم « ركت الدين خورشاه » سلمت قلعته بعد أن تكفل هولاكو بالبقاء على حياته ، غير أنه أرسل شخصا من قبله قضى عليه وقتل جميع أسرته ، وأصدر هولاكو أوامره بالتخلص نهائيا من هذا المذهب ، فحشد المغول هذه الطائفة متظاهرين بانهم يريدون احصاءهم ، ثم اجهزوا عليهم جميعا ، ولم يبق منهم الا من اعتصم بجبال فارس ، وقد استمر حكم هذه الطائفة في تلك المناطق حوالي قرنين .

### سقوط بغداد :

كان العراق مهدا للخلافة العباسية ، ومحطاً لانظار العالم الاسلامي ابان ما يطلق عليه المؤرخون العرب المحدثون<sup>(٢)</sup> بعصر الازدهار وهم يسردون تاريخ الدولة العباسية منذ عهد ابي العباس السفاح الى نهاية عهد المعتصم بالله (١٣٢-٢٣٢هـ) ، غير أن أوضاع العراق قد تردت من سبب إلى السبب في الفترة من سنة ٢٣٢ الى سنة ٣٢٠هـ والتي اطلقت عليها فجرة الانحلال الاول ، ثم الفترة من سنة ٣٢٠ الى سنة ٤٢٣هـ والتي يطلق

(١) راجع تفصيلا : رشيد الدين بن فضل الله الهمداني ، جامع التواريخ في تاريخ المغول ، تعريب محمد صادق نشأت ومحمد موسى هندلوي وفؤاد عبد المعطي الصبياد ، الادارة العامة للثقافة ١٩٦٠م ، ص ص ٢٤٠ - ٢٤٦ .

(٢) راجع في تفصيل ذلك : دكتور محمد أسعد طلس ، تاريخ العرب ، الجزء الخامس ، دار الاندلس ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ ولعله من أفضل المؤلفات العربية الحديثة في سرد احداث تاريخ العرب وسيطه وحديثه على السواء رغم تخصص المؤلف الدقيق في التاريخ الاسلامي . المؤلف .

عليها فترة الانحلال الثانية ، ثم تردت الأمور الى قاع المستنقع - اذا جاز التعبير - فى فترة السقوط التى تقع من سنة ٤٢٢ - ٦٥٦ هـ حيث سقطت بغداد سنة ٦٥٦ هـ فى أيدي المغول خلال فترة حكم الخليفة المستعصم بالله .

والواقع أن الاضطراب شمل جميع شئون العراق منذ القرن السادس للهجرة - كما سبقت الاشارة - واستمر هذا الاضطراب الى القرن السابع حيث ساءت شئون الخلافة ، وبعد أن كان الاعاجم - وهم على دراية بشئون السياسة والادارة - يديرون شئون الحكم فى القرن السادس سواء كانوا قرسا ، أو اتابكة أو تركا ، فان الخلفاء فى القرن السابع الهجرى قد استسلموا للخخصيان والجوارى حتى وصلت بغداد الى حالة متردية من الفساد وعندما آلت زعامة المغول الى هولاكو فقد كان له جواسيسه الذين يبعثون له بالرسائل والتقارير ، بل أن المصادر تذكر أن نفرا من مسئولى بغداد كانوا يأترون بأمر هولاكو فى حين كانوا يعملون فى الظاهر باسم الخليفة العباسى أو وزيره وخاصة الترك الذين سيطروا على أمور الدولة العربية فنشروا الجهل والفوضى والفساد للقضاء على السلطان العباسى .

كانت الظروف مهيأة تماما لانقضاء المغول على الخلافة الاسلامية فى بغداد ، ويحث هولاكو عن مبرر لذلك من خلال الرسائل والنداءات التى وجهها الى الحكام المسلمين ومنها الخليفة العباسى باعتباره أكبر الحكام المسلمين وقوة ، ولسلطته الروحية ومكاته المقدسة لدى المسلمين فأرسل له رسالة يعاتبه على عدم ارسال الجنود للمساعدة فى فتح قلاع الملاحدة - يقصد طائفة الاسماعيلية - ، واضاف هولاكو قائلا : « ... مهما تكن اسرتك عريقة ، وبيتك ذا مجد تليد ، فان لمعان القمر قد يبلغ درجة يخفى معها نور الشمس الساطعة » ، وذكر هولاكو ان كثيرا من السلالات

حكمت الى جانب الخليفة في بغداد مثل السلاجقة والديلمة والأتابكة ،  
وتساءل هولاء قائلًا : « كيف تغلق بغداد في وجه المغول وحكم أقوى من  
كل أولئك ؟ » وأضاف هولاء قائلًا : « والآن نقول لك : احذر الحقد  
والخصام ، .... وإذا اردت ان تحفظ رأسك وأسرتك فاستمع لنصحي  
بمسمع العقل والذكاء ، والا فسأرى كيف تكون إرادة الله (١) » .

رد الخليفة المستعصم بالله على هولاء رافضًا طلبه ومهدوا إياه بأن  
المسلمين جميعًا رهن إشارته إذا وعاهم للقتال قائلًا (٢) : « ... وإذا كنت  
مثل تزرع يذرع المحبة فما شأنك بخنادق رعيتي وحصونهم ، فأسلك طريق  
الود وعد الى خراسان ، وإن كنت تريد الحرب والقتال فلانقوان لحظة  
ولا تقتدر .. اني لى الوفا مؤلفة من الفرسان وهم متأهبون للقتال ، وانهم  
ليثيرون الغبار ... » .

غضب هولاء وبعث برسالة ثانية الى الخليفة قائلًا : « ان الله الأزلى رفع  
جنكيز خان ، ومنحنا وجه الارض كله من الشرق الى الغرب فكل من سار  
معنا وأطاعنا واستقام قلبه ولسانه ، تبقى له امواله ونساؤه وابناؤه ، ومن يفكر  
فى الخلاف والشتاق لا يستمتع بشيء من ذلك » ، وأضاف هولاء  
قائلًا (٣) : « ... ولقد انحرفت عن طريق آباءك وأجدادك ، وأذن فعليك ان  
تكون مستعدا للحرب والقتال ، فاني متوجه الى بغداد بجيش كالنمل  
والجراد ، ولو جرى سير الفلك على شاكله اخرى فتلك مشيئة الله  
العظيم » .

---

(١) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الثانى ، ص ٢٦٨ .

(٢) حمل هذه الرسالة لهولاء شغوبيا شرف الدين ابن الجوزى وبنو الدين محمود وزنكى

النخجوانى ، راجع : المصدر السابق ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٣) نفس المصدر السابق ، الجزء الثانى ص ٢٧١ .

رد الخليفة برسالة ثانية الى هولاء قائلًا : « لو غاب عن الملك فله أن يسأل المطلعين على الأحوال ، إذ أن كل ملك - حتى هذا العهد - قصد أسرة بنى العباس ودار السلام بغداد كانت عاقبته وخيمة » ، وعدد الخليفة أسماء ممن حاولوا الاستيلاء على بغداد وإن عاقبتهم كانت سيئة فختتم رسالته بقوله : « .. فأحذر عين السوء من الزمان الغادر » .

غير أن الاحداث الحقيقية كانت تجري على نحو مخالف ، فرد الخليفة لم يصحب هولاء لأنها حملت تهديدا ووعيدا ، ورسل هولاء تعرضوا لأذى العامة في « بغداد » ، مما جعل هولاء يرسل انذارا<sup>(١)</sup> نهائيا للخليفة ، الذى استشار أعوانه فأشاروا عليه بتوفير نفقات الجيش ونصحه وزيره « مؤيد الدين بن العلقمى » تخفيض عدد جيشه وأن ينفق ما وفره من مال فيما بذله متطوعا من « جزية » للمغول حتى يتعدوا عنه ، ولكن هولاء طالب بحقوق السيادة على الخلافة ذاتها<sup>(٢)</sup> ، فرفض الخليفة ذلك ، وقرر هولاء مهاجمة بغداد .

خرجت الجيوش العباسية للقاء جيش المغول فى « بعثوبيا » و « باجسرى » ، وشدد المغول هجومهم فهلك قسم كبير من العباسيين غرقا فى نهر دجلة ، وأحس الخليفة سوء العاقبة فبعث بابنه الأمير أبى الفضل عبد الرحمن ، ومعه الوزير ، وجمع من عظماء المدينة مع هدايا كثيرة الى هولاء ، ولكنه رفض استقبالهم ، وطلب اليهم ان يبعثوا اليه بالخليفة نفسه ليفاوضه ، فلم يذهب الخليفة ، وبعث اليه بكبار قاداته فقتلهم هولاء ، وأخذ العرب يدب فى قلوب اهل بغداد ، وسادت الفوضى ، فاستسلمت

(١) راجع نصوص هذه الرسائل فى المصدر السابق ، الجزء الثانى من ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء الثالث عشر ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .



المدينة ، ودخلها هولاء وجنوده الذين تولوا زمام الأمور فيها ، وأمرهم هولاء بسلب الأموال وهدم البيوت وقتل السكان ، ويروى السيوطي (١) أن عدد القتلى بلغ الف الف سمة ، وقال آخرون بل انهم بلغوا ثلاثة آلاف الف ، واستدعى هولاء الخليفة فتقدم اليه ، وأذله ، واستولى على كافة الأشياء النفيسة من الأموال والكنوز ، ثم رحل عن بغداد لفساد هوائها من كثرة الجيف ، وانتشار الاوىة والامراض ، وطلب الى رجائه قتل الخليفة ، والقضاء على من تبقى من البيت العباسي ، وهكذا زالت الخلافة العباسية .

استقر المغول في بغداد وخضعت لهم كافة اقاليم العراق ، وعهد هولاء الى الوزير ابن العلقمي - آخر وزراء الدولة العباسية - بأن يهتم بشئون بغداد وتوابعها ، وتذكر المصادر انه استعان بطائفة من رجالات الادارة في العهد العباسي ، وأصبحت الاوضاع أفضل من الفوضى التي سادت احتلال بغداد وسقوطها ، ولم يدل المغول بنظم الحكم ، بل استبقوا الحالة على ما قضى عليه ، واستمر الوزير العلقمي وسيطا بين المغول وأهل العراق ، وخلفه ابنه عز الدين أبو الفضل فسار على نهج ابيه ، ولم يطل العهد به ، فخلفه الوزير علاء الدين عطاء ملك الجوني سنة ٦٥٧هـ مقاس الناس في عهده من زيادة الضرائب ، حتى أرسل هولاء رسولا للتفتيش على احوال العراق هو نصير الدين الطوسي ، الذي قدم لهولاء تقريراً مفصلاً عن سوء الاحوال في العراق ، وفساد سياسة الولاة ، غير أن موت هولاء اعاق ذلك ، وخلفه ابنه ابا قاخان سنة ٦٦٣هـ فعهد بالعراق الى صاحب علاء الدين عطاء ملك الجوني ، فعمل على تعمير البلاد واحياء المدارس ، واطمان الناس .

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء - مصدر سابق وراجع ايضا : السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، دكتور ابراهيم المدري ، التاريخ الاسلامي ، مرجع سابق من ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

وبموته فقد تسلم الأمير تكودار من هولاء زمام الأمور - وهو أول من أسلم فيما بعد من أولاد هولاء - وسمى الأمير أحمد وقام بمزيد من الإصلاحات في العراق ، غير أن الفترة اللاحقة شهدت مزيدا من ارتفاع الاسعار وانتشار الأمراض لأن أمور العراق أوكلت الى يهودى خبيث هو سعد الدولة بن الصفر ، فظل الأمر الى أن تولى الامور فى العراق قطلغ شاه سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م فأبعد هذا اليهودى عن عمله ، غير أن اليهود تمكنوا من التسرب الى أجهزة الحكم والادارة مرة ثانية حتى قتل قطلغ شاه . وتوالى الحكام المغول الذين كلفوا العديد من الولاة على العراق حتى سنة ٦٩٨هـ ، وطوى القرن السابع الهجرى صفحاته بدءا بسقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦هـ وما شهدته الفترة السابقة من أحوال فاسدة فى كافة المجالات السياسية والادارية والاجتماعية والدينية ، حتى أطل القرن الثامن للهجرة على العراق واستمرت الأوضاع على ماهى عليه رغم تغير الأشخاص وانقرضت الدولة المغولية فى العراق سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٦ وفى المشرق أيضا ، لكن الشام كانت قد استأثرت هى الأخرى باهتمام المغول وحروبهم فيها على نحو ما سنفضله فى الفصل التالى .

## الفصل الثاني غزو الشام

- أوهناك الشام بعد سقوط بغداد .
- زحف حملة هولاكو الى الشام .
- معركة عين جالوت ( ٢٥ رمضان ٦٥٨ هـ ) .
- ما بعد عين جالوت .



## الفصل الثانى

### غزو الشام

- أوصاع الشام بعد سقوط بغداد :

انتشرت الفوضى ، وعمت الاضطرابات فى العراق عقب سقوط بغداد ، انعكس ذلك على بلاد الشام مما أدى الى تدهور أوضاعها ، وأدرك المسلمون الخطر المحدق بهم من المغول ، غير أن الانقسام السياسى ، وضعف الحكام ، وتخاذلهم ، وانتشار ظاهرة الخيانة ، كل هذه العوامل ساعدت فى زيادة حدة الخوف فى النفوس ، واتساع هذه الخلافات بين القوى المتكاملة على حكم الشام وهم الأرمن المسيحيون الذين وقفوا مع المغول بحماس شديد ضد المسلمين ، وقدموا اليهم كل مساعدة ، كما أن فرقاً من الجيش قاتلت مع المغول ، وشكلت الامارات الصليبية التى بقيت بعد انتهاء الحروب الصليبية - القوة الثانية المتنافسة مع القوى الاخرى لحكم الشام ، وكانت بقية الامارات الصليبية مستمرة فى أجزاء من سواحل فلسطين ولبنان ، وكان أمراؤها يرون فى المغول أعداء للإنسانية والحضارة معا فضلا عن جرائم المغول فى أوروبا وهو ما يفسر تفضيل هؤلاء الامراء الصليبيين التعاون مع المسلمين ضد المغول أو على أحسن حال الوقوف موقف المحايد ، وأخيرا كانت الامارات الاسلامية فى الكرك ، ودمشق ، وحماة ، وحمص والتى يحكمها أمراء « أيوبيون » من أسرة « صلاح الدين الايوبي » وكان « الناصر يوسف » صاحب « حلب » و « دمشق » هو أكثر الامراء الايوبيين قوة ، وقد سبقت الإشارة الى منافسة تلك القوى لبعضها البعض ، فضلاً عن النزاعات والخلافات المستمرة بين الامراء الايوبيين أنفسهم حتى فى الوقت الذى بدأ فيه شبح المغول يظهر مخيفاً ، ماثلاً للعيان ، وخطراً محدقاً بهم جميعاً .

وبالإضافة الى تفتيت قوى الشام على النحو السابق الإشارة اليه ، فقد

عانى السكان من ظلم الامراء الايوبيين أنفسهم وارتفاع الضرائب ، مما ساعد على اتساع هوة الخلاف وعلى تسهيل عملية الغزو المغولى للعالم الاسلامى ، فقد فرض بدر الدين لؤلؤ على أهل الشام ضريبة اسماها ضريبة « التتر »<sup>(١)</sup> ، وكان المسلمون يعلمون أن هدف المغول احتلال جميع البلاد الاسلامية ، فقد ورد فى رسالة أرسلها تاجر مجهول من الرى الى اصحابه فى الموصل سنة ٦٢٧هـ اعترام المغول غزو العالم الاسلامى .

### - زحف حملة هولاكو الى الشام :

بدأ زحف حملة هولاكو من بغداد الى الشام بالتوجه الى « ميفارقين » ، فلما اقتربت الحملة منها ، بقت هولاكو رسالة الى الملك الكامل بدعوة الى الاستسلام ، فرفض الملك الكامل ، وقرر قتال المغول وتوجه الى شعبه قائلاً : « أنتنى لن أمنع الفضة والذهب والغلات التى توجد فى المخازن ، بل سأؤثر بها المحتاجين ، فانى - بحمد الله - لست كالمستعصم عبدا للدينار والدرهم ذلك الذى طرح برأسه ويملك بغداد بسبب بخله وشحه »<sup>(٢)</sup> . وكانت المدينة « ميفارقين » أشهر مدينة بديار بكر ، وضم سكانها بعد نداء الملك الكامل - على مواجهة المغول ، وأظهر المسلمون شجاعة فائقة وصمودا فى حصار المغول لمدينتهم ، غير أن طول الحصار ، ونفاذ المؤن داخل المدينة وعدم نجدة الامارات الاسلامية لهم - كل ذلك جعل القوضى تنتشر ، وتذكر المصادر ان السكان كانوا يأكلون بعضهم من الجوع ، وان هولاكو

(١) المقرئى ، كتاب السلوك لمعرفة الملوك ، مصدر سابق ، الجزء الاول ، ص ٣١٤ - ٣١٦

(٢) رشيد الدين الهمداني ، المجلد الثانى ، الجزء الاول ، ص ٣١٨ - ٣٢٢

(٣) ميفارقين بضم الميم ، وتشديد الياء . وكسر الراء والقاف وتعنى فارقين : الخلاف بالفارسية

راجع اسماعيل الخالدي ، ص ٩٥ نقلا عن ياقوت الحموى ، معجم البلدان ص ٢٣٥ -

تمكن من قتل الملك الكامل شر قتله ، ويصف رشيد الدين الهمذاني بشاعة هولاكو بهذا الصدد قائلا : « ... ثم أمر هولاكو بتقطيعه اربا اربا ، وكانوا يضعونها في فمه حتى هلك سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م ، ثم توجه هولاكو الى ماردين وكان أميرها « الملك السعيد » مصمما على مقاومة المغول ، الا أن ابنه قتله وسلم المدينة للمغول بعد حصار دام ثمانية أشهر ، وعقب ذلك استولى هولاكو على « نصيبين » و « حران » و « الرها » ثم احتل « البيرة » على نهر الفرات .

وتدل الرسائل التي ارسلها هولاكو الى الملك السعيد لدى محاصرته قلعة ماردين على شخصية هولاكو ، المتعطشة للاستبداد ، قائلا : « اهبط من القلعة ، وقدم الطاعة والولاء للملك العالم ليبقى لك رأسك ، ومالك ، ونساؤك وأبنائك ... ولو بلغت رأسك السماء فانها ستصير ترابا تحت اقدام جيش المغول ... » . أما رد الملك السعيد فيدل على حسن نيته وعزمته على الدفاع عن مدينته قائلا : « كنت قد عزمت على الطاعة والحضور الى الملك ، ولكن حيث أنكم قد عاهدتم الآخرين ثم قتلتموهم بعد أن اطمأنوا الى عهدكم ووفائكم ، فاني الآن لآتي بكم ... » .

أما حلب فقد جسدت الضعف والانقسام والتفكك بين حكام بلاد الشام ، وتجدر الإشارة الى الاوضاع الاقليمية الاخرى التي لم تكن أحسن حالا ، فقد رافق الهجوم للمغول على بلاد الشام انقضاء الحكم الأيوبي في مصر ، وقيام الحكم المملوكي ، كما رافق هذا التغيير في الحكام اضطراب ساعد في تقدم الغزاة في بلاد الشام ، ولم يكن بين حكام بلاد الشام من هو قادر بالفعل على الوقوف في وجههم كما سبقت الإشارة في استعراض

---

(١) رشيد الدين الهمذاني ، الجزء الثاني من ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

احتلال «ميا فارقين» و «ماردين» و «نصيبين» و «طران» و «الرها»  
ثم «البيرة» وفي (حلب) لم يكن صاحبها الايوى الملك الناصر أهلا  
للقوف في وجه المغول ، وخاصة بعد اشاعت أعمالهم الارهابية الذعر في  
النفوس ، كما تدل رسائل هولاء الى الملك الناصر تحذير المغول له بأن  
جزاء المخالفين هو جزاء أهل بغداد وحكامها ، وأن ما أحلوه ببغداد وحكامها  
وأهلها ما هو الا انتقام الهى لسوء سلوكهم وطفيان حكامها ، وقد حذر  
هولاء الملك الناصر وأهل حلب مغبة عدم جدوى المقاومة وطلب منهم  
الاستسلام ، وبالفعل حاصر هولاء حلب يعاونه في ذلك الأرمن من  
«قيليقية» ، والفرنجية من «انطاكيا» ، وطلب من أميرها «توارنشا» التسليم  
فرفض ، فأخذوا يدكونهما بالمجانيق حتى اضطت الى التسليم<sup>(١)</sup> ، وقد استغل  
«هيشوم» ملك أرمينية تلك الفرصة فأحرق الجامع الكبير ، وأخذ جزءا كبيرا  
من الغنائم ، ثم اتجه المغول الى قلعة حارم التي استسلمت وتم ذبح جميع  
من كانوا فيها ، كما تم الاستيلاء على «حماة» و «المرة» و «حمص»  
ونتيجة لهذه الانتصارات الخاطفة والسريعة ، وما صاحبها من قتل وتشريد ،  
فقد عمت الفوضى سائر اقاليم الشام ، وسارع الامراء الآخرون بالاستسلام  
والطاعة للمغول .

تقدم المغول بعد ذلك الى «دمشق» وكان المدافعون عنها قد هجروها ،  
كما انسحب ملكها الى «غزة» حيث سلفان مصر كان قد وعده بتقديم  
المساعدة ، أما دمشق فقد استسلمت في منتصف جمادى الاولى سنة  
٦٥٨ هـ ، وسقطت تماما في ايدي المغول ، ونظم المسيحيون فيها مواكب  
عامة تعبر عن سرورهم وفرحتهم ، وفعلوا الشيء الكثير بالمسلمين ، ويصف

(١) دكتور فؤاد الصياد ، ص ٢٩٣ - ٢٩٦ .



ابن كثير فى البداية والنهاية ذلك قائلا <sup>(١)</sup> : « ظهر الدين الصحيح دين المسيح ، ويذمون الاسلام وأهله ، ومعهم أوانى فيها خمر ، لايمرون على باب مسجد الا رشوا عنده خمر ، وقماقم تمتلىء خمرًا يرشون منها على وجوه المسلمين وثيابهم ، ويأمرون كل من يجتازون به فى الأزقة والاسواق أن يقوم للصليب » ، ويستطرد ابن كثير <sup>(٢)</sup> قائلا : .... وحكى الشيخ قطب الدين فى ذيله على المرأة انهم ضربوا بالناقوس فى كنيسة مريم ... وذكر أنهم دخلوا الى الجامع النبوى بخمر وكان فى نيتهم ان طالت مدة التتار أن يخربوا كثيرا من المساجد ، ولم يكثرث « كتبغا » نائب هولاء بشكوى المسلمين زغم احتجاجات القضاة والفقهاء المسلمين ، وبعد فترة وجيزة أتم المغول احتلال سوريا ، واستسلمت حامية عجلون ، ولكنهم لم يصلوا الى بيت المقدس .

ولعل أفضل تقويم لمعارك المغول فى الشام واستيلائهم عليها ، هو ما ذكره ابن تفرى بردى <sup>(٣)</sup> فى النجوم الزاهرة قوله : « وان هولاء حاصر حلب ستة أيام ، ثم أوقع بها خمسة أيام حتى لم يبق بها أحد ، ووصل الى هولاء على حلب الملك الأشرف صاحب حمص ، فأكرمه هولاء » ،

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى :

اسماعيل ابو الفدا ، المختصر فى اخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت ، الجزء الثالث من ص ٢٠٠

- ٢٠٣ -

(٢) اسماعيل الخالدى ص ٩٨ نقلا عن ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء الثانى عشر من ٢١٩ . ومن الثابت ان وصف ابن كثير وفى هذه الفترة يستمد جذوره من الحقد الصليبي على العالم الاسلامى وقتئذ وليس من مكان الشام المسيحيين « الباحث » .

(٣) ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة فى اخبار ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٩ ، حوادث سنة ٦٥٨ هـ .

وأعاد اليه حمص ، ثم رحل هولاكو الى حارم ، فقتل أهلها عن آخرهم وسبى النساء ... وأمر بخراب أسوار قلعة حلب ، وأسوار المدينة فخرت عن آخرها ، وأمر الأشرف موسى صاحب حمص باخرب سور قلعة حماة فخرت وأحرقت زرد خانتها ... وأما دمشق فان نائب هولاكو قدم الى أهلها بالعرفان والامان ، فلتقاه كبراء المدينة ، وانقذت مفاتيح دمشق الى هولاكو ... .

وقد سبقت الاشارة الى زحف التتار على فلسطين ، واحتلالهم قلاعها في نابلس وعجلون وصلت وصلخد وبصرى وسائر بلاد حوران ، وجنوبي فلسطين حتى بلغوا غرة هاشم ، وكانوا يودون الزحف على مصر ، ولكنهم انشغلوا بالملك الناصر يوسف الذى حاول تفريق جمعهم ، فتغلبوا عليه وقتلوه ، ولقيت بلاد الشام بلاءا عظيما من المغول ، وفر بقايا الأيوبيين ومماليكهم الى مصر يستجدون بأمرائها وأهلها . وفى مصر الذى كان يتولى عرشها الملك المظفر سيف الدين قطز بالاضافة الى الشام - كان قطز مشغولا بتوطيد أركان الامن فى البلاد ، وعلى الصعيد الخارجى كان يهدف الى ضرورة القضاء على بقايا الصليبيين ، وبينما هو مشغول بهذه الامور جاءه رسول هولاكو بكتاب ينذره فيه بزحفة ويحذر الذين يخالفون أمره أن يصيبهم ما أصاب أهل بغداد .

- معركة عين جالوت ( ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ / ١٢٦٠ م ) :

افتتح الملك سيف الدين قطز العهد المملوكى فى مصر بعد انقضاء العهد الايوبى ، وكان حكمه بداية عهد جديد فى تاريخ الشرق العربى الاسلامى على وجه الخصوص بسبب الغزو المغولى الذى بلغ أشده ، وافتتح هولاكو حروبه ضد سلطان مصر قطز برسالة لا تحوى الا الوعيد والتهديد والتسليم مضيفا قوله : « والا فالويل لكم ، فمن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا ،

سلم ، فان أنتم بشرطنا ولامرنا أطعتم ، فلكم مالنا ، وعليكم ما علينا ، وان خالفتم هلكم ، فلاتهلكوا نفوسكم بأيديكم ... فكثيركم عندنا قليل ، وعزيزكم عندنا ذليل ، وبغير الاهانة لا يوجد للموكمم عندنا سبيل <sup>(١)</sup> .

عندما قرأ قطز كتاب هولاءو غضب بشدة ، وجمع امراء وقواده وتشار معهم فيما يجب أن يفعل ، فكانت سمعة هولاءو السيئة قد وصلت الى مصر وانه ليس بالانسان الذى يطمان اليه ، ولايفى بعهوده ، فقد قتل فجأة خورشاه ، والخليفة ، وحسام الدين ، وصاحب اربل بعد أن اعطاهم العهد والميثاق . وقال أحد اتباع قطز : « فاذا ماسرنا اليه فسيكون مصيرنا هذا .... السبيل <sup>(٢)</sup> » ، وقال السلطان قطز : « والحالة هذه ، فان كافة بلاد حيار بكر ، وريجة ، والشام ممتلئة بالمساحات والفجائع ، وأصبحت البلاد من بغداد حتى الروم خرابا يابا ... وينبغى أن يختار مع هذه الجماعة التى تريد بلادنا واحدا من ثلاثة : الصلح ، أو القتال ، أو الجلاء عن الوطن . أما الجلاء عن الوطن فأمر منذر ، ذلك لانه لايمكن أن نجد مقرا الا المغرب ، وبيتنا وبيته مسافات بعيدة » ، وأجاب نصر الدين قيمرى أحد أبرز اتباع السلطان قطز قائلا : « وليس هناك مصلحة أيضا فى مصالحتهم اذ أنه لا يوثق بعهودهم » ، واضاف قطز قائلا : « ان رأى عندى هو أن نتوجه جميعا الى القتال ، فاذا ظفرنا فهو المراد ، والا فلن نكون ملومين أمام الخلق » <sup>(٣)</sup> .

يصف المؤرخون <sup>(٤)</sup> المسلمون السلطان قطز قاتلين : « وكان السلطان

---

(١) المقرئى ، الجزء الاول ، ص ٤٢٧ - ٤٢٩ .

(٢) الهذلى ، الجزء الثانى ، ص ٣١١ - ٣١٣ .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) المقرئى ، نقى الدين أحمد بن على ، كتاب السلوك لمروة دول الملوك تحقيق محمد مصطفى

زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٤ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

قطز رجلا صالحا كثير الصلاة في الجماعة ، ولا يتعاطى المسكر ، ولا شيئا مما يتعاطاه الملوك لها ، وقد سبقت الاشارة أن قطز عندما قرأ كتاب هولاکو غضب بشدة ، وقتل رسول هولاکو ، ورد عليه بكتاب يتوعده فيه ، فلما بلغ الرسول سورية رأى أن هولاکو قد رحل عنها الى بلاده وسلم أمر الجيش الى قائده كتبفا ، ولم يلبث قطز أن جمع زعماء المحاليك والامراء ، وخطب فيهم مبينا لهم سوء معاملة المغول وقسوتهم ، ومعددا لهم سوء أحوالهم واعمالهم الوحشية التي ارتكبوها في دار الخلافة ومدن الشام ، وذكر لهم ان الخطر محدق بهم اذا ما تهاونوا في قتل عددهم ، قائلا<sup>(١)</sup> : « يا امراء المسلمين : لكم زمان تأكلون اموال بيت المال ، وأنتم لانغزاه كارهون ، وأنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبنى ، ومن لم يختار يرجع الى بيته ، فان الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين » ، كما روى عنه أنه لما رأى المغول واسلوهم القتالى قال لامرائه الذين معه وكان اليوم يوم جمعه : « لاتقاتلوهم حتى تزول الشحن ، وتفىء الظلال ، وتهب الرياح ، ويدعونا الخطباء والناس فى صلاتهم » .

وقد استجاب له الناس وعاهدة الامراء - حتى الذين كان من رأيهم عدم قتال المغول - على الاستماتة فى سبيل البلاد والذود عن حياضها ، ثم أخذ ينظم جيشه ويعد عدته وسار نحو فلسطين لمواجهة جيش المغول ، وجعل المسلمون شعارهم : « واسلاماه ، بالله انصر عبدك »<sup>(٢)</sup> قطز « ودارت الدائرة على المغول ، وقتل قائدهم كتبفا وتم أسر ابنه ، وتفرق جنده .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص ٢٢٢ .

(٢) المقرئى ، السلوك لمركة دول الملوك ، الجزء الاول ص ٤٣١ .

سبقت الإشارة الى رسائل التهديد والوعيد <sup>(١)</sup> الذى ارسلها هولاءكو بعد احتلاله دمشق وقبل مغادرته الشام ، وما يهمنا هنا هو تقويم فترة احداث معركة عين جالوت وأوضاع المسلمين عموما ، وان المغول كانوا مدركين لسر نكبة المسلمين ، وانحرافهم عن دينهم ، غير أن نمط القيادة الممثلة فى السلطان <sup>(٢)</sup> قطز أعادت روح الاسلام الحقيقية فى توحيد الصفوف فجاء أول نصر ساحق على المغول ، وفى الفترة السابقة على المعركة لاحظنا تقاعس بعض الامراء ، وتفكيرهم فى الهروب الى المغرب غير أن اصرار السلطان قطز ، وتنظيمه للجيش واسلوب استقطاب المسلمين حوله لجمع الأموال للاتفاق على الجهاد - كل ذلك قد أضفى على جيش المسلمين روحا اسلامية قتالية عالية ، ولعل أوضح مثال على ذلك - أى تعبئة المسلمين - أن السلطان قطز طلب رأى قاضى القضاة فى مصر - الشيخ عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء - وهو فقيه شافعى - بشأن حث الناس على جمع الاموال للمجاهدين ، فان القاضى بعد اقتناعه بهذا الهدف الاسلامى النبيل - قد وجه نداء يطلب من المسلمين مساندة الدولة بأموالهم وان يكون فى طليعتهم السلطان قطز نفسه وأمراؤه ، ويورد صاحب النجوم الزاهرة قول الشيخ عز الدين للسلطان : « لا بد أن تدفع انت وجميع الامراء والمماليك جميع ماتملكون من ذهب وغيره ، فاذا لم تكف هذه الاموال دعونا الناس الى الجهاد بأموالهم ، أما أن يدفع الناس أموالهم ، وأنتم

---

(١) المصدر نفسه ، ص ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٢) بالرغم من أن السلطان قطز كان حريصا على مصالح المسلمين الا أن هولاءكو قد قلل من شأنه مشيرا الى اصله الذى يقال ان اسمه محمود بن مردود وان أمه أخت السلطان « جلال الدين خوارزم شاه » ، وانه سعى عند انتصار المغول فى دمشق حيث بيع للسلطان الملك المغريك ثم انتقل الى القاهرة .

تكتزون الذهب والفضة !! . فلا بد أن تضربوا للناس المثل الأعلى <sup>(١)</sup> .

تقبل السلطان أراء قاضيه قبولاً حسناً ، وسارع امراء الممالك للمشاركة بأموالهم للجهاد ضد المغول ، وفي تقويم سير معركة عين جالوت استعمل قطز الطرق التي استخدمها الصليبيون ، حيث انطلق الى غزة ، ومنها الى عكا التي كانت تحت حكم الصليبيين فعرضوا عليه نجدة ، غير أنه شكرهم ، وحذرهم في الوقت نفسه انه اذا تسببوا في أذى أى من الجنود المسلمين فسيقاتلهم ، والملاحظ أن قطز قد جنى فائدة كبيرة من استعماله الطريق الساحلى لأنه استفاد من امدادات الفرشجة له مما أتاح له مزيداً من الاستعدادات لمواجهة جيش المغول .

أما « كتبغا » قائد المغول فقد تقدم بقواته نحو الجنوب يريد مهاجمة جيش المسلمين ، والتقى الجيشان فى « عين جالوت » بين بيسان ونابلس فى فلسطين ودارت المعركة الفاصلة ، وكان جيش المسلمين متفوقاً على جيش المغول فى العدد وخفة الحركة والمفاجأة والاختفاء والتمويه لقسم رئيس من جنود المسلمين فى التلال حيث لم يظهر سوى مقدمة الجيش بقيادة الامير ركن الدين بيبرس ، فحمل « كتبغا » بكامل قواته على مقدمة جيش المسلمين الذى تظاهر بالتقهقر حسب خطة محكمة أعدت سلفاً - فتعقبهم المغول ، حتى وصلوا الى الكمين وأطبقوا عليهم ، وترك المقرئى <sup>(٢)</sup> يستكمل وصف سير هذه المعركة التى أظهر فيها جيش المسلمين شجاعة نادرة حيث تابعت قوات المسلمين فلول المغول الى الجبل

(١) ابن تفرى بردى ، الجزء السابع من ص ٧٢ - ٧٣ .

(٢) راجع تفصيلاً : المقرئى ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الاول من ص ٤٢٩ -

« فعندما اصطدم المسكران ، اضطراب جناح السلطان ، وانتفض طرف منه ، فألقى السلطان المظفر عند ذلك خوذته عن رأسه الى الأرض وصرخ بأعلى صوته : « واسلاماه » ، وحمل بنفسه ، وبمن معه حملة صادقة ، فأيده الله بنصره ... وانهزم المغول ، ومنح الله ظهورهم المسلمين يقتلون ويأسرون ، وأبلى الامير « بيبرس » أيضا بلاءا حسنا بين يدي السلطان » ويستطرد المقرئ قائلاً :

« وتبع الجيش الاسلامى المغول الى قرب « ييسان » فرجع اليهم المغول ، وتجمعوا فى قوة أعظم من القوة الاولى فهزمهم الله ، وقتل أكابرهم ، وعدد قليل منهم ، وكان قد زلزل المسلمون زلزالا شديدا ، ولكن صرخ السلطان قطز فيهم صرخة عظيمة سمعه معظم العسكر وهو يقول « واسلاماه » ثلاث مرات ، ياالله أنصر عبدك قطز على التار » فلما انكسر المغول الكسرة الثانية ، نزل السلطان عن فرسه ، ومرغ وجهه بالأرض ، وقبلها ، وصلى ركعتين شكر الله ... » .

ويستكمل أحد المؤرخين المسلمين <sup>(١)</sup> المحدثين تعقيبا على هذا النصر الذى كان التمسك بالاسلام طريقا ، وسلوكا ، ومنهجيا هو الذى جعل المغول ينهزمون لأول مرة فى تاريخهم بعد أن « كانت القلوب قد يئست من النصر عليهم لاستيلائهم على معظم البلاد الاسلامية ، ولأنهم ما قصدوا اقليما الا فتحوه ولا عسكرا الا هزموه » .

وتم أسر « كتبغا » ونظرا لوقاحته أمر قطز بقتله ثم طارد جيش المسلمين المغول فى بلاد الشام وطردهم منها وصارت الحرب بينهما فى العراق

---

(١) اسماعيل أبو الفدا ، المختصر أخبار البشر ، الجزء الثالث من ص ٢٠٤ - ٢٠٥ وراجع أيضا ، اسماعيل الخالدي ، ص ٩٩ - ١١٠ .

وفارس ، وجاء رد فعل هذه المعركة وانتصارها العظيم على حكام أقاليم آسيا بانطباع جيد ، ومن ذلك الرسالة التي وجهها قطز الى صاحب اليمن الملك المنصور يخبره بما حدث فى ذلك اليوم الأغر : فصدرت هذه التهئة الى رواية للصدق عن اليوم الأغر ... وقتل من المشركين كل جبار عنيد ، ذلك بما قدمت أيديهم ، وما ربك بظلام للعبيد <sup>(١)</sup>.

ما بعد عين جالوت :

عاد جيش المسلمين الى مصر وعلى رأسه قطز وهو مرفوع الرأس <sup>(٢)</sup> ، وفى بلاد الشام استمرت المعارك بين المسلمين والمغول زمن خلفاء قطز ولاسيما الملك الظاهر بيبرس ، والملك المنصور قلاوون ، وبلغ من شهرة الملك الظاهر بيبرس وقوته ان لجأ بركة خان اليه ليساعده ضد أخيه هولاكو فى الصراع على السلطة . وتذكر المصادر أن حزم الظاهر بيبرس جعل المغول - التتار فيما بعد كما نطلق عليهم المصادر الحديثة - يخشون سياسته ، وسعى التتار الى ايقاع الفتنة بينه وبين عماله ، وتمكنوا من إثارة الامير « سنجر » صاحب الديار الشاميه ضده ، فشق عصا الطاعة ، ونادى بنفسه سلطانا ، وتلقب بالملك المجاهد ، فسار اليه بيبرس ، غير أن جيوش التتار واجهته ومع ذلك فقد تغلب بيبرس عليهم ، وسار نحو سنجر ، وعندما علم الاخير بذلك فر الى دمشق التى لم تلق بالآ اليه وفتحت ابوابها لبيبرس الذى عاقب المماليك المواليين لسنجر ، ورجع بيبرس الى مصر بعد أن استتبحت الاحوال له فى بلاد الشام .

---

(١) الفلقندى ، صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، الجزء السابع من ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

(٢) ولكن لم يتم له الفرح ، فقد تأمر بعض المماليك على قطز وقتلوه وهو فى الطريق ولم يتم حكمه الا نحو من سنة وخلفه بيبرس البندقدارى (٦٥٨-٦٧٦هـ) (١٢٦٠-١٢٧٢م) وسوف نستعرض دوره فى الشام فى المتن .



أراد الملك الظاهر بيبرس إعادة الخلافة الاسلامية العباسية الى سابق مكانتها، وبالرغم من أن الاحداث التالية حدثت في مصر - مما يخرج على نطاق هذه الدراسة - فان دلالات هذه الاحداث ونتائجها كانت ذا فائدة جلية على المشرق الاسلامي برمته وخاصة في فلسطين وبلاد الشام نظرا لارتباطها بتاريخ مصر ودورها في العالم الاسلامي حتى نهاية عصر المماليك البحرية ١٣٨٩م مما يستدعي وقفة للتفسير :

علم الظاهر بيبرس ان واحدا من بنى العباس قد نجا من مذبحة هولاكو واسمه الامام أحمد بن الخليفة الظاهر ابن الخليفة الناصر بن الخليفة المستنصر ، فكتب اليه يدعوه لزيارته ، وبعد أيام من الزيادة عقد الظاهر بيبرس مجلسا شرعيا أثبت فيه صحة نسبه ، ثم بايعه بالخلافة وتلقب بالخليفة المستنصر بالله ، غير أنه لم يكن له أى نفوذ سياسى ، وانما كان سلطانا دينيا فقط ، وقد استقطب الظاهر بيبرس بهذا الاسلوب الرأى العام الاسلامي وخاصة في مصر والشام حيث استقرت الامور له ، ورغب في اخراج التتار من العراق فجهز جيشا أنفذه مع الخليفة ، غير أن التتار فرقوا الجيش المصرى ، وقتلوا الخليفة ، فتولى الخلافة من بعده أحد بنيه ، وتلقب بالحاكم لأمر الله .

وعلى صعيد العلاقات السياسية الخارجية فقد قويت أواصر المودة بين الظاهر بيبرس والقيصر صاحب القسطنطينية ، كما قوى علاقته بملك اسبانيا ، وملك نابلى وسلاجقة آسيا الصغرى الذين حالفوه ضد التتار . واستعد بيبرس بعد ذلك لقتال الصليبيين الذين سيطروا على بقاع فلسطين ، وبالفعل هاجم مدينة قيصرية ، ثم توجه الى دمشق حيث كان هولاكو قد مات ، ووجد حملة قوية الى أرمينية ففتح بلادها ، كما استولى على يافا وانطاكية وصافيتا ومرقب وكانت كلها تقع فى أيدي الصليبيين ، كما

## استولى على كافة قلاع الصليبيين على الساحل السوري

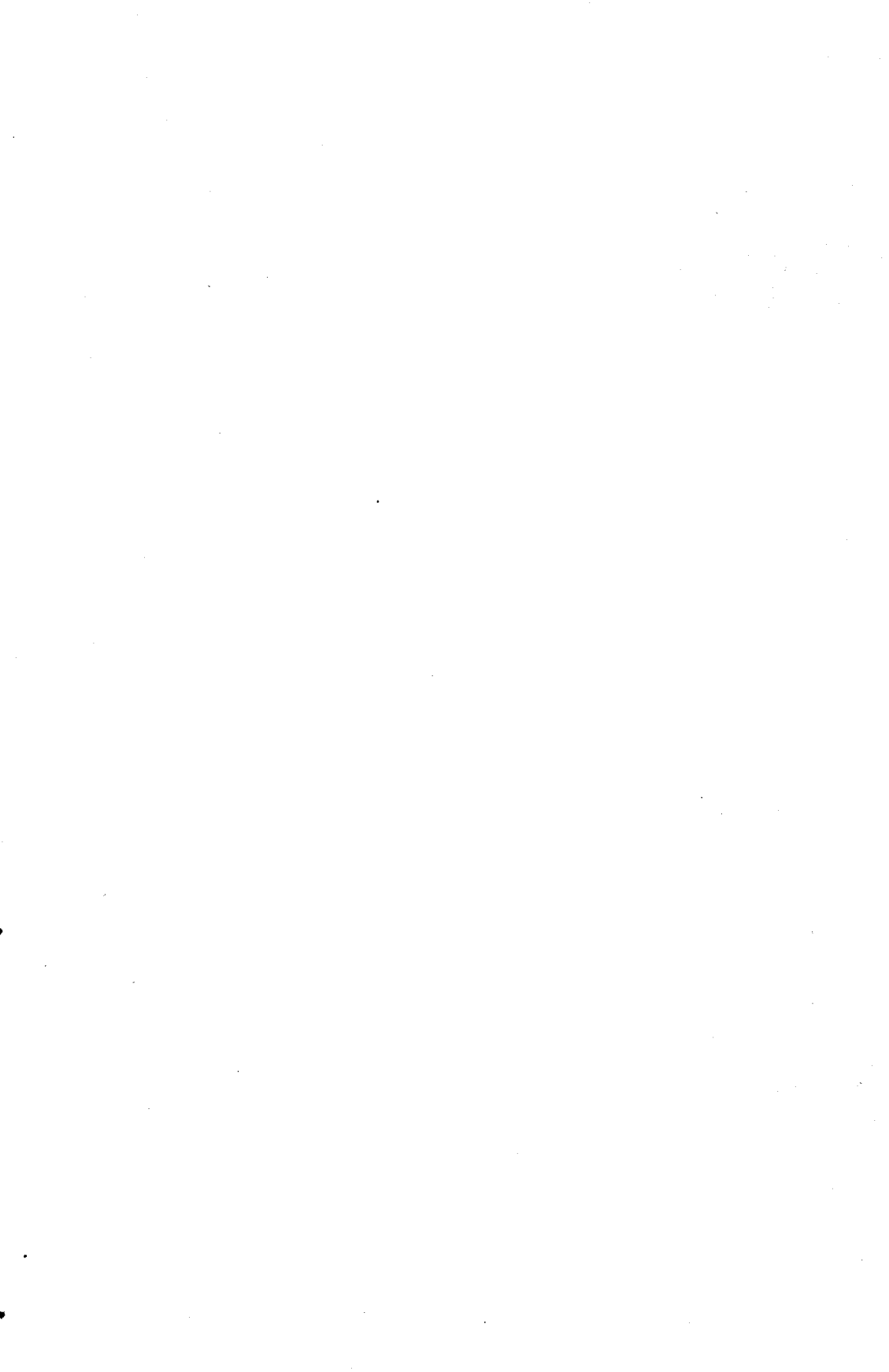
وفى سنة ٦٧٠هـ سار بيبرس لمحاربة الفرق المملحة من الباطنيين فى شمال سوريا والعراق وانتصر عليهم ، ثم توجه لقتال التتار الذين حاولوا غزو سورية من جديد ، والتقى الجيشان عند مدينة البيرة ، وانكسر التتار ، وفى سنة ٦٧٥هـ عليم أن التتار أغاروا على آسيا الصغرى ، وشمالى الشام فتوجه الى حلب وكان النصر حليفه ، ولحق بلسطانهم اباقاخان ، وانكسر التتار ، غير أنه توفى سنة ٦٧٦هـ ، ويذكر اطللس انه بموته انطوت صفحة خالدة من أنباء البطولة وحماية الاسلام حيث كان نفوذه قد امتد الى اقاصى العراق ومن تخوم آسيا الى سواحل البحر الأحمر .

وشهدت الفترة التالية تولية عدد من أبناء يبرس غير أنهم لم يقوموا بأعمال تذكر أو انجازات مثل أيهم باستثناء الأمير سيف الدين قلاوون أكبر الأمراء الذى نادى بنفسه سلطانا سنة ٦٧٨هـ وأغار على بلاد الشام فشتت التتار ، وزحف على الصليبيين أيضا فى هذه المناطق وخاصة طرابلس وأعادها لحكم الاسلام ، وفى عهد ابنه السلطان صلاح الدين خليل سقطت عكا التى كان يحكمها الصليبيون ، ثم اتجه سنة ٦٩٢هـ الى حلب ومنها لآسيا الصغرى لقتال المغول ، وقد طوى القرن السابع الهجرى صفحاته باحداث عديدة ، وكان للتغيير المستمر فى السلاطين على مصر والشام تأثيره فى تقوية شوكة التتار الذين زحفوا على الشام فى اوائل القرن الثامن الهجرى - سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ، لولا أن الله كتب النصر لجيش مصر الاسلامى ، وتذكر المصادر أن هذا القرن قد شهد أيضا أحداثا على صعيد الصليبيين الجدد وقدمهم الى المنطقة ، ثم الاعداء التقليديين من التتار فى آسيا الصغرى ، غير أن بلاد الحجاز استتب الأمن فيها وصولا الى القضاء على

(\*) راجع التحليل القيم للدكتور محمد أسعد طلس ، مرجع سابق ص ٩١ - ١٠٠

هذه الاسرة من الممالك الجراكسة وهو ما لا يتعلق بمجال هذه الدراسة

وفي مطلع القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى - هاجم  
تيجورلنك بغداد ، وسار الى حلب وحمص وبلبك ودمشق ، ثم اتجه الى  
العثمانيين ، وأسر بايزيد الاول سنة ١٤٠٢ م ، وقد أتاح ذلك للمماليك  
استعادة شمال بلاد الشام ، وهكذا قدر للعالم الاسلامى أن يواجه مرة أخرى  
هؤلاء الغزاة وهو ما يقضى العودة الى الخلف نظرا لحدوث حدث جلل فى  
فجر تاريخ العالم الاسلامى الحديث وهو دخول المغول الاسلام ، غير أن ذلك  
لم يكبح جماح تعطشهم للدماء .



## الفصل الثالث

### المغول يعتنقون الاسلام

- تأثير الدعاة المسلمين .
- نتائج تقسيم امبراطورية المغول .
- أحمد بن هولاكو (٦٨٠-٦٨٣هـ) والفترة اللاحقة .
- محمود غازان (٦٩٥ - ٧٠٤ هـ) .
- حكام مغول آخرون يعتنقون الاسلام .
- تيمورلنك ( ٧٧١ - ٨٠٧ هـ) .
- تأثير المغول على انتشار الاسلام في آسيا .



## الفصل الثالث

### المغول يعتقدون الاسلام

- تأثير الدعاة المسلمين :

سبقت الإشارة الى ما تعرض له المسلمون خلال حروبهم مع المغول الى فظائع شديدة من الايذاء الى انتهاك أعراض النساء الى بيع ضحاياهم فى سوق النخاسة الى ذبح المسلمين حيث ذبح المغول جميع سكان مدينة نيسابور ومدينة بخارى ويروى الباحثون والمؤرخون<sup>(١)</sup> وصفا مؤلما لهذه الجرائم البشعة ضد المسلمين . كما أن مدن المسلمين التى كانت مناط العلم والعلماء قد تهدمت ، والفقهاء والعلماء المسلمون أما بين أسير أو قتل ، وقد سن « جنكيز خان » عددا من القوانين التى أظهرت حقده على الاسلام والمسلمين<sup>(٢)</sup> ، وكثيرا ما تعاون قساوسة النصارى مع الكهنة البوذيين ضد المسلمين ودعاتهم<sup>(٣)</sup> . كما اضطهد ارغون ٦٨٣ - ٦٩٠ هـ / ١٢٨٤ - ١٢٩١ م - وهو رابع الحكام المغول فى فارس - اضطهد المسلمين وحرم عليهم الظهور فى بلاطه ، ووضع « جفتاى » مزيدا من العقود بقوانين ظالمة تجاه المسلمين لمنعهم من ممارسة الشعائر الدينية .

غير أن مظاهر الاضطهاد لم تكن عائقا أمام دعاة المسلمين فى استمرار الدعوة الاسلامية معتمدين على الله وحده ، وتنج عن ذلك اقتناع اعداد

(١) دكتور فؤاد الصياد ، المغول من ص ١٢٠ - ١٣٥ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، الجزء

التاسع من ص ٢٣١ - ٢٣٤ ، الجزء الثانى عشر من ص ٢٤٠ - ٢٤٥ .

(٢) توماس د ارنولد ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن وآخرون ، الدعوة الى الاسلام ، مكتبة

النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٠ من ص ٢٥١ - ٢٥٦ .

(٣) اسماعيل عبد العزيز الخالدى ، من ص ١٨٨ - ١٩١ .

كبيرة بالاسلام ، فمنهم من أشهر اسلامه ، ومنهم من أبقاه سرا اشارا  
للسلامة من ظلم حكام المغول ، بل أن الاسرى المسلمين أنفسهم كان من  
بينهم دعاة وفقهاء وعلماء انتشروا بين المغول « حتى المسلم الاسير ، يفتنم  
الفرص من المناسبات لدعوة اخوانه فى الأسر الى دينه ، وتسرب الاسلام الى  
اوروبا الشرقية نفسها بفضل ما قام به فقيه مسلم سبق أسير ... » - على  
حد قول أرنولد <sup>(١)</sup> فى مؤلفه الدعوة الى الاسلام . بل أن إحدى امهات  
الحكام المغول قد ربت أبنها على الاسلام وتسلم عرش الاسرة الجفتائية وهو  
الملك « مبارك شاه » سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٤م وبالرغم من أنه لم يكن  
لاسلامه أثر يذكر ، الا أن هذه الواقعة تثبت ان نشر الاسلام كان أيضا نتيجة  
لجهود النساء المسلمات حيث يرجع الفضل فى اسلام كثير من رجال المغول  
وأمرائهم الى تأثير الجوارى المسلمات اللاتى اتخذن زوجات فيما بعد .  
والواقع أن قرب بلاد المغول الاصلية من اطراف العالم الاسلامى كان له تأثير  
كبير فى شرح دعاة المسلمين للاسلام ، ثم أن المغول قد أنهكتهم الحروب  
المتواصلة ، ونتيجة لاحتكاكهم بمختلف الشعوب بمللها ونحلها المتباينة ،  
فقد أصبحوا يتطلعون الى الاسلام باعتباره أفضل الديانات ، فضلا عن أنه  
دين الفطرة ، وهم بطبيعتهم أقرب الى البداوة ولم تفسد الحضارات التى  
غزوها - فطرتهم . واتفق الاسلام مع طباعهم فى سهولة شعائره ، وبعده  
عن الخرافات ، لكن هذا التحول من جانب المغول الى الاسلام جاء بطيئا  
على مدى فترة زمنية استغرقت عدة قرون وتحولت المشاعر من العداوة  
الحاقدة الى المسالمة ثم مصادقة المسلمين والاعجاب بخصالهم لاسيما  
المخلصين منهم ، وأصبحت النفوس مهيأة لدخول اعداد كبيرة فى دين  
الله .

(١) أرنولد ، الدعوة الى الاسلام من ص ٢٥٦ - ٢٥٨ .



لم تكن الظروف مهياة أمام الاسلام وحضارته لاستقطاب المعتنقين الجدد، وخاصة بعد ان واجه ضربات قاصمة ، ودمرت البلاد الاسلامية ، واضطهدت الشعوب ، فلا الحضارة الاسلامية ، ولا الدعوة الاسلامية في حالة تبعث في نفوس هؤلاء المعتنقين النواحي الايجابية التي تقود الى الاصاله ، والمساهمة في رفع شأن الاسلام وحضارته التي أصابها التدمير والجمود والانحراف حيث خلفية الغزاة المغول لم تكن أصيلة أو لتتمكن من احتواء المسلمين ، بل العكس هو الذي حدث ، بمعنى أن القيم والتقاليد الاسلامية - حتى وهي في أشد عثراتها - هي التي استقطبت الغزاة المغول ، وحتى بعد أن اعتنقوا الاسلام فقد فشلوا في علاج ماتسببوا فيه من تدهور الحضارة الاسلامية ، ومن المحزن أنهم زادوا كهولاكو وجنكيز خان وأولادهما ، أم مسلمين كغازان وتيمورلنك انه ساعداء للانسانية وكانت أفعال غازان وتيمورلنك خير شاهد على ذلك لما افترفوه من وحشية في بلاد الشام حتى محا تيمورلنك مدنا بأكملها .

ويقارن البعض <sup>(١)</sup> بين السلاجقة والمغول واعتناقهم الاسلام ، فكلا الشعبين من أواسط آسيا ، وكلاهما كان شعبا بدويا غير متحضر ، لكن الاسلام قد تفاعل تماما مع السلاجقة وفي نفوسهم وأصبحوا حماة وحماة الحضارة الاسلامية وقدموا أجل الخدمات للاسلام ، في حين كان المغول همجا ، أثبتوا أنهم مع اعتناقهم الاسلام الا أن عداوتهم للقيم الانسانية استمرت وهو ما يقضى التعرض في تفصيل غير قليل لكيفية اعتناق المغول للاسلام .

---

(١) راجع في تفصيل ذلك : محمد ماهر حمادة ، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الاسلامي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ حيث تعرض لشرح وتفسير كثير من الوثائق النادرة في هذه الفترة دراسة نقدية .

## نتائج تقسيم امبراطورية المغول :

قسمت امبراطورية جنكيز خان بعد وفاته الى اربعة اقسام لابنائها الاربعة ، وكان من نصيب « باطو بن جوجى بن جنكيز خان » - خان القبيلة الذهبية - بلاد القبجاق ومنها صراى ، وبلاد الترك ، وشمال البحر الأسود ، وشرق بحر قزوين حتى خوارزم ، وصولا الى بركة خان الذى كان مسلما ، ولكنه كتم اسلامه لأن معظم قبيلته كانوا شامانيين <sup>(١)</sup> ، وقليل منهم نصارى أو بوذيين ، وكان السبب الرئيسى فى اسلام قبيلته ماهياه الله من علاقة ودية بينه وبين الظاهر بيبرس . ونتيجة للاختلافات بين هولاءكو وابن عمه بركه فان فقد كان ذلك فى صالح الظاهر بيبرس الذى استقطب <sup>(٢)</sup> جنود هولاءكو الفارين من جيشه فزاد عددهم عن الالفين

---

(١) أما الثلاثة اقسام الاخرى فقد تولوا ابناءؤه اوكيتاي الذى اختير خانا أعظم للمغول ، وكان مقره فى بلاد والده الأصلية أى فى منطقة هضبة منغوليا وسلاسل جبال « تيان شاه » وجبال « فائى » وما بينها من سهول ، وكانت عاصمته « قرة قورم » ، واعطى الابن الثانى واسمه « جفتاي » الجزء الاوسط من الامبراطورية ويشمل تركستان ، وكاشغر ، والصاغون ، والشاس ، وفرغانه وسائر ماوراء النهر من البلاد ، فى حين أعطى « تولوى بن جنكيز خان » الابن الثالث اعمال خراسان ، وعراق المعجم والرى الى عراق العرب وبلاد فارس ، وسجستان ، والسند . ثم ظهرت لدى ابناء هؤلاء نمرات انفصالية استقلالية حيث اشتد الصراع على السلطة والتوسع ، وأقر مجلس الامراء انتخاب منكو خانا أعظم سنة ١٢٥١ م رغم اعتراض اسرى لوكيتاي وجفتاي الذين انتقم منهم منكو بعد توليه زمام الامور ، ثم انتقلت ولاية العرش الامبراطورى الى بيت « تولوى » ولم يبق الا ثلاث أسرهى الجفتايين وابلخانات فارس والقبجاق - القبيلة الذهبية التى اسلم زعيمها بركة خان كما ورد فى المتن . راجع : الدكتور السيد الباز العرنى ، ص ١٩٢ - ١٩٤ .

(٢) المقرئى ، الجزء الاول ص ١٨٠ - ١٨٧ .

حيث اعتنقوا الاسلام<sup>(١)</sup> بفضل جهود السلطان بيبرس .

أما بركة خان بن جومى بن جنكيز خان (٦٥٥-٦٦٦هـ) / ١٢٥٧-١٢٦٧م والذي كان له من اسمه نصيب - على حد رأى أحد<sup>(٢)</sup> الباحثين - فهو أول من أسلم من ملوك المغول ويقال انه حفظ القرآن الكريم على يد أحد علماء مدينة «خوند» ، وقد اهتم بركة خان بنشر الاسلام بين افراد قبيلته وجيشه حتى أصبح الجيش مسلما ، وضم مجلسه مشاهير العلماء والمفسرين ورجال الحديث والفقهاء وعلماء الكلام ، وكان سنيا ، ساعيا لنشر الدعوة الاسلامية<sup>(٣)</sup> . وحذا حذوه كثير من أمراء المغول وزعمائهم ، غير أن ابن عمه هولاكو حاول خلعه ، فأعلن بركة خان الحرب عليه بسبب قضائه على الخلافة الاسلامية وتدمير المدن الاسلامية وذبح المسلمين .

وكانت علاقاته مع سلطان مصر الظاهر بيبرس علاقة طيبة وبعث اليه بعدة رسائل ، ويورد ابن كثير فى البداية والنهاية نماذج من هذه الرسائل التى توضح إخلاصه للمسلمين وكرهه لهولاكو ومنها قوله للظاهر بيبرس : « قد علمت محيتى للسلام ، وعلمت ما فعله هولاكو بالمسلمين ، فأركب أنت من ناحية ، حتى آتية أنا من ناحية حتى نصطلمه - نستأصله - أو نخرجه من البلاد ، وأعطيك جميع ما كان بيده من البلاد<sup>(٤)</sup> » ويقول فى

---

(١) فايد حماد عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ، مرجع سابق ص ٨١ - ٨٤ .

(٢) اسماعيل عبد العزيز الخالدى ، ص ٢٠٥ .

(٣) راجع فى تفصيل ذلك : دكتور محمد جمال الدين سرور ، الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٨ ص ١٠٥ - ١٢٥ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، الجزء الثالث عشر ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

رسالة أخرى : « ... ليعلم السلطان أنتى حاربت «هولاكو» الذى هو من لحمى ودمى لاعلان كلمة الله العليا تعصبا لدين الاسلام ، لأنه باغ ، والباغى كافر بالله ورسوله ، وقد سيرت قصارى ورساى صحبة رسل السلطان ، ووجهت « ابن شهاب الدين غفارى » صاحب ميا فارقين » معهم لانه حاضرا فى الوقفة ليتمكن للسلطان مارآه بعينه من عجائب القتال .. » وفى رسالة ثالثة شرح بركة خان لاسباب التى دعتة لمحاربة ابن عمه هولاكو موضحا أنه قام واخوته الاربعة بمحاربته من جميع الجهات لاقامة شريعة الاسلام ، وأنه أخذ بثأر الائمة والامة ، وأنه أقام الأذان والصلاة وقراءة القرآن فى بلاده . وبالفعل تمكن بركة خان من كسر قوة هولاكو ، وصدّه عن بقية بلاد الشام .

- من منكوتمر ٦٦٦-٦٧٩هـ / ١٢٦٧-١٢٨٠م الى تدان منكو ٦٧٩-٦٨٦هـ / ١٢٨٠-١٢٨٧م :

تولى منكوتمر بن تولو كان بن بانو زمام القبيلة الذهبية - المندل التبجاق بعد بركة خان ، وهو ابن اخيه ، قاد قواته لمحاربة « ابغا » ابن هولاكو ووطد علاقاته مع السلطان يبيرم حيث ارسل مبعوثين له يؤكدون عزمه على مواصلة القتال حتى يتم استرداد الاملاك الاسلامية التى حصل عليها « هولاكو » وطلب من الظاهر يبيرم مساندته . واستمرت العلاقات الودية القوية بين المنصور قلاوون وبينه حتى وفاته ، فلما تولى أخوه « تدان منكو » ٦٧٩-٦٨٦هـ / ١٢٨٠-١٢٨٧م أرسل الى قلاوون لكى ينعتة نعتا اسلاميا ، فأجابه السلطان الى طلبه سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م ، ويرى الباحثون<sup>(١)</sup> فى الدعوة الاسلامية ان قوة الاسلام فى هذه الجهات النائية من

(١) اسماعيل عبد العزيز الخالدى ، ص ص ٢٠٩ - ٢١١ .

آسيا جعل الحكام تهفو قلوبهم للتبعية للخلافة الاسلامية فى القاهرة والتى كان يمثلها من بقى حيا من الخلفاء العباسيين <sup>(١)</sup> بعد مذابح المغول معهم قبل اعتناقهم الاسلام ، والا هم من ذلك هذا الفيض الهائل من شعوب آسيا التى اعتنقت الاسلام لدرجة حرص الحاكم على أن ينعت نعتا اسلاميا .

وقد زهد « تدان منكور » فى الحياة الدنيا وانقطع الى علماء المسلمين .

- أحمد بن هولاکو (٦٨٠-٦٨٣هـ / ١٢٨٢-١٢٨٤م) والفترة اللاحقة :

تذكر المصادر <sup>(٢)</sup> ان أول من أسلم من مغول ايران هو تكوا دور ابن هولاکو ، وسمى نفسه أحمد تکودار ، وأنه حمل على عاتقه نشر الدعوة الاسلامية بين المغول ، وأعان ذلك فى منشور اصدره سنة ٦٨٠هـ عند توليه الحكم ووجهه الى أهل بغداد قائلا <sup>(٣)</sup> : « بسم الله الرحمن الرحيم : لا اله الا الله محمد رسول الله . وانا جلسنا على كرسى الممالك ، ونحن مسلمون ، فيتلقون أهل بغداد هذه البشرى ، ويعمدون فى المدارس والوقوف وجميع وجوه البر ما كان يعتمد زيام الخلفاء العباسيين ، ويرجع كل ذى حق الى حقه فى أوقات المساجد ، والمدارس ، ولا يخرجون عن القواعد الاسلامية ، وانتم ، يا أهل بغداد ، مسلمون ، وسمعنا عن

---

(١) جمال الدين الاتابكى ، النجوم الزاهرة ، الجزء السابع ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٩ م ص ٢٢٠ - ٢٢٣ .

(٢) راجع : دكتور مصطفى طه بدر ، مغول ايران بين المسيحية والاسلام ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ اصدار م ص ٨ - ١٤ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، محى الدين ، تشرىف الامام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، القاهرة ١٩٦٩ م ص ٣ - ٧ .

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تبرح هذه العصابة الاسلامية مستظهرة الى يوم القيامة . وقد عرفنا أن هذا الخبر خبر صحيح ، ورسول صحيح ، ورب واحد أحد فرد صمد ، فتطربون قلوبكم وتكبقون الى البلاد جميعا .

كما أرسل رسالة بهذه المعنى الى السلطان الملك المنصور قلاوون سلطان مصر وسورية يعلن اهتدائه الى دين الاسلام قائلا <sup>(١)</sup> : « أما بعد : فان الله سبحانه وتعالى بسابق عنايته ونور هدايته قد كان أرشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثة الى الاقرار ببريئته ، والاعتراف بوحدايته ، والشهادة بمحمد عليه أفضل الصلوات والسلام ، ... فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام - سورة الانعام الآية ١٢٥ .. » ، ورد السلطان الملك المنصور قلاوون على الرسالة السابقة قائلا : « بسم الله الرحمن الرحيم . بقوة الله تعالى ، باقبال دولة السلطان الملك المنصور .. أما بعد حمد الله الذي أوضح بنا ولنا للحق منهاجا ... فقد وصل الكتاب الكريم الملتقى بالتكريم ، المشتمل على النبأ العظيم من دخوله في الدين ... » ، ويلاحظ احد الباحثين <sup>(٢)</sup> لهجة الاستيلاء في خطاب أحمد بن هولاء ، ويعربها الى شعوره بالتفوق ، وأن كتابه يحمل طابع الوثنية المغولية على الرغم من أسلوبه الاسلامي في حين كان رد ملك مصر دليلا على الفهم والدبلوماسية والحرص على استمرار العلاقات السياسية مع المغول ، وربما كان المقصود العبارة التي تطلب من

---

(١) والملاحظ أن هذه الوثيقة قد ورد فيها تاريخ كتابتها في نهايتها ، ورد نصها في مؤلفات

المؤرخين المسلمين : المقرئ ، كتاب السلك الجزء الاول ص ٩٧٦-٩٧٨ ، ابن المعبري

، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٨٩-٢٩٢ ، القفشدى ، صبح الاعشى ، الجزء الثامن ص

٦٥ - ٦٨ وهناك بيان في الالفاظ وان كان المعنى واحدا

(٢) محمد ماهر حمادة ص ٨١

ملك مصر المملوكى فتح أبواب الطاعة والاتحاد ، وبذل الاخلاص ،  
وللبرهنة على حسن نيته وسلوكه وجنوحه للسلم - أى أحمد بن  
هولاكو - فانه يخبر ملك مصر ان جنوده أمسكوا جاسوسا من  
جواسيسه بزي الفقراء فأطلق سراحه مبرهنا بذلك على اخلاص نيته ،  
كما أنه يخاطب سلطان مصر - قلاوون - بضمير الغائب الجمع ،  
وأنه أصدر أوامره الى حرس الحدود كي يكفوا عن الهجوم على املاك  
السلطان .

غير أننا نرى أن هذه الآراء تبالغ بعض الشيء فى سلوك أحمد بن  
هولاكو ، اذ لا يقبل أن أحد ملوك مغول ايران فى هذه الفترة لا يتكلم عن  
نفسه بضمير الغائب الجمع أو حتى ضمير الحاضر الجمع ، بل أن أحمد  
تكودار بن هولاكو بالذات هو الذى حمل على طائفة نشر الدعوة الاسلامية  
بين بنى جنسه فى وقت وظروف سبقت الاشارة الى احوال المسلمين السيئة  
التي كانوا يعانون منها ، وقد حاول « أحمد تكودار » أن يدخل مغول ايران  
فى الاسلام ، واتبع طريق الشدة والعنف ثم الملاينة وقد أدى هذا الاسلوب  
الى اعتناق عدد كبير من رعيته للاسلام<sup>(١)</sup> ، بل أن كتابه الى سلطان مصر  
يبدو فيه حرصه الشديد على اظهار أنه أخ للمصريين المسلمين<sup>(٢)</sup> ، بل إن  
المؤرخ البريطانى الذائع الصيت « آرنولد »<sup>(٣)</sup> يعلق على هذه الوثيقة قائلا

---

(١) اسماعيل عبد العزيز الخالدى ص ٢١٩ نقلا عن دكتور مصطفى طه بدر ص ١٢ .

(٢) قارن : اسماعيل عبد العزيز الخالدى ص ٢١٥ - ٢٢١ ، محمد ماهر حمادة ، ص ص

٨١ - ٨٣ .

(٣) آرنولد ص ٢٦٣ .

« ... وأن من يدرس تاريخ المغول يطمئن عندما يسترجع المرء ما اقترفوه فى الماضى من فظائع وما سفكوه من دماء المسلمين ، ثم يتحول فجأة الى اسمى عواطف الانسانية ، وحب الخير . » .

لم يترك أعداء أحمد بن هولاكو فرصة له كى يجعل من المسلمين قوة هائلة تهددهم ، فذهبوا الى « قوبيلاي » الخان الاكبر للمغول يشكونه له متهمين اياه بمخالفة دين آبائه وأجداده ، وتزعم ابن أخيه « أرغون » ٦٨٣-٦٩١/١٢٨٤-١٢٩١ م ثورة ضده انتهت بقتل « أحمد تكودار » واستيلاء « أرغون » على العرش ، وعاد المسلمون يتعرضون للاضطهاد<sup>(١)</sup> ، لكن اعداء الدعوة الاسلامية لم يكن انتصارهم حاسما ، فالاسلام الكامن فى النفوس كان أقوى من اعداء ، وبذكر القلقشندى أن من المغول أنفسهم فى الفترة ذاتها من أعفى العلماء المسلمين وآل البيت من دفع جميع الضرائب على اختلافها ، وسارت الدعوة الاسلامية فى طريقها بخطوات حثيثة ، وكثر عدد المسلمين بين المغول ، وهى حقيقة اتفق عليها المؤرخون<sup>(٢)</sup> والباحثون .

- محمود غازان ( ٦٩٥ - ٧٠٤ هـ / ١٢٩٥ - ١٣٠٣ م ) :

تضارب المصادر حول اسلام غازان وعما اذا كان اسلاما حقيقيا أو أنه ادعى الاسلام لمآرب معينة ، فقد كان بوذيا قبل أن يعتنق الاسلام ، وبنى للبوذيين معابد عديدة فى خراسان ، وكانت علاقاته وطيدة مع كهنة البوذيين

(١) ارنولد ، ص ٢٦١ - ٢٦٤ .

(٢) قارن القلقشندى . صبح الاعشى ، الجزء الخامس ص ٤٢٠ ، تاريخ ابن خلدون ، الجزء

الخامس ص ٥٤٦ . دكتور مصطفى طه بدر ص ١٠ - ١٤



الذين وفدوا الى بلاد فارس فى جماعات كثيرة منذ بسط المغول سلطانهم فى تلك البلاد . كان قائده نوروز قد سلك معه أساليب متعددة لاقتاعه باعتناق الاسلام ، منها أن ذلك يعتبر اخلاصا له ، ومنها مساعدته للتغلب على اعدائه وقال نوروز لغازان - وكان لهذا الاخير عدو اسمه « بايدو » : « ان أملئ ينحصر فى أن أجلس - بمشيئة الله - الامير خادم السماء على عرش العالم ، وان أرفع « بايدو » الكافر عن هذا العرش ويشترط لذلك أن يتقلد الملك قلادة الاسلام ، فقد قال بعض الحكماء : « الدين والملك توأمان ، والدين هو الاصل ، والملك حارس له ، ومالا أصل له مهدوم ، ومالا حارس له ضائع » (١) .

وعندما أراد « غازان » الانسحاب خوفا من تمرد قواده عليه ، شجعه نوروز على الصمود ومساعدته بشرط اعتناقه الاسلام وكان من عوامل تشجيعه له قوله أنه اذا اعتنق الاسلام فانه يجتذب اليه المسلمين جميعا وقد وعده « هازان » بذلك . ويستدل من هذه الوقائع أن نوروز استغل جميع الوسائل المادية والمعنوية لجعل « غازان » يعتنق الاسلام ومنها تنبؤات الفلكيين قائلا له : « ان المتنبئين والعراقين والفلكيين أعلنوا أنه سيظهر حوالى سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م ملك يحمى الاسلام ، ويعيد له مجده ، ويتمتع بالعرش سنوات مديدة ، وقد اعتقدت دائما يامولاي أنك أنت المشار اليه فى النبوءة ، فاذا اعتزمت الاسلام صرت سيد ايران ، وأصبح المسلمون - وقد رفعتهم من حالة الذل التى يشنون فيها تحت « نير التتار » ، وقد كرسوا حياتهم لمصلحتك ، وبارك الله فى اسلحتك ، وهو جل شأنه يعلم أنك مستفد الدين الحق من دمار شامل » (٢) .

(١) المرجع نفسه ص ١٤ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٥ .

وأعلن « غازان » اسلامه سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م ، كما أعلنه معه امرأؤه وجنوده وكان عددهم مائة ألف ، وأرسل نبأ اسلامه الى العراق ويرى بعض المؤرخين والفقهاء على رأسهم شيخ الاسلام ابن تيمية <sup>(١)</sup> أن اسلام غازان لم يكن اسلاما حقيقيا وانما كان لمصلحته السياسية ، غير أن المؤرخ رشيد الدين تصدى للدفاع عن صحة اسلام « غازان » ، وأتى بادلة قوية تؤكد حسن اسلامه ، وأنه جعل الاسلام دين الدولة الرسمي ، وأصدر مرسوما أمر فيه المغول باعتناق الاسلام ، وزاد عدد المساجد فى عهده ، وأصبح الوزراء وقادة الجيش والقضاة من المسلمين ، كما حارب الخمر والربا والبغاء وخصص اعتمادات مالية كبيرة للحج وأرسل كساءا للكعبة .

غير أن سلوك غازان عند احتلاله بلاد الشام لم يكن سلوكا اسلاميا بل أنه تصرف كسلوك اسلافه الوثنيين رغم « ادعائه » <sup>(٢)</sup> الاسلام واعتناقه واعتقاده له فعندما اجتاحت دمشق واحتلها ، أرسل رسالة الى السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون يوضح أنه احتل بلاد الشام لدفع عدوان المماليك ... ورغم ذلك لا يخجل <sup>(٣)</sup> أن يقول : « والآن فانا واياكم لم نزل على كلمة الاسلام مجتمعين ، دما بيننا يفرق كلمتنا ، الا ما كان من فعلكم بأهل ماردین ، وقد أخذنا منكم القصاص ، وهو جزاء كل عاص ، فنرجع الآن الى اصلاح الرعايا ، ونجتهد نحن واياكم على العدل فى سائر

(١) يقول الشيخ تقي الدين بن نعيم ان غازان اجتمع بأحد التتار الانقياء وسأله عن السبب فى خروجه لقتال المسلمين ، فقال له : « افتانا شيخنا بتخريب الشام ، وأخذ اموالهم لانهم ما يصلون الا بأجرة ، ولا يؤذنون الا بأجرة ، ولا ينفقون الا بأجرة ، وقال لنا اذا فعلتم ذلك بهم يرجعون الى الله ويتوكلون عليه راجع دكتور مصطفى طه بدر ، ص ٤٥ - ٤٧ .

(٢) محمد ماهر حمادة ، ص ٨٣ .

(٣) المرجع نفسه ص ٨٤ .

القضايا ... (١).

وجاء رد السلطان ناصر على غازان موضحاً سلوكه غير الاسلامي قائلاً :  
« ان ما اقترفته يدك ، ويدا جيوشك فى دمشق وبيت المقدس ينقص دعواك  
من أساسها » وأضاف قائلاً : « ان حرم بيت المقدس تشرب فيه الخمر  
وتهتك الستور وتغض البكور ... ثم على رأس خليل الرحمن تعلق الصليبان  
.. فان كان هذا من علمك ورضاك فواخيبتك فى دينك واخراك .. وان  
كنت لم تعلم ذلك فقد أعلمتك ، فاستدرك ما فات فليس مطلوباً به  
سواك ... » (٢).

واستمرت الرسائل (٣) بين السلطان ناصر وبين غازان ، وتصاعدت  
الاتهامات بينهما بشأن تهديدات غازان واستعداده للحرب ، وكل من  
الطرفين يحذر الآخر من عاقبة مخالفته للاسلام ، ودافع كل من غازان  
والسلطان ناصر عن موقفيهما ، فالمغول - من وجهة نظر غازان - هم  
المدافعون الحقيقيون عن الاسلام ، وما فعلوه فى بلاد الشام هو نتيجة طبيعية  
لعدوان بعض عساكر الملك الناصر على حدود بلاد الملك قازان (٤) ... ، أما  
السلطان الناصر فقد اتهم غازان بالمروق من الدين ، وان المماليك ليسوا  
كفرة .

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى اخبار ملوك مصر ، الجزء الثامن ، ص ١٤٣ -  
١٤٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) راجع الملهد من نصوص هذه الوثائق فى : محمد ماهر حمادة ، مرجع سابق ، ص ٣٨٣ -  
٤١٠ .

(٤) القلقشندى ، الجزء الثامن ، ص ٦٩ - ٧٣ .

وقد أصدر قائد جيش المغول مرسوما عندما احتل دمشق أوضح فيه أن الله سبحانه وتعالى منح المغول الايمان والاسلام ، فهم أنصار الاسلام الحقيقيون ، ومنفذوا تعاليمه السمحة ، واستشهد المرسوم بأيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وأعلن أن السكان آمنون على اموالهم وانفسهم وأهلهم وأعراضهم ، وحرّم على الجنود التعرض لهم بأذى ، وأعلن أن الاقليات الدينية كالنصارى واليهود والصائبية لهم حقوقهم ...<sup>(١)</sup>.

غير أن المغول لم يستمروا طويلا فى الشام حيث حاربهم جيش المماليك وانتصر عليهم بقيادة الملك الناصر فى معركتين : الاولى معركة مرج الصفر سنة ٧٠٢هـ والثانية معركة شقحب سنة ٧٠٧هـ ، وأرسل الملك الناصر العديد من الرسائل الى غازان يتهمه فيها بالنفاق والخداع . ومع ذلك فان التقويم النهائى لعهد « غازان » هو انه رغم الشبهات التى أحيطت باعتناقه الاسلام ، فان مناطق آسيا وخاصة فى ايران قد شهدت خدمات<sup>(٢)</sup> جليلة قدمت للاسلام والمسلمين .

#### - حكام مغول اخرون يعتقدون الاسلام :

عقب موت محمود غازان خلفه أخوه « أولجايتو » ٧٠٤ - ٧١٧هـ / ١٣٠٤ - ١٣١٧م وهو ثامن ايلخانات فارس ، وكان اسلامه بسبب تأثير احدى زوجاته ، واتخذ له اسما « محمد خدائنده - ولقبه الاسلامى « غياث الدنيا والدين . وكان ميالا للمذهب الشيعى أول الأمر ثم

---

(١) الدوادارى ، أبو بكر بن عبد الله بن أيلك ، كنز الدرر وجامع الغرر وهو الدرر الفاخر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق هانس روبرت روير ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ص ١٨ - ٢٤ .

(٢) اسماعيل عبد العزيز الخالدى ص ٢٢٢ ، وراجع العديد من الوثائق الهامة فى : محمد ماهر

حمادة ص ص ٤٠٦ - ٤٠٩

تحول الى المذهب السني وحاول أن ينشر مذهب الامام الشافعى فى بلاده بدلا من مذهب أهل السنة ، وتذكر المصادر <sup>(١)</sup> انه عاد فصمم على اتباع المذهب الشيعى عقب زيارته لقبر الامام على رضى الله عنه . وقد شجع محمد خدابنده الحركة الادبية والتاريخية التى قام بها وزيره « رشيد الدين » والمؤرخ « وصاف الحضرة » ، ولما مات خلفه ابنه « ابوسعيد » الذى سار على نهج والده الاسلامى واصبحت بلاد الفرس تدين بالاسلام ، وتبلغ رسالته فى تركستان وسييريا ، وجنوب روسيا <sup>(٢)</sup> ، والصين <sup>(٣)</sup> ، والهند .

أما فى مملكة « جفتاى » التى ينسب اليها المغول الجفتائيين ، فقدت شهدت الفترة السابقة واللاحقة انتشار الاسلام بينهم ، غير أن المصادر تضطرب فى عرض تفصيل ذلك ، ويمكن القول بقدر معقول من الثقة ان الاسلام فى القرن الثامن الهجرى كان اقوى منه انتشارا عن القرن السابق رغم الاضطهاد الذى تعرض له المسلمون فى هذه المناطق : تركستان ، وكاشغر ، والصاغون ، والشس ، وفرغنه ، وسائر بلاد ما وراء النهر .

---

(١) اسماعيل الخالدى ص ٢٣٤ ويذكر - نقلا عن ابن بطوطة فى كتابه « رحلة ابن بطوطة » : بأن السلطان - يقصد محمد خدابنده - أمر بأن تكون صلاة الجمعة على طريقة الروافض ، فرفض الناس ذلك ، والتزم القضاء طريق أهل السنة فى الخطبة ، وتحدوا أوامر السلطان الذى استقدم قاضيههم « مجد الدين » قاضى شيراز ، فأمر بالقاتل للكلاب المفترسة ، ولكن الكلاب لم تؤذ ، فبلغ السلطان ذلك وذهب اليه حافى القدمين وقبل قدميه وأكرمه وأقلع عن مذهب الروافض .

(٢) راجع : محمود شاكر ، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٥ .

(٣) راجع : محمود شاكر ، المسلمون فى تركستان الصينية « الشرقية » مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٣ .

وعقب ضعف اسرة جغتاي قامت مملكة فى كاشغر استقلت بحكم البلاد ، وتتفق المصادر (١) ان ملك كاشغر « تغلق تيمور خان ٧٤٨ - ٧٦٥ هـ / ١٣٤٧-١٣٦٣ م قد اسلم على يد رجل من أهل التقوى والورع فى مدينة « بخارى » يقال له الشيخ جمال الدين الذى اكتشف فساد معتقدات الامير وحثه على اعتناق الاسلام ، وكان تغلق تيمور خان متخوفا من انقسام المملكة ويريد توحيدها فأرجا اسلامه لحين استرداد عش امبراطورية آباءه ، ووفى بوعده واعتنق الاسلام ونشره بين امرائه أيضا وافراد عشيرته حيث دخل الاسلام فى يوم واحد اكثر من مائة وستين الف رجل وربما كان أكثر منهم قد اسلم خوفا من عقاب تغلق تيمور خان حيث بقى معظمهم على وثنيته حتى بداية القرن الخامس عشر الميلادى حيث خضعت قوة خانات « جغتاي » واستقل القسم الشرقى منها استقلالاً فعلياً باسم « مغالستان » - تركستان الصينية حالياً - ، وقد استخدم أميرها محمد خان أمير ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م وسائل عنيفة لتحويل سكانها البدو الى الاسلام ، وأصبح معظم من يسكنون الحضر من المسلمين وبدأوا يتحملون تبعات الدعوة الاسلامية بين الشعوب المجاورة سواء كانوا من بدو المغول أو من غيرهم وصولاً الى تيمورلنك .

---

(١) قارن: ابن بطرطة ، رحلة ابن بطرطة ، الجزء الاول ص ص ٤١٠ - ٤٢٠ ،  
- ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ص ص ٢٦٣ - ٢٦٨ نقلاً عن العديد من المصادر ، دكتور  
مصطفى طه بدر ، مغول ايران بين المسيحية والاسلام ، مرجع سابق .

- تيمورلنك ٧٧١ - ٨٠٧ هـ / ١٣٦٩ - ١٤٠٤ م :

بالرغم من أن تيمورلنك كان زعيما مغوليا مسلما الا أنه فعل في بلاد الاسلام والمسلمين ما لم يفعله غاز مثله حيث فاق في وحشيته اسلافه المغول من امثال جنكيز خان وهولاكو ، كما وأنه فاق وحشية الصليبيين بقسوته ، وتمكن من بسط سيطرته على مساحات شاسعة تمتد من أواسط آسيا حيث فرج متوجها الى الغرب وملأ بلاد آسيا الوسطى والغربية باكداس من الجماجم في بربرية لم يعرف المؤرخون لها مثالا سواء تعلق ذلك بالتاريخ الوسيط أو التاريخ الحديث وصولا الى البحر المتوسط ، ومع ذلك فلم تلبث هذه الامبراطورية ان انهارت بعد وفاة تيمورلنك .

غزا تيمورلنك الاتراك العثمانيين في الاناضول ، وتغلب عليهم واحتل بلادهم . لكنه ظل مترددا في غزو بلاد الشام خلال فترة حكم الملك الظاهر ، وبعد وفاة هذا الاخير دارت مراسلات بين تيمورلنك وملوك المماليك مهددا في البداية الملك برقوق بالخضوع المطلق له باعتباره ملك الملوك سيد الخلق قائلا <sup>(١)</sup> : « وان خالفتكم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلوموا الا أنفسكم ، افالحصون منا ... لاتمنع ، والمدائن بشدتها لقتالنا لاترد ولا تنفع .. » ، غير أن سلطان المماليك الملك الظاهر برقوق لم يأبه بتهديدات تيمورلنك ، واجابه بثقة قائلا : « ... وأما قولكم : قلوبنا كالجبال وعدونا كالرمال ، فالقصاب لا يبالى بكثرة الغنم ، وكثير الحطب يغنيه الضرم . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله ، والله مع الصابرين <sup>(٢)</sup> » .

استمرت المراسلات بين تيمورلنك وبرقوق ، ويفسرها البعض <sup>(٣)</sup> بأنها لم

(١) ابن تغرى بردى ، الجزء الثاني عشر من ص ٤٨ - ٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥١ - ٥٢ .

(٣) محمد ماهر حمادة ، ص ٨٩ .

تكن مراسلات بالمعنى الحرفي للكلمة ، وانما كانت مهمة المبعوثين استكشافية ، تجسسية وهو ما يفسر كثرة قتل المماليك لرسل المغول ، وان اجابات برقوق تدل على الثقة بالنفس واستعداد للمواجهة مما جعل تمورلنك لا يقدم على حربه الا بعد وفاة برقوق حيث زحفت قواته الى الشام ، وشن عليها حربا بشعة .

والواقع ان تحليل الرسائل المتبادلة بين تيمورلنك وبرقوق يوضح شخصيتي الاثنين من ثنايا الردود المتبادلة ، مثال ذلك ان تيمورلنك يفتح احدى الرسائل لبرقوق بالتهديد والانذار ، فيرد برقوق بثقة نفس انه اطلع على ذلك ، ثم يرسل تيمورلنك الى برقوق هدية عبارة عن سيف وترس ، فيعجب برقوق حيث لم تجر عادة ملوك المغول على ارسال الهدايا للاعداء قائلا : « ... وما سمعنا فى التواريخ ولا اتفق قط من جنكيز خان ولا ممن تقدمه وتأخره من ملوك مملكته فى زمن من الازمان أنه أهدى الى خادم الحرمين الشريفين سيفاً ولا تركاشاً<sup>(١)</sup> » .

ويورد المؤرخون المسلمون العديد من هذه الوثائق ، والرسائل المتبادلة بين تيمورلنك والملك الظاهر برقوق مثل ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة والصيرفى فى نزهة النفوس وابن صصرى فى الدرة المضية فى الدولة الظاهرية ، والمقرئى فى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، وابن الفرات فى تاريخ ابن الفرات ، والقلقشندي فى صبح الاعشا فى صناعة الانشا ، وابن العماد فى شذرات الذهب ، وقد سبقت الاشارة الى تقويم هذه الرسائل ومحصلته عدم جرأة تيمورلنك على الهجوم على الشام الا بعد موت برقوق وتولى ابنه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق ، ومع ذلك فقد استمرت

---

(١) القلقشندي ، الجزء السابع ، ص ٣٠٧ - ٣٢٠ .



الرسائل المتبادلة بينهما ، واحدى هذه الرسائل <sup>(١)</sup> تتناول نص الصلح مع تيمورلنك ورد تيمورلنك عليه <sup>(٢)</sup> .

وقد عقد الصلح بعد هجوم تيمورلنك على بلاد الشام ، وتخلي حكام مصر عنها بسبب الخلافات حول العرش وهو ما جعل بلاد الشام ضحية لهذه الخلافات ، وعموما فقد حلف كل من الطرفين للآخر على الوفاء وعدم التجاوز لاحدهما لحدود البلد الآخر ، وان ينظر المللكان الى بعضهما ، ويتعاملا معا على انهما والد وولد <sup>(٣)</sup> . ومع ذلك فان اطماع تيمورلنك استمرت تجاه مملكة السلطان فرج فقد ارسل له رسالة يطالبه فيها بأن يسلم لتوابه عددا من بلدان الحدود مثل كابستين ، وملطية ، والبيرة ، وقد رد عليه فرج بأن هذه البلاد خراجها لا يكفيها ، وانها صعبة الادارة ، وتسليمها يضعف سلطته ، ويتعارض مع العواطف التى أبدتها تيمورلنك تجاه فرج وان يعامله كولده ، ويتعارض مع ما اقسم عليه تيمورلنك ...

وقد وردت رسالة الى فرج من صاحب فاس السلطان ابوسعيد عثمان المرينى وقد ترامت الى مسامحه ابناء ما حدث فى بلاد الشام من قتل وتدمير من جانب تيمورلنك ، واستعداد صاحب فاس لارسال جيوشه الى فرج لمساعدته ، ورد فرج على صاحب الغرب بأن الجيش المملوكى لم يهزم وانما كان مستعدا لصد تيمورلنك غير أن النزاع على العرش فى مصر اضطر الجيش المملوكى للعودة ، وأن الصلح قد تم مع تيمورلنك قائلا : « وفى خلال ذلك ترددت الرسل الينا فى عقد الصلح وامضائه ، ودفن ماكان بين

---

(١) المصدر نفسه ، الجزء الرابع عشر من ص ١٠٣ - ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، الجزء السابع من ص ٣٢٥ - ٣٣١ .

(٣) المصدر نفسه ، الجزء الرابع عشر ، من ص ١٠٣ - ١٠٧ .

الفريقين من المباينة واخفائه ، فلم يسعنا التلکؤ عن المصالحة والسعى اليها<sup>(١)</sup> ، ويرى الباحثون أن هذه الرسائل بين السلطان فرج وصاحب فاس لا يمكن تبريرها سوى بأنها لم تفعل شيئا يذكر أو أى انجاز على صعيد الواقع الملموس تجاه بلاد الشام التى امتلأت بالمذابح والقتل الجماعى والابادة .. وكأنهما فى هذه الرسائل « هما اللذان أنقذا بلاد الشام<sup>(٢)</sup> » أو هما اللذان أبعدا تيمورلنك ، مع أن تيمورلنك هو الذى ابتعد بنفسه .

### - تأثير المغول على انتشار الاسلام فى آسيا :

سيطر المغول على اجزاء كبيرة من جنوب روسيا وقاموا باستطيانها غير انهم تعرضوا للهزيمة من الروس وبدأوا ينزحون عنها ، وقد تمكن النازحون من المغول من نشر الاسلام بين القبائل التى يمرون بها ، وبالرغم من محاولات الروس الفاشلة لازغام هذه القبائل على اعتناق المذهب الارثوذكسى الا أن هذه القبائل سرعان ما كانت تعود الى العقيدة الاسلامية بمجرد التوقف عن الاضطهاد الروسى فى فجر التاريخ الحديث ، ويذكر أرنولد<sup>(٣)</sup> انه فى الفترة اللاحقة اصدرت الحكومة الروسية أمرا بمعاقبة كل شخص ثبت عليه تهمة تحويل نصرانى الى الاسلام وذلك بتجريد من الحقوق المدنية وحبسه ثمانى سنوات ، ولم تقف هذه الصعوبات عائقا أمام القبائل الروسية المسلمة فى الشمال الشرقى من البلاد . ويضيف ارنولد ان الذين كانوا يمتنون حياة الشباب من الروس الارثوذكس كان يتعرض لهم

(١) المصدر نفسه الجزء السابع من ص ٤٠٧ - ٤١١ .

(٢) محمد ماهر حمادة ص ٩٤ .

(٣) ارنولد ، الدعوة الى الاسلام من ص ٢٧٨ - ٢٨١ ، وراجع أيضا الخالدى : العالم الاسلامى

والغزو الصليبي ص ٢٣٦ .

الدعاة المسلمون ويتعنونهم باعتناق الاسلام ، وعند عودتهم كانوا ينشرون الاسلام لدى ذويهم واقاربهم فى القرى النصرانية ، ويستطرد ارنولد موضحا اساليب الدعاة المسلمين فى هذه المنطقة قائلا : ... أن أكبر الفضل فى نجاح هذه الدعوة يرجع الى مستوى الحياة الاخلاقية فى المجتمع الاسلامى ، الذى كان أكثر راقيا ، كما يرجع ايضا الى شعور التآخى الذى كان يشيع فى هذا المجتمع والذى كان أكثر تماسكا وقوة ، أضف الى ذلك أن الاساليب التى لجأ اليها رجال الكنيسة الروسية وأيدتها الحكومة لتجعل تلك الطبقة التى كان يطلق عليها التتار - المغول - النصارى أكثر تمسكا بالدين ، فقد جعلت العقيدة النصرانية أمرا غير مألوف لديهم -

نشطت الدعوة الاسلامية فى القرى النصرانية ، واشتدت الحماسة بين المسلمين لجمع النقود لبناء المساجد ، وقام الدعاة المسلمون بطبع الكثير من المنشورات التى عكست تأثيراتها على اعتناق سكان قرى بأكملها للاسلام . وفى سيبيريا تقع فى شرق أوروبا الى سواحل المحيط الهادى فى أقصى الشرق ، وشمال تركستان والصين كان الدعاة المسلمون يذهبون الى هذه المناطق النائية قادمين من بخارى وسمرقند وغيرها من مدن آسيا الوسطى الاسلامية بل أن أحد أمراء القبيلة الذهبية واسمه كوتشم خان قد ضم كثيرا من هذه المناطق تحت حكمه سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م ، وقام بجهود مفضية لادخال رعيته فى الدين الاسلامى فكان يطلب من « بخارى » ان ترسل له بالدعاة ليساعده فى مهمته . غير أن الاضطهاد الروسى كان يلاحق المسلمين أينما كانوا ، وقد وصلت ملاحقة الروس للمغول الى احتلال عاصمتهم سيبير سنة ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م وذلك بعد عشر سنوات من جهود « كوتشم خان » فى نشر الاسلام وتقويته ، وقد عرفت البلاد التى تقع شرقى جبال أورال كلها باسم سيبيريا تخليدا لذكرى الاستيلاء على المدينة ، وهى أرض واسعة ، وسهلة فى اجزائها الغربية ، فى حين أن معظم اجزائها الشرقية

جبلية ، وتسيل فيها المياه من الجنوب الى الشمال ، وتجمد مياهها فى فصل الشتاء لشدة البرودة ، ورغم هذه الصعوبات فقد استمر الاسلام فى الانتشار فى هذه المناطق واستمر قدوم الدعاة من مدينة بخارى وبقية مدن بلاد ماوراء النهر وحتى مدينة « قازان » ومن خلال جهود هؤلاء الدعاة انتشر الاسلام بين قبائل هذه المنطقة من التتار - المغول - وخاصة بين نهر أوبن ورافده « ارتش » .

### - الصين -

يذكر تاريخ كويج تانج Kwig tang أن أول من جاء من المسلمين الى الصين ، عدد كبير من الغرباء من مملكة أنام Annam ، وكمبوديا-Cam bodia وبعض الاقاليم الاخرى ، وكان هؤلاء الغرباء يعبدون الله ، وليس لهم فى معابدهم تماثيل ولا صنم ولا صورة ، وكانت مدينة « مدينا » فى مملكة الهند وهى أيضا من المدن التى وفد منها الاغراب ، وقد قامت فيها ديانتهم التى تختلف عن ديانة « بوذا » ، وقد استأذنوا الامبراطور وحصلوا منه على اذن بالاقامة فى كتن ، واقاموا مساكن يختلف طرازها عن السائد فى الصين ، وكانت لهم ثروة عظيمة ، ودانوا بالطاعة لرئيس انتخبوه بأنفسهم وكانت لهم عاداتهم المميزة فى الطعام والشراب حيث لا يأكلون لحم الخنزير ، ويعتبرون الذبائح التى بأيديهم طعاما نجسا ، وبالرغم من أن هذا السلوك هو سلوك اسلامى الا أنه من المعروف أيضا أن أول من نقل الاسلام الى الاجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من آسيا هم التجار المسلمون العرب حيث عرف الصين قبل الاسلام لاشتغالهم بالتجارة فى رحلتى الصيف والشتاء وكانت موانئ الصين ضمن البلاد التى عرفت التجار المسلمين ، كما عرفها المسلمون وتأثرت بهم وتأثروا فيها من خلال السلوك الاسلامى ثم نشر هذه العقيدة الغراء .

سبقت الإشارة الى علاقات الود والتعاون التى قامت بين بعض خلفاء الدولة العباسية وأباطرة الصين ، وإن المغول حين هاجموا البلاد الاسلامية فقد هاجرت أعداد كبيرة من المسلمين الى الصين و ستقروا فيها وتطوروا الى جالية كبيرة امتزجت مع السكان الصينيين بمرور الزمن ، فضلا عن تقلد الكثيرين للمناصب الكبرى تحت حكم المغول ، وقد ساعدت الظروف على نشر هؤلاء للاسلام نظرا لما اكتسبه المسلمون من سمعة طيبة كخبراء فى الاقتصاد والتجارة وتذكر المصادر <sup>(١)</sup> أن شخصا اسمه « عبد الرحمن » اختير سنة ١٢٤٢م رئيسا على بيت مال الدولة فى الصين ، وكذلك عمر شمس الدين الذى ذاع صيته باسم السيد الأجل ، وكان من أهالى « بخارى » وعهد اليه امبراطور الصين « قويلاي خان » عندما أعتلى العرش سنة ١٢٥٩م بادارة بيت مال الامبراطورية ، ثم مديرا سياسيا للامبراطورية ، وفى سنة ٦٤٠هـ / ١٢٧٢م ثم تعينه حاكما عاما على ولاية « ستشوان » ، ثم أصبح حاكما عاما على ولاية « يونان » ، وقامت ذريته من بعده بخدمات جليلة للاسلام حيث حصل حفيده من الامبراطور سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م على الاعتراف بأن الاسلام هو الدين الحق الخالص <sup>(٢)</sup> ، ويذكر ابن بطوطة <sup>(٣)</sup> ان عدد المسلمين قد ازداد فى الصين وكانت المساجد قائمة للصلاة فى كل مدينة صينية يسكنها المسلمون .

---

(١) اسماعيل الخالدي ، ص ٢٤١ نقلا عن السيد بدر الدين ، ل . جى تاريخ المسلمين فى

الصين ، دار الانشاء ، بيروت ١٩٧٤ ص ٢٦ - ٢٨ .

(٢) المرجع نفسه نقلا عن ارنولد ص ٣٣٥ .

(٣) ابن بطوطة ، تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار ص ٧١٨ .

كذلك فقد قدم الامبراطور هنج وا Hnng wa مؤسس دولة منج Ming الجديدة فى الصين للمسلمين امتيازات كثيرة ، فقد قام المسلمون ببناء عدد كبير من المساجد فى الفترة التى حكمت فيها هذه الدولة ٧٧٧-١٠٥٤هـ / ١٣٦٨-١٦٤٤م ، كما قامت علاقات صداقة بين أباطرة هذه الدولة وبين أمراء المسلمين الذى كانوا على حدود الصين الغربية ، وتبادلوا السفراء مع الامراء التيموريين ومن أشهرهم الشاه « رخ بهادر » الذى كان ذا أهمية كبيرة فى نشر الدعوة الاسلامية حيث انتهز فرصة قدوم سفير صينى الى « سمر قند » سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م وبعث معه برسالة الى امبراطور الصين يدعوه فيها الى اعتناق الاسلام (١) ، ويقال ان أحد أباطرة الصين قد تحول فعلا الى الاسلام .

#### - الهند :

كانت جيوش المسلمين قد نشرت نور الاسلام منذ القرن الاول الهجرى فى مقاطعة السند وما جاورها من اقاليم البنجاب فى شبه القارة الهندية التى توغل فيها المسلمون فى عهد السلطان محمود الغزنوى ٣٨٨ - ٤٢١هـ ، وعندما اسلم المغول فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى فانهم لم يفرقوا - كما سبقت الاشارة - فى حروبهم بين المسلمين والوثنيين حيث كانوا يفتكون بهم جميعا .

غير أن سواحل شبه القارة الهندية قد تعرضت لهجرة أصحاب العقائد

---

(١) راجع نمر هذه الرسائل فى اسماعيل الخالدى ص ص ٢٤٢ - ٢٤٤ نقلا فى ارنولد ، ص ص ٣٣٧ - ٣٤٠ .

الباطلة الذين هربوا من ديار المسلمين ووجدوا فيها مرتعا خصبا لنشر أفكارها الغربية عن حقيقة الاسلام ، ولم يؤثر اسلام المغول تأثيرا ملحوظا على أديان البراهمة <sup>(١)</sup> ، وبالرغم من دخول حكام مسلمين لهم شهرتهم الواسعة للهند وقيامهم بفتوحات واسعة ، الا أنهم لم يقدموا للاسلام خدمات تذكر حيث كان تركيزهم على توطيد دعائم حكمهم باستثناء القلة ومنهم الملك محمد تغلق ، ٧٢٥-٧٥١هـ / ١٣٢٤-١٣٥٠م الذي قام باحياء شعائر الاسلام ، والقضاء على البدع التي تسربت للمجتمع الاسلامي ، وعاقب تاركي الصلاة ، وقد وصفه ابن بطوطة قائلا <sup>(٢)</sup> : « ... ومع ذلك فهو أشد الناس تواضعا وأكثرهم اظهارا للحق والعدل ، وشعائر الدين محفوظة وله اشتداد في أمر الصلاة والعقوبة على تركها » .

وكان الملك فيروز تغلق ٧٥٢-٧٨٩هـ / ١٣٥١-١٣٨٧م هو الأسر عادلا ، وأرسى دعائم الاسلام في مملكته ، غير أن الهند لم تلبث أن حكمها ملوك حاولوا تثبيت حكمهم بالاساءة الى الاسلام وتقويض دعائمهم ، ومنهم السلطان « جلال الدين أكبر » وهو من أكثر السلاطين خروجا على الاسلام حيث أباح الردة وأباح البغاء ، وشجع السفور ، ووصل به الفجور الى تأليف دين جديد اسماء « الدين الالهى » ، وقد أدت هذه الانحرافات مستقبلا الى ابتعاد الناس عن الاسلام الصحيح وانتشار الخرافات والبدع حتى مجيء الملك أبو المظفر أوزنك زيب « عالمكير »

---

(١) مسعود الندوى ، تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ، دار العربية ١٩٤٧ ص

(٢) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ص ٥١١ .

١٠٦٨-١١١٨هـ/١٦٥٦-١٧٠٦م وهو من أهم سلاطين الدولة المغولية الذين حكموا الهند حكما اسلاميا حيث أعاد للدين الاسلامى نضرتة وشبابه - على حد تعبير أحد الباحثين <sup>(١)</sup> - فألغى القوانين التى تتعارض مع الشريعة الاسلامية ، ومنع الخمر ، والزنى ، وحارب الربا ، وقضى على الدين الذى أنفه جده « جلال الدين أكبر » ، وفى عهده وبإشرافه ظهرت موسوعة الفتاوى الهندية أو العالمكيرية فى الفقه الحنفى <sup>(٢)</sup>.

---

(١) اسماعيل الخالدى ص ٢٤٦

(٢) دكتور أحمد محمود السادنى ، تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضارتها ، معهد الدراسات

الاسلامية ١٩٧٦ ص ٩٠ - ٩٤



## **الباب الثاني**

### **جهود الدولة العثمانية**

**الفصل الأول :**

**نشأة الدولة وتوجهاتها .**

**الفصل الثاني :**

**السلطان العثمانيون والمد الاسلامي .**

**الفصل الثالث :**

**ضعف الدولة والتحديث .**



## الفصل الأول

### نشأة الدولة وتوجهاتها

- ايدىولوجية نشأة الدولة .
- العثمانيون والشرق الأوسط .
- سلطة الدولة .
- الادارة العثمانية والديوان .
- الديوان والمحكمة العليا .
- دور الجيش فى الحكم .
- فرق الانكشارية .
- العلماء وهيئة كبار العلماء .
- رؤى ارنولد توينبى .
- النظام القضائى .



## الفصل الأول

### نشأة الدولة وتوجهاتها

#### أيديولوجية نشأة الدولة :

يعد تاريخ نشأة الأتراك الذين أرسسوا الامبراطورية العثمانية وتاريخ قدومهم من أواسط آسيا الى بلاد الأناضول من الأمور الغامضة التي تكتنفها حجب من الاساطير ، ومع ذلك يتفق معظم المؤرخين <sup>(١)</sup> على أن الأتراك العثمانيين قد دخلوا آسيا الصغرى في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الميلادي كقبيلة من القبائل التركية التي كانت على فترات متباعدة حيناً ومتقاربة حيناً آخر تنزح من وسط آسيا متجهة غرباً نحو آسيا الصغرى أو الأناضول ، وتقرر إحدى الروايات المستقاة من الحوليات العثمانية أن تلك القبيلة التركية قد أسدت سنة ١٢٣٢ خلال ترحالها في الأناضول خدمة جليلة لعلاء الدين الاول (١٢١٩-١٢٣٥) سلطان دولة الأتراك السلاجقة ، والذي كان يقاتل في مواجهة جيش آخر ، فانضمت القبيلة الى جانب الجيش الضعيف ، وكان ذلك سبباً في انتصاره ، وبعد المعركة تبين أن القبيلة التركية تدخلت لنصرة بني جلدتها وهم أتراك السلاجقة الذين كانوا يحاربون فرقة مغولية في جيش ان جنكيز خان كان قد عهد اليها استكمال فتح آسيا الصغرى .

---

(١) راجع في تفصيل ذلك دكتور عبد العزيز الشناوى ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها.

الجزء الاول ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٠ من ٣٣ - ٤٨ .

- Gibbous, H.A, The Foundation of the Ottoman Empire ( Oxford 1916).

- Darthold, V.V., Histoire des turce d' Asie centrale (Adaptation francaice par Mwe M. Donskis, Paris - 945).

وتقديرًا لتدخل القبيلة التركية فى المعركة فقد منحها علاء الدين بقعة واسعة من دولته التى كانت تحتاز دور الاضمحلال ، غير أن رئيس القبيلة التركية واسمه أرطغرل لم يقنع بذلك وشرع يهاجم باسم السلطان علاء الدين ممتلكات الدولة الرومانية الشرقية ونجح فى سياسة التوسع الاقليمى ، وبعد موته خلفه فى الحكم ابنه عثمان سنة ١٢٩٩ م الذى سميت بأسمه الأمة والدولة ، وسرعان ما نمت هذه الامارة حتى اصبحت امبراطورية مترامية الاطراف امتدت اقاليمها وولاياتها فى آسيا وأوروبا وافريقيا ، وأصبحت من أكبر الدول الاسلامية التى شهدتها التاريخ .

وخلال فترة حكم الأمير عثمان تحدد الوضع الدينى الذى عكس تأثيراته السياسية على الاتراك العثمانيين ، فقد اعتنق هذا الأمير الدين الاسلامى وتبعه الاتراك العثمانيون ، وكانت عقيدتهم الدينية قبل ذلك غير واضحة تماما ، ويحتمل انهم كانوا فى حالة تحول من الوثنية أو من عقائد أخرى الى الاسلام ، وعموما فإن الروابط القوية بين الاتراك العثمانيين والاتراك السلاجقة كانت عاملا هاما ساعد على اعتناق الاتراك العثمانيين للدين الاسلامى ، وتحدد الاسلام كعقيدة دينية رسمية فى فترة حكم الأمير عثمان الذى اتسم بالحماس الشديد للاسلام وخضوعه لمشورة الفقهاء المسلمين وخاصة من خلال تطبيق العدل كمبدأ هام الى جانب الشورى ، ويرى فريق من المؤرخين أن الاسلام كان له تأثير كبير فى مستقبل العثمانيين لايقل عن التأثير الذى أحدثه الاسلام فى عرب شبه الجزيرة العربية قبل العثمانيين بسبعة قرون عندما بعث النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ، وهيا الاسلام للاتراك العثمانيين وحدة العقيدة وغباهم بشعور دينى متدفق وعاطفة اسلامية جياشة عكست تأثيراتها على روح عسكرية اسلامية ، وكانت هذه الروح العسكرية قد استحدثت أصولها من الأوضاع الجيوليتكية حيث البيشة الأصلية فى سهول اسيا كانت بمثابة حجر الزاوية فى تكوينهم ، وعزز هذه

التزعة الموقع الجغرافي فى شبه جزيرة الأناضول حيث أحاطت بالعثمانيين كيانات سياسية كان بعضها مسيحيا والبعض الآخر اسلاميا ، وكانت العلاقات بين العثمانيين وهذه الكيانات السياسية علاقات عدائية فى معظم الأحيان تسودها اختلافات المصالح القومية وتعارضها وخاصة من حيث التوسع الاقليمى ، وبالتالي فقد اضطبغت حياة العثمانيين بالصبغة العسكرية بأسسها التنظيمية والتدريب الدقيق وتنوع الأسلحة ونشر التبعة الروحية الاسلامية بين افراده وهو ماجعل الجيش العثمانى يؤدى وظيفتين : الحرب والحكم ، وفى ضوء ذلك الاختصاص الثنائى للجيش العثمانى كان العسكريون فى الدولة لا يشغلون المناصب العسكرية فحسب ، بل كانوا يشغلون أيضا المناصب القيادية فى الحكم ، وكانت تصرفات السلاطين العثمانيين توحى بأنهم يعتبرون الدولة بما فيها ومن عليها ملكهم الخاص لهم مطلق التصرف فيها جميعا وأن السيادة قاصرة عليهم فقط وهم مصدر هذه السيادة ولكنهم يتنازلون عنها لمن يشاءون ، غير أن ذلك لايعنى أن السلطان العثمانى ظل ممسكا وحده بزمام السلطة بل على العكس فان نمو الدولة العثمانية نحو الامبراطورية فرض أوضاعا جديدة على السلطات العليا الحاكمة ، واضطر السلاطين بالتالى الى اعادة توزيع السلطات وانعكس ذلك على حسن تنظيم الادارة الحكومية بهدف توفير الخير العام وهو مايفسر ولاء الشعب واخلاصه حيث اعتبر الطاعة والنظام من أرفع الفضائل التى يتحلى بها المرء ، وعلى صعيد قوة الدولة فقد تمكن السلاطين العثمانيون من أن يفرضوا على الدول الأوروبية أن تحسب لدولة اسلامية قوية كدولتهم حسابها (١) .

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك :

Sauvaget J., Introduction a' L'Histoire de L'Orient Musulman, Paris 1926 pp 164 - 165 .

وفى مطلع القرن السادس عشر ، لم يكن قد مضى على تأسيس الدولة العثمانية سوى قرنين من الزمان ، وبالرغم من قصر هذه الفترة الا أن الانجازات التى تحققت خلالها من حيث بلورة الكيان السياسى العثمانى وتجانسه هو أمر يدعو للتأمل وخاصة فيما يتعلق باعتناق الدين الاسلامى من جانب العناصر التركية الوافدة من سهول آسيا الوسطى <sup>(١)</sup> ، وبنزوح تلك العناصر ظهر عاملان أثرا على الفكر السياسى للعالم الاسلامى ، العامل الأول هو سيادة اللغة التركية وبالتالى اكتساب السكان القيم والمزاج والشخصية التركية ، أما العامل الثانى فهو تحول السكان فى الأناضول الى اعتناق الدين الاسلامى ، وفيما يتعلق باعتناق العثمانيين الاسلام دينا وكيف تم ذلك ، وفى أية حقبة ، فيبدو أن هناك تباينا فى رأى عند الباحثين فيقول أ.هـ. جيبنز A.H. Gibbons <sup>(٢)</sup> انه ليس هناك أى اثبات تاريخى يدل على ان القبيلة التى ينتمى اليها عثمان كانت قبيلة اسلامية ، بل هنالك ما يدل على أن هذه القبائل النازحة الى الأناضول اعتنقت الاسلام بعد أن استوطنت أراضى تقع ضمن الدولة السلجوقية التركية ، وكان السلجوقيون آن ذاك مسلمين ، ، فى حين أن ف . م كوبرلى <sup>(٣)</sup> يقول « أن هذه القبائل التركية <sup>(٤)</sup> كانت بوجه عام قبائل اسلامية ، لكنها لم تكن »

(١) راجع فى تفصيل ذلك : فيليب حتى ، تاريخ العرب ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مطبعة دار

العالم العربى ١٩٥٣ ص ٢٤٠ وما بعدها .

(2) Gibbons, A.H., the Foundation of the ottoman Empire, Oxford 1916 pp 25 - 30 .

(3) Koprulu. M.F., Les Origines de L'empire ottoman ( Paris, 1935) .

(٤) أن استعمال لفظ « تركى » بمعناها الحالى الشائع بدأ قبيل نهاية الامبراطورية العثمانية ، أما فى الاصل فقد كانت تستعمل بمعنى فلاح من بر الأناضول (كما هى فى اللغة العربية) وكان اذا أطلق أحد لفظ « تركى » على رجل من سكان الامتانة فانها تعتبر اهانة تلحق به . انه عثمانى أحد رعاية الامبراطورية العثمانية ، راجع نور الدين زين ، نشوء القومية العربية ، بيروت

١٩٧٢ ص ١٧٦



على شىء من التعصب الدينى ، فان تعاليم الدين كانت فى نظرهم معقدة وهو ما جعل ممارسة الشعائر أمرا متعذرا ، فظلت هذه القبائل على اخلاصها وولائها للتقاليد القومية ، ومع ذلك فان حركة التتريك لم تمضى جنبا الى جنب مع حركة الدخول فى الاسلام ، وكان هناك تقصير آخر هو حركة التعريب حيث احتفظ السكان فى مصر وسوريا قبل الغزو العثمانى - بديانتهم اليهودية أو المسيحية فى حين أنهم كانوا يتكلمون اللغة العربية ، وفى الحكم العثمانى قبل بعض الذين حافظوا على ديانتهم - اللغة التركية واعتنق البعض الآخر الدين الاسلامى ، ومن هنا أخذ الاسلام يوائم بين نفسه وبين لغة السكان<sup>(١)</sup> من كافة العناصر مثل اليونانية والارمنية والكردية ، فى حين أن عناصر أخرى قد انزوت لتكون اقلية أخذت تضعف فى الفترة اللاحقة من التجانس التركى ، لكن التجانس الذى حققته الدولة العثمانية - بالرغم من ذلك قد انعكس على قوة هذه الدولة حيث أكدت العناصر التركية بالمقام الاول سيطرتها على اقليم الأناضول ، وكان للأوضاع الجيويوليتيكية أثرها الواضح فى أحكام هذه السيطرة حيث الأنظمة الرعوية وانطباعها فى نفسية العثمانيين قد تركت بصماتها فى نظرهم الى الدولة باعتبارها قبيلة كبيرة عليهم طاعة زعيمهم أى سلطانهم وهو ما أدى الى الولاء المطلق للحكم العثمانى حيث دام هذا الولاء من جانب الشعب التركى لآل بيت عثمان قرابة ستة قرون<sup>(٢)</sup> وهو ما استدعى وقفة للتفسير والتعليل من جانب فريق من المؤرخين ، فيرى البعض ان القوة العسكرية هى المعيار لتقييم الفرد وبحسب

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك : محمد عبد المنعم السيد ، الغزو العثمانى لمصر ونتائجه على الوطن العربى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، ص ١٦ - ١٧ - بنج ت كورلر .  
الشرق الادنى تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨ ص ١١٠  
(٢) محمد عبد المنعم السيد م ص ذ ص ١٩ .

انتظامه وتربيته العسكرية الصارمة كان التقييم للفرد ، ليس هذا فحسب ، بل أن المكانة الاجتماعية - وحتى النفوذ - كانا من نصيب الاتراك ولم تكن هناك للنسب بل أن المجد كله كان لمن يموت فى ساحة القتال <sup>(١)</sup>. أما فيما يتعلق بالطابع الدينى الاسلامى وتمسك العثمانيين به فيقول برنارد لويس : كانت الامبراطورية العثمانية منذ تأسيسها حتى زمن سقوطها دولة تكرر قواها فى سبيل تقدم شوكة الاسلام وحمايته ضد أى اعتداء خارجى ، وقد ظل العثمانيون طوال ستة قرون تقريبا فى حرب مستمرة ضد الغرب المسيحى ، أولا لمحاولة فرض حكم اسلامى على جزء كبير من أوروبا وهى محاولة وافقها النجاح ، وثانيا لشن حرب دفاعية تأخيرية جديدة تقف فى وجه الهجوم المعاكس الذى قام به الغرب <sup>(٢)</sup>. ويضيف برنارد لويس عن تأثير قوة الاسلام على الدولة العثمانية قائلا : « كانت الامبراطورية العثمانية من وجهة نظر الانسان العثماني التركي بمثابة الاسلام ذاته . وفى التواريخ العثمانية ، عندما يتكلم المؤرخون عن ولايات الامبراطورية يشيرون اليها بقولهم أنها « دار الاسلام » وعندما يذكرون جيوشها يقولون عنها أنها جيوش الاسلام ، ورئيسها الدينى « شيخ الاسلام » وكانت الشعوب التى تتألف فيها الامبراطورية العثمانية تعتبر ذاتها أولا واخيرا شعوبا اسلامية ، وكانت لفظة « عثمانية » تعنى اسم السلالة المالكة ، ولم تصطبغ لفظة « عثمانية » بصبغة قومية ذات مدلول قومى الا فى القرن التاسع عشر تحت تأثير الافكار الليبرالية الأوروبية . »

---

(١) وهو ما يراه كاهن ، راجع :

Cahun, L'introduction a' Le^Asie, Paris 1896 pp. 58 - 65 .

(2) Bernard Lewis, L'islamisme Recital in turkey, in International Affairs.

وعن السمات الرئيسية للحكم العثماني يقول فيشر في وصفه للأتراك العثمانيين أن أخلاقهم قد استمت بشيء كبير من الهيبة الممتزجة بوقار الطلعة ، وبأن تفكيرهم ينحصر في أسس الحكم الامبراطوري من خلال مبادئه الأوليغارشية ، « وهي المبادئ التي تنظر الى البشرية المحيطة بها كأنها لاتصلح الا للاسترقاق والعبودية » على حد تعبير هذا المؤرخ <sup>(١)</sup> .

أما المؤرخ البريطاني الذائع الصيت أرنولد توينبي فيقول : « أن طاقة العثمانيين الرعوية قد انتقلت فجأة من رعاة لقطعان الى حكام لامبراطورية ، ومثل كل البشر فان الحلول التي استعانوا بها لمواجهة المشكلات التي استجدت عليهم كانت متأثرة بتجاربهم السابقة فما زال عالقا بتفكيرهم انهم رعاة وكل ما في الأمر أن قطعانهم لم تعد من الماشية بل من البشر ، ولكي تظل هذه القطعان البشرية تحت سيطرتهم فقد انفقوا وربوا كلابا لحراستها هي الجيش العثماني <sup>(٢)</sup> فالسلطان العثماني كان يمارس حكم الشعوب كما كان العثماني يمارس على الماشية ، والسلطان هو المحور الرئيسي الذي ينظم التشكيلات المقاتلة ويدين له الجميع بالولاء التام جسما وعقلا وروحا .

أما المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي <sup>(٣)</sup> وهو واحد من كبار المفكرين المسلمين فيصف في اعجاب السلاطين العثمانيين مركزا على تمسكهم

---

(١) وهو فشر ، راجع فشر ، هـ.أ.ل. ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، القسم الثاني الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٧ ص ٤٦٠ - ٤٦٥ .

(2) Toynbee, Arnold, A study of history: The Osmanlis, London 1945, Vol 3 pp. 21-26 .

(٣) راجع الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والاخبار ، القاهرة مطبعة بولاق ، ١٢٩٧ هـ أربعة أجزاء ، الجزء الاول ص ٢١

بالعقيدة الاسلامية منهجا وفكرا من حيث اقامة الشعائر الاسلامية والسنن  
المحمدية وتنظيم العلماء وعلماء الدين الاسلامي والتمسك في الاحكام  
والوقائع بالقوانين والشرائع ، « فتحصنت دولتهم وطالت مدتهم ، وهابتهم  
الملوك ، وانفقاد لهم المالك والمملوك » .

وهكذا صادف مطلع القرن السادس عشر شعبا متجانسا الى حد كبير ،  
وأصبحت اقاليم الأناضول التي كانت مهدا للحضارة البيزنطية - أصبحت  
مفتوحة أمام الدماء التركية الوافدة منذ نهاية القرن الحادى عشر مؤكدة  
سيادتها وسيطرتها وحكمها المطلق . فى إطار الولاء الشديد لبيت آل عثمان  
من خلال شروط وراثة العرش التي انحصرت فى انتماء السلطان لبيت آل  
عثمان ، وعلى حد رأى أحد الباحثين <sup>(١)</sup> فقد عملت مراسيم الابداء عملها  
فى حل المتناقضات فى نطاق الأسرة الحاكمة حيث لا يوجد سوى سلطان  
أوحد يحكم شعبا كقطيع الغنم ويقود هذا السلطان نفسه جيشا مؤسسا على  
الولاء التام والاخلاص ، وفى هذا المعنى أيضا يقول الديرمسون Alderson <sup>(٢)</sup>  
توضيحا لمراسم الابداء : « أن المعنى الحرفى لكلمة Fratricide هو ابداء  
الاخوة ، غير ان هذا اللفظ يحمل مدلولاً أوسع اذا ما استخدم فى التحدث  
عن الظروف والأحداث التاريخية لآل بيت عثمان ، وفى هذا الصدد  
لمدلول الكلمة . ويعنى ابداء كل فرد فى الأسرة الحاكمة  
يحتمل أن يشكل خطرا على السلطان الذى يمسك بزمام الحكم - وكان  
لجميع الذكور من العصب الحق فى وراثة العرش - وتأسيسا على

(١) محمد عبد المنعم السيد ، م ، س ، ذ ٢٢ .

(٢) راجع فى الفصل ذلك :

Alderson, A.D. The Suruoture of the Ottoman Dynasty. Oxtord .  
the Clarendon Press, 1956 pp 22 - 28 .

ذلك فقد شملت الابادة الآباء والاعمام وأولاد العم والاخوة ، بل الابناء والأحفاد ، وفي الحالتين الاخيرتين كان الاعدام نتيجة ثورة قام بها الابناء على الآباء ... ، وأن أغلب حالات الابادة ، قام بها سلاطين جدد لتدعيم قبضتهم على الحكم واقصاء أى تطلع الى العرش ..وقد وجدت حالات فردية من الابادة حيث كان الحق لاصحابها الحق فى العرش العثمانى فى خلال الخمسة عشر عاما الاولى فى تاريخ الامبراطورية العثمانية ، غير أن تلك العادة لم تمارس بصفة رسمية الا فى عهد محمد الثانى حيث أصبحت عقوبة الابادة رسميا وصدرت ضمن مجموعته القانونية الشهيرة « قانون نامه » الذى لقى تأييد العلماء .

### العثمانيون والشرق الأوسط :

عندما أعتلى السلطان سليم الأول عرش الامبراطورية العثمانية رجحت كفة العثمانيين فى ميزان القوى فى الشرق الاوسط ، واستحدثت العديد من العوامل الجيويوليتيكية التى أدت الى نشوب الحرب مرارا بين الأتراك والفرس ، لكن العوامل الدينية من حيث الصراع بين الشيعة والسنة كان لها هى الاخرى تأثيراتها ، فقد كانت ايران بلدا شيعيا ، وكان شاه اسماعيل الذى اتبع سياسة شيعية عنيفة قد جعل من المذهب الشيعى منهج الدولة الرسمى ، وعقد فى سنة ١٥١٤ معاهدة مع المماليك نتج عنها أن قطع المماليك علاقاتهم السياسية مع السلطان سليم ، لكن السلطان سليم كان يعتبر نفسه حامى السنة ، وأخذ يقتل من الشيعة الالوف فى جميع أنحاء الدولة العثمانية ، الى أن شن حملته العسكرية فى نفس العام ضد ايران وهزم الجيش الايرانى فى سهل جالديران Chalderan الذى يقع بين بحيرة أورميا ونبريز. واستيلائه على مناطق العراق الشمالية ، فانه لم يشأ أن يستمر فى زحفه داخل ايران وعاد الى العاصمة ملكه لأن « اختلاف المذهب بين العثمانيين

السنين والایرانیین الشیعة جعل العثمانيين لا یرحبون بالسیطرة على ایران خوفا من عدم استتباب الامور لهم فیها ، وذلك على حد قول المؤرخ البریطانی آرنولد توينبی (١) على نحو ما سیتم عرضه تفصیلا فی موضع لاحق .

وكانت دولة الممالیک فی مصر وسوریا وتنافس کل من الدولة العثمانية والدولة الایرانية بالسیطرة على منطقة الشرق الأوسط فی مطلع القرن السادس عشر ، غیر أن الضعف أخذ یدب فی أوصال الممالیک بسبب ضعف الجيش نتیجة الحروب التي خاضها ضد المغول فی حین أن قوة الجيش العثماني كانت آخذة فی التزايد ، وكان هم السلطان سلیم القضاء على الممالیک فسار فی سنة ١٥١٦ على رأس جيش کبیر نحو سوریا ، وفي ٢٤ أغسطس ١٥١٦ هـ أنتصر الجيش العثماني على جيش الممالیک بقيادة قنصوه الغوری وسقطت كافة المدن السوریة ( حماة - حمص - دمشق سنة ١٥١٧ ) . واجتاز الجيش العثماني صحراء سیناء فی طریقہ الى القاهرة واشتبک مع الممالیک فی معركة الريدانية ووقعت القاهرة فی قبضة العثمانيين ، ولاقی طومان باي - آخر السلاطين الممالیک - حتفه ، وأصبحت مصر جزءا من الامبراطورية العثمانية . ويتضح من ذلك أن العثمانيين لم ینتزعوا البلاد العربية من السیطرة العربية وانما من سيطرة الممالیک ، وأن العرب وقتئذ كانوا فی حالة ضعف وتمزق وانحلال ، وتبع ذلك سيطرة السیادة العثمانية قرابة أربعمئة سنة ، وارتبطت البلاد العربية

---

(١) نقلا عن ، ساطع الحمصی ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، بیروت ١٩٦٠ ص ٤١  
وراجع أيضا ، دکتور أحمد عزت عبد الکريم دراسات تاريخية فی النهضة العربية الحديثة ،  
القاهرة ، بدون تاریخ اصدار - دکتور محمد أنیس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ،  
القاهرة ١٩٦٦ .

برابطة الخضوع والولاء للدولة العثمانية وأصبحت ولايات تابعة لها ، وترتب على هذا الوضع القانوني للولايات العربية حرمانها من ممارسة سيادتها فى الخارج بمعنى أنها لم تعد تشغل مركزها فى الجماعة الدولية الا عن طريق الدولة العثمانية التى تولت تمثيلها وتصريف مشونها الخارجية ، والتزمت الولايات العربية بتنفيذ المعاهدات التى تعقدها الدولة العثمانية مع الدول الاجنبية .

وكان من المتوقع أن تكون معاهدات الامتيازات التى عقدتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية بمثابة نوافذ تطل منها الولايات العربية على أوروبا ، أو بمثابة قنوات يتم عن طريقها الاتصال المنشود ، وقضت الامتيازات الممنوحة للجانبايات الاجنبية بتشكيل محاكم قنصلية خاصة ذات صلاحية تامة للنظر فى الدعاوى بين الرعايا الذين يتسمون الى هذه القنصلية أو تلك ، ولم يخضع للتقوانين العثمانية رعايا الدول الاجنبية من غير المسلمين المقيمون فى الامبراطورية العثمانية ، بل كانوا يتمتعون بأحكام خاصة بهم ، وكان القناصل هم القضاة فى المحاكم القنصلية يعاونهم مستشارون ، ويتم تنفيذ الاحكام الصادرة عن هذه المحاكم على الأرض التركية ذاتها ، وأدت معاهدات الامتيازات التى منحت الاجانب وخاصة من الدول العظمى - أدت الى زيادة حدة مشكلة القضاة والادارة حيث نالت الدول العظمى العديد من الامتيازات التى منحها اياها الدولة العثمانية من خلال محاكم خاصة ودوائر يريد خاصة بها <sup>(١)</sup> ، ومع ذلك فإن معاهدات الامتيازات لم تكن السبب

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك ، زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية فى العلاقات العربية التركية ، دار النهار للنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ص ١٨٢ نقلا عن :  
Secton Watson, R.W., The Rise of Nationality in the Balkans  
(London . 1917 ) P. 161 .

فى تحديد حجم ونوعية اتصال الولايات العربية بأوروبا ، بل كانت هناك أسباب عامة وأسباب خاصة بكل ولاية عربية حددت حجم ونوعية هذا الاتصال ، ولعل من أهم هذه الأسباب السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

فالأسباب السياسية يرجع بعضها الى الدولة العثمانية والبعض الآخر يرجع الى الدول الأوروبية حيث أخذ نجم الدولة العثمانية يأفل فى الولايات العربية منذ أواخر القرن السابع عشر بسبب ضعف حكام الولايات العربية ، وكان تنفيذ معاهدات الامتيازات يخضع لاهواء أمراء المماليك فى مصر والعراق ورؤساء الطوائف فى الشام . وكانت الرشاوى تقدم الى كبار رجال الدولة فى استأبول أو الولايات المتحدة لتنفيذ نصصرص المعاهدات <sup>(١)</sup> واستفحل نفوذ الدول الأوروبية وازداد تدخلها فى الشؤون الخارجية والداخلية العثمانية ، واتخذت هذه الدول من معاهدات الامتيازات سندا لها فى هذا التغفل ، وكانت الدولة العثمانية تتعرض لهزائم عسكرية اليمة من الجيرش الأوروبية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ووجدت الدول الأوروبية فى هذه الهزائم ما شجعها على المزيد من التدخل أكثر مما نصت عليه معاهدات الامتيازات التى قامت أصلا على أساس تبادل الحقوق والواجبات بين الأوروبيين فى الدولة العثمانية والرعايا العثمانيين فى الدول الأوروبية بحيث أصبحت هذه المعاهدات فى غير صالح رعايا الدولة العثمانية فى أوروبا فى حين أنها أضافت مزيدا من الامتيازات للأوروبيين فى الدولة العثمانية والذين لم يقنعوا بالأعفاء الضريبى بل كانت لهم حصانة منيعة تجاه السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية فى اقاليم الدولة ، والأسوأ من ذلك أن أصبحت

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك ، دكتور عبد العزيز محمد الشاوى ، الدولة العثمانية دولة اسلامية

مفتى عليها ، م . س . ذمر ٧٢٦ - ٧٢٧



الدولة العثمانية عاجزة عن التدخل لحفظ حقوق رعاياها المقيمين في الدولة أمام استمرار الأجانب في التمتع بالمزيد من الامتيازات مما أدى الى انتشار الفوضى في الولايات العربية .

أما عن الأسباب الدينية التي حددت حجم ونوعية الاتصال بين الولايات العربية والدولة العثمانية وأوروبا ، فلعل من أهمها ان العالم الاسلامي كان « منفلتا » على نفسه ، ولم تكن العاطفة القومية على حد قول فيليب Hitti <sup>(١)</sup> قد وجدت بعد لدى سكان الولايات العربية ، وجاءت الدولة العثمانية فوجدت هذه المفاهيم مستقرة في أذهان الجماهير العربية . وكانت الدولة العثمانية نفسها قد أخذت بهذا النظام الذي عرف باسم « نظام الملل » .

والرأى العام الاسلامي كان يتوجس خوفا وحذرا من أوروبا بسبب رواسب الحروب الصليبية التي تعرضت لها أقاليم الشرق الاسلامي منذ نهاية القرن الحادى عشر الميلادى حتى أواخر القرن الثالث عشر وما تخلل الحملات الصليبية من تحويل بعض السكان - وخاصة في تونس - الى المسيحية وهو ما قام به لويس التاسع ملك فرنسا خلال حملته على تونس عام ١٢٧٠م ليغطى فشله الذريع في مصر حين وقع في الأسر ، وقد علق بأذهان الاجيال الاسلامية المتعاقبة هذه الاحداث ، ثم تسامعوا بأنباء حركة انتقال الحروب الصليبية الى أوروبا حيث واجهت الدولة العثمانية تكتلات دولة صليبية نادت بها البابوية في روما ووصف المؤرخون المحايدون <sup>(٢)</sup> ذلك بمشابة حروب

(١) دكتور فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة بيروت ١٩٧٢

ج ٢ ترجمة دكتور كمال البار ، ص ٣١٠ - ٣١٥ .

(٢) كان ضروريا أن تتعرض لتأثير الدولة العثمانية باعتبارها دولة اسلامية قوية على أوروبا ذاتها في هذه الفترة راجع في تفصيل ذلك دكتور عبد العزيز الشناوى ، م . س . ذ . ص ٧٢٣ .

صليبية ، كذلك لم يسر عرب المشرق سقوط الحكم الاسلامى فى  
الاندلس وما سبق هذا السقوط ولحقه من اضطهاد دينى عنيف تعرض له  
المسلمون فى شبه جزيرة ايسريا والذين فضلوا الاحتفاظ بدينهم ، ثم رأوا  
صراعا صليبيا فى الحوض الاوسط والحوض الغربى للبحر المتوسط وفى اقاليم  
شمالى افريقيا حين اندفعت أسبانيا والبرتغال فى حروب بحرية وبرية بهدف  
احتلال شمال افريقيا وتحويل سكانها الى المسيحية واقاموا لهم قواعد  
عسكرية كانت بمثابة جيوش صليبية متناثرة على الساحل الشمالى لافريقيا ،  
غير أن سكان شمال افريقيا تصدوا لهذه الجيوب المسيحية بمفردهم أول  
الأمر ثم وجهوا الاستغاثات للدولة العثمانية يطلبون تدخلها عسكريا لانقاذهم  
وللحفاظ على اسلامهم وعروبتهم .

وترتبط الاسباب السياسية والاسباب الدينية بالاسباب الثقافية التى حددت  
حجم ونوعية الاتصال بين الولايات العربية العثمانية وأوروبا حيث لم يكن  
يدور بالأذهان أن يوفد أحد من سكان الولايات العربية الى الجامعات الأوروبية  
فالبلاد العربية كانت حافلة بمراكز مرموقة للدراسات الاسلامية والعربية  
العليا من خلال الازهر الشريف فى القاهرة والقيروان فى شمال افريقيا  
ودمشق فى الشام والكوفة والبصرة فى العراق فضلا عن مكة المكرمة والمدينة  
المنورة ، وكانت الصلات الوثيقة تربط بين علماء الاسلام فى كافة أنحاء  
العالم الاسلامى واعتقد سكان الولايات العربية العثمانية بعدم جدوى تعليم  
أبنائهم فى الجامعات الأوروبية باعتبارها مهد الكفر ، ومنذ القرن السادس  
عشر وحتى اوائل القرن التاسع عشر سادت مثل هذه الافكار وربما يمكن  
تلمس العذر للعرب بسبب خشيتهم من أن تفعل بهم أوروبا مثلما فعلت مع  
العرب المسلمين فى العصور الوسطى .

وفيما يتعلق بالأسباب الاجتماعية والاقتصادية التى حددت حجم ونوعية

الاتصال بين الولايات العربية العثمانية بعدم جدوى تعليم أبنائهم فى الجامعات الأوروبية باعتبارها مهد الكفر ، ومنذ القرن السادس عشر وحتى أوائل القرن التاسع عشر سادت مثل هذه الأفكار وربما يمكن تلخيص العذر للعرب بسبب خشيتهم من أن تفعل بهم أوروبا مثلما فعلت مع العرب المسلمين فى العصور الوسطى .

وفىما يتعلق بالأسباب الاجتماعية والاقتصادية التى حددت حجم ونوعية الاتصال بين الولايات العربية العثمانية وأوروبا فالملاحظ أن الأسباب الاجتماعية قد عكست تأثيراتها على النواحي الاقتصادية ، فاماكن إقامة الأوروبيين وتجارتهم ومعابدهم تحدد فى حى خاص بهم وحتى كنائسهم وأماكن دفن موتاهم كانت فى مستعمرات خاصة بهم ، وكان الباب الحديدى للحى يغلق عليهم ليلا ولايسمح لهم بالخروج من الحى أيام الجمع الى أن تنقضى شعائر صلاة الجمعة كأجزاء وقائى<sup>(١)</sup> ، وهكذا عاش الأوروبيون فى معظم الولايات العربية على هامش المجتمعات الاسلامية ، وانعكس ذلك على النواحي الاقتصادية حيث اقتصرت عمليات الاستيراد على الأوروبيين والتجار العرب الأثرياء ، والسكك الحديدية التى أنشئت فى مصر عام ١٨٥٦ كان معظم ركابها من الأجانب ، وكان سكان الولايات العربية يجهلهمون اللغات الأوروبية وهو ما أقام حاجزا يصعب اختراقه بين سكان الولايات العربية وأوروبا ، ويعنى ذلك من وجهة نظر أحد المؤرخين<sup>(٢)</sup> المعاصرين أن الدولة لم تكن مسئولة عن النظام الاقتصادى الذى كان

---

(١) ذلك خوفا على حريمهم ومتاجرهم فى أثناء انصرافهم الى المساجد

راجع : دكتور عبد العزيز الشناوى ، م . س . ذ . ص ٧٢٤ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٧٢٧ .

بمثابة عازل للولايات العربية عن أوروبا ، وانه لم يكن بمقدور الدولة القيام بدور الوسيط لأكراه الجماهير العربية على التعامل مع الأوروبيين بسبب « العقد النفسية » لدى العرب .

### سلطة الدولة :

كانت السياسة العليا للدولة العثمانية لاسيما في مطلع القرن السادس عشر من وضع السلاطين العثمانيين ، في اطار ممارسة الحكم المطلق (١) ، وكان الحكم المطلق هو الخاصية الواضحة لمعظم الدول الأوروبية وخاصة في الفترة التي تقع بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر ، ففرنسا كان ملوكها يمارسون الحكم استنادا الى مبدأ الحق الالهي ، وكان لويس الرابع عشر (١٦٤٣-١٧١٥) يقول « أنا الدولة » وسار على نهجه حفيده لويس الخامس عشر (١٧١٥-١٧٧٤) وكان تمسك ملوك أوروبا بمبدأ الحق الالهي قد جعلهم فوق مستوى النقد .

، وإذا كان الحال كذلك بالنسبة لمعظم الدول الأوروبية فان الدولة العثمانية قد اتسعت رقعتها منذ مطلع القرن السادس عشر مما رفعها الى مصاف الامبراطوريات ، وضمت العديد من الشعوب والديانات والمذاهب واللغات والتقاليد والعادات في ثلاث قارات : آسيا وأوروبا وأفريقيا وبالتالي فقد تعرضت لتكتلات دولية عدوانية وتحالفات صليبية ، بل أن الدول الأوروبية أدت دورا جوهريا ضد الدولة العثمانية حيث حركت العديد من الثورات عليها من جانب الشعوب المسيحية الخاضعة للسلطان .

---

(١) راجع في تفصيل ذلك : بارنولد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية

١٩٥٨ ص ٢٧ - ٥٧ ، دكتور عبد العزيز محمد الشناوي ، م . م . ذ ١٩٨٠ ، ص ١٠٧

وهكذا لم يخرج سلاطين الدولة العثمانية على الأعراف الأوروبية والنظم السائدة وقتذاك وأوحت تصرفاتهم بأن الدولة بما فيها ومن عليها ملكهم الخاص لهم مطلق التصرف فيهم جميعا على أية صورة دون أن يساروهم أدنى شك في أن السيادة لهم وحدهم وهم مصدرها يتنازلون عن بعضها لمن يشاءون .

وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية كانت تمارس الحكم المطلق ، إلا أن هذا لايعنى أن السلاطين ظلوا يمسكون بزمام السلطة وحدهم ، بل على العكس من ذلك فإن نمو الدولة واتساعها قد فرض أوضاعا جديدة على السلطات العليا الحاكمة بما فيهم السلاطين ، الأمر الذى اضطرهم الى اعادة توزيع مايدهم من سلطات باعتبار أن الادارة الامبراطورية تعتبر أشد تعقيدا من ادارة دولة ذات رقعة محدودة ، ويتم عن المشكلات السياسية والادارية المتزايدة تحديات حتمت ضرورة تطوير جهاز الحكم واعادة توزيع السلطة بين الهيئات العليا الحاكمة وتنسبتها لضمان الحفاظ على وحدة الامبراطورية العثمانية .

وكانت السلطة موزعة بين العسكريين (١) وعلماء الدين الاسلامى ، فمبادئ الشريعة الاسلامية كانت تمثل قيودا على السلطات المطلقة التى يمارسها السلطان ، وأدى ذلك الى كبح جماح اندفاعات السلاطين وسلطانهم حيث كان بين أجهزة الدولة مايسمى « الهيئة الاسلامية » التى ضمت شيخ الاسلام والقضاة والعلماء ، وحرصت الهيئة الاسلامية على أن تكون مبادئ الشريعة الاسلامية لها مكانتها المرموقة واحترامها وتطبيقها ، ولم

---

(١) راجع : كارل هروكلمان ، الانراك العثمانيون وحضارتهم ، بيروت ١٩٤٩ ، ص ٧٥ -

يمس السلاطين العثمانيون المبادئ الأساسية للشرعية الإسلامية سواء بالحذف أو الإضافة أو التعديل ، وخشى السلاطين من العزل من العرش - ان لم يكن القتل - اذا هم اقدموا على اجراء تغيير جذري يمس قواعد الشرعية الإسلامية ، وتأسيسا على ذلك تمتعت الهيئة الإسلامية بحقوق وصلاحيات تداخلت مع اختصاصات السلاطين ، وسيطر علماء الدين الإسلامى على ناصية السلطة القضائية ، فى حين أن سلطة تنفيذ الاحكام القضائية قد أسندت الى العسكريين الذين كان فى يدهم القوة اللازمة لوضع هذه الاحكام موضع التنفيذ .

ولم يكن ذلك يعنى تطبيق مبدأ الفصل بين السلطات ، بل أنه كان نتيجة لاتساع نطاق العمل المتعلق بالادارة الامبراطورية ، ولم تكن أى سلطة رقابية على الأخرى ، بل أنه لم يكن هناك ما يمنع مع الجميع بين عناصر السلطة سواء كانت تنفيذية أو قضائية ، وقد وصف أحد الباحثين الغربيين هذا النوع من أنواع الحكم المطلق الذى كان يمارسه السلاطين العثمانيون بأنه استبداد مقيد غير أن فريقا من المؤرخين العرب يرون أن سلطات هؤلاء السلاطين كانت مقيدة - نظريا - بأحكام الشرعية الإسلامية ، أما من الناحية العملية فان سلطاتهم كانت مطلقة لانهم - أى السلاطين - كانوا يجدون استجابات قوية لرغباتهم من كبار علماء الدين الإسلامى الذين كانوا يصدرن فتاوى تحقق أغراضهم وتضفى على تصرفات السلاطين طابع الشرعية . ويعنى ذلك فى الحقيقة أن السلطان العثمانى كان بمثابة السلطة المهيمنة على السياسة والادارة والجيش ، فالسلطة السياسية استمرت ممثلة فى السلطان ولم يخفف من غلواتها سوى تطور أجهزة الدولة وتعدد مشكلاتها الادارية بسبب توسعها المتزايد ، مما اضطر السلطان العثمانى الى التنازل عن بعض صلاحياته الى معاونين له فى شئون الحكم ، واختلف الحال عما كان عليه فى بداية عهد الدولة حيث لم يكن يعاون السلطان فى مهام الحكم

سوى علماء الدين الاسلامى أى هيئة كبار العلماء وعلى رأسها شيخ الاسلام ، لكن استمرار اتساع رقعة الدولة جعل ممارسة السلطان لمسائل السياسة والادارة والحرب أمرا مستحيلا ، وعجز علماء الدين الاسلامى عن اسداء المشورة للسلطان بحكم هذه الظروف الجديدة ، وهكذا أوجدت ماسمى بالديوان الذى أضحت قوة جديدة من وراء العرش بعد أن انتقلت اليه اختصاصات المحكمة العليا وهو ما يقضى وقفة للتفسير .

### الادارة العثمانية والديوان :

كان الديوان مجلسا عاما وبمثابة مجلس وزراء موسع يضم جميع رؤساء الدوائر فى الدولة ويجتمع لبحث القضايا العامة ولاتخاذ قرار الحرب ، وفى زمن السلم كان الديوان يعقد جلسات مطولة أربعة أيام من كل أسبوع وكانت اجتماعات تستغرق وقتا يتراوح بين سبع ساعات وثمانى ساعات ، وأبان الحرب كان الديوان يعقد اجتماعاته فى خيمة الصدر الأعظم<sup>(١)</sup> على مقربة من مخيم السلطان ، وكان كبار الموظفين فى الدولة يصحبون السلطان الى ساحات القتال وترتب على ذلك ان اجراءات عقد الديوان كانت مماثلة على وجه التقريب للنظام المتبع فى استانبول ، وفى حالة غياب السلطان عن العاصمة ومعه الصدر الأعظم فان الديوان كان يحضر اجتماعاته عدد قليل من كبار الموظفين ، وتطورت مهام الديوان فى الفترة اللاحقة على حكم السلطان محمد الثانى حيث أسندت رئاسته فى أواخر عهده الى الصدر الأعظم وأصبح الديوان شكلا من أشكال المجالس الوزارية الحالية وأن كان قد تأثر فى طريقة تشكيله وعمله ببعض المؤثرات الناتجة عن نظام الاقطاع الذى ساد مجتمع الدولة العثمانية وحتى السلطة المسندة الى الديوان قد تطورت هى

---

(١) وهو الوزير الاول كما سيأتى تفصيل ذلك فى المتن . « الباحث » .

الأخرى ، ففى بادىء الامر كانت استشارية لأن السلطان وضع بين يديه كافة السلطات ، أى أن سلطته كانت استشارية مطلقة وكان أعضاء الديوان مساعدين له وليس لهم الحق فى مشاركة السلطان سلطة اصدار القرارات المتعلقة بشئون الحكم ، حيث أنهم لا يعدون حكاما ، وإنما هم موظفون تقتصر وظيفتهم على مجرد التحضير لتلك القرارات ثم تنفيذها ولا يشترط موافقتهم أو توقيعهم من أجل نفاذها .

غير أن السلطان قد اضطره ظروف التوسع الامبراطورى الى أن يمنح سلطات الحكم الفعلية للديوان ولوزيره الأول ، وتأسيسا على ذلك أصبح منصب الوزير منصبا خطيرا ، حتى أن السلطان محمد الثانى جعله وصيا فعليا على الامبراطورية وذلك فى الفقرة الاولى من القانون الاولى من القانون الاساسى الذى وضعه للدولة ونصها « ليعلم أولا أن الصدر الاعظم هو رئيس الوزراء صاحب الصلاحية المطلقة فى شئون الدولة ، أما القيم على املاكى فهو الدفتردار ، ولكن الصدر الاعظم هو رئيسه وللصدر الاعظم فى مكانته حق التقدم على جميع موظفى الدولة » (١) .

كما كان للوزير الأول الصلاحيات المطلقة فى السيطرة على فروع الادارة برمتها ، وفى المراسيم والمناسبات والتشريعات كان الوزير الاول - شأنه شأن السلطان - يتقبل ولاء موظفى البلاط والدولة ، وكانت اجتماعاته تعقد فى مقره الرسمى « الباب العالى » حيث يحضر كبار مسئولى الدولة للتشاور فى الامور الهامة وأصدار القرارات الملزمة لأجهزة الدولة التنفيذية والادارية وعموما فقد كان الوزير الاول يقع على قمة الجهاز الادارى الحكومى نيابة عن السلطان ، وكان ضمن مسئولياته أيضا رئاسة الديوان أخذ يتوسع ويضم من

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى :

بروكلمان كارل ، الانراك العثمانيون وحضارتهم مرجع سابق ص ٩٠ - ٩٩



القادة العسكريين وكبار موظفى الدولة والدبلوماسيين وكبار العلماء ، وقد كان تشكيل الديوان من ممثلى الامبراطورية بشرطها دليلا على رغبة السلطات المركزية فى ربط الاجهزة الادارية المحلية فى الولايات بالتنظيم الادارى فى الدولة ممثلا فى الديوان .

وهكذا تغيرت صورة نظام الحكم التى كانت سائدة فى أوائل القرن السادس عشر ، صورة الحكم المطلق بدون برلمان وبدون سلطة تشريعية والتى كانت تعتمد على قضاة يفسرون الشريعة الاسلامية من أعلى مستوى فى الامبراطورية الى أصغر الوحدات الادارية فى الاقاليم ، حتى التقسيم الادارى للامبراطورية كان متمشيا مع النظامين الاجتماعى والاقتصادى اللذين قاما على نظام اقطاعى ومع أن الحكام ومساعدتهم فى هذه الفترة كانوا انتهازيين الا أنهم قاموا بتطوير نظم الدولة لمواجهة احتياجاتها بالرغم من تظاهرهم بالحفاظ على الشكل الصارم للدولة العثمانية ، لكن الفترة التالية للقرن السادس عشر شهدت تغييرا جوهريا فى نظم الادارة وفى تشكيل الديوان (١) واختصاصاته ودوره فى حكم الدولة وانتقال اختصاصات المحكمة العليا التى كان يرأسها السلطان من قبل الى الديوان .

---

(١) كان يطلق على الديوان لفظ الديوان الهمايونى ، وهمايون كلمة فارسية معناها مبارك أو مقدس ، واصطلاح الديوان الهمايونى يعنى الديوان السلطانى .

## الديوان والمحكمة العليا :

كان السلطان رئيسا للمحكمة العليا وفي نفس الوقت كان بمثابة « أمام » للمسلمين ، وتأسيسا على هذا التفويض كان الوزير الاول « الصدر الاعظم » يتولى مهام القضاء بالمحكمة العليا بمساعدة أهل الحل والعقد وقضاة الشريعة الذين كانوا يعتبرون من أكبر العناصر القضائية التي تمثل الشريعة الاسلامية ، غير أنه من الناحية الشكلية كانت الاحكام تصدر عن الوزير الاول ، وبالتالي فقد ضم الى وظائف الديوان النظر فى المسائل القضائية . بمعنى تطبيق القانون من ناحية والنظر فى المسائل الادارية من ناحية أخرى . ويرى أحد المؤرخين <sup>(١)</sup> الغربيين أنه طالما كان القانون فى الدولة العثمانية محددًا ، وطالما أن أى تشريع يصدر عن الدولة يركز حول السلطان ، فان المناقشات وتبادل الآراء قد اقتصر على المسائل الادارية والقضائية .

وقد جمع الديوان فى وظيفته بين سمات الوزارة وأعلى سلطة قضائية فى الدولة وهى المحكمة العليا ، ويرى أحد الباحثين <sup>(٢)</sup> أن الديوان فى علاقته بالمحكمة العليا كان بمثابة مجلس تناقش فيه المسائل السياسية الهامة بالدولة ، وفى نفس الوقت كان بمثابة محكمة عليا لها جميع الصلاحيات فى أن

---

(١) راجع :

Lyber, A.H., The Government of Ottoman Empire, in the time of Suleiman the Magnificent., Harvard Univ. Preas 1913 p. 110 .

(٢) راجع :

Heidorn A., Manuel de Droit Public et Administratif de L' Empire Ottoman, Vienne 1909 pp 140 - 145 .

تنقل أمامها أى قضية تراها ، كما تنظر فى القضايا التى تقام بين العثمانيين والاجانب ، أما المؤرخ الأمريكى ليبير فيقول « أنه على الرغم من أن الديوان كان يجمع بين اختصاصات الوزارة والمحكمة العليا الا أنه لم تكن هناك أوجه للشبه بين الديوان والهيئات القضائية الاخرى ، فرئيس الديوان هو الصدر الاعظم الذى يتم تعيينه بفرمان سلطانى ، وموافقة السلطان على قرارات الديوان هى أمر ضرورى حتى تأخذ هذه القرارات الصيغة القانونية والتنفيذية ، وكان السلطان لا يحضر جلسات الديوان ومع ذلك فان اعضاء الديوان كانوا مسئولين أمام السلطان ، ولم تشمل المسئولية تصرفات العضو فحسب بل سلوكه أيضا ، وهكذا اعتبر الديوان بمثابة أعلى محكمة فى الامبراطورية العثمانية ، ومع ذلك فلا يدخل فى اختصاصاتها مناقشة شرعية القوانين ، والشئ المثير للجدل هو كون الديوان بمثابة محكمة تشمل ولايته القضائية جميع القضايا المدنية والجنائية التى ترفع اليه من أى جزء من أجزاء الامبراطورية (١) .

وتنتج عن ذلك أن الاحكام القضائية لاتصبح نهائية الا بعد موافقة السلطان عليها ، وبالرغم من هذه التباينات والتناقضات فى وظائف الديوان ونظامه فقد كان ذا فائدة كبرى للحكومة العثمانية ، فهو يعلو جميع الهيئات فى الدولة

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك : اندريه جوسان ، تركيا بين جبارين ، سلسلة كتب ثقافية ، بيروت ، دار المكشوف ، بدون تاريخ اصدا ص ١٤ - ٣٢ .

- فيليب حتى ، تاريخ العرب ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مطبعة دار العالم العربى ، ١٩٥٣ ص ١٨-٧ .

- ومن الدراسات العربية الحديثة فيما يتعلق بالملاح الرئيسية للدولة العثمانية ، راجع دكتور عبد العزيز محمد الشناوى ، م . م . ذ ج ١ ص ٣٤٤ - ٣٩٥ .

بما فيها الهيئة الاسلامية ، وشخص السلطات هو أعلى منه - أى الديوان - الذى اعتبر أيضا بمثابة مركز الدائرة الذى تدور حوله جميع تشكيلات الحكومة العثمانية ، وهذه الاخيرة تتسم بأنها حكومة ذات حكم مطلق ولكن ذلك كله يتم فى اطار الديوان الذى كان يجمع أكثر رجال الدولة العثمانية كفاية واعلاهم فى المناصب ، وعلى ذلك كان اختيار اعضائه يتم بدقة متناهية وعلى عدة مراحل ، ومنحتهم الدولة صلاحيات واسعة مصحوبة بمسئوليات ضخمة ، والقرارات تصدر عن الديوان ولكن لا بد من موافقة السلطان عليها ، واعتبر الديوان فى هذا المنطق بمثابة نموذج ممتاز للإدارة المركزية فى الدولة العثمانية ، ومن خلاله وبفضله استطاع السلطان أن يسط نفوذه على هذه الامبراطورية المترامية الاطراف ، وأعضاء الديوان والحكام كانت تربطهم بالسلطان روابط وثيقة ، ومزيج من المشاعر يلخصها أحد المؤرخين العرب (١) المعاصرين بأنها « عرفان بالجميل والمصلحة الذاتية والتطلع لمزيد من الترقىات وكذا الخوف من بطش السلطان » ، وفضلا عن ذلك كان الديوان بمثابة مدرسة يتدرب فيها القضاة ورجال الادارة ورجال الحكم ، والصدر الاعظم بصفته رئيس الديوان كان يتصل بالاعضاء اتصالا مباشرا ، والسلطان كان يتابع ذلك كله عن كثب ، والاثنان : السلطان والصدر الاعظم كان فى حوزتهما سلطة المزيد من الترقى للاعضاء وأيضا حق توقيع عقوبة الاعدام ، ومع ذلك فلم يكن الديوان مجردا من سلطة اصدار التشريعات والقوانين ، فالمواد القانونية الصادرة كان الاعضاء يشتركون فى اعدادها وصياغتها القانونية ، والخلاصة أن الديوان كان يراقب الادارة ويفصل فى القضايا الهامة ويحكم الدولة العثمانية نيابة عن السلطان ومن

---

(١) دكتور عبد العزيز الشناوى ، م س ذ ص ٣٩٤

خلاله ومن أجله حيث الصلاحيات السياسية والادارية فى الدولة برمتها  
مركزة فى يد السلطان ، أما انشاء الديوان فقد كان ضرورة فرضتها التوسع  
الكبير فى الامبراطورية العثمانية بما عكسه ذلك من مشكلات وزيادة فى  
الهيئات الحكومية والموظفين والمناصب الجديدة .

### دور الجيش فى الحكم :

كان العثمانيون يتسمون بمجموعة فريدة من الخصائص وانعكست هذه  
الخصائص على تكوين الدولة العثمانية ، وكانوا فى سبيل التمسك  
بامبراطوريتهم على استعداد لأن يعملوا أى شىء وحكموا ممتلكاتهم عن  
طريق نواب للسلطان يدعون بالباشوات وفى ظلهم تمكن الموظفون والجند  
من الأقاليم التى يحكمونها من أن يتطلعوا الى اعلى مناصب السلطة  
 والمسئولية بما فيها منصب الوزير الاعظم <sup>(١)</sup> ، وكانوا يضعون فى عاصمة كل  
اقليم وحدة رمزية لتكون نواة لقوات الدفاع والامن فيه ، غير أن أغلبية كل  
جيش اقليمى كانوا يجندون من أبناء الاقليم ذاته - البربر ، الاكراد ،  
اليونانيين ، الشراكسة ، العرب ، الالبان ، الايطاليين ، الارمن - ممن كانوا  
يتلقون برامج عنيفة من التدريب والتوعية فى المدارس العسكرية التركية  
ويعتنقون الاسلام ، فالعسكرية الصارمة كانت الخاصية الاولى للدولة ،  
وطبعت بها اخلاق العثمانيين وسلوك الدولة وسياستها الخارجية .

واستمد العثمانيون النزعة الحربية الصارمة من يثنتهم الاولى فى أواسط  
آسيا قبل أن يتجهوا الى اسيا الصغرى وقد أكد هذه النزعة طبيعة الاوضاع

---

(١) وهو الصدر الاعظم أو الوزير الاول ، راجع انتونى ناتج ، العرب ، انتصاراتهم وأسجاد  
الاسلام ، ترجمة دكتور راشد البراوى مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢٩٢ -

الجيوبوليتيكية لشبه جزيرة الاناضول حيث أحاطت بالعثمانيين كيانات سياسية متباينة بعضها مسيحية وبعضها اسلاميا ، وساءت العلاقات بين هذه الكيانات وبين العثمانيين ويعزى ذلك الى صيغة التوسع الاقليمي التي اتسمت بها السياسة العامة للدولة العثمانية .

وفى هذا قال المؤرخ البريطانى أرنولد توينبى : « أن العثمانيين قد استمدوا طريقهم فى حكم الشعوب التى دانت لهم من واقع البيئة الاولى التى نشأوا فيها وهى بيئة البرارى فى أواسط آسيا ، فالسلطان العثمانى كان يمارس حكم تلك الشعوب كما كان الانسان العثمانى يمارس رعى الماشية فى البرارى ، وممارسة الرعى لدى العثمانيين الاوائل كانت تتكون من ثلاثة عناصر الراعى والماشية وكلب الحراسة ، فالسلطان هو الراعى ، أما الماشية فهى الشعوب التى خصصت للدولة وكلب الحراسة هو الجيش العثمانى ، <sup>(١)</sup> وتفسير ذلك فى رأى توينبى أن السمة الرعوية للاتراك العثمانيين قد انتقلت نقلة فجائية من رعاة لقطعان الى حكم لامبراطورية ، ومثل كل البشر فان الحلول التى استعانوا بها لمواجهة المشكلات التى استجدت عليهم كانت متأثرة بتجاربيهم السابقة ، فما زال عالقا بتفكيرهم انهم رعاة ، لكى تظل هذه القطعان البشرية تحت سيطرتهم فقد انتقروا دربوا كلابا لحراستها ، وصادفوا متاعب أشد فى تربيتها وتدريبها عن تلك التى صادفها اسلافهم الرعاة <sup>(٢)</sup> . أما المؤرخ الامريكى ليبير فيقول : « أن الجيش

---

(١) راجع :

Toyenbee A.J., A study of History, London, 1945, Vol. 111, pp. 22- 26 .

(2) I bid, pp 24 - 26 .

Price, M. Philips, A History of Turkey from Empire to Republic., London, Ocorge Allen , Unwin, L.T.D. p. 59 .

العثماني كان يجمع بين افراده جميعا شعور الولاة العميق للسلطان ... فالسلطان هو المحور الرئيسي الذي ينظم عمليات التشكيلات المقاتلة ، والجميع يدينون له بالولاء التام جسما وعقلا وروحا <sup>(١)</sup> . وكان الشعب العثماني مدبرا للدخول في الحروب مطيعا للسلطين الذين استأثر الجيش باهتمامهم وعنايتهم وانعكس ذلك على الجيش العثماني الذي تميز بالتنظيم الصارم والتدريب الدقيق والعتاد الوفير وتنوع الاسلحة ، وكان المبدأ الاساسي للدولة العثمانية هو أنها بدأت امارة غزاة محاربين لدرجة أن أحد الباحثين الغربيين أطلق على الاتراك العثمانيين بأنهم « نوع غريب من الامبرياليين » <sup>(٢)</sup> وكان للجيش العثماني وظيفتان : الحرب والحكم ، وقيل بهذا الخصوص أن الجيش العثماني كان بمثابة عملة نقود نقشت على أحد وجهيها كلمة الحرب ونقشت على الوجه الآخر كلمة الحكم ، وتأسيسا على ذلك شغل العسكريون المناصب العسكرية بالاضافة الى المناصب المدنية القيادية ماعدا مناصب القضاء والوظائف الدينية ويعنى ذلك أن دراسة مراكز القوى في الدولة العثمانية توضح أن قادة الهيئات العليا الذين ييدهم السلطة التنفيذية هم أنفسهم قادة في الجيش يخوضون بأنفسهم غمار الحروب <sup>(٣)</sup> ، وقد تعاظم دور الجيش في الحكم بل وفي اعتلاء العرش نفسه نظرا لأن النظام العثماني قرر حقا متساويا لابناء السلطان جميعا في وراثة العرش ، وكان الوريث لا بد أن يحصل على معظم الأصوات والتي بدونها لا يصبح سلطانا ، وهذه الاصوات في معظم الاحوال كانت أصوات القوى الحقيقية التي ييدها أن تحسم الموقف وكان لذلك آثار وخيمة من حيث الصراع

(1) Lyber, A.H., op. cit ., pp 110 - 112 .

(2) Ibid p. 25 .

(3) Encyclopaedia Britannica, Vol 22, Art Turkey p. 602 .

الدموى الرهيب ودور الجيش فيه وهو ما لم يحدث له مثيل فى تاريخ أية أسرة مالكة ، والباحثون فى تاريخ الدولة العثمانية - وهم قلائل <sup>(١)</sup> يلمسون حالات انفرادية من الابداء لمن لهم الحق فى وراثة العرش وذلك خلال الخمس عشرة سنة الاوائل من تاريخ الدولة ، ثم تفشت هذه الظاهرة الدموية حتى تم وضع قانون رسمى لها فى عهد محمد الثانى <sup>(٢)</sup> وكان ذلك سببا فى أدراك كل أمير فى قراره نفسه بأن حياته متوقفة على استيلاء العرش لأن المنتصر فى الصراع يجعل حياة الذين كانوا متأنسين له فى خطر ومن هنا زادت حدة الصراع حتى أنه شمل الامراء الذين لم يكن لهم أى طموح فى ارتقاء العرش وذلك حرصا على حياتهم فيما أعلنوا بأنهم عازفين عن اعتلاء العرش فمن الصعب أن يصدقهم أحد ، ونتج عن ذلك حروب داخلية كان من المحتم على السلطان الجديد مواجهتها لتدعيم حكمه ، وهو ما امتص جانبا كبيرا من جهود السلطان الجديد ، ويفسر هذا الدوافع التى جعلت السلطان الجديد يقتله أى فرد من أفراد الاسرة المالكة ممن يتراءى له خطورة ذلك الشخص على العرش باعتبار أن التضحية بأى أمير مهما كانت أهميته ، تهون بجانب التضحية بأقليم من اقاليم الامبراطورية <sup>(٣)</sup>.

وقد اثبتت التطورات اللاحقة فى تاريخ الدولة العثمانية أن القسوة الرهيبة فى تنفيذ السلاطين العثمانيين لعمليات الابداء الجماعية للأفراد من الذكور

---

(١) أما فى الوطن العربى فيكاد تنعدم وجود باحثين متخصصين فى الدولة العثمانية باستثناء بعض المؤرخين والباحثين الذين لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة ( الباحث ).

(٢) راجع :

Alderson, A.D. The Structure of the Ottoman Empire, Oxford, the Clarendon Press 1956, pp. 24 - 26 .

(3) Ibid, pp. 24 - 26 .



أن تلاشت تماما الظاهرة التي صاحبت الاسر المالكة وهي ظاهرة تكون طبقة  
ارستقراطية متصارعة على العرش من أمراء البيت الحاكم . وبالرغم من بشاعة  
تلك الوسيلة ومخاطرها الداخلية الا أنه نتج عنها أن الامبراطورية  
العثمانية لم تتعرض لاختطار التقسيم بسبب قوانين الوراثة والتي أدت - من  
منظور تاريخي - الى انهيار الامبراطوريات الكادلينجية ثم السلجوقية  
والبيزنطية<sup>(١)</sup>.

كذلك فان الصراع المرير الذي كان ينشب عادة في أعقاب وفاة السلطان  
جعل البقاء للاقوى والاكثر ذكاءا ودهاءا ومقدرة على استمالة رجال  
الحاشية ، كما أن بقاء الباب مفتوحا أمام الاخوة جميعا ، وقد أدى بهم في  
معظم الاحيان الى استمالة آبائهم بالولاء المطلق لهم والتفاني فيما يناط اليهم  
من مسئوليات ، وانعكس ذلك على الجيش وخاصة أثناء الحروب حيث كان  
لشخصية السلطان تأثيرها البالغ واذا أخذنا مثالا لذلك سليم الاول حينما وقف  
في وجه جنوده العصاة عندما رفضوا الاستمرار في الحرب الفارسية مصمما  
على ضرورة مواصلة القتال مهما كانت المشاق فكان له ما أراد وتفسير هذه  
الجداثة أن تمرد الجنود وعصيتهم قد بلغ أشده أبان الحملة الفارسية بأن  
اطلقوا النار على خيمة السلطان سليم ، ومع ذلك فقد استمر في مواصلة  
القتال . وقد حفظ له التاريخ هذا الموقف تجاه جنوده العصاة وهو يخاطبهم  
: « اذا شئتم الرجوع فلكم ذلك ، أما أنا فساذهب بمفرى »<sup>(٢)</sup>.

وبالرغم من أن الشخصية القوية لسليم الاول لم تتوافر لكافة السلاطين

---

(1) Ibid p. 25 .

(٢) كمال نامق ، عهد الفتح ، بدون مكان وتاريخ اصدار ، ص ٤٠ - ٤٤ .

العثمانيين ، الا أن الجنود كانوا يتصرفون فى المعارك فى أطار الولاء المطلق للسلطين وكان لذلك تأثيره المباشر على نتائج المعارك وهو ما أشار اليه بوسبيك السفير النمساوى فى استانبول عام ١٥٥٤ حيث اعترته الدهشة البالغة فى الفروق الهائلة وهو يعقد المقارنات بين الجيش العثمانى والقوات المسلحة للدولة الرومانية قائلا (١) : « أن هاتين الدولتين كانتا تقفان فى مواجهة عسكرية ويقع الاشتباك المسلح بينهما ، وفى جانب توجد الدولة العثمانية ، وهى امبراطورية عظيمة قوية تحشد جيوشا كبيرة تسودها روح عسكرية عالية ، وأفراد هذه الجيوش مدربون على الحرب ويتحلون بالصبر والنظام ، وفى الجانب الآخر توجد الدولة الرومانية المقدسة » ويتصف جنودها بالاغراق فى الترف والاستخفاف بالنظام وحب الشهوات ... » ، أن العثمانيين قد أعدوا للغزو وتحقيق الانتصارات فى حين أن جنود الامبراطورية الرومانية المقدسة قد أعدوا لتقبل الهزائم ».

### فرق الانكشارية :

يرى بعض المؤرخين أن الانتصارات الكبرى التى حصل عليها العثمانيون انما كانت بسواعد البنى شريه (٢) وهم عناصر صقلية والبانية وليست تركية

---

(١) راجع :

Hubaeed, G.E., The day of the Creacent p. 85 .

(٢) البنى شريه مفردا بنى شرى ويستخدم المؤرخون والباحثون العرب كلمة « الانكشارية » واللفظ

المستخدم فى الفرنسية : Janissaries

فى حين وصف المؤرخ هـ. أ. ل. فيشر<sup>(١)</sup> الأتراك العثمانيين بأن تفكيرهم لا يتعدى فى أسس الحسم الامبراطورى المبادئ الاوليجاريكية الاستثنائية ، وأنه من خلال نشأة وتكوين وبنى شاريه « الانكشارية » كارقاء أو أشباه أرقاء متجربين من جميع المؤثرات السليمة الانسانية التى تهذب الطبايع محرومين من جميع الصفات المكتسبة التى تفتح العقول ، فقد ابتعدوا بذلك عن جميع المثل العليا التى تحرك الارادة<sup>(٢)</sup> ، ويرى أحد المؤرخين الغربيين أن أول ما يلفت الانظار فى الأتراك روح الانتظام والتربية العسكرية الصارمة ، وقد حرصوا على ذلك حتى أن عقوبة الاعدام الرهيبة كانت جزاء من تسول له نفسه ارتكاب جريمة التآمر أو العصيان ، والقوة هى المعيار الاول لتقييم الفرد ، وأنه بحسب قوته يحسب ما ينال من مكانة ونفوذ ، لأهمية لسن

---

(١) فيشر : تاريخ أوروبا فى المصور الوسطى ص ٤٦ ، ويرى أحد المؤرخين المصريين أن الباحثين العرب يقومون فى خطأ لغوى واضح حيث يطلقون على هؤلاء الجنود المشاء اسم الانكشارية ، ويضيف ان الدقة فى الصياغة اللفظية تتطلب استخدام اللفظ التركى وهو البنى شره ، فى حين أن فريقاً آخر من المؤرخين يرون أن اللفظة التركية الاصلية وهى بنى شرهه Yenî Tcheri ، واللفظة المعربة أو اللفظة التى تستخدم فى الكتب العربية وهى الانكشارية قريتان من بعض بحيث لا يستحق الامر مثل هذا التفسير الشكلى الذى قد يودى الى بلبلة الافكار حول ملول بنى شرهه ، أو البنى شرهه .

راجع :

فى تفصيل ذلك دكتور عبد العزيز الشناوى ... ص . ذ

وراجع أيضاً :

فيشر أ. هـ ، تاريخ أوروبا فى المصور الوسطى ترجمة الدكتور محمد مصطفى زبادة ، دار المعارف ١٩٥٤ ، ص ٤٤٥ .

(٢) فيشر ، هـ . أ. ل. ، تاريخ أوروبا فى المصور الوسطى ، ج ٢ م . ص . ذ ، ص ٤٤٥ -

٤٥٠

ولا لنسب والفخر كله لمن يموت فى ساحة القتال (٢) ، وأدى الجيش العثمانى دورا كبيرا فى تدعيم هذه الافكار التى وجدت مجالا واقعيا للتطبيق بواسطة فرقة البنى شاريه ( الانكشارية ) ، الذين كانوا أعد فرق الجيش نفرا وأقواها جذرا وأكثرها نفوذا ، وأفسحت الدولة لهم الطريق كى يتفوزوا الى أعلى الرتب العسكرية والمدنية على حد سواء ، والمشير أن جند الانكشارية هؤلاء قد منحهم الدولة أصلا عن طريق الفتوحات ثم بواسطة نظام « الدوشرمة » عملية جمع الشبان من رعايا الدولة المسيحية ، وكان يتم اختيار أحسن هؤلاء الشبان ويدربون تدريبا خاصا ويستخدمون فيما بعد فى قصر السلطان حيث يرتقون حسب كفاءاتهم الى أعلى مناصب الدولة ، فكانوا يدخلون الجيش الانكشارى ويعرفون « بقاى قولارى » أى عبيد الباب ، ومنهم عبيد السلطان ، وقد تمتع أغا الانكشارية بسلطات واسعة فى استانبول حيث تولى فيها قيادة الجيش ورئاسة الشرطة معا ، وبذلك كان من أبرز الشخصيات فى الدولة العثمانية حيث ضمت الى سلطاته أيضا عضوية مجلس الدولة ، وطبقا للبروتوكول العثمانى كان رئيس الانكشارية فى درجة وزير وكان يتقدم على جميع القادة العسكريين وله مقر خاص فى عاصمة الدولة ومكاتب فى الجهات التى تعمل فيها قواته (٣) ، وترجع أهمية الانكشارية الى عدة عوامل ، من بينها كفايتهم القتالية وشجاعتهم المفرطة

---

(1) Cahunl, L'. introduction a' L' histoire de L' Arie, Paris, 1896, pp 59-61 .

(٢) لمزيد من التفصيلات حول مركز رئيس الانكشارية ، راجع :

Hasluck F.w., Christianity and Islam under the Saltans, Oxford 1929, Gibb Hamilton & OBwn Harold; Islam Society and the West. Vol. 1 part 2 Oxford 1917 .

ووفرته العددية وضراوتهم فى المعارك الحربية ، فكانوا يشكلون ثقلا حريا رهيبا لمصلحة الدولة فى الحروب التى تخوضها الجيوش العثمانية دفاعا وهجوما سواء فى آسيا ، أو فى أوروبا ، أو فى أفريقيا ، وكان الانكشارية أيضا يتبعون السلطان فى تنقلاته ، ويعزرو بعض المؤرخين ذلك الى أنهم كانوا يؤلفون الحرس السلطانى ، ويقولون أن هذه المرافقة للسلطان كانت وظيفتهم الرئيسية ، غير أن الأخذ بهذا رأى يعتبر خطأ نظرا لأن البعض قد اعتقدوا أن هذا عمل الانكشارية الرئيسى ، بمعنى أنهم حرس للسلطان فقط ، فى حين أنه كانت هناك فرق أخرى فى الحرس السلطانى كان أفرادها يحيطون بالسلطان فى المراكب الرسمية ، بينما كان البعض الآخر لا يتركون السلطان اطلاقا حين كان يذهب الى الحرب ، وكان البعض الآخر يتناوبون الحراسة فى القصر ، وكان آخرون ملازمون للسلطان باستمرار ، أما الغالبية العظمى من أفراد هذه الفرق فكانوا لا يقومون بأى خدمة حربية الا فى تلك المناسبات<sup>(١)</sup>.

ويسجل المفكر العربى<sup>(٢)</sup> ساطع الحصرى رأيه فى أهمية فرق الانكشارية فى القوات المسلحة العثمانية مؤكدا أن هذه الفرق كانت محور قوة الدولة ، وبواسطة هذه الفرق المنظمة والمدربة تمكنت الدولة من توسيع حدودها بسرعة ، فمن ناحية فتحت بلادا فى أوروبا كانت فى ذلك الوقت

---

(١) وقد لمس الباحث مدى ما كان يمتنع به الانكشارية من نفوذ ومكانة سياسية لدى السلاطين والشعب من خلال الاطلاع على محتويات المتحف الحربى فى استانبول .

(٢) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٩٦٥ ، ص ١٥ - ٢٠

خارج حوزة الاسلام ، ومن ناحية أخرى استولت على الامارات الاسلامية الصغيرة التي قامت في الاناضول على انقاض دولة الروم السلاجقة . أما المؤرخ الانجليزى فيشر فيذهب الى أبعد من ذلك قائلا : « أن الامبراطورية العثمانية قامت ، وظلت قائمة ، ليس بفضل رجال من العثمانيين فحسب - حيث لم يكن هؤلاء يشكلون أغلبية فى الجيوش العثمانية - بل كذلك بفضل رجال معظمهم صقالبة الاصل ، ولدتهم أمهاتهم مسيحيين - ثم جىء بهم الى مدارس الانكشارية حيث طبعوا بطابع الخضوع العسكرى والعقيدة الاسلامية (١) » ، والطريف أنه كان يحرم على الانكشارية الزواج ، فكان الفرد منهم يعيش دون أمل فى أن تكون له زوجة أو أبناء ، فالاسلام عقيدته ، والقرآن الكريم كتابه المقدس ، والسلطان العثماني والده ، والشكنة العسكرية مأواه ، والحرب مهنته ، والفوز بأحدى الحسينين مأربه ، ونظر الانكشارى لأعداء الدولة على أنهم أعداء الله ، وليس أمامه الا أن يمضى فى قتالهم ، فأما النصر أو الشهادة (٢) ، ولذلك كان يخوض الحرب بروح دينية اسلامية عالية ، وكما حرم السلاطين على الانكشارية الزواج حرموا عليهم أيضا الاشتغال فى التجارة ، والصناعة خشية أن تخبو عسكريتهم الصارمة ويحولوا الى أهل حرف (٣) ، ومن هنا كان الانكشارية أول جيش ثابت نظامى عرفته أوروبا منذ العصور الرومانية وذلك على حد رأى أحد المؤرخين الغربيين (٤) وبواسطتهم تمكنت الدولة العثمانية من المضى فى

(١) فيشر ، تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، م . س . ذ .

(٢) المرجع نفسه .

(3) Gibb Hamilton & Bowen Harold, op. cit., Vol. 1. Part 1. p. 64

(4) Grand A.J., A History of Europe 1494- 1618 Vol. V. of " Methuen's History of Medieval and Modern Europe " , Eleventh edition, 1967, p. 212 .

سياسة التوسع الاقليمي المرحلى ، لكنهم بعد ذلك أصبحوا مركز قوة فى حياة الدولة ، فعندما استشرى نفوذهم ، زجوا بأنفسهم فى السياسة العليا للدولة ، وهى مسائل ليست من اختصاصاتهم . فكانوا يطالبون بخلع السلطان القائم بالحكم بمقولة أنه ليس له نشاط حربي ، ويتدخلون فى اختيار السلطان الجديد . ويأخذون عطايا يطلق عليها البخشيش - أى البقسش - كلما ارتقى عرش الدولة سلطان جديد ، بحيث أصبحت هذه العطايا تقليدا راسخا لا يستطيع سلطان مهما أوتى من قوة أو عزيمة أن يتجاهلها والا تعرض للمهانة على أيديهم ثم ألغيت هذه العطايا منذ عام ١٧٧٤ . حين تولى السلطان عبد الحميد الاول عرش الدولة فى اليوم الرابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٧٧٣ <sup>(١)</sup> وكانت حجته فى الغاء هذا التقليد حجة قوية .

وقد بدأت ظاهرة تدخل الانكشارية فى المسائل السياسية العليا منذ عهد السلطان « أبى يزيد الثانى » ( ١٤٨١ - ١٥١٢ م ) ، ثم اشتدت هذه الظاهرة على عهود معظم خلفائه السلاطين . حدث أن السلطان سليم الأول ( ١٥١٢ - ١٥٢٠ م ) ، وكان قد توغل فى أراضي الدولة الصفوية فى فارس وفجأة طلب الانكشارية من هذا السلطان وقف العمليات الحربية بحجة الاكتفاء بما حققوه من انتصارات واستيلاءات على أراضي العدو .

وخشى السلطان أن يعمدوا الى التمرد والعصيان وهو بعيد عن قاعدة دولته مما قد يعرض الجيش العثماني الى التمزق . وكان تقدير السلطان للموقف الحربي أن الانسحاب هو أخف الضررين . فرضخ لطلب الانكشارية

---

(١) يرى بعض المؤرخين والباحثين التفاضى عن الاسبوع الاخير من شهر ديسمبر ١٧٧٣ ، ويصلون عام ١٧٧٤ بداية حكم السلطان عبد الحميد الاول .

وعاد أدراجه الى استانبول وازداد نفوذ الانكشارية بعد أن انتقلت قوات كثيفة العدد منهم الى عاصمة الدولة ، فكانوا يعزلون السلاطين والصدور العظام والوزراء ومن اليهم من رجالات الدولة . ويقتلون بعضهم ، ويتدخلون فى تعيين غيرهم فى المناصب التى تخلو بقتل أو عزل شاغليها . وأصبح كبار موظفى الدولة يخشون الانكشارية ويتملقون رؤساءهم .

وكان الانكشارية فى أوقات السلم يشقون عصا الطاعة ، ويلجأون الى سلاحهم التقليدى ، وهو القيام بحركات عصيان تحمل معنى التحدى للسلطان والحكومة المركزية فى العاصمة . وانتهى بهم الامر الى أن أصبحوا بمثابة عصابات عسكرية تهفو نفوسهم الى أعمال التمرد وخلع السلطان الحاكم والمتادة بتصيب سلطان جديد يقع عليه اختيارهم وكانوا يلجأون الى وسائل بعيدة كل البعد عن الانضباط العسكرية . كانوا يعترضون الموكب السلطانى ويمنعون السلطان من الوصول الى القصر ويهتفون فى وجهه هتافات غير كريمة ، مما يعد تحديا صريحا للرئيس الاعلى للدولة وحكومته . وازدادت مشكلة الانكشارية تفاقمًا عندما قررت الحكومة المركزية ، أو بعض عناصر هامة مستنيرة فيها ، تطوير الجيش بادخال التنظيم العسكرية الحديثة التى أخذت بها الدول الأوروبية فى جيوشها . وقد أطلق العثمانيون على مشروع تطوير الجيش « النظام الجديد » (١) . وجاء قرار الحكومة فى

---

(١) كان السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧) هو الذى اطلق هذه التسمية على الفرق العسكرية التى بدأ فى انشائها ، وجعل مقرها ساحة لوند جفثلك على مرتفعات أررت كوى ، وأرنؤد كوى على الساحل الأوروبى للبوسفور . راجع :

Huart Cl. Encye - of Islam. Art Janissaries .



هذا الصدد نتيجة لتعرض جيوش الدولة لهزائم أليمة . متعاقبة من الدول الأوروبية . وبات واضحا عجز الدولة عسكريا عن الدفاع عن ممتلكاتها الأوروبية بوجه خاص . ونبئت الفكرة القائلة أن ضعف الدولة هو ضعف عسكري قبل كل شيء ، ومن الثابت أن الدولة العثمانية كانت دولة عسكرية عاشت أزهى عصورها على الأمجاد العسكرية التي حققها الجيش العثماني . وكان هذا الجيش أداة للحرب أولا ، وأداة للحكم ثانيا .

وقد عارض الانكشارية معارضة شديدة ادخال النظام الجديد في تشكيلاتهم العسكرية لأنهم أدركوا أن تطبيقه سيؤدي الى ادماجهم أو ذوبانهم في الفرق العسكرية الجديدة التي أنشأتها الدولة وفقا للنظام الجديد . وكانوا حريصين على امتيازاتهم الخاصة في الجيش . ولذلك رفضوا العروض التي قدمها لهم بعض السلاطين ، مثل السماح لهم بالانضمام الى الفرق العسكرية الحديثة وقبول معاش تقررته الدولة واستهجنوا هذا النظام .

ولقد لجأ الانكشارية في معارضتهم لتطبيق النظام الجديد الى تنظيم حركات التمرد أو العصيان في وجود السلاطين معتمدين على قوتهم العسكرية ونجحوا في اكراه عدد من السلاطين على الغاء النظام الجديد ، وهكذا أصبح الانكشارية بمضى الزمن عنصر فساد في جسم الدولة ، يؤثرن مصالحهم الشخصية على المصلحة العامة وتعددت حركات العصيان والبطش برجالات الدولة .

وامتدت شرور الانكشارية في أوقات السلم الى المدنيين وكانوا يعمدون الى احراق أحد أحياء مدينة يغون نهيبها وكانوا يركزون هجومهم على محلات اليهود ويخطفون بضائعها واعتقدوا أن جميع الافعال مباحة لهم حتى ولو

كانت قوانين الدولة تمنعهم من ارتكابها ووصل بهم الامر الى مهاجمة الدار المخصصة لسكنى الصدر الأعظم اذا تباطأ فى تنفيذ طلباتهم ، وقد وضع للسلطان سليم الاول (١٥١٢-١٥٢٠) نزعة الانكشارية نحو التمرد العسكرى ثم تدخلهم فى السياسة العليا للدولة . وقد وضحت هذه الملامح منذ الأيام الأولى لحكمه وفى أثناء الحرب التى نشبت بين الدولة والصفويين .

ولما استفحلت شرور الانكشارية عمد السلاطين الى وسائل أخرى بهدف الحد من طغيانهم ، كان من بينها توزيع الفياق الانكشارية على حاميات الحدود ، وكان السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥) أحد السلاطين الذين تصدوا لمشكلة الانكشارية وكان يدرك تماما أنهم تجاوزوا المدى وأصبحوا مركز قوة خطير فى الدولة أو كما يقول أحد المستشرقين أنهم غدوا أصحاب الدولة الاقوياء حين أمر بالحاق عدد كبير من المجندين غير المدربين بفياق الانكشارية مباشرة ولم يأبه السلطان بمعارضتهم ومضى واتهز السلطان مراد الثالث فرصة تجدد الحرب بين الدولة العثمانية الصفوية فوجه ضربة شديدة الى الانكشارية كتنظيم عسكرى اذ سمح بادخال أعداد وفيرة من المجندين المسلمين الاحرار الذين ولدوا من آباء مسلمين فى الفياق الانكشارية بعد أن كانت هذه الفياق مغلقة تماما فى وجه هؤلاء المجندين .

ثم خطت الدولة خطوة أخرى فى سبيل كسر شوكة الانكشارية فأذنت لهم فى ممارسة بعض الحرف أو الاشتغال بالتجارة فى أوقات السلم فازدادوا ابتعادا عن الحياة العسكرية البحتة ، وازداد مستواهم القتالى هبوطا ، وأصبح بعضهم لا يذهبون الى ثكناتهم الا لتسلم مرباتهم وكانت الدولة لاتسمح لهم بحمل الاسلحة النارية فى أوقات السلم تجنباً لاستخدامها فى حركات

العصيان العسكرية أو فى الفتك بالمدينين .

العلماء وهىة كبار العلماء :

كانت هىة كبار العلماء وعلى رأسها مفتى الديار ، أحدى الهىات العليا التى أسهمت فى شئون الحكم فى الدولة العثمانية ، والارجح أن سلطتها كانت سلطة تابعة فمع أنها كانت تمتلك ناصية الفتوى والقضاء واصدار أحكامها فى المسائل الدينية والمدنية على السواء حيث لم يوجد تشريع وضعى الا فى عهد سليمان الا أن هذه الاحكام لم تكن لتوضع موضع التنفيذ دون الاعتماد على الهىات التنفيذية والتى تملك بيدها السلطات العسكرية أيضا ، أى جوهر السيادة فى الدولة العثمانية .

وحتى مطلع القرن السادس عشر لم تكن الدولة العثمانية تخكم بواسطة سلطة تشريعية ولكنها حكمت حكما مطلقا ، الا أن سلطة العلماء خففت الى حد ما من غلواء النزعة المطلقة لدى السلاطين ومعاونيهم .

فكانت لكلمة رجال الدين أهمية وقوة ، كما أن احكامهم كانت محل اعتبار كبير من الحاكمين ومما يدعم هذا الرأى أن السلطان محمد الثانى ثبت مركز المفتى على رأس الادارة برمتها <sup>(١)</sup> وفى الحق أن السلاطين كانوا شديدى الحرص على تأييد سلطته لأنهم كثيرا ما شرعوا فى استغلالها والافادة منها كلما ألت بهم أحوال سياسية عسيرة مثل الموقف الذى جابه سليم الاول حين شرع فى قتال المسلمين فاستصدر فتوى تبيح له حرب المسلمين فى مصر <sup>(٢)</sup> .

---

(١) هروكلمان ، كارل . الاتراك العثمانيون وحضاراتهم ص ١٥١ .

(٢) نفس المرجع ص ١٠٢ .

والملاحظ أن نظام الحكم كان بلا سلطة تشريعية ولكنها تعتمد على  
قضاة يفسرون قانونا سماويا سرى فى كل اجزاء الامبراطورية حتى وصل الى  
أصغر الوحدات الادارية فى الاقاليم<sup>(١)</sup> . ولقد نشأ القانون العثمانى أول  
ما نشأ على أساس عسكرى شأن جهاز الادارة العامة ومن هنا كان  
قاضى العسكر رأس الهيئة القضائية الى أن جاء سليم وأخضع  
الهيئات القضائية والدينية كلها لسلطة مفتى استانبول بوصفه شيخ  
الاسلام .

وكان يطلق على شيخ الاسلام أول الأمر مفتى العاصمة وأحيانا المفتى  
الأكبر . وكان يتمتع بمركز مرموق للغاية . كان الصدر الاعظم والوزراء  
وفى بعض الاحيان السلطان نفسه ، يلتهمسون فى بعض المسائل الهامة ،  
كما كانوا يعرضون عليه مشروعات القوانين الوضعية قبل اقرارها بصفة  
نهائية ويطلبون منه الرأى فى مدى مطابقتها لمبادئ الشريعة الاسلامية وكان  
هناك آخر قدر من الاختصاصات على درجة قصوى من الاهمية يباشرها  
شيخ الاسلام باصدار فتاوى ذات طابع سياسى ، وتتناول موضوعات تتصل  
بالسياسة العليا للدولة . كان السلطان لا يقدم على حرب دون أن يستصدر من  
شيخ الاسلام فتوى يقرر فيها أن أهداف هذه الحروب لا تتعارض مع الدين ،  
بل أن هذه الحرب لها أسبابها القومية من وجهة نظر الشريعة الاسلامية .  
باعتبار أن الحرب المقدمة عليها الدولة هى حرب دينية وأن الجماهير يجب أن  
تقف صفا واحدا تؤيد قلبا وقالباً الجيش وهو يخوض الحرب . ومنها أيضا  
الفتاوى التى تجيز تنازل الدولة عن اقاليم عثمانية لصالح دولة أجنبية  
انتصرت عليها ، وكذلك الفتاوى التى تجيز عزل السلطان لسبب أو آخر

---

(١) المرجع السابق .

وتقديرا للمسؤوليات الجسام التى كان يضطلع بها مفتى العاصمة رأت الدولة أن تميزه عن سائر زملائه رجال الافتاء الذين كانوا يعملون فى معظم الاقاليم والمدن الكبرى فى أنحاء الامبراطورية ، وكان عددهم يصل الى قرابة مائتى مفتيا ، وأطلقت على مفتى العاصمة لقب « شيخ الاسلام » فأصبح هو الرئيس الفعلى De Facto للهيئة الدينية الاسلامية الحاكمة وأن ظل السلطان هو الرئيس لهذه الهيئة من الناحية النظرية De Jure (١).

وكان شيخ الاسلام بحكم منصبه هو أكبر شخصية دينية اسلامية فى الدولة العثمانية ، فاذا أضيف الى منصبه هذا اللقب الجديد الذى حصل عليه وهو شيخ الاسلام فانه يعتبر رئيسا لهيئة كبار العلماء ، ويشملون القضاة ورجال الافتاء واساتذة الشريعة وأصول الدين ومن اليهم من أصحاب المناصب الرفيعة وغيرها فى الهيئة الدينية الاسلامية الحاكمة ، وفى عهد السلطان سليمان المشرع فقد ازداد مركز شيخ الاسلام تألقا وأصبح ندا للصدر الاعظم . وكان دور شيخ الاسلام على عهد سليمان دورا بناء خلافا ويلاحظ أن الفترة التى حكم فيها كل من السلطان محمد الثانى والسلطان سليمان المشرع بنوع خاص قد شهدت نشاطا ملحوظا وغير عادى فى وضع التشريعات العثمانية . وكان يطلق على هذه التشريعات التى تصدر فى حكم كل سلطان قانون نامة .

ولما كانت الدولة العثمانية دولة ثيوقراطية أى دولة دينية فقد جاءت سياستها وتشريعاتها ومعظم تصرفاتها تتسم بالطبع الدينى الاسلامى الذى كان من أبرز خصائص هذه الدولة ، ومن هنا فان أصفاء لقب شيخ الاسلام على مفتى العاصمة كان متمشيا مع السياسة العليا للدولة وتطبيقا عمليا لتلك

---

(١) دكتور عبد العزيز محمد الشناوى . م . س . ذ . ص ص ٣٣٩ - ٤١٠ .

الخصيصة الدينية القوية من خصائص الدولة . وكان الصدر الأعظم وشيخ الاسلام هما الموظفان الوحيدان في الدولة اللذين يتسلمان فرمان تعيين كل منهما في منصبه من يد السلطان . وكان من التقاليد المتبعة في الاحتفالات الرسمية الا يتقدم أحدهما على الآخر ، بل كانا يسيران جنباً الى جنب ، وأن قام أحدهما بزيارة رسمية للآخر ، تتبع في استقباله وتوديعه مراسيم التكريم والتشريف التي تتبع في استقبال وتوديع الآخر ، فكان كل منهما يعتبر ندا للآخر .

وإذا كان الصدر الأعظم يتمتع بسلطات أكثر ، فان شيخ الاسلام كان يظفر بمكانة أكبر . وكان من أسباب هذا التقدير العميق أن شيخ الاسلام كان يمارس سلطاته في مجالات دينية لها وزنها وتقديرها في نظر الجميع ، فضلاً عن اختصاصات لاتسمو اليها اختصاصات الصدر الأعظم وتتصل اتصالاً مباشراً بالسياسة العليا للدولة . فله وحده ودون سواء الحق في اصدار فتاوى تميز الحرب التي تخوضها الدولة ، أو فتاوى بتقرير الصلح ، أو إبرام المعاهدات ، أو عزل السلطان الحاكم ، كما لم يكن لشيخ الاسلام شأن مباشر بالخدمة الداخلية أو الخدمة الخارجية للسلطان ، واعتاد السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢) أن يقف لاستقبال شيخ الاسلام ويمنحه مقعداً أعلى من مقعده . وكان على الصدر الأعظم أن يكون على اتصال مستمر بشيخ الاسلام لبحث المسائل الخاصة بشئون الدولة والتي تتطلب أخذ رأيه فيها من حيث مطابقتها لمبادئ الشريعة الاسلامية ولذلك كان الصدر الأعظم هو الذي يقوم بزيارات عديدة لشيخ الاسلام في مقر منصبه على فترات متقاربة .

وقد حدد السلطان سليمان المشرع تحديداً نهائياً وقاطعاً المركز الوظيفي والقانوني لشيخ الاسلام ، فجعله رئيس هيئة كبار العلماء وأكبر شخصية

عاملة فى الهيئة الاسلامىة . كما أضفى على شاغل هذا المنصب الكثر من مظاهر التكرىم والنفوذ وكان شىخ الاسلام يتقدم على جمىع موظفى الدولة . ثم غدا يتمتع فى البروتوكول العثمانى بمركز ىمتاز عن مركز الصدر الاعظم أى رىس الوزراء وعن الوزراء . فعند ذهاب شىخ الاسلام لمقابلة السلطان كان ىخف هذا لاستقباله متقدما سبع خطوات ، ىنما لم ىكن السلطان يتقدم لاستقبال الوزراء أكثر من ثلاث خطوات . وكان ىسمح لشىخ الاسلام بتقبىل كتف السلطان ، ىنما كان لا ىسمح للصدر الاعظم الا بلثم ذىل ثوبه .

وكان هناك عدد آخر من كبار الموظفين ىتممون الى هيئة العلماء وىعملون على مقربة من السلطان وكانوا ىمثلون الهيئة الاسلامىة داخل القصور السلطانىة وفى مقدمتهم خوجة السلطان ، والمعنى الحرفى لهذا المصطلح مع السلطان وكان بمثابة مستشار السلطان فى المسائل الدىنىة وىغيرها . ولذلك كان ىظفر بتقدير عمىق ومركز مرموق بىن أفراد حاشىة السلطان وفى دوائر الحكومة ، كما كان هناك امامان للسلطان ، يؤم كل منهما السلطان بالتناوب فى صلاته سواء فى داخل القصر أو فى المساجد السلطانىة التى ىقع اختىار السلطان عىلها لاداء صلاة الجمعة فىها ، وكان خوجة السلطان والامامان من الهيئة الاسلامىة وتمتعوا بنفوذ كبرى جدا فى الدولة ، لأن طبعىة وظائفهم كانت تتطلب أن ىكونوا على اتصال مستمر بالسلطان . وكان لهم من ثقافتهم ومن الثقة الكبرى التى أولاها اىاهم السلطان ما جعل الاضواء تسلط عىلهم ، وكان السلطان ىقدر آراءهم على أساس أنها منزهة عن الاغراض والاهواء الشخصىة ، ولذلك أطلق على هؤلاء الثلاثة بأذن السلطان L'oreille du Sultan . ولم ىكن علماء الدىن وحدهم الذىن ىتممون الى هيئة العلماء ، بل كانت هذه الهيئة تتسع لتشمل الاطباء

والجراحين والمنجمين<sup>(١)</sup> ومن اليهم من أصحاب التخصصات العلمية .  
ولعل مرد هذا الشمول الى أن فريقا من الاطباء كانوا يجمعون بين دراسة  
الطب والفقه واصول الدين وعلوم البلاغة وغيرها . وكانت لكل منهم فى  
معظم هذه المجالات قدم راسخة .

وكانت الهيئة الاسلامية فى الدولة تضم أيضا الاشراف وهم الذين  
ينحدرون من أسرة النبی صلوات الله وسلامه عليه . وكان الاشراف يمثلون  
أحد نظامين وراثين وحيدین فى الدولة . فالنظام الوراثى هو وراثۃ العرش  
السلطانى . وكانت هذه الوراثة فى أسرة آل عثمان . وكان يطلق على  
الاشراف اسما آخر هو الأسياد ، فيذكر اسم الشريف مسبقا بكلمة سيد .  
ولكنهم كانوا لا يمدون أعضاء فى هيئة العلماء الا اذا تلقوا فى المؤسسات  
التعليمية دراسات فى مستوى الدراسات التى يتعلمها العلماء . وتلحق بالهيئة  
الاسلامية أيضا طوائف الدراويش ، وكانوا كثرة عددية كبيرة ، ولكنهم لم  
يكونوا أعضاء فى هيئة العلماء لانهم لم يتلقوا دراسات علمية منتظمة أو  
محترمة . وكان الدراويش ينتمون الى طرق كثيرة . وقد قرر المراقبون فى  
القرن السادس عشر أن عدد هذه الطرق كان يتراوح بين ثمان وعشر طرق ،  
وأن كان أهمها أربعة فقط وقد ازداد عدد هذه الطوائف زيادة مطردة  
وضخمة فبلغت ستا وثلاثين فى أواخر القرن الثامن عشر . وأن كان البعض  
الاخر يرى أن عددها تجاوز ضعف هذا العدد بينما يرى فريق آخر من  
المؤرخين أن عددها قفز الى أربعة أمثال هذا العدد<sup>(٢)</sup> وانتشرت هذه

(1) Lyber, A.H., op. cit., pp 128 & 218 - 225 .

(٢) دكتور عبد العزيز السنارى ، م . س . ذ . م ٤٤١ نقلا عن الجبرئى ٢ ج ٢ ص



الطوائف فى أرجاء الدولة وشملت جميع الطبقات والاقاليم العثمانية (١). وما هو جدير بالذكر أن عددها بلغ فى مصر أبان الحكم العثمانى زهاء ثمانين طريقة (٢). والمعروف عن العثمانيين أنهم يحبون التصرف والدروشة وقد سجل الجبرنى عليهم مثلهم الى الدراوش ، وعن طريق الدراوش انتشرت المزعجلات بين الرعايا المسلمين فى الدولة وديرت الفتن . وكانوا يشكلون مجموعهم وتأثيرهم فى الجماهير الاسلامية خطورة على سلطة الحكومة . وكانوا يتنادون الى اثاره الحروب الدينية .

وقد حرصت الهيئة الدينية الاسلامية الحاكمة وهى تباشير اختصاصاتها فى شئى مجالاتها على أن تكون مبادئ الشريعة الاسلامية موضع التنفيذ الدقيق والاحترام من جانب الحكام والمحكومين ، والدولة العثمانية دولة دينية واتسمت سياستها العليا ومعظم تصرفاتها بالطابع الدينى الاسلامى الذى كان من أبرز خصائصها وكانت الهيئة الدينية هى صمام الامان للشعب والحكومة معا .

وكانت التشجيع الدينية والولاء للدولة يربطان المسلمين رعايا الدولة والتفكير الدينى والسياسى لم يكن يغلب على جميع الرعايا المسلمين كما لم يكونوا جميعا من أتباع المذهب الحنفى وهو المذهب الرسمى للدولة ، ولكنهم كانوا جميعا مسلمين فخورين بدينهم ولديهم الرغبة للعمل من أجل تحقيق تفوق الاسلام فى أرجاء العالم . واذا كان بعض المسلمين نظروا الى نظام الهيئة الدينية الاسلامية الحاكمة على أنه نظام غير مثالى ، لأن

---

(1) Lyber, A.H., op. cit., p. 207 .

(٢) دكتور توفيق الطويل : التصرف فى مصر ابان الحكم العثمانى ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص

الدولة أوجدت بجانبها طبقة العبيد - القولا ر - واصطنعتهم أدوات للحكم والحرب واغدقت عليهم الامتيازات أغدا قا . فان نظام الهيئة الدينية الاسلامية الحاكمة كان يساعد على صمود الاسلام كدين عالمى أمام البابوية فى روما وأمام الدول الاوروبية المسيحية وكانت هاتان القوتان المسيحيتان قد أظهرتا كثيرا من العداء للدولة العثمانية .

وجميع وظائف الهيئة الدينية الاسلامية الحاكمة كانت متاحة لكل أفراد الهيئة الاسلامية أى المسلمين الاحرار طالما كانوا مؤهلين علميا لتولى مناصبهم ذات النفوذ الواسع والاهمية البالغة وكانت هيئة العلماء وهى تضم ثلاث فئات ، هم : الاساتذة والقضاة والمفتين حيث قد يتلقى أفرادها العلم وفقا لنظام تعليمى واحد ، واستقروا المادة العلمية من نفس المصادر والمراجع ، والتحقوا بمدارس وكليات مفتوحة للجميع من أفراد الهيئة الاسلامية يمضى الطالب فى رحابها سنوات طوالا يتلقى الدراسات الى نهاية الشوط اذا كانت استعداداته العقلية تؤهله لاستكمال دراساته العليا ، وكلما مضت الحياة بهؤلاء العلماء تشعبت امامهم المسالك الى وظائف القضاء والافتاء بل الى منصب شيخ الاسلام ، وبذلك لم يظل أثر العلماء مقصورا على الافراد فى مجالات التعليم بل امتد الى مستقبل الدولة نفسها .

وأضفت الدولة على العلماء بعض الامتيازات الهامة مثل الاعفاء الضريبى وكانت ممتلكاتهم لاتخضع للمصادرة ، ولا تؤول ملكيتها على الاطلاق للسلطان . فكانت ممتلكاتهم تورث لاولادهم وذرياتهم حسب قواعد الشريعة الاسلامية . وقد زادت هذه الامتيازات من مكانة العلماء فى نظر الجماهير . ويلخص البرت حورانى الخطوط الرئيسية الدولة على اهتمام الدولة العميق بالهيئة الدينية الاسلامية الحاكمة وذلك فى شتى المجالات التى امتد اليها

نشاط هذه الهيئة فيقول : « ... كانت السلطنة دولة تحكم في نطاق الشريعة الاسلامية وتعكف على تحقيق اغراض الاسلام الكبرى . وكانت سنية المذهب عن شعور زاده حدة طول الصدام مع الدولة الصفوية التي كانت شيعية . ويفضل ما كان للعثمانيين من قريحه وحب للترتيب والوضوح قامت الدولة العثمانية بتنظيم هيئة العلماء على شكل سلسلة من الرتب المحددة والتعيينات الرسمية والمرتبات التي تجرى عليهم بصفة رتيبة ومنظمة وكان رؤساء هذه الهيئة الدينية وهم شيخ الاسلام ، وكبار رجال القضاء والافتاء يستشارون في الشؤون العليا للدولة وكان القضاة في الاقاليم هم السبيل الرئيسي الذي يتم عن طريقة الاتصال بين الحكومة المركزية والرأى العام الاسلامى فى المدن العربية ، وقامت هى من ناحيتها بانشاء مدارس جديدة فى استانبول لتعليم أولئك الذين سيشتغلون أعلى المناصب فى الهيئة الاسلامية فى قابل الأيام ، وبالطبع فقد كان العلماء يركزون على مفاهيم أهل السنة وهو ما جعل الدولة العثمانية تعارض بشدة انتشار أى أفكار للشيعية . وقد تعرض المؤرخ أرنولد توينبى لذلك تفصيلا .

### رؤى أرنولد توينبى :

« يرى توينبى فى هذا الصدد أن المجتمع الاسلامى أنقسم فى اعقاب انهيار الخلافة الاسلامية وزوال الدولة العباسية على أيدي المغول الى مجتمعين متميزين : المجتمع العربى والمجتمع الايرانى وظل هذان المجتمعان متميزين لما يقرب من قرنين ونصف من الزمان قبل أن يحدث الغزو الشامل الذى قام به العثمانيون - وهم أحد فروع المجتمع الايرانى - للعالم العربى . ويمكن القول أن غزو العالم الغربى أمر فرض على العثمانيين كنتيجة لقيام دعوى الانشقاق الدينى الشيعية فى قلب العالم الايرانى الذى ينتمى اليه العثمانيون أنفسهم ، وأن ذلك الاتفاق ثار خلال حركة انتعاش ثورية غير متوقعة

للمذهب الشيعي وانبعائها كقوة سياسية عسكرية على عهد اسماعيل الصفوى (١٥٠٠-١٥٢٤م).

ففى عام ١٥٠٠م أوضح الاختلاف والتمايز بين المجتمعين العربى والايرانى كل دلائل التصميم على تأكيد حقيقة كون كل منها وحدة مغايرة للآخري .

فمن الوجهة الجغرافية نلمس حدا واضحا محددا يقوم بين العالمين وأن هذا الحد يمتد بلا انقطاع من مياه المحيط الهندى فى الخليج العربى حتى مياه البحر المتوسط فى الاسكندرية . وأن أقليم العراق الذى كان حاضرة للخلافة العباسية ظل كما مهملاً منذ الدمار الذى حاق ببغداد على أيدي المغول عام ١٢٥٨م ونتج عن ذلك أن جنوب الرادى لدجلة والفرات أضحي اقليما حاجزا بدلا من كونه حلقة اتصال للاقاليم التى تقع على ضفتيه ( الاقاليم العربية والفارسية ) .

وفى الشمال الغربى أضحي خط الفرات فى الاقليم الواقع بين شمالى الهضبة العربية وسلسلة طوروس ، مرة أخرى نطاقا حرييا فاصلا كما كان من قبل لمدة سبعة قرون فى العصر الرومانى .

وكان العالم العربى بين الفرات والبحر المتوسط - معزولا بالجزء المكون من جبال طوروس من الاقاليم الايرانية الناشئة التى استخلصها المجتمع الايرانى من المسيحيين الأرثوذكس فى الأناضول ، بينما كانت الأناضول نفسها مرتبطة بأوثق رباط مع الاقليم الأم الا وهو العالم الايرانى وذلك عبر أذربيجان .

وهكذا فان الحدود الجغرافية بين هذين العالمين كانت محددة بوضوح ، وأن هذه العزلة الاقليمية بينها صاحبها تباعد فى التطور السياسى والثقافى لكلا المجتمعين فالمجتمع العربى يرجع بأصوله الى الخلافة العباسية بينما

يرجع المجتمع الايرانى الى امبراطورية الأوراسية الرعوية لجنكيز خان .

وفى مضمار الثقافة ظل العالم العربى أمينا على تراث اللغة العربية وعلى آدابها الكلاسيكية بينما شجبت اللغة الفارسية وآدابها اللغة العربية فى المجتمع الايرانى .

والحقيقة أنه اعتبارا من بداية القرن السادس عشر بدأ بوضوح ، التمايز بين المجتمعين العربى والايرانى فى كل مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وزيادة على ذلك فانه بالرغم من أنه قد اتسعت رقعة المجتمعين الجغرافية إتساعا كبيرا فان أى منهما لم يظهر ميل لمهاجمة أراضي الطرف الآخر فلم تصل المناوشات التى وقعت بين الطرفين الى درجة الهجوم الخطير .

وقد اتجه المجتمع العربى بتوسعاته عبر الصحراء الى افريقيا الاستوائية وعبر المحيط الهندى الى اندونيسيا . بينما أمتد المجتمع الايرانى عبر الأناضول الى جنوب شرق أوروبا وعبر هندستان الى الدكن وعبر بلاد ماوراء النهر الى الهضبة الاوراسية ، ولكن حتى انصرام القرن الخامس عشر وقف المجتمعان الايرانى والعربى ظهرا لظهرو ونادرا ما تصادم كل منهما بالآخر . ولذلك فان غارات كليهما على الآخر حتى ذلك التاريخ يمكن أن تعد على أصابع اليد الواحدة . فغزوات المغول لسوريا فى السنوات : ١١٦٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠٣ وأخيرا الغزو التيمورى فى عام ١٤٠٠ م يمكن أن نعتبرها غزوات ايرانية على الاراضى العربية ، وبالمثل يمكن أن يعد انتصار السلطان المملوكى بيبرس على المغول فى ابلستين أحد المعارك فى طرورس واحتلاله قيسارية على الهضبة الاناضولية عام ١٢٧٧م على أنه غزو عربى للمجتمع الايرانى . ولكن تلك الغزوات لم تكن الا استثناءات لأن القاعدة العامة أن المجتمعين تعايشا فى سلام منذ منتصف القرن السادس عشر .

والنقطة الأخرى الجديدة بالاعتبار أنه بالرغم من أنه خلال تلك الفترة انعزل العالمين العربي والإيراني تقريبا كل منهما عن الآخر فان عوامل التفاعل والارتباط الداخلية كانت تعمل في دأب بين أجزاء كل منهما .

ففي العالم العربي في القرن الرابع عشر تنقل العلامة ابن خلدون من مسقط رأسه في تونس الى القاهرة ودمشق وكان يبدو أنه وكأنه في بلده أثناء اقامته في تلك الوحدات الإقليمية التي كونت في مجموعها وحدة الثقافة العربية . وبالمثل في المنطقة الإيرانية فان الشاعر الفيلسوف محمد جلال الدين لم يجد أية صعوبة في الهجرة من مسقط رأسه في بلخ الى قونية في الأناضول حيث تأقلم تماما في بيئته الجديدة حتى صار يذكر بالرومي لا البلخي .

ونفس السهولة استطاع جندي محظوظ مثل أوطغل أن يعبر العالم الإيراني من السهول الأوراسية ببلاد ما وراء النهر الى المنحدرات الشمالية الغربية للهضبة الأناضولية ، كما اتجه مغامرون أوراسيون وجهة أخرى حيث أمكنهم بسهولة أن يعبروا أفغانستان ليدعموا كيانهم في الهند بدءا من محمد الغزنوي حتى بابر الفرغاني . وفي الحقيقة أن عوامل الترابط والتفاعل بين الأجزاء المختلفة للعالم الإيراني استمرت حتى عهد بابر التيموري واسماعيل الصفوي والسلطان سليم الأول .

وظلت هذه الدورة الدموية النقية تسري في جسد الحياة الاجتماعية للمجتمع الإيراني دون توقف أو انقطاع .

ومن الأقاليم البعيدة التي اقتطعها العثمانيون لأنفسهم من المجتمع الأرثوذكسي المسيحي ظلوا ينظرون الى قلب العالم الإيراني باعتباره منارا للهدى والفكر ، وعلى ضوء ما تقدم بأنه حتى مطلع القرن السادس عشر

كان العالمان العربى والايرانى منعزلين تقريبا كل من الآخر بينما نمت وتفاعلت عوامل الامتزاج والترابط الداخلية فى كل مجتمع على حدة ونتج عن ذلك أن يكون كل منها وحدة مستقلة متميزة ومتكاملة . ولكن توقف جريان الأمور على هذا النسق وانقلبت كل تلك الأوضاع رأسا على عقب على عهد الشاه اسماعيل الصفوى باعث الشيعة وقائدها كقوة حرية وسياسية حيث بدأ يلعب دوره على المسرح السياسى فى منطقة الشرق الأدنى منذ مطلع القرن السادس عشر ولحسن حظه أنه صادف فى الاثنى عشرة سنة الاولى من حكمه ( ١٥٠٠ - ١٥١٢ م ) سلطانا عثمانيا متسامحا يعيش فى لؤاخر ايامه .

وليس أدل على تسامح الدولة العثمانية التى كانت إحدى الدعامات السنية آنذاك من أن الشاه قولى الذى كان من أنصار الشيعة وأحد دعايتها فى داخل أراضي الدولة العثمانية ، وممثلا سياسيا للقوى الصفوية كان يلقى المعونة من السلطان بايزيد الثانى كما كان صديقا لابنه قرقد الذى كان واليا على مانيزيا الى حين اندلاع أحداث الفتنة الكبرى سنة ١٥١١ - ١٥١٢ م حيث فكر شاه قولى فى القيام بانقلاب للإطاحة بالحكم العثمانى السنى على أمل احلال الحكم الصفوى الشيعى محله . وكانت تلك الحركة الثورية اول خروج على العرف الذى ساد بين المذهبين الشيعى والسنى طوال القرنين الماضيين والذى جرى على أن تكون العلاقات قائمة على أساس « عش ودع غيرك يعيش » .

هذه العلاقات الودية المعقودة بين المذهبين الاسلاميين القديمين كان ينظر اليها بعين الأمل والتفاؤل بالنسبة للحضارة الايرانية الناهضة . ولكن

لسوء الحظ سرعان ما حلت المذابح محل التسامح والأحقاد محل اللامبالاه  
أو التواهي الطيبة عندما جمع التاريخ بين الشاه اسماعيل الصفوى والسلطان  
سليم الاول . ووجد اسماعيل - الذى نسم شخصيته عن عنف  
وحقد دفين - فى سليم هزيمة الذى عاش ينظره ليهار فى شخصه  
للتفكك الذى حاق بالمجتمع الايرانى والذى نتج عنه دولة العثمانيين  
ورجالها .

ومن خلال القتال الدموي الوحشى الذى غير مجرى التاريخ الاسلامى  
حيث أعاد فتح الباب لنزاع كاد يندثر الفراع بين السنة والشيعة ،  
يمكن القول بأن زمام المبادرة كان بين اسماعيل الصفوى بل  
وظل ممسكا به حتى بعد اندحاره على يد السلطان سليم الاول عام  
١٥١٤ م .

وعلى ذلك فان عصر اسماعيل وليس سليم هو أول الخيط  
الذى يجب أن نمسك به ونتبعه والفترة التى ارتقى فيها  
اسماعيل الصفوى عرش الدولة الصفوية (١٥٠٠-١٥٢٤م) تشير  
تساولين :

الاول : كيف أنه تمكن أن يرث زمام نظام لم ينسب الى اتباعه سياسة  
العنف والآن يرز اسماعيل للعالم كأحد الغزاة المحاربين ويصبح مؤسسا لنظام  
سياسى وحربى .

والتساؤل الثانى : ماذا كان الهدف النهائى لسياسة اسماعيل الحرية



والسياسية ؟ والاجابة على السؤال الاول أن تطور الصفرى (١) من نظام دينى يعمل على نشر دعواه بوسائل التبشير السليمة الى قوة سياسية تعمل على بسط نفوذها بالوسائل الحرية قد استغرق الفتوة الواقعة بين ارتقاء جانيد فى عام ١٤٧٧ الى عهد اسماعيل عام ١٤٩٩ / ١٥٠٠ م .

وعندما نبحت الهدف لاسماعيل عند ارتقائه العرش عام ١٤٩٩ / ١٥٠٠ م فى سن الثالثة عشر نجد أنه قد بدأ يحور قوته الحرية بحسب حسابها ولم يكن يهدف فى ذلك الوقت الا الغزو المسلح لكل ارجاء العالم الايرانى ، وأنه رأى ان يستخدم قوته لكى يفرض عقيدة الاقلية للمجتمع الايرانى على الاغلبية السنية بالقوة المحضة .

---

(١) ثم تطور النظام الصفرى من نظام دينى يعمل على نشر دعواه بوسائل التبشير السلبية الى قوة سياسية تعمل على بسط نفوذها بالوسائل الحرية قبلا على عهد جد اسماعيل الشيخ جانيد ١٤٤٧ - ١٤٥٦ م الذى كان حفيدا للشيخ خواجه على ويرجع فى نسب البعيد الى الشيخ صفى الدين - وبدأ يوضح ان الشيخ جانيد كان يرغب فى أن يترك مبادئ الامامية وأن يحدث انقلابا باخراج التماثيل الصفوية الشيعية الى حيز التنفيذ وأن يجرب حظها فى حلبة السياسة والحرب وقد شجعه على ذلك الفراغ الذى خيم على ايران والعراق بعد تفكك الامبراطورية الشيمورية بعد وفاة شاه رخ وقد حدث ذلك فى نفس العام الذى تولى فيه عرش الدولة الصفوية وقد تمكن الشيخ جانيد من جمع عشرة آلاف من اتباعه المسلمين كما أن ابنه وخليفته الشيخ حيدر وهو والد اسماعيل هو الذى قرر الزى الرسمى للقوات الصفوية « وهو غطاء الرأس القرمزى الملون المزركش باثنى عشرة قطعة من القماش مثلثة الشكل » ومن هذا الزى اشتق اسمهم « القزلباش » أى اصحاب الرؤوس الحمراء

ولما كان كل من الشيخ جانيد والشيخ حيدر قد خاض الممارك يمكن ان نرى بوضوح ان اسماعيل قد ورث تقاليد الصفرين الحرفيين ولم يكن هو الذى ابتدعها .

وعلى اى حال فان البيت الصفرى تحول الى القوة المسلحة فى دعوته فى الفترة الواقعة بين اعتلاء جانيد فى عام ١٤٤٧ م واسماعيل ١٤٩٩ / ١٥٠٠ م .

ولابد من الفصل بين هذين الهدفين لانه وضع الهدف الثانى نهاية محزنة للعرف الذى ساد المجتمع الايرانى الا وهو « عش ودع غيرك يعيش » فان الهدف الاول يعد انعكاسا طبيعيا للوحدة الاجتماعية للعالم الايرانى التى ظلت قائمة دون مساس حتى بداية عهد اسماعيل الصفوى .

ففيما بين عامى (١٥٠٠-١٥٠٨م) امكن لاسماعيل ان يخضع كل القوى والامارات كبيرها وصغيرها ولم يجد من يزاحمه على سيادة منطقة امتدت من اقليم شيراوان فى جنوب القوقاز حتى اماره قوه مان عند الحد الجنوبى الغربى لصحراء داش لوط وبدأ اسماعيل على أنه الوريث الوحيد للدولة التيمورية التى انهارت وتفككت ومع ذلك لم تغر العثمانيين بالنار لأنفسهم من الضربة القاصمة التى وجهها لهم تيمورلنك ولا بأن يطمحوا فى الفراغ المترامى فى اسيا وكل ما عاد عليهم من انهيار الدولة التيمورية انها منحتهم فرصة للدعة والراحة .

وهكذا لم يجد شاه اسماعيل أية صعوبة فى اطلاق يديه تجاه الغرب اذا ما رغب فى أن يركز طاقته لتحقيق أهدافه فى اواسط آسيا لأن جيرانه العثمانيين لم تعد لهم أية مطامح اقليمية بينما لم يفكر الماليك فى أى شىء من هذا القبيل على الاطلاق ولحسن حظ اسماعيل أنه عاصر فى خلال تلك الفترة الحاسمة من حكمه السلطان العثمانى بايزيد الثانى الذى عرفت عنه ميوله السامية وذاعت عنه طبيعته المتصوفة وكانت شخصيته مختلفة تماما عن شخصية سلفه وخلفه وربما وجد اسماعيل العنيد فى خصمه المتسامح اللين العريكة ما شجعه على تخطيط الجمود الذى ران على السياسة العثمانية تجاه حدودها الشرقية فيعزى الى اسماعيل أنه ضده سواء عن قصد أم بغير قصد دعاية شيعية هدامة فى املاك السلطان العثمانى فى الأناضول وفى فصل الغزو من عام ١٥١١ م عندما كان اسماعيل فى بلاد ما وراء النهر ثارت

دعوة شيعية مفاجئة فى الأناضول وبسرعة تحركت حوادث العنف وبلغت الثورة ذروتها .

ومهما كانت درجة الاتهام الموجهة لاسماعيل فى اشعال تلك الثورة ومهما كان الأمر من حيث أنها قامت بعلمه وتدييره أم لا فان المؤكد أن ربيع عام ١٥١١ م شهد ثورة مسلحة قام بها تابعة الشاه قولى ضد الحكومة العثمانية فى أقليم الأناضول ، وأن تلك الحركة التى سرعان ما استحوالت الى ثورة شيعية عامة مثلت خطرا شديدا على الدولة التى لم يكن أمامها سوى أن تواجهها بحزم فأوفد السلطان العثمانى حملة عسكرية من قوات البنى شرية يقودها الصدر الأعظم بنفسه الا أنها هزمت وقتل قائدها فى المعركة قبل أن يتمكن العثمانيون من استعادة سيطرتهم على الموقف . واذا ما وضعنا فى الاعتبار أن نائب السلطان فى مانيزنا حين اندلعت الثورة كان فرقد ابن السلطان بايزيد واه كان على صلات طيبة مع الشاه قولى بينما ساد العداء والصراع على وراثة العرش بين ابناء السلطان الذى بات هربا وعاجزا على حسم المشاكل الخطيرة التى أصبحت تواجه الدولة العثمانية .

وليس مستبعدا انه اذا ما أمكن لشاه قولى أن يتلقى من الشاه اسماعيل مساعدة عسكرية على غرار مساعدته لباير التيمورى أن تنجح الثورة الشيعية فى الأناضول وربما لكان قد نتج عنها تولي سلطان جديد عرش الدولة العثمانية يدين بتولية العرش للشاه اسماعيل وتربطه به نفس الروابط السياسية والدينية التى اجبر تابعه بابر التيمورى على الارتباط بها ، ومثل هذه الحادثة لو تمت لربما غيرت مجرى التاريخ .

ولكن نظرا لأن اسماعيل كان مشغولا فى الطرف الآخر من العالم الايرانى فانه لم يكن باستطاعته أن يفعل شيئا لاتباعه الذين أشعلوا الثورة فى

الأناضول ولذلك فإن حركة الشاه قولى كانت ومضة سرعان ما خبا بريقها .  
ويبدو أن الشاه قولى نفسه قد قتل وأن كل ما استطاع قائد استادجى أوجلو  
أن يفعله هو أن يشق طريقه الى تبريز مع من تبقى من اتباعه .

وقبل أن يختفى ستادجى أوجلو من على مسرح الأحداث فى  
الأناضول ، ظهر الأمير سليم ابن السلطان بازيد الثانى . ووضح أنه الخصم  
اللدود للشاه اسماعيل الصفوى .

وكان الامير العثمانى سليم قد تدبر الأمر مليا فوجد أن سياسة الدولة  
العثمانية التقليدية التى درجت على المهادنة فى آسيا لم تعد تتلاءم مع ظهور  
خطر الصفويين وتهديدهم للحدود الآسيوية للامبراطورية العثمانية بخططهم  
القائمة على التمهيد للغزو المسلح بنشرهم دعاية دينية وسياسية معادية .  
ويبدو أن أباه قد أحس بما يدور فى ذهنه وأنه أدرك خطورة الاتجاهات الحرة  
التي يفكر فيها ، فأبعده الى اماره طربزنده حيث جعله أميراً عليها . وفى  
نفس العام الذى قام فيه شاه قولى بثورته المسلحة ضد الدولة العثمانية فى  
الأناضول ، رأى سليم ألا يدع زمام المبادرة يفلت من يديه وقرر أن يتخذ  
موقفا حاسما تجاه سلبية أبيه وتساهله ، فأبحر من طربزنده الى كاف وأخضع  
حامية البنى شرية هناك ، وأمكنه الحصول على قوات وموئن من خان  
القرم .

ومن ثم سار سليم الى القسطنطينية بجاء الساحل الغربى للبحر الاسود  
ووصل الى كورلى ولكن جيوش والده هزمته ففر ثانية الى القرم عن طريق  
البحر الا أن سليم لم يلبث أن عاد فى شتاء عام ١٥١١ - ١٥١٢ م  
لايرافقه جيشه .

وجراً سليم تفسرها تطورات الاحداث لأنه فى ذلك الوقت شعرت الدولة  
العثمانية بالخطر الذى يواجهها نتيجة للصدمة التى تلقتها من ثورة شاه قولى

والتي كشفت الستار عن خطر داهم وشيك الوقوع بسبب سياسة القزل باش القائمة على التهديد المسلح للأراضي العثمانية ويبدو أن ذلك التهديد أحدث رد فعل شديد في الأوساط الادارية والعسكرية المحيطة بسلطان الدولة العثمانية . ويبدو أنهم عندما تدبروا الأمر وجدوا أن سليم بطاقته الفذة وقسوته البالغة وعدائه الديني للقزل باش هو رجل الساعة الحقيقي .

وهكذا تحركت قوات البنى شرية في القسطنطينية لتضطر السلطان بايزيد الثانى - أن يتنازل عن العرش لابنه سليم الأول فى ربيع عام ١٥١٢م وعندئذ أضطر الشاه اسماعيل لأول مرة منذ اعتلائه العرش أن يصفى حروبه فى الشرق ليتجه الى حدوده الغربية بعد أن تأكد له اعتلاء غريمة عرش الدولة العثمانية .

وكان وقوع الحرب بين الدولتين الصفوية والعثمانية ، أمرا محتما ولا يمكن تلافيه . وذلك ما حدث بالفعل فى عام ١٥١٤م حيث أخذ شاه اسماعيل موقف الهجوم لعله يستفيد من المبادرة فى تحديد زمان ومكان المعركة . فأرسل ابن اخى سليم الملتجىء اليه على رأس حملة من الفرسان لغزو الأناضول وكان يرافقه فى تلك الحملة قائد شاه قولى الأسبق استادجى أوجلر .

ولكن أهداف تلك المناورة لم تكن ميسورة التحقيق لأنها كانت تعتمد فى نجاحها على قيام ثورة داخلية فى الأناضول على غرار ثورات شاه قولى السابقة فى الوقت الذى مازال ماثلا فيه للادهان فشلها حيث لم يمض على نجاح الدولة العثمانية فى قمعها سوى ثلاث سنوات . وليضاعف سليم من تأكده بأباد البقية الباقية من العناصر الشيعية القاطنة فى الأناضول بأن ذبح بعضها ونفى البعض الآخر الى الولايات العثمانية فى أوروبا . ولذلك لم تتمكن

قوات استادجى أوجلو من التقدم حيث تصدت لها القوات العثمانية عند سيواس وأجبرتها على التقهقر ، بينما واصل سليم زحفه على رأس قوات جيشه النظامية واضطر اسماعيل لأول مرة منذ اعتلائه العرش - أن يتخذ موقف الدفاع بعد أن دمر الاقاليم التى سيمر منها الجيش العثمانى واحتفظ بقواته الرئيسية للدفاع عن تبريز عاصمة الدولة الصفوية . وعندما التقى الجيش العثمانى عند جالديران بالجيش الصفوى فى ٢٢ أغسطس سنة ١٥١٤م كان النصر حليف العثمانيين بالرغم من أنهم كانوا منهوكة القوى لسيرهم الطويل فى منطقة خربتها - عن عمد - جيوش اسماعيل اثناء انسحابها الى تبريز وكان ذلك النصر بفضل استخدام سليم فرقا للمدفعية وحملة البنادق أمكنها أن تمحو فرسان القزل باش من طريق القوات العثمانية ، وفى اقل من أسبوعين بعد معركة جالديران واصل سليم الاول - تقدمه نحو العاصمة تبريز غازيا ومنتصرا .

وتتج عن هذه الهزيمة الساحقة للصفويين بأن أصبح العالم الايرانى كله تحت أقدام السلطان سليم ، فلو تابع سيره فلن يلقى أية مقاومة معادية بل على العكس سيقابل بالترحيب على طول الطرق من تبريز الى مرور نفس الطريق الذى سلكه اسماعيل من قبل ، ولو واصل تقدمه الى بلاد ما وراء النهر لاستقبله شعبها بالعناق وكأنه يعمور لنك جديد . لأن اجتماع المذهب السنى مع الثقافة الرفيعة والمقدرة الحربية فى شخصية السلطان سليم لا بد وأن تجعل من التفاهم حوله أمرا لا يتطرق اليه أدنى شك . ومع ذلك لم يكن من السهل على سليم أن يواصل زحفه شرقا لأن مطامح سليم الضخمة صدها رغبات قواته التى لا تقاوم . فقد أعلنت قوات الينى شرية عصيانها عن مواصلة الغزو فى الميدان الآسىرى .

ويرى « توينبى » أن السبب فى عصيان الجيش أنه كان أورويا قلبا وقالبا ،

فالجند البنى شريه الذين تشكل جلهم من الفلاحين الصرب والبوشناق كانوا أوروبيين وكانت مياههم الاقليمية الأدرياتيك والدانوب لا البوسفور أو بحر ايجه وكان من العسير عليهم أن يستوطنوا أرضا آسيوية ، ولذلك عندما اتجهوا بغزواتهم صوب الشرق وراء الحدود القديمة للمجتمع الأرثوذكسى المسيحى فى الأناضول كانوا غرباء تماما عن تلك البلاد .

وهكذا منح حنين البنى شرية لأوطانهم هدنة للقرزل باش - أمكنهم أن يحزموا أمرهم خلالهما ، فأعلنوا تصميمهم على أن العمل الذى من أجله كرس الشاه اسماعيل حياته لا يمكن أن يكون مصيره التوقف أو نزول نتائج .

وهذه النتائج التى ارتبطت بدورها بمصير العالم الايرانى لم تكن تهم فى قليل أو كثير قوات - البنى شرية لأن واجبهم كما أحسوه الدفاع عن حدود العالم الارثوذكسى لا نصرة السنة ضد الشيعة ، وذلك على حد قول توينبى .

وهكذا انتهت الجولة الاولى فى حلبة الصراع بين الصفويين والعثمانيين ولأن القتال المرير قد انتهى بهذه الكيفية فانه يبدو أن النضال بين القوتين الكبيرتين اللتين سادتا العالم الايرانى قد ارتبط بمرحلة ثالية ، وهى غزو أراضى العالم العربى . وقد تبرز لنا النظرة الغير مراقبة أن - هناك تناقصا ظاهريا ناجما عن أنه فى نفس الوقت الذى أنقسم فيه المجتمع الايرانى على نفسه - وهو أنقسام أدى بوضوح الى انهالك قوى جسد المجتمع الايرانى والى امتصاص عصارة حياته - قام بمحاولة غزو متهورة لجيرانه المسلمين .

ولكن النظرة الفاحصة من اليسير عليها أن تكتشف حلا لذلك التناقض لأن نقل العداء نحو قوة ثالية أمر بعيد كل البعد عن كونه مجهودا طائشا ضائعا بل أنه فى حقيقته تصرف حتمى لمحاولة قلب ميزان القوى لصالح أحد

القوتين الايرانيتين الكبيرتين .

والحقيقة أن الصراع بين العثمانيين والصفويين لم تكن لنتهييه أية حملة هجومية أخرى تستهدف مباشرة أراضي أى من الطرفين . ففي نهاية ١٥١٤م ثبت - للقوتين بالمحاولة والخطأ - عجزهما عن احتلال أملاك الاخرى ، لا الصفويين للأناضول ولا العثمانيين لایران . وعلى هذا الاساس فانه لم يكن هناك سوى وسيلة واحدة ، ألا وهى أن تحاول إحدى القوتين الكبيرتين أن تقلب ميزان القوى لصالحها بالتوسع على حساب قوة ثالثة ضعيفة لدرجة لايسمح لها بالوقوف فى وجه أى من تلك القوتين الايرانيتين المتحاربتين . وكانتا أضعف دولتين تقعان على بعد متساو عن كل من القسطنطينية وتبريز ، وهما تشكلان دولة « ذى الغادر » وهى دولة حاجزة واقعة على مرتفعات الاناضول الجنوبية الشرقية ودولة المماليك فى سوريا ومصر التى كانت تصدر دول العالم العربى وقتئذ .

ونتيجة للنهاية المراوغة التى تمخضت عنها حرب عام ١٥١٤م بين العثمانيين والصفويين حيث لم تحقق الدولة العثمانية نصرا حاسما على الصفويين ، كما لا بد من قيام جولة أخرى بين القوتين المتصارعتين ارتبطت بسباق بينهما على الاقاليم العربية المجاورة .

وقد أدى التنافس بين الصفويين والعثمانيين الى أحد اختياريين ، فأما أن يمتد نفوذ الصفويين حتى يصل الى شواطئ البحر المتوسط ويحيط بالعثمانيين فيحصرهم فى شبه جزيرة الاناضول ، أو أن تمتد الدولة العثمانية حتى خط الفرات وتطوق الدولة الصفوية ، وفى إطار هذا التنافس شرع سليم فى تنفيذ اهداف لأنه كان يعلم تماما بأطماع اسماعيل فى الشام والتى اتضحت من احتواء قواته على فرقة اطلق عليها اسم ( شاملوا ) . ولذلك لم يكذب يحل عام ١٥١٥م حتى استولى سليم على امارة ذى الغادر ورو ملت



حدود الدولة العثمانية الى خط الفرات ، ثم شرع بعد ذلك فى اعداد خططه لغزو الشام ومصر ليعزل الخطر الشيعى ويفلق الباب نهائيا فى وجه الصفويين (١).

### النظام القضائى :

ينتمى القضاء الى هيئة كبار العلماء وقد نظرت الدولة العثمانية الى مرفق القضاء نظرة موضوعية ، ولم تسمح لغير المؤهلين علميا بتقلد مناصبه . ووضعت نظاما دقيقا لتعيين القضاء وترقياتهم وتنقلاتهم ومتابعة أعمالهم . وكانت ولاية القضاء تشمل جميع أنحاء الدولة فى القارات الثلاث : اسيا وأوروبا وأفريقية ، والأمر الجدير بالذكر أن الولاية القضائية ظلت تمتد الى الاقاليم التى ضعف فيها النفوذ العثمانى سياسيا أو عسكريا أو اداريا مثل بلاد القرم وشمالى فريقية . وعلى ذلك فالقضاء العثمانى كان أكثر نفاذا وبقاء واستقرار فى الولايات العثمانية من النفوذ العسكرى أو السياسى أو الادارى للدولة فى تلك الاقاليم وامثالها . وكان جميع القضاء مسلمين ، ويفصلون فى القضايا فى ضوء مذهب الامام ابى حنيفة وهو المذهب الرسمى للدولة . وقد اهتم السلاطين بتقرير هذا المذهب مذهبا رسميا فى الاقاليم الاسلامية التى فتحتها القوات العثمانية ، وكان هذا التغيير المذهبى هو أحد المتغيرات الرئيسية والقليلة التى ادخلتها الدولة فى اقاليم العالم الاسلامى التى فتحتها . وعلى سبيل المثال كان مذهب الامام الشافعى هو المذهب الرسمى فى مصر قبل الفتح العثمانى ، فلما تم الفتح استبدلت الدولة العثمانية المذهب الحنفى بالمذهب الشافعى . وكان لابد أن يكون « حنفيا » كبير القضاء الذى توفده

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك :

Toyubee Arnold : A Study of History Annex 1, Vol., 1. pp 347-400.

الحكومة العثمانية الى مصر ليشغل هذا المنصب القضائى الكبير .

وكان يطلق على شاغله أيضا قاضى القضاة . ولكن لم تكن الولاية القضائية لتلك الحاكم تمتد الى جميع الاشخاص فى الدولة ، اذ كانت فى الدولة هيئات معترف بها وكانت لها محاكمها الخاصة تنظر فى قضايا أفرادها مثل القولا ر ، وعم العبيد أعضاء الهيئة الحاكمة ، ومثل الاشراف الذين هم من سلالة أسرة النبى صلوات الله وسلامه عليه ، أما رعايا الدولة المسيحيون فيرأسهم رئيس « الملة » ، وله أن يستعين ببعض رجال الدين المسيحي . وكانت هناك قضايا خاصة بإدارة أرض معينة من أراضي الاوقاف فكانت تنظر أمام محاكم خاصة يرأسها عضو من الهيئة القضائية الاسلامية العادية ، وعلى العموم فان قضاة الهيئة الاسلامية كانوا ينظرون جميع القضايا التى تتعلق بالشرعية الاسلامية فى جميع انحاء الدولة سواء بين المسلمين بعضهم وبعض ، أو بين المسلمين والمسيحيين ، الا اذا كان المسلم ينتمى الى طائفة لها نظام قضائى يختص بها مثل القولا ر والاشراف <sup>(١)</sup> .

وكان يشمل اختصاص القضاة نسبة كبيرة من القضايا التى تمس موضوعات خارجة عن نطاق الشريعة الاسلامية .

وكان القضاة يندرجون تحت درجات أو فئات شتى : قاضى القضاة ورئيس القضاة وهيئات التدريس فى المعاهد والمدارس التى تعد العلماء والباحثين والمتخصصين فى الثقافة الاسلامية العليا واللغة التركية والادب

---

(١) راجع :

Alderson. A.D. Structure of the Ottoman Dynasty. Oxford, The Clarendon Press, 1959 pp 80 - 91

التركي وشتى التخصصات فى نواحي المعرفة ، وكان الاسم العام للقاضى بصرف النظر عن درجته هو القاضى ، وقد أنشأت الدولة على رأس النظام القضائى منصب قاضى القضاة أو رئيس القضاة ، وكان مقره العاصمة ، ويشرف على أعمال القضاة فى سائر أنحاء الدولة .. ويقوم بترشيح من يقع اختياره عليهم لشغل وظائف القضاة على اختلاف فئاتهم ويراقب أعمالهم .

وكان قاضى القضاة بجانب اختصاصاته القضائية يتمتع بنفوذ أدبى كبير لم يظفر به من قبل قاضى القضاة فى أى بلد اسلامى ، وكان رؤساء القضاة أعضاء فى الديوان الامبراطورى ويشتركون اشتراكا فعليا مع رئيسه الصدر الاعظم فى نظر القضايا التى تعرض على محكمة الديوان . ومن بين الامتيازات التى تقررت لرئيس القضاة فى الدولة أن يقام حفل رسمى لكل منهما عند تعيينه فى منصبه . وكان على الصدر الاعظم أن يخضر هذا الحفل من باب التقدير والتكريم وكان لا يجوز للصدر الاعظم أن ينيب أحدا فى حضور الحفل <sup>(١)</sup> .

وهناك فئة المفتشين وكان المفتشون من رجال القضاة ، وإن كان اسمهم لا ينم عن مهمتهم القضائية وكان عددهم قليلا ، ويختصون بالاشراف على الاوقاف السلطانية فينفقون من ايراداتها على المؤسسات الدينية والخيرية ، وكان بعضها تحت اشراف شيخ الاسلام ، والبعض الآخر تحت اشراف الصدر الأعظم .

---

(١) لعل من أفضل الدراسات العربية التى تعرضت للدولة العثمانية تفصيلا ونظامها القضائى .

دكتور عبد العزيز محمد الشناوى ، م . م . د . ص ٤٢١ - ٤٥٣ .

وكان القضاة يجمعون بعدة امتيازات فلكل منهم الحق فى ارتداء عباءة من فرو النمر فى الاحتفالات الرسمية من قبيل التكريم والتشريف . وكان هذا النوع من العباءات يرتديه الباشوات وحكام الولايات ومن اليهم من كبار موظفى الدولة . وكان من تقاليد الدولة العثمانية أن يقام حفل رسمى كبير - سواء فى عاصمة الدولة أو فى عواصم الولايات - لتقديم هذا الرداء للشخص أو للأفراد الذين ينعم به عليهم ، ويحضر هذا الحفل كبار موظفى الدولة المدنيين والعسكريين .

وهناك فئة النواب وكانت وظائف النواب تمثل أدنى درجات السلم الوظيفى القضائى وكانوا يشارون اختصاصاتهم القضائية فى المدن الصغيرة أو فى القرى الكبيرة ، وكان النائب يشتري منصبه ولا يتقاضى مرتبا من الحكومة ، ولكنه كان يحصل على إيرادات ضخمة من حصيلة الغرامات المالية التى كان يحكم بها على المخالفين والذين يرتكبون أعمال مخلة بالآداب العامة وأخيرا كانت هناك فئة المفتين وكان المفتون يشكلون قطاعا هاما للغاية فى الهيئة الإسلامية الى جانب القضاة . وكان المفتون يعيشون فى المدن الهامة ويقومون بمهام مناصبهم بجانب القضاة . ولكن كان مركزهم يأتى بعد مركز القضاة ، ويظلون فى مناصب الافتاء مدى الحياة .

وكانت مهمة المفتين اصدار الرأى القانونى فى المسائل التى يطلب منهم بحثها ، فيعكف الواحد منهم على دراستها فى ضوء مذهب الامام أبى حنيفة . ثم يسجل رأيه كتابة على ورقة معدة ومختومة من قبل ، وتشبه الاستمارة وكان الرأى الذى ينتهى اليه المفتى يسمى فتوى ، وكان عدد المفتين فى انحاء الامبراطورية يصل الى ما يقرب من المائتين ، غير أن مجالات العمل أمام المفتين كانت محدودة وبالتالى ضيقة ، فقلما لجأ اليهم القضاة أو رجال الحكم المحلى لاصدار فتاوى لهم ، ولذلك نعتهم

بعض الباحثين بأن نشاطهم الوظيفى كان يشوبه الخمول أو الركود ، ثم اتسعت أمامهم افاق العمل حين سمح للأفراد بالالتجاء الى المفتين لاصدار الرأى القانونى فى القضايا المطروحة أمام المحاكم . فكان المفتى يصدر رأيه كتابة ومسجلا على ورقة رسمية على غرار الفتاوى التى يصدرها للجهات الحكومية ويأخذ المواطن هذه الفتوى ويقدمها للمحكمة كمستند يدعم موقفه فى القضية . وكانت مثل هذه الفتوى تحسم القضية فى العادة لصالحه . ويلاحظ أنه لم يكن فى تلك العصور محامون محترفون يتولون المرافعة أمام المحاكم ، ولذلك كان المفتون عنصرًا ضروريا وهاما ونافعًا فى النظام القضائى<sup>(١)</sup> :

وعموما فقد أسدى المفتون للدولة أجل الخدمات ، فقدموا لهم بصفتهم حراس الشريعة قوة الاسلام ، وهى أعظم قوة روحية عملت فى هدوء ومثابرة واستمرار على تماسك الدولة ومجتمعاتهم الاسلامية دون أن تتعرض هذه القوة الروحية لهزات أو تغييرات ، بل مضت فى طريقها تطبع العثمانيين وحياتهم الخاصة والعامة بالطابع الاسلامى العميق .

وأخيرا كان هناك قضاة الجيش ولم تكن سلطتهم مقصورة على الشئون العسكرية ، بل تعدتها الى القانون المدنى برمته ، فكانوا هم الذين يعينون جميع الموظفين القضائيين والقضاة ونوابهم ، بل كانوا يؤلفون محكمة للاستئناف العليا التى لم يكن ليحد من صلاحيتها غير سلطة الصدر الاعظم القضائية والسلطان نفسه .

---

(١) راجع جورج كبرىك ، مرجع تاريخ الشرق الاوسط من ظهور الاسلام الى الوقت الحاضر ، ترجمة عمر الاسكندرى ، دار الطباعة الحديثة القاهرة ١٩٧٠ ص ١٤ -

وفى تقسيم النظام القضائى للدولة العثمانية ، وعلاقته بالحكم ، ينبغى أن تشير فى عجالة الى تسلسل هؤلاء القضاة فى مكائهم الاجتماعية فقضاة الجيش كان يتلوهم فى الترتيب العلماء الكبار وهم قضاة العاصمة وعواصم الولايات . ثم العلماء الصغار الذين كانوا يتولون منصب القضاة فى مدن الامبراطورية الثانوية . أما قضاة الدرجة الثانية فانقسموا الى طبقات ثلاث المفتشين والقضاة ثم نواب القضاة . وكان القاضى هو صاحب السلطة القضائية العليا فى منطقته ، فهو وحده الذى يقضى عند غياب المدعى العام فى القضايا المدنية والجنائية وفقا للمبادئ المستمدة من القرآن والسنة ، وقد ضاعف ذلك على سرعة اجراءات التقاضى ، الا أن هذه الميزة قابلها فساد فى ضماير معظم القضاة وترديهم فى مهاوى الرشوة وكان ذلك أمرا خطيرا لأن كلمتهم كانت قانونا ولا ينقصها الا أوامر صادرة من القسطنطينية حيث يقيم مفتى الديار ومكمن الخطورة من أن الانحراف قد يقع من الهيئة المنوط بها تحقيق العدل الا أن مما يهون من هذه الخطورة التزام القضاة بأحكام الشريعة الاسلامية وان خرج عنها قائما يحاول أن يلتمس لحكمة مخرجا أو تفسيراً وهذا فى حد ذاته أمر يدعو للارتياح اذا ما وضعنا فى الاعتبار طبيعة القيم التى كانت تحكم المجتمع الاقطاعى للدولة العثمانية<sup>(١)</sup>.

يتضح اذن أن الهيئات العليا الحاكمة فى الدولة العثمانية فى مطلع القرن السادس عشر تألفت من السلطان وجهازه التنفيذى يعاونه هيئة كبار العلماء وعلى رؤسها مفتى الديار وان كانت تلك الهيئة قد استمدت سلطاتها ممن يدهم جوهر السيادة فى الدولة أى من الهيئات القادرة على تحريك الجيش

---

(١) دكتور عبد العزيز محمد الشاوى ، م . م . ذى ص ٤٣٠ - ٤٥٠

العثماني وتوجيهه<sup>(١)</sup> .

ومن كل ماسبق يتضح أن الدولة العثمانية في مطلع القرن السادس عشر تمكنت من تكوين امبراطورية آسيوية أوربية بعد أن اتمت سيطرتها على الرناضول والبلقان . ونتج عن ذلك تدعيم لمواردها الاقتصادية وقوتها البشرية والعسكرية وفي نفس الوقت كان شعب الدولة العثمانية في الأناضول قد قطع شوطا كبيرا في تجانسه وبدأت السمة التركية تبرز الى حيز الوجود . وصاحب ذلك أيضا تطور في أجهزة الدولة التنفيذية والادارية لمواجهة المشاكل الجديدة التي نجمت عن نمو الدولة نحو الامبراطورية - الواقع أن بداية القرن السادس عشر تمثل طورا جديدا في حياة الدولة العثمانية لأنها في ذلك الوقت في توسعاتها الى مدى يمكن النظر اليه على اعتبار انه نهاية مرحلة أو بداية مد امبراطوري جديد . لكن ذلك قد تعرض لانتكاسات خطيرة بعد ذلك بحوالى ثلاثة قرون وأخذت معاول الهدم تضرب بشدة في الجسد السياسي العثماني .

---

(١) فيليب خورى حتى ، تاريخ العرب ، الطبعة الثالثة ، مطبعة دار العالم العربي ، القاهرة ١٩٥٣





## الفصل الثاني

### السلطانين العثمانيون والمدة الاسلامي

- من انحسار المغول الى بزوغ نجم العثمانيين .
- التوسع العثماني حتى عصر السلطان محمد الفاتح .
- السلطان محمد الفاتح وفتح القسطنطينية .
- العثمانيون والعزقات السياسية الاسلامية .
- تأثير التوسع العثماني ( محليا - اقليميا - دوليا ) .



## الفصل الثانى

### السلاطين العثمانيون والمد الاسلامى

من انحسار المغول الى بزوع نجم العثمانيين :

سبقت الاشارة الى ادراك العثمانيين لجسامة الخطر الذى كان يتهددهم من آسيا فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى وهو خطر التتار ، وذلك بالرغم من أن العثمانيين والتتار يمودون الى نفس الاصل - أى العرق Race - وقد اختلفت وجهات نظر الباحثين فى الانثروبولوجيا والاجتماع حول الاجابة على التساؤلات الآتية : هل الاتراك فرع من التتار ؟ أم أن التتار والاتراك فرعين من المغول الاوائل ؟ وهل الاصل أو العرق الواحد - أو حتى الاشتراك فى لغة واحدة يشكلان رابطا تقوم عليه الامة الواحدة ؟

الواقع أن العقيدة الاسلامية الغراء هى التى حجبت من العثمانيين والتتار ، غير أن التنافس الذى وصل الى درجة الصراع على السلطة وحكم الشعوب ، أو ما يسميه الباحثون فى علم السياسة « شهوة السلطة » ، والتى استأثرت باهتمام التتار والعثمانيين وخاصة فى أقاليم آسيا ، وفى القرن الرابع عشر الميلادى ، وعلى وجه الدقة فى عام ١٣٦٩م خلع تيمور أمير خراسان وما وراء النهر ، وضم بلاده الى دولته التى جعلت عاصمتها « سمرقند » ، ثم احتل السلطان العثمانى بايزيد سوريا ، وكان مدركا بضرورة حدوث معركة بينه وبين تيمور لنك ، وهو ما يفسر سبب تدعيم بايزيد لمركزه فى آسيا ، غير أنه عندما حاول التعرض لصاحب أرزنجان الارمنى ، فقد تذرع تيمور بما حدث واحتل سيواس واتجه لمقاتلة السلطان المملوكى فى مصر ولكن سمعه المقاومة المصرية الصلبة لمواجهة جيش المغول جعلته يحجم عن الهجوم .

تشابكت الاحداث فى كل من آسيا وأوروبا نظرا لأن التوسع العثمانى شمل أجزاء من القارتين فضلا عما احتوته جيوش العثمانيين والمغول من قوات غير مسلمة فجيوش النصارى التى كانت تحت قيادة بايزيد وامرته من القوات الاضافية لم تدخل حروب العثمانيين الا مكوهة حيث كانوا متعاطفين مع صليبي أوروبا والمغول وكان قد تم تحالف بين الفريقين قبل عهد ليس بيبعد ، كذلك فقد سعى الصليبيون قبل تقدمهم نحو العالم الاسلامى أن يكون هجومهم فى نفس الوقت مع هجوم التتار ، علما بأن التتار كانوا قد دخلوا فى الاسلام - كما سبقت الاشارة - غير أن الصليبيين استغلوا الخلاف المذهبى بين العثمانيين من أهل السنة ، وما كان عليه تيمور لنك من التشيع فحرضوه على غزو العثمانيين من المشرق ، ثم يقدمون هم - أى الصليبيون - من الغرب ، وهو ما حدث بالفعل ، وكان التتار الذين اعتنقوا الاسلام مؤخرا يجهلون أحكام الدين الاسلامى نتيجة اندفاعهم وراء الخلافات والتشيع .

ويلاحظ البعض قلة الحماس والاندفاع لدى العثمانيين الذين فرضت عليهم معركة مع أخوانهم فى الدين من المغول مما أضعف حماسهم ، وفى الوقت الذى كان تيمور لنك يجتاح بقواته أقاليم آسيا ، وتخسر أمامه الدويلات والشعوب ، فقد كان بايزيد العثمانى يتصدى له قادما من أوروبا ، فضلا عن تهوره بعد احتلال تيمور لنك لسيواس حيث أسر بايزيد ابن السلطان ارطغرل وقطع رأسه ، ولم يحسن اختيار أرض المعركة التى نسبت فى سهل انقره بين جيشين غير متكافئين ، فجيش تيمور لنك كان يقدر بحوالى مليون مقاتل فى حين كان جيش بايزيد حوالى خمسة وعشرين ومائة الف مقاتل ، وبالرغم من أن المعركة بدأت لصالح العثمانيين الا أنها انتهت لصالح تيمور لنك بالرغم من الجهود الجبارة التى بذلها بايزيد مما ادهش المؤرخين ، ولكنه وقع فى الاسر سنة ٨٠٥هـ / ١٤٠٣م وعامله تيمور

لنك بالحسى ، واستولى على ازنيق ، وبورصة وغيرها من حصون بايزيد  
واعاد كثيرا من الامارات الآسيوية الى اصحابها ، وبعد انهيار الدول السلجوقية  
قامت تسع امارات أخرى الى جانب امارة آل عثمان ، وبعد وفاة بايزيد  
استطاع ابنه محمد الاول الذى عرف باسم محمد جلبي أن يسيطر على  
الامور لمدة ثمانى سنوات كانت معظمها حروبا أخضع خلالها الامارات  
التي كانت تحت حكم تيمور لنك فى آسيا ، وتوفى السلطان محمد جلبي  
عام ٨٤٤هـ . ١٤٢١م وخلفه ابنه مراد الثانى الذى واجه تأمر الصليبيين  
فى أوروبا عليه وعقد صلحا معهم لكنهم ما لبثوا أن نقضوا عهودهم معه  
فخاض معهم معركة ضارية هزمهم على أثرها وقام بتبشير ملوك المسلمين  
فى آسيا بهذا النصر ، وبوفاته خلفه محمد الثانى الذى لقب بالفاتح حيث  
بايعه أهل الحل والعقد فى الدولة العثمانية سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م .

التوسع العثمانى حتى عصر السلطان محمد الفاتح :

يمكن ايضاح التوسع العثمانى الاسلامى حتى عصر السلطان محمد  
الفاتح - وخاصة فيما يتعلق بأقاليم آسيا - على النحو الاتى :

أولا :

واجه الأناضول التركى مع غيره من مناطق آسيا خلال القرن الثالث عشر  
الميلادى النتائج الساحقة للفتح المغولى - كما سبقت الاشارة ، فبعد فتح  
ايران اكنسح المغول - التتار - بلاد الرافدين والاناضول والذى انهارت فيه  
سلطة الدولة المركزية أمام الغزو المغولى مما جعل موجات جديدة من الاتراك  
تنزح نحو الشغور الى الغرب ، ونتج عن هذا دخول جميع مدن الأناضول  
الغربى فى حكم الاتراك المسلمين .

## ثانيا :

كان من بين امارات مجاهدى الثغور المسلمين اماره الامير عثمان الذى حكم فى الفترة ١٢٩٩-١٤٢٦م وكان سكانها يعرفون « عثمانلى » وقد استأثرت هذه الامارة باهتمام المؤرخين والباحثين لأنها كانت بمثابة منطقة جذب للمتطوعين وقدمت نموذجا رائعا للكفاح ضد البيزنطيين وكان الاستشهاد أسمى غايات هؤلاء المتطوعين المسلمين .

## ثالثا :

وقع فى سنة ١٣٥٤م حدثان هاما هما سقوط أنقره المدينة الاسلامية الاولى القديمة فى آسيا الصغرى والتي كانت فيما مضى جزءا من السلطنة السلجوقية وكانت لهذه المدينة شهرتها الذائعة فى مجالات ادارة شئون الحكم والتجارة والثقافة أما الحدث الثانى العام فى تاريخ الدولة العثمانية فهو استيلاء العثمانيين على مدينة غاليبولى وكان ذلك بمثابة نقمة من الله عليهم كمسلمين وسرعان ما أصبحت هذه المدينة قاعدة لسلسلة من عمليات فتح العثمانيين فى البلقان ، وبمجيء العاهل العثمانى الرابع بايزيد الاول (١٣٨٩-١٤٠٢م) كانت الأراضى العثمانية قد توسعت فى كل من أوروبا وآسيا وامتد الحكم العثمانى الى جميع الاناضول التركى والى بحر ايجيه وشواطىء البحر المتوسط فى الجنوب والى سيواس وقيسارية والفرات الاعلى الى الشرق .

## رابعا :

أصبح بايزيد سيد آسيا الصغرى ، وفى نهاية عام ١٣٩٤م بعث الى الخليفة العباسى « الاسمى » نى القاهرة ملتصبا الحصول على لقب « سلطان الروم » ، واجيب الى طلبه وتجدر الاشارة ان حكام مصر الحقيقيين فى ذلك الوقت كانوا المماليك بعد مضى وقت من سقوط

الخلافة العباسية على أيدي المغول - كما سبقت الإشارة - وقد حافظ المماليك على سلسلة من الخلفاء الاسميين فى بلاطهم كأئمة فى الدين تحت الحكم الفعلى لهم - أى المماليك - وعلى أى حال فقد أصبح مايزيد حاكماً أعلى لامبراطورية اسلامية وريثاً لامجاد سلاطين السلاجقة .

#### خامساً :

حاصر بايزيد القسطنطينية ، لكنه اضطر لرفع حصاره عنها لمواجهة حركات التمرد والثورة ضده فى الأناضول حيث تيمور لذك سيد دول المغول بآسيا الوسطى وعدو بايزيد اللدود الذى تمكن فى سنوات قليلة من غزو ايران - ١٣٨٠م - واكتساح جميع مناطقها ، وهزيمة خان « القبيلة الذهبية - كما سبقت الإشارة تفصيلاً - ومهاجمة الهند ثم احتلال سوريا ، والقيام بأول هجوم شرقى آسيا الصغرى ، ولكنه تردد فى المضى فيه ضد حاكم مسلم قائم بالجهاد على الثغور الاسلامية ، غير أن بايزيد قد هزم فيما بعد فى يوليو ١٤٠٢م قرب انقره .

#### سادساً :

حلقت العديد من الحروب الاهلية والتمردات بعد موت بايزيد ، ثم الصراع على السلطة بين أبنائه وصولاً الى حكم السلطان محمد الاول الذى وطد حكم الدولة العثمانية ، ومن خلال فترة حكم ابنه مراد الثانى (١٤٢١-١٤٥١م) تمت تغييرات عظيمة ، اذ استوفت حركة توسيع حدود الامبراطورية وأحرز العثمانيون انتصارات باهرة فى أوروبا ، وفى سنة ١٤٢٢م حاصر مراد القسطنطينية ، ولكنه اضطر لرفع الحصار لمواجهة الصليبيين الجدد وعقد معهم صلحاً سرعان ما نقضوه - كما سبقت الإشارة - لكن روح مجاهدى الثغور المسلمين استمرت فى التصاعد وصولاً الى تحقيق عنصرين جوهريين فى تكوين الدولة العثمانية الفتية - الامبراطورية فيما

بعد - وهى التوفيق أو بالاحرى التكامل بين الجيش بروحه القتالية الجهادية والدولة بنظمها التى اقتبستها أصلا من الانماط السلجوقية القديمة مختلطة بأنماط الشرق المغولى الاسيوى .

- السلطان محمد الفاتح (١٤٢٩ - ١٤٨١ م) وفتح القسطنطينية :

ورث السلطان محمد المعروف بالفاتح امبراطورية كانت لانتزال منقسمة الى قسمين :

الاناضول الغربى العثمانى الذى كان قد أصبح كما يرى برنارد لويس (١) - بلادا اسلامية قديمة اندمجت فى حضارة الاسلام الناشئة فى آسيا ، « الروملى » - فيما وراء منطقة الثغور والتى كانت قد فتحت حديثا وتأثرت بأعراف مجاهدى الثغور وعاداتهم ومعتقداتهم ، وتطلب الوضع ضرورة ايجاد نوع من التوازن بين العاصمة القديمة والعاصمة الجديدة : بين بورصة مركز العلماء وأدرنة مركز مجاهدى الثغور، وفى ٢٩ مايو ١٤٥٣م قامت فرق الانمشارية بفتح القسطنطينية وهو ما يستدعى وقفة لتوضيح اهميتها الجيوتولتيكية وخاصة بالنسبة للمسلمين .

-تأتى اهمية القسطنطينية نتيجة لموقعها الجغرافى عند نقطة اتصال آسيا بأوروبا عن طريق مضيق البوسفور الذى يصل البحر المتوسط بالبحر الاسود ، وبواسطة بحر مرمره ، ولايزيد عرض ذلك المضيق فى اقرب نقطة بين البرين عن الف متر ، وهى «عقدة» المواصلات ، وطريق هام للملاحة ، ولتلك

---

(١) برنارد لويس ، ص ص ٤٧ - ٤٩



المدينة اهمية خاصة لدى المسلمين ، وتذكر المصادر<sup>(١)</sup> أن البشارة النبوية الشريفة وردت بفتحها في الحديث الصحيح ، لتفتحن القسطنطينية فلنعم الامير أميرها ولنهم الجيش ذلك الجيش ، وقد بذل المسلمون جهودا مضنية لفتحها بدءا بمقاومة ابن أبي سفيان عام ٥١ هـ - كما سبقت الاشارة - حيث أرسل ابنه يزيد على رأس جيش المسلمين وكان معه عدد من الصحابة أمثال أبي أيوب الانصارى وغيره والذي لا يزال ضريحه قرب أسوارها وكانت الدوافع الحقيقية لفتحها اسلامية ، وأساسها بشارة النبي صلى الله عليه وسلم وثنائه على الفاتح وجيشه واعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى والجهاد في سبيله ، وكان الفاتح هذه المرة متحمسا للاسلام وأعد عدته من السفن الجديدة في بحر مرمره (٢٥٠ - ٤٠٠ سفينة) وبدأ الزحف الاسلامي نحو القسطنطينية بقيادة محمد الفاتح ، وكانت الحالة النفسية لسكان القسطنطينية<sup>(٢)</sup> منهارة برغم محاولات الامبراطور البيزنطي جستنيان لرفع روح المقاومة بينهم ، وقد تمكن الاسطول الاسلامي بتطهير بحر مرمره واستمر الهجوم الهجري والبري باتجاه القرن الذهبي ، واستخدم الجنود المسلمون عنصر المفاجأة بحفر الانفاق تحت أسوار المدينة وبناء قلعة خشبية ضخمة جاوز ارتفاعها ارتفاع الاسوار ومن السمات الاسلامية اصدار الاوامر من السلطان محمد الفاتح لجنوده بالصيام قبل الهجوم لتطهير نفوسهم وتركيتها .

تعلت اصوات تكبير الجنود وصيحاتهم الاسلامية مدوية : لا اله الا الله محمد رسول الله ، وتلا الشيوخ آيات الجهاد ، وخاطب السلطان محمد الفاتح جنوده قائلا : « اذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث

---

(١) دكتور على حسن ، تاريخ الدولة العثمانية ص ٣١ .

(٢) دكتور على حسن ، ص ٣٩ نقلا عن دكتور سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، بدون مكان وتاريخ اصدار .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وأن الظفر العظيم الذي منحززه سيزيد الاسلام قدرا وشرفا ، ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم شريعتنا الفراء نصب عينيه ، فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافي هذه التعاليم ، وليتجنوا الكنائس والمعابد ولا يمسوها بأذى .. » .

تم فتح القسطنطينية ، و سقطت القطعة الاخيرة من الامبراطورية البيزنطية « - كما يصف ذلك برنارد لويس<sup>(١)</sup> ، ووضع السلطان محمد الفاتح ختمه على اتحاد القارتين ، آسيا وأوروبا ، وتمكن من توحيد وصهر مجاهدى الثفور فى الدين الاسلامى وصار امبراطورا ، وخاض بعد فتح القسطنطينية سلسلة من المعارف العسكرية المتتالية لتقوية امبراطوريته وأخضع الكثير من الامارات الاوروبية - وهو مالا يتعلق بمجال هذه الدراسة - وفى آسيا أخذ أماسرة Amasara من الجنوبيين ، وسنوب Sinope من أميرها المسلم ، وطراً بزون Trebizond من ملكها اليونانى ، لكنه رفض - أى محمد الفاتح - أن يتجه فى الشرق - مع تأثيراته البعيدة المدى - قد حدث فيما بعد كما سيرد تفصيلا فى موضع لاحق من الدراسة وتوفى محمد الفاتح وعمره واحد وخمسون عاما سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م .

تسلم بايزيد الثانى الحكم خلفا لوالده ، ورغم أنه كان يعيل الى السلم فى علاقاته الخارجية ، الا أنه اضطر لخوض غمار بعض الحروب الداخلية والخارجية ، ولم يحدث تطور فى عهده ( ١٤٨١ - ١٥١٢م ) ، وكان حكمه بوجه عام فترة توقف فى الفتوح لبناء وتطوير

---

(١) برنارد لويس ، ص ٤٩ .

عاصمة العثمانيين الجديدة ووضِع أسس للامبراطورية العثمانية الفتية .

ومن ناحية أخرى - وهذا هو الأهم - فإن ظهور منافسين أقوياء في إيران وتمركزهم في المنطقة الشمالية الغربية قرب الحدود العثمانية كان بمثابة حاجز كبير صعب النفاذ بين فكرين مختلفين تماما في التطبيق ، وأدى تشابك اعتناق المذاهب المختلفة الى مزيد من الترقب والخوف ، فقد كان هناك ملايين من المسلمين السنيين في إيران ، كما كان هناك على الأقل مئات الآلاف من الشيعة المختلفي العادات والأعراف في الأناضول ، وكان كل من السلطان العثماني والشاه الصفوي - كما سيتضح تفصيلا - ينظران الى بعضهما البعض في توجس وريبة ، فالسلطان بايزيد الثاني قام بنفى العناصر الشيعية من آسيا الصغرى في الأناضول سنة ١٥١١م ، فقد اضطر لمواجهة هذا الخطر بالتنازل عن الى المورة بعد أن شعر بخطرهم ، بل وحشد جيوشه على الحدود الإيرانية منذ عام ١٥٠٢م ، وإزاء الثورة الشيعية التي قامت ضد بايزيد في الأناضول فقد اضطر الى التنازل عن العرش لابنه سليم الأول . هناك سبب آخر أجبره على التنازل عن العرش وهو ضغط الانكشارية عليه وهي قمة التنظيم العسكري الذي كان يشكل اداة ضغط

كبرى على السلاطين أنفسهم فى هذه الفترة . كما سبق تفصيل ذلك

### - العثمانيون والعلاقات السياسية الاسلامية :

وفىما يتعلق بالتوسع العثمانى عمرما والذى اتخذ طابعا عسكريا قويا تجاه أقاليم آسيا فى هذه الفترة وما تلاها فقد سار هذا التوسع والذى انعكس فيما بعد على العلاقات السياسية الاسلامية على النحو التالى

#### أولا : جذور الصراع بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية :

قاد السلطان سليم الاول الجيش العثمانى فى حرب لامناص منها

---

(١) انشأ السلطان أورخان الجيش الانكشارى باختيار أفراد من أبناء البلاد الاوروبية المفتوحة وتلقىهم مبادئ الدين الاسلامى وروضعهم فى ثكنات عسكرية خاصة وتدريبهم تدريجا هاليا على القتال وفنون الحرب وقد أبلى هذا الجيش بلاءا حسنا فى الفتوحات العثمانية الاولى وبمرور الزمن بدأ الفساد يستشري فى هذا التنظيم الذى أثار الاضطرابات نجد أن الكثير من قادته قد تمكنوا من الولوج الى مراكز القيادة فى الدولة وقد حاول السلطان عثمان عام ١٠٢٧هـ ابادتهم باعداد جيش جديد من ولايات آسيا الصغرى وتدريبه ، لكن الجيش الانكشارى سرعان ما خلمه وقته وأعاد السلطان مصطفى الاول الى العرش سنة ١٠٣٢ هـ ثم خلموه هو الآخر ، واستمرت الحال على هذه الفوضى ، فهم الدين عينوا السلطان مراد الرابع وقتلوا السلطان ابراهيم الاول خنقا حينما حاول التخلص منهم ، وثار الانكشارية فى عهد السلطان سليمان الثانى وخلموا السلاطين مصطفى الثانى وأحمد الثالث ومصطفى الرابع غير ان السلطان محمود الثانى تمكن من التخلص منهم سنة ١٢٤١ هـ .

راجع فى تفصيل ذلك :

دكتور عبد العزيز محمد انشاورى ، مرجع سابق ، دكتور على حسن ، ص ص ٨٥ -

صد الشاه اسماعيل الصفوى فى ايران ، وكان الشاه اسماعيل الصفوى قد احتل العراق العربى وخراسان وديار بكر عام ٩١٤هـ / ١٥٠٨م ، وأرسل قواده لاحتلال بغداد عام ٩١٦هـ / ١٥١٠م ، ويرجع سبب الحقد الذى قام بين السلطان سليم الاول ، والشاه اسماعيل الصفوى ان الاخير ساعد الامير أحمد بن السلطان بايزيد الثانى وحررضه على أخيه السلطان سليم الاول ، وتفاوض مع المماليك أيضا ضده ، فأعلن سليم الاول الحرب عليه وسار بجيوشه من أدرنه باتجاه تبريز فى ٢٢ محرم سنة ٩٢٠م / ١٤ مارس ١٥١٤م ، وتفجرت امامه الجيوش الصفوية بقصد انهك القوات العثمانية ، وفى اقليم تبريز وقع القتال فى ٢ رجب ٩٢٠هـ / ٢٤ أغسطس ١٥١٤م وسميت المعركة بمعركة جالديران حيث نشبت فى وادى جالديران ، وانتصر العثمانيون ، دخل السلطان سليم تبريز ، ثم تحرك فى أثر الشاه حتى وصل ضفاف نهر الرس الذى ينبع من مرتفعات أرمينيا التركية جنوبى أرضروم ، ويتجه نحو الشرق مشكلا جانبا من الحدود الدولية بين الاتحاد السوفيتى شمالا وتركيا وايران جنوبا ، ثم يلتقى مع نهر كورا فى اذربيجان ويصب فى بحر قزوين .

غير أن فرق الانكشارية القوية امتنعت عن مواصلة التقدم لشدة البرد ونقص المؤن ، فرجع السلطان سليم الى ( أماسيا ) بآسيا الصغرى ، ثم عاود التقدم فى الربيع التالى الى بلاد العجم لانتماء محاربة الشاه ، ففتح بعض القلاع ، وامارة ذى القدر عام ٩٢١هـ / ١٥١٥م ثم عاد الى استانبول تاركا قواده لانتماء فتح الولايات الفارسية الشرقية وحينما وصل الى العاصمة أمر بتسريح عدد كبير من قادة الانكشارية الذين كانوا وراء الامتناع عن مواصلة التقدم فى بلاد العجم ، ثم فتحت جيوشه بعد عودته ماردين ، وأررفه ، والركة والموصل ففتح بذلك ديار بكر وأخضع قبائل الكرد . وهو ما يستدعى وقفة لتفسير علاقة تلك الاقاليم بالصفويين من ناحية ومعتقداتهم من ناحية

أخرى :

فقد كان الأقبونيون (١) قد حكموا بلاد ديار بكر ، واذريجان وإيران في الفترة من سنة ٦٠٨-٩١٤ هـ ، والأقبونيون عشيرة تركمانية كبيرة هاجرت من تركستان إلى اذربيجان ، ثم تقدمت باتجاه بلاد ديار بكر واستقرت بين أمد والموصل ، وكان بهلاء الدين قره عثمان هو المؤسس الأول لها وقد التزم جانب تيمور لنك حينما غز الممالك الإسلامية بتلك المنطقة فكافأه تيمور لنك بأن ولاه ديار بكر ، وكان أشهر حاكم من تلك الزمرة مرادين يعقوب حفيد أوزون حسن ، وقد تولى على العراق وفارس بعد مقتل ميرزا محمدى ( الحفيد الآخر الذى كان يحكم فى يزد - وهى مدينة إيرانية فى الشمال قرب الحدود التركية والروسية ، وأجرى مرادين يعقوب معاهدة مع آلون ابن يوسف حاكم اذربيجان ، وقد انقضت دولة الأقبونيين أمام الصفويين - وهم من إحدى الفروع التى حكمت إيران ويدعون انتسابهم للعرب ولآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أخذوا اسمهم من الشيخ صفى الدين الأربلى - وهو شيخ صالح فى تلك الأسرة ، أما الشاه اسماعيل فهو الابن الثالث لحيدر - الحاكم الأول ومؤسس الدولة الصفوية فى تبريز - والذى استولى على إيران برمتها وانهى حكم الأمراء الذين عينهم تيمور لنك وتحارب مع الأقبونيين ، وقد آلت تبريز - عاصمة الدولة الصفوية إلى الصفويين ثم امتد ملك الشاه اسماعيل من نهر جيحون حتى خليج البصرة ، ومن أفغانستان لنهر الفرات وتاخمت بذلك - كدولة شيعية - أراضي الدولة العثمانية - كدولة سنه - ، وكثيرا ما كانت تحدث المناوشات بين الدولتين

---

(١) اعتمدنا فى هذا الجزء من الدراسة على التحليل للقيم للدكتور على حسون ، مرجع سابق ص

المختلفتين في المذهب بسبب محاولات الصفويين نشر مذهبهم الشيعي وصولا الى الخلافات الشخصية بين السلطان سليم الاول والشاه اسماعيل الصفوي على نحو سبقت الاشارة اليه مما أدى الى المواجهة بين الدولتين في معركة جالديران .

### ثانيا : استقطاب العثمانيين للعرب :

على الرغم من هزيمة الصفويين أمام العثمانيين ، فان الدولة الصفوية لم تتعرض للضياع ، ومع ذلك - فقد تعاون الصفويون مع البرتغاليين الذين اعلنوا أن لهم أهدافا صليبية معادية للإسلام حيث كانوا يقاتلون المسلمين في الاندلس لخراجهم منها ، وتأسيسا على ذلك فان العثمانيين - الذين كانت دولتهم في أوج قوتها - قاتلوا أوروبا من جهة الشرق لتقليل الهجمات الأوروبية الصليبية على العالم الاسلامي وتخفيف الضغط عنه ، وكان على العثمانيين الاتجاه نحو البلاد العربية لمواجهة البرتغاليين الذين وصلوا بالفعل الى جنوب الجزيرة العربية بهدف هدم الاماكن المقدسة الاسلامية ، ومحاصرة المسلمين ، وتنصيرهم ، ومرة أخرى اشتدت الهجمات العثمانية لانقاذ المسلمين المهددين بالابادة .

قاتل العثمانيون الأوروبيين في كل جهة ، وكان العرب في حالة من الضعف والتفسخ تحت سيطرة المماليك الذين كانت علاقتهم تتسم بالود تجاه العثمانيين ، ورغم حدوث بعض المناوشات بين الطرفين ، فان العاطفة الاسلامية الجياشة هي التي فرضت نفسها في النهاية وخاصة وأن سمعة العثمانيين وفتوحاتهم الاسلامية قد ارتفعت ، وكان استيلاء البرتغاليين على عدن وعمان سنة ٩٢١ هـ حافزا قويا للتحرك العثماني نحو المنطقة العربية ، ورغم عدم سماح المماليك للعثمانيين بمنازلة البرتغاليين على الاراضي العربية ، فان العثمانيين لم يبدأوا بذلك خاصة وأن الشعوب العربية كانت

تتمنى حضورهم باعتبارهم حماة الاسلام ، بل أن عددا من الامراء - فى حكومة الماليك - قد اتصلوا بالسلطان سليم الاول ودعوه لقتال اعداء الاسلام . وقد ساعدت عمق الرابطة الاسلامية بين المسلمين الى الوقوف بجوار العثمانيين الذين تمكنوا من نقل الخلافة الاسلامية اليهم من آخر الخلفاء العباسيين فى مصر ، بالرغم من وجود قوى اسلامية اخرى على المسرح السياسى الدولى ممثلة فى دولة المغول فى الهند ، والدرن الصفوية فى ايران ثم الدولة السعدية فى المغرب العربى .

أما المشرق الغربى وخاصة فى الحجاز والجزيرة العربية فقد ألحقت بالدولة العثمانية طواعية بعد اخراج العثمانيين من الخليج فى حين حدث العكس فى ضم اليمن ، وتجدر الاشارة الى الدولة الطاهرية فى اليمن والتي قامت فى عدن وزيد والساحل فى الفترة ٨٥٥-٩٣٢ هـ ، وعند اعتداء البرتغاليين على المنطقة فقد ارسل السلطان قانصوه الغورى اسطولا بحريا لصد العدوان البرتغالى ، وعندما امتنع حاكم الدولة الطاهرية على امداد الاسطول بالمؤن ، فقد استولى الاسطول المملوكى على زيد واستقر الكثير من الجنود الجراكسة المرافقين للاسطول فى اليمن ، وحين بلغهم بنا استيلاء العثمانيين على مصر ، فقد أعلنوا ولائهم للسلطان سليم الاول ، غير أن الشكاوى كثرت ضدهم فأعدم قائد الاسطول المملوكى بأمر السلطان سليم ، وأعقب ذلك نزوح الكثير من الجنود الانكشاريين الذين رافقوا حملة السلطان سليم من مصر الى اليمن ، وأنشأوا هناك حكما خاصا بهم وتعايشوا مع الجراكسة غير أن الوفاق بين الانكشاريين والجراكسة لم يستمر ودخلت فجة من الائمة المحليين الى حلبة الصراع مما أدى بالزيديين المتمركزين بالمرتفعات الى تدعيم موقفهم ، ونتج عن هذا التشابك اعتقال حاكم بنى طاهر وقتله بأمر السلطان العثمانى سليمان القانونى وكان ذلك بداية لضم اليمن للحكم العثمانى .



### ثالثا ضم بغداد وتبريز :

سار السلطان سليمان الى تبريز بعد أن وصله خيانة أحد الحكام على حدود العجم ، وكان السلطان قد بعث الى هذا الاقليم أحد قواده وهو ابراهيم باشا ، وقبل وصول هذا الاخير الى قونية وصل اليه ابن حاكم اذربيجان الذى كان تابعا لملك العجم ، وانضم الى العثمانيين ومعه رأس الحاكم الخائن ، ثم قصد ابراهيم باشا تبريز سنة ٩٤١ هـ وبنى فيها قلعة وعين حامية عثمانية ، ثم دخل السلطان تبريز وقوبل بالترحاب من سكانها ، وخضع له أمير كيلان واسمه مظفر خان ومعه العديد من امراء الفرس الذين انقضوا من حول الشاه طهماسب ملك العجم ، ثم سار السلطان سليمان بجيوشه الى مدينة سلطانية التى تقع فى اذربيجان وهى على الحدود مع ايران ، وتقهقر الشاه .

دخل ابراهيم باشا بغداد عشية وصول السلطان سليمان اليها الذى دخلها ونظم ادراتها وزار قبور الائمة العظام وقبر سيدنا الحسين رضى اللع عنه فى كربلاء كما زار النجف ، وعين واليا على بغداد ، كما عين ولاية على الاقاليم المفتوحة حديثا ، وخلال عودته الى الاستانة سنة ٩٥٤ هـ تم فتح القسم التابع لبلاد العجم من بلاد الاكراد واخضع الشاه طهماسب ، غير ان بغداد عادت ثانية لأيدى الفرس فى عهد السلطان أحمد اذ انتهز الشاه عباس الصفوى فرصة انشغال الدولة العثمانية فى قمع الفتنة فى النمسا<sup>(١)</sup> ، فاحتل تبريز ، وحدثت مراسلات بين العثمانيين والصفويين ، وتم الاتفاق سنة ١٠٢١ هـ على أن يترك العثمانيون لمملكة فارس جميع الاقاليم والبدان

---

(١) حيث كانت الامبراطورية العثمانية على قناعة بأن اخضاع الصليبيين لهم من التوغل فى بلاد

والقلاع والحصون التي استولوا عليها في عهد السلطان سليمان بما فيها بغداد التي عادت لتدخل ثانية ضمن املاك العثمانيين في عهد السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٨ هـ ، ولم تعد لحكم الصفويين بعد ذلك ، وتذكر المصادر<sup>(١)</sup> ان بريطانيا كانت تشجع الشاه عباس الصفوي للهجوم على الدولة العثمانية التي انشغلت في أوروبا بفتوحاتها ، وكان مغزى هذا التمريض تخفيف وطأة العثمانيين على الأوروبيين ، وضرب المسلمين بعضهم ببعض .

وهكذا ألحقت تبريز وبغداد في جسد الدولة العثمانية بعد ضم اليمن والحجاز والجزيرة العربية بالإضافة الى طرابلس الغرب والجزائر وتونس - وهو مالا يتعلق بمجال هذه الدراسة - كذلك ضمت الدولة العثمانية دولة المماليك في عهد السلطان سليم الاول ، وبرغم ان دولة المماليك كان مقرها وكان السلطان هو قانصوه الغوري الا أن بلاد الشام كانت المدخل الى ضم مصر ، ومن ناحية اخرى فان التحالف بين الشاه اسماعيل وقانصوه الغوري هو الذي عجل بضم العثمانيين لمصر ، فبعد أن فرغ السلطان سليم الاول من محاربة الصفويين في شمالي وغربي ايران - كما سبقت الاشارة - قام بضم ديار بكر الى الدولة ، ثم بدأ يستعد لضم دولة المماليك ، وحينما علم السلطان قانصوه الغوري الحليف القوي للشاه اسماعيل الذي كان معاديا للدولة العثمانية ، فقد قام بارسال مبعوق من قبله - أي قنصوه الغوري - للتوسط بين السلطان سليم وبين الشاه ، غير أن السلطان رفض استقبال

---

(١) دكتور على حسن ، ص ٦٥ ، وراجع أيضا دكتور محمد نصر مهنا ( وآخرون ) الخليج العربي ، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٨٨ .

مبعوث المماليك وطرده من بلاده ، ثم جهز جيشا سار به الى بلاد الشام ثم مصر وتقابل مع جيش المماليك بقيادة قانصوه الغورى فى مرج دابق شمالي غربى حلب ، ونذكر المصادر أن الخلاف مالمث من وقع فى صفوف المماليك ، فأنفصل ثلاثة من قادتهم مع فرقههم الحربية ، وانضموا الى جيش السلطان وهم حاكم حلب ، وحاكم دمشق وحاكم لبنان الذى كان يرى التفوق العثماني حقيقة واقعة فرأى الانضمام الى العثمانيين على الرغم من عداته الشديد للاسلام ، وانتهت المعركة بمقتل الغورى ودخل السلطان سليم وجيشه سوريا ومدنها الكبرى الواحدة بعد الاخرى بدون مقاومة تذكر ، وعين ولاية جدد لها ، وأمر بترميم الجامع الاموى فى دمشق ، وفى مصر كان طومنباي قد انتخب سلطانا بعد وصول نبأ مقتل قانصوه الغورى ، وأرسل السلطان عارضا الصلح معه شريطة اعترافه بالسيادة العثمانية ، غير أن طومنباي رفض ذلك ، وتقابل الجيشان قرب بحيرة التي احتلها العثمانيون واتجهوا الى القاهرة سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٧م وقتل طومنباي ، وتنازل الخليفة العباس فى القاهرة - المتوكل على الله - عن الخلافة ، وصار السلطان سليم الاول خليفة للمسلمين وتتضارب (١) المصادر حول تفسير تنازل الخليفة العباسي الاسمي عن الخلافة ، ولكن واقعة التنازل على أى حال قد تمت .

ويذكر الجبرتي تعليقا على هذه الاحداث أن مصر قد عادت الى النيابة كما كانت فى صدر الاسلام ... وعفى السلطان سليم عمن بقى من الجراكسة وابنائهم ... ولما توفى تولى ابنه الغازي السلطان سليمان عليه

---

(١) دكتور على حسون ص ٥٨ وقارن محمد فريد وجدى ، تاريخ الدولة العلية العثمانية بدون مكان وتاريخ اصدار ، الجبرتي ، تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والاخبار

الرحمة والرضوان فأسس القواعد ، وأنم المقاصد ، ونظم الممالك ، واثار الحوالمك ، ورفع منار الدين وأحمد نيران الكافرين ... وكانوا أى العثمانيون - فى صدر دولتهم من خير من تقلد أمور الامة بعد الخلفاء المهديين ، وأشد من ذب عن الدين ، وأعظم من جاهد ضد المشركين ، فلذلك اتسعت بمالكهم بما فتحه الله على ايديهم وايدي نوابهم ... هذا مع عدم أغفالهم الامر وحفظ النواحي ، الشفور واقامة الشعائر الاسلامية والسنين المحمدية وتعظيم العلماء وأهل الدين وخدمة الحرمين الشريفين .

- تأثير التوسع العثمانى ( محليا - اقليميا - دوليا ) :

سواء تعلق الامر بالتوسع العثمانى فى عهد السلطان بايزيد الثانى أو السلطان سليم الاول أو فى عهد ابنه السلطان سليمان القانونى أو الفترة اللاحقة فان هذه الفترة شهدت أيضا مولد فكر اسلامب بمناابع مختلفة فى البيئة والعادات والتقاليد ، وقد أثر هذا الفكر ، بل وأثرى العلاقات السياسية الاسلامية والأوروبية على السواء من خلال الاعتبارات الرئيسية الآتية :

أولا :

سبقت الاشارة الى جذور الحواجز بين السنة التى جسدتها الدولة العثمانية ، والشيعية التى جسدتها الدولة الصفوية فى حين خفت هذه الحواجز بين العثمانيين والعالم المسيحى الغربى ، ومع ذلك فقد انقطعت تركيا منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى عن ايران وآسيا الوسطى ، وكما سبقت الاشارة الى العلاقات المتبادلة حيث أسهمت كل من ايران وسيا الوسطى فى تطور ونمو الدولة العثمانية ذاتها بشكل أو بآخر ، من خلال المناابع الدينية والفكرية رغم اختلاف جذورها .

أما الدولة العثمانية فقد سارت فى توجهات أخرى بعد فتحها للأراضى العربية ، اذا حطمت سلطنة المالك عملة سريعة فى الفترة

١٥١٦ - ١٥١٧ م ، وضمت أثر ذلك سور ومصر ، واكتسب العثمانيون نوعاً من السيادة على الجزيرة العربية شملت الحجاز ، والمدنيتين المقدستين مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وامتدت السيادة العثمانية من مصر الى شواطئ البحر الاحمر نحو الجنوب ، والى شواطئ الشمال الافريقى حتى مراكش نحو الغرب ، وفى اتجاه الشرق نجح العثمانيون فى انتزاع العراق من أيدي الصفويين ومد هذه الامبراطورية العثمانية الى شواطئ الخليج الفارسى - العربى فيما بعد .

### ثانياً :

أثرت بعض العوامل العربية والفارسية على الفاتحين العثمانيين ، وتفسير ذلك يكمن فى اللغة العربية التى هى لغة الدين الاسلامى فى حين كانت الفارسية هى لغة الآداب والعلوم ، واستمدت الحضارة العثمانية معالمها من منابع الشرق ، من منابع الثقافة التركية - الفارسية الجديدة التى كانت قد نمت فى عهد السلاجقة والمغول فى آسيا الصغرى ، وفى حين استقدم العثمانيون العديد من علماء الدين الاسلامى من البلاد العربية فان الثقافة العربية فى عصر المماليك لا يمكن مقارنتها بعصر العباسيين الاول الذى كان بمثابة العصر الذهبى للثقافة العربية ، ومع ذلك فان ضم الاراضى العربية للامبراطورية العثمانية قد فتح طريقاً للتأثيرات الجديدة من تلك الاراضى حيث التجار المصريون ، وعلماء الدين الاسلامى من الشام وجدوا طريقهم الى الدولة العثمانية الفتية والاسهام فى بناء حضارتها .

### ثالثا :

كان التوسع العثماني في أوروبا وامتداد رقعة الامبراطورية بالتالي الى شرقى البحر المتوسط والصراع المرير للسيطرة على أوروبا الوسطى ، كان لذلك تأثيره على الجنوب أى الوطن العربى حيث توغلت الجيوش العثمانية فى جنوب الجزيرة العربية والقرن الافريقى ، وأمتد هذا التأثير أيضا الى الشرق حيث استقرار الحكم العثماني فى بغداد وتبريز لبعض الوقت ، وتمثلت مظاهر هذا التأثير فى الثقافة الرفيعة والاقتصاد المتين والادارة الدقيقة ، وبلغت الحضارة العثمانية الى درجة كبيرة من التقدم فى عهد السلطان سليمان القانونى (١٥٢٠-١٥٦٦م) والذي يعرفه الاوروبيون بسليمان العظيم ، لبلوغه الذروة فى قوة العثمانيين ومجدهم وامتثاله لقواعد الدين الاسلامى ونشر أحكامه على قول الباحثين (١) الغربيين أنفسهم .

### رابعا :

ظلت الامبراطورية العثمانية بعد وفاة السلطان سليمان القانونى لأكثر من قرن ذات قوة لا يستهان بها ، والواقع أن السلطان العثماني فى فترة أوج قوة الدولة كان حاكما اسلاميا يستمد احكامه من الكتاب والسنة طبقا للشريعة الاسلامية ، حتى أنكار الجهاد الاسلامى قد بدأت بامارة مجاهدى الثغور وكان أميرها يسمى أمير « الغازين » وتعنى أمير المحاربين أو المقاتلين فى اللغة العربية والكلمة آتية أصلا من الغزو ، وغير ان اللغات التركية والفارسية

---

(١) وهو ما وصفه به السفير أوجير غيلير دى بوسبيك سفير أرشيدوق النمسا - فرديناند - فى بلاط السلطان سليمان وقد ألف كتابا عن الدولة العثمانية ونظمها العسكرية والسياسية باللغة

اللاتينية ، وطبع هذا الكتاب فى لندن سنة ١٦٢٣م ، راجع فى تفصيل ذلك :

Toynbee, Aronold : A Study of History Vol 1. pp. 175 - 178 .

والأردنية تعنى بها الجهاد أو القتال فى سبيل الله ، وهذا الاستعمال ناشئ من غزوات المسلمين الأولى فى عصر النبوة ، وقد سبقت الإشارة للقب « غازى » وهو اسمى الألقاب التى لقب بها الفاتحون المسلمون حيث السلطان محمود « الغزنوى » فاتح الهند فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وتذكره المصادر<sup>(١)</sup> الفارسية والأردية بالسلطان غازى محمود ، وكان السلاحين العثمانيون الأول يعتزون بهذا اللقب وأى المقاتلون فى الجهاد الإسلامى ضد الكفار ، فالسلطان هو « الغازى » - المجاهد - .

#### خامسا :

بدأت الدولة العثمانية تحتاز تحولات رئيسية فى كيانها وأهدافها بعد توسعاتها ، وكان السلطان « بايزيد » هو أول السلاطين العثمانيين الذين واجهوا تحديات الدولة الجديدة ، واتخذ لقب « سلطان الروم » باعتباره خلفا للسلاجقة ، غير أن فتوحاته فى الأناضول قد تلاشت فى سنوات قليلة ، ومع ذلك فقد عادت عملية التوسع العثمانى بأكثر مما كانت ، ويفسر أحد المؤرخين العثمانيين سبب ومغزى الاندفاع نحو التوسع العثمانى الى السلطان نفسه ، فهو الحاكم الأعلى ، وطاعته واجبة ، والمصالح التى يضمونها يشترك الجميع فيها ، يؤكد القرآن الكريم والتقاليد الإسلامية أن الامتثال والطاعة هى من حقه وواجب على المحكومين جميعا ، ويستطرد هذا المؤرخ<sup>(٢)</sup> فيناقش

---

(١) راجع برنارد لويس ، ص ٦٠ « حاشية » .

(٢) وهو المؤرخ طرسون يك الذى كتب عن تاريخ فتح القسطنطينية وقدمه الى ابن السلطان محمد الفاتح وخلفه بايزيد الثانى ، راجع - كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ونسير البعلبكي ، بيروت ١٩٦١ ، - سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، بيروت ١٩٦٩ ، - محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة ، ١٨٩٦ .

صفات السلطان العثماني وهي العدل ، والصبر ، والاعتدال ، والحكمة وأهمها على الإطلاق هي العدل ، لأن جميع الناس في حاجة الى العدل بما يعنيه من الحفاظ على النظام المتوازن للعالم .

والتأمل لآراء هذا المؤرخ - كما يقول برنارد لويس - يجد أن أصداء هذا الآراء مستمدة من الفقه الاسلامي ، لوكنه بجانبه التوفيق حينما يقول أنها - أى الآراء السابقة - مستمدة أيضا من الفلسفة اليونانية والفارسية التي تمثل سياستها النظريات السياسية المتداولة في الامبراطورية العثمانية ، بل وفي الدول الاسلامية منذ تحطيم الخلافة الاسلامية في بغداد مروراً بتأثيرات النظريات الغربية ، فجاءت الثقافة العثمانية مركبة ، أو مزيجا من هذه الفلسفات ، والواقع أن هذه الآراء تجدد من يعارضها من المؤرخين المسلمين والعرب المحدثين حيث وصفوا الدولة العثمانية في هذه الفترة وطابعها بأنها دولة اسلامية حقا ولكن الكثير من المستشرقين يقرون عليها بأنها مزيج من الفلسفات اليونانية والفارسية .

#### خامسا :

مرة أخرى يرى المستشرقون أن النظرية السياسية الاسلامية قد أخذت اشكالها الجديدة عندما تعمق المسلمون في النظريات السياسية اليونانية ، ونظريات ارسطو وافلاطون بصفة خاصة ، وتستطرد هذه الآراء قائلة أنه تم تعديل نظريات « الجمهورية » لأفلاطون وتكييفها لمعتقدات الاسلامية على يد الفيلسوف أبي نصر الفارابي المعروف في الفكر الاوربي الوسيط بالفارابيوس Al Phara bine والذي كان لكتاباتة أعظم الأثر لمن أتى بعده ، ففي الترجمة الاسلامية لكتاب الجمهورية التي أعدها أبو نصر الفارابي تصبح سلطة الحاكم العليا أكثر فردية واستبدادية ، وتصبح « الجمهورية » هي « المدينة الفاضلة » ، وتندمج الدولة في شخص الملك الفيلسوف وهي الرئيس



الدينى ويملك صلاحيات واسعة .

والواقع أن الباحثين والمؤرخين العرب<sup>(١)</sup> قد فندوا ارتباط أفكار مناصب  
« الجهورية » بالنظرية السياسية الإسلامية وأن هذا التبرير يجافى الحقيقة  
المستمدة من الفقه الإسلامى حيث لم يعتبر الحاكم قط - فى الفكر  
الإسلامى - هو مصدر التشريع .

#### سادسا :

كان تأثير الوزراء والحكام الفرس من العهود الماضية واضحا فى فكر الدولة  
العثمانية الفتية سواء تعلق الامر بفن ممارسة الحكم الفارسى وهو أقوى بكثير  
من فن الحكم وممارسته فى الفكر الاغريقى ، ومع ذلك فان ارتباط السلاطين  
العثمانيين فى هذه الفترة بالدين الإسلامى كان هو سبب قوة الامبراطورية  
العثمانية ويرى أحد المؤرخين أنه منذ عهود خلفاء الاسلام الاوائل ، لم تكن  
هناك أية سلالة من الحكام أكثر ولاء و إخلاصا للإسلام من السلاطين  
العثمانيين الذين أبدوا احتراما كبيرا لمبادئ الشريعة الإسلامية وعلمائها وهو  
مستمد من السلاجقة العظام كما سبقت الإشارة - وقد ازداد هذا التعلق  
بالاسلام فى هذه الفترة من حكم العثمانيين ، وتحولت المثل الإسلامية الى  
التطبيق الفعلى ، وخدم هذا كدليل مؤثر قوى فى ادارة الدولة من خلال

---

(١) قارن آراء برنارد لويس بآراء معرب كتابه : استبول ، وحضارة الخلافة الإسلامية ،  
مرجع سابق ص ص ٦٤ - ٦٥ وقارن أيضا دكتورة فتحية النبراوى ، دكتور  
محمد نصر منها تطور الفكر السياسى فى الاسلام دار المعارف ، القاهرة ( جزآن )  
١٩٨٤ .

مجموعة من فن<sup>(١)</sup> أى مهارة - الدولة وحكمها .

سابعنا :

ان الامبراطورية البيزنطية<sup>(٢)</sup> التى واجهها العثمانيون فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر لم تعد امبراطورية قسطنطين وجستيان أو حتى امبراطورية هرقل ، ومابقى من تراثها ازالة الانتصار العثمانى النهائى سنة ١٤٥٣م كما يىقت الاشارة ، وأصبحت بيزنطة جزءا من العالم الاسلامى والواقع أن الباحثين العرب قد فندوا دعاوى المستشرقين فى تأثير ثقافة اليونان ، أو الرومان ، أو البيزنطيين على الاسلام ، ويؤكد الدكتور سيد رضوان على أنه لم تكن لهذه الفلسفات أثر يذكر فى الاسلام السلفى ، وتعتبر هذه المؤثرات يرمتها على هامش الاسلام ، ولدى طبقة محدودة للغاية من المسلمين ، وجاءت الحركات الاصلاحية عبر العصور الاسلامية لتظهر الاسلام من هذه الشوائب. أما المؤرخون العثمانيون وقتئذ وأبرزهم طرسون بيك فانه يقتبس سنة ١٥٠٠م من كتاب جمهورية افلاطون من أنه سواء تعلق الامر بالمصادر اليونانية أو البيزنطية أو الفارسية فان تعايش اليونانيين والأتراك فى الأناضول فى

---

(١) هذه الآراء مستمدة من كوجويك Kochu Bey فى رسالته الى السلطان مراد الرابع فى سنة ١٦٣٠م نقلا عن مؤرخ الدولة العثمانى الالماني فان هامر الذى يعتبر « مرتسكيو الاتراك » وموتسكيو هو المفكر السياسى الذائع الصيت حينئذ آراءه السياسية فى نظرية الفصل بين السلطات كانت مقدمة للثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م فلما مراد الرابع فهو أشهر وأقوى سلاطين القرن السابع عشر وهو الذى ونجبه ضربة قاسية الى المفسدين من الانكشارية ، وأعاد هية القانون فى الدولة العثمانية كما أنه اعاد فتح بغداد واستردها بنفسه من الصفويين غير أنه موته المبكر سنة ١٦٤٠م قد أعاق الكثير من الاصلاحات .

(٢) برنارد لويس ، مرجع سابق ص ٦٦ - ١٧ راجع أيضا - الدكتور على حسون ص ص

الوقت الذى كانت الامبراطورية البيزنطية تحتفظ ببعض قوتها ، قد ترك بعض تأثيراته على الدولة السلجوقية ، فلما جاء الحكم الاسلامى بقيمة فان سلطنات المشرق كانت قد تم تشكيلها بنمط الحكم الاسلامى ، بل أن العثمانيين قد اشتقوا بعض تنظيماتهم وادارتها الحكومية وأسلوب ممارسة شئونها من « سلطان الروم » وليس من امبراطور روما القديمة أو الوسيطة ، وأهم جانب للقب « سلطان الروم » هو مدلوله عن السيادة الاقليمية المحدودة ، فكان السلاجقة فيما مضى هم سلاطين المسلمين وكان سلاجقة الروم ثم العثمانيون هم الذين أحيوا القابهم ، وكانت بلاد الروم هى الاناضول ، ونشر العثمانيون أنفسهم أن بلاد الروم فى الامبراطورية البيزنطية كانت تشمل الاقاليم فى كل من اسيا وأوروبا .

#### ثامنا :

أن حروب السلطان سليم الاول مع جيرانه المسلمين وضم الاراضى العربية فى اسيا الى الامبراطورية العثمانية قد قوت الاسلام أكثر وأكثر - أما لقب الحاكم العثمانى باسم سلطان الروم فهو مستمد من الكتابات العثمانية فى القرن الخامس عشر الميلادى كى يميزهم - أى السلاطين العثمانيين عن جيرانهم المسلمين سلاطين فارس ومصر ، ومعنى ذلك أن الامبراطورية العثمانية لم تكن مجرد امبراطورية الروم بل أنها شملت قلب بلاد الاسلام - والمدن المقدسة فى الجزيرة العربية ، وعواصم الخلفاء العظماء : المدينة المنورة ، ودمشق ، وبغداد ، والقاهرة وأصبح السلطان العثمانى بعد أن تخلص من منافسيه فى مصر وايران هو حاكم الدولة الاسلامية ، صحيح أنه ظل هناك حكام سنيون فى أماكن بعيدة مثل بلاد ما وراء النهر والهند لكنهم لم يكن لهم تأثير يذكر فى صنع السياسة للاحداث الكبرى فى العالم ، وكان السلطان سليم هو السلطان السنى الذى يحكم العالم الاسلامى .

## تاسعا :

لعل<sup>(١)</sup> فن ادارة الدولة العثمانية باعتبارها دولة اسلامية قد تعرض لكثير من التشويه من جانب المستشرقين أو جانب كبير منهم ممن لا ينتظر أن يكونوا منصفين تجاه الاسلام حيث يربط فريق من المستشرقين بنمط هذه الادارة ويستقون من أحداث التاريخ الاسلامي الوسيط آراء تبرر تقويمهم ، فقد كان خدم القصر من المماليك لدى السلاطين العثمانيين هو أحد مظاهر الدولة العثمانية وقد لخص أحد الكتاب الانجليز في القرن السابع عشر طبيعة النظام العثماني فيذكر كيف أن الشبان المسيحيين يؤخذون في الحرب أو يستقدمون من بلاد بعيدة ، يوتّم تدريبهم وتشقيفهم لتولى المناصب الكبرى في الامبراطورية العثمانية ، وتستطرد هذه الآراء فتقول أن الحاكم المستبد يحتاج الى طائفة من الناس ليست لهم جذور أو ولاءات خارج خدمته ، وأن ترفيعهم الى المناصب العليا يكون بناء على ارادة الحاكم وليس لشرف ولادة هؤلاء أو مرتبتهم وانما بارتباطهم به بروابط الولاء والمصالح . وقد وجد الحكام في مجتمعات مختلفة وسائل مختلفة لتجنيد مثل هؤلاء الطبقة .. في ايران القديمة والصين القديمة وأحيانا في روما وبيزنطة على شكل الخصيان من طبقة الاداريين ثم جنود جيش المماليك في مصر والشام ، حيث لم يكن المماليك معروفين في الامبراطوريات القديمة ، ولكن يبدو أنهم كانت لهم بعض أهمية في ايران ، غير أن نظام حكومة المماليك قد اكتسب أعلى درجات التطور في شكل دولة المماليك ، ويقال ان المؤرخين المسلمين قد أرجعوا سبب انشاء أول جيش للمماليك الى الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨-٢٣٢هـ) (٨٣٣-٨٤٢م) وهو ابن هارون الرشيد - كما

---

(١) نعى بكلمة فن هنا أى المهارة فى ادارة الدولة .

سبقت الإشارة - وقيل أنه أخذ في جمع الممالك الأتراك حينما كان أميراً، وبعد اعتلائه الخلافة كون منهم كتائب حراسة ، ثم اتبع خلفه هذه الطريقة .

وفي آسيا الصغرى ، عرف نظام الممالك في سلطته السلاجقة ، غير أن هذا النظام لم يعرفه مجاهدوا الثغور .

والمؤرخون الغربيون أنفسهم يؤكدون أن هذا النظام كان بدعة في الحكومة العثمانية ، وحسب رواية مدونة تاريخية تركية قديمة ، جاء عالم من قرمان يدعى قرة رستم وأشار الى جندرلى خليل ، قاضى العسكر آنذاك ، أن نصيب السلطان يضيع لأن الحاكم له خمس الغنائم ويشمل ذلك الأسرى الذين يأسرهم المجاهدون ، وأخبر القاضى السلطان مراد بذلك ، وكان هذا رأى بمثابة بدعة ومع ذلك فخان يؤخذ للسلطان واحد من كل خمسة أسرى ، « وجمع كثير من الشبان وأتى بهم الى السلطان ، فقال خليل : لنسلمهم الى التركمان كى يتعلموا اللغة التركية ثم نجعلهم جنودا » ، « وهكذا فعل ... كان هناك كثيرون منهم كل يوم ، وكلهم أصبحوا مسلمين .. وعلمهم التركمان لبضع سنوات ، ثم اتوا بهم الى الباب - أى مقر السلطان - وأعطوهم الطواقى البيض - وهو لباس جيش المشاء كما ذكره ابن بطوطه فى رحلته الى تركيا فى عهد أورخان - ثم دعوهم باسم ينى جرى Yeni Cheri أى الجند الجدد - وقد عرفت هذه الكلمة فى الرسم العربى الحديث « ينى تشرى » ، وأثبتت المصادر العربية <sup>(١)</sup> الحديث أن

---

(١) وهو مايراه الدكتور سيد رضوان على فى تعليقه على ترجمة كتاب استبول ، لبرنارد لويس وقارن .  
دكتور عبد العزيز محمد الشاوى الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، مرجع سابق ،  
دكتورة فتحية النبراوى ، دكتور محمد نصر مهنا ، قضايا العالم الاسلامى ومشكلاته  
السياس من الماضى والحاضر ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٨٤

« الانكشارية » مقتبسة من هذا الاسم ، وهكذا نشأ الجيش الشهير الذى عرفته أوروبا باسم الانكشارية Janissarie كما سبقت الاشارة .

وقد انصهر هؤلاء الجنود الجدد فى بوتقة الجيش العثمانى ، وطبق العثمانيون فى أواخر القرن الرابع عشر نظاما جديدا هو نظام « ديو شيرمه » أو ضريبة الغلمان والتى كانت تجبى من سكان القرى المسيحية للتجنيد فى الجيش العثمانى ، خدمات الدولة ، وأصبح نظاما عثمانيا مقبولا حتى القرن السابع عشر ، وخدم هذا النظام هدفا مزدوجا ، فمن ناحية ضمن تزويد الدولة بالعدد الكافى من المماليك لسد حاجات الجيش ، ومن ناحية أخرى فقد تطور هذا النظام فيما بعد لاختيار الاولاد للانضمام الى « ديو شيرمه » ثم يحولون الى الاسلام ، ويعلمون اللغة التركية ، وكان المختارون منهم يعيشون الى مدرسة القصر لتخريج رجال البلاط بعد تربية دقيقة لتولى أرفع مناصب الحكومة حتى منصب الوزارة ، وبهذه الطريقة الوحيدة جندت الفرق الانكشارية حتى القرن السادس عشر ، بل أن أى مسلم حرا لولادة لم يتمكن من التسرب الى هذا النظام خوفا من الصراع على السلطة ، وأدى هذا النظام فيما بعد الى عدم وجود طبقة وراثية من الحكام ، وقد وصف الرحالة الانجليزى انطونى جنكيز سنة ١٥٥٣ السلطان سليمان القانونى وهو سائر مع جيشه عبر سوريا فى طريقه لمحاربة ايران ودخوله حلب قائلا : « سار هناك أمام السيد العظيم - بقصد السلطان - ستة آلاف من الفرسان ثم سار عشرة آلاف رجل هم ممالك الترك ... وسار بعد هؤلاء أربعة قراد يدعون فى التركية بـ « سنجاف » وتحت راية كل واحد منهم اثنا عشر ألف رجل مسلحون جيذا ... وجاء بعدهم ستة عشر ألف انكشارية الذين يدعون بممالك السيد العظيم وهم مشاه ... » .

## عاشرا :

بدأ الضعف فى جسد الدولة العثمانية منذ نهاية عهد سليمان القانونى ثم الفساد السريع فى عهود خلفائه ويعزى ذلك فى جانب كبير منه الى انسحاب السلطان من الرقابة الفعلية على شئون الدولة فضلا عن تضائل نفوذ الوزير الاعظم الذى أصبح معرضا للطرد من منصبه وربما الاعدام بسبب عدم الكفاية الذاتية أو الخبرة الادارية ، وانفتح الباب للحريم ليتسلطن على شئون الدولة بالاضافة الى الخصيان والانتهازيين وفساد جيش الانكشارية . وكتب المؤرخ التركى المعروف لدى العرب بحاجى <sup>(١)</sup> خليفة صاحب كتاب « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » ، فحذرا ومتحدثا عن الاصلاحات الضرورية <sup>(٢)</sup> سنة ١٦٥٣ قائلا : « وحيث أنى شعرت أن توصياتى ستكون صعبة التطبيق فلم أكلف نفسى فى شأنها أكثر مما فعلت ، ولكن سلطانا فى زمن مستقبل سوف يتبها لها ويضع تلك التوصيات فى حيز العمل ... » .

---

(١) واسمه الاصلى مصطفى بن عبد الله ، وقد توفى سنة ١٠٥٨ هـ / ١٦٥٧ م

راجع ، برنارد لويس ، تعريب الدكتور محمد رضوان على مرجع سابق ص ١٦٩ .

(٢) ويحذر الإشارة أن كوجو بيك Kochu Bey وهو أحد كبار الموظفين فى الدولة العثمانية ومن أصل بلغارى ، قدم فى سنة ١٦٣٠ العديد من التوصيات الى السلطان مراد الرابع موضحا عوامل الضعف التى دبت فى الدولة العثمانية واقترحاته لاصلاحها وأهمها العودة الى اتباع ما جاء بكتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم .

وراح كتاب ورجال الدولة العثمانية في القرنين السابع عشر والثامن عشر  
لا يرون أى أمل فى انقاذ الدولة سوى بالرجوع الى العقيدة الاسلامية  
الصافية ، والعودة الى تقاليد آل عثمان وهو ما يستدعى التعرض فى تفصيل  
غير قليل لمرحلة ضعف الدولة العثمانية وانعكاس ذلك على العلاقات  
السياسية الاسلامية .



## الفصل الثالث

### ضعف الدولة والتحديث

- الفتن الداخلية وانعكاساتها .
- حركة العلاقات السياسية الاسلامية فى آسيا .
- بدء الغزو الفكرى الغربى للدولة العثمانية .
- تصاعد الاضطرابات وتنامى الحركات الاستقلالية .
- من السلطان محمد رشاد (١٣٢٨-١٣٣٧هـ) الى العصر الجمهورى .
- عوامل تدهور اوضاع دولة الخلافة الاسلامية ( محليا - اقليميا عالميا ) .
- حركة التحديث .
- مظاهر التحديث .



## الفصل الثالث

### ضعف الدولة والتحديث

#### الفن الداخلية وانعكاساتها :

نوسعت رقعة الدولة العثمانية الاسلامية شرقا وغربا فى عهد سلاطينها الفاتحين الاوائل نظرا للصبغة الدينية الاسلامية التى حرص عليها هؤلاء السلاطين الذين أحبهم شعبهم وتعلق بهم لمدة سبعة قرون كان النظام والاستقرار يسود الجيش خلالها . لكن الانحراف عن المنهج الاسلامى والذى ازداد حدة سرعان ما أدى الى انحطاط هذه الدولة . فكان التخلف العلمى الذى انعكست مظاهره فى عدم اهتمام العلماء بادخال الافكار الجديدة ، وهناك من الباحثين<sup>(١)</sup> من يرى ان العثمانيين قد شغلتهم الحروب وانشغلوا بالفتوحات الاسلامية ولم يلتفتوا الى العلم ووقفوا عاجزين أمام متطلبات الحضارة . فلم يقدموا الجوانب العلمية وأصولها مع جعل البلاد تدخل فى حالة من الخمود الفكرى والعلمى ، وفى الوقت الذى ساد فيه التخلف العلمى فى الدولة العثمانية كان الغرب يمر بمرحلة التفوق المادى

---

(١) ويربط الدكتور على حسون بين الدولة العثمانية وأحوالها فى هذه الفترة وبين دولتين معاصرتين لها هما الدولة التى أسسها بابر التيمورى فى الشرق (٨٨٨-٩٣٦هـ) وهو من سلالة جنكيز خان وكان معاصرا للسلطان سليم سنة ٩٢٣هـ ، وأسس هذه الدولة فى الهند حيث توالى على حكمها ملوك عظام أمثال أوزبك زيب غير أنهم لم يكونوا مهتمين قط بما يجرى فى أوروبا من تفوق مادى وحضارى أما الدولة الثانية المعاصرة للدولة العثمانية فى هذه الفترة فهى الدولة الصفوية فى إيران وأفغانستان والتى كانت متحضرة بعض الشيء الا أنها انشغلت بالمنازعات والحروب مع الدولة العثمانية كما سيأتى تفصيل ذلك فى موضع لاحق من الدراسة ، فضلا عن النزعة الشيعة الشديدة لهذه الدولة الصفوية .

واختراع الاسلحة الحديثة ووسائل الصناعة ويبدأ عصر التجار والثورة الصناعية والكهرباء .

وقد عكست الحضارة الاوربية تأثيراتها على البيئة العثمانية التي كانت ممهدة لاستقبالها ، وبدأ الصليبيون الجدد يشعلون الفتنة والثورات المسلحة ضد المسلمين ثم الحركات الانفصالية والتمردات التي كانت تقمع في الماضي ، أما في ظل هذه البيئة الممهدة فقد انعكست - على سبيل المثال - في حركة قره يزيجي في عهد السلطان محمد الثالث الذي أعلن عصيانه على الدولة وامتد هذا العصيان ليشمل أقاليم واسعة في البلقان وآسيا الصغرى وشمال سوريا والعراق وتمكن من الاستيلاء على بغداد .

وفي لبنان امتدت حركة العصيان والتمرد لتتعاطف مع الغرب روحيا وكان للعوامل الجيوبوليتيكية المتمثلة في الطيبة الجبلية وتجمع اعداد غفيرة من التجمعات الاثنية أن وجد الغرب موضع قدم لنفوذه ، مثال ذلك أن تولية فخر الدين الاول وهو من الاسرة المعنية جعل الاضطرابات والفتنة تزداد اشتعالا ، وحينما اعتلى السلطة فخر الدين الثاني حفيد فخر الدين الاول ، فقد وضع امامه هدفا أساسيا وهو شن حملة بمساعدة الصليبيين الجدد في ايطاليا ضد السلطان العثماني ، غير أنه فشل وعفى السلطان عنه فعاد التمرد مرات عديدة ، وفي العراق كثيرا ما كان ينضم الولاة الى شاهات ايران ضد الدولة العثمانية ، وقد تمكنت حركة القبائل في جنوبي العراق سنة ١٠٦١هـ تحت قيادة أسرة السياب من الاستيلاء على البصرة لعدة سنوات ، وحدثت اشتباكات متواصلة يؤيدها العجم بين الدولة العثمانية وقبائل المنتفق عام ١١٠٢هـ في وادي الفرات الاسفل والوسط بالاضافة الى العديد من الحركات الانفصالية الاخرى التي عجلت بانحطاط الدولة العثمانية ( حركة محمد علي في مصر - الدعوة الاصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب

فى الجزيرة العربية ) .

هناك أيضا الامتيازات التى منحتها الدولة العثمانية لفرنسا وبريطانيا لتشجيعها على الايجار فى الطريق التجارى للبحر المتوسط بعد أن تحولت الى رأس الرجاء الصالح ، وكان السلطان سليمان القانونى هو صاحب هذه الافكار التى استغلها الاوربيون بالمكائد والوسائل ضد السلاطين العثمانيين منذ هذه الفترة ، وأصبحت هذه الامتيازات وكأنها حقوق مكتسبة شملت الاعفاء من الضرائب والاستثناء من سلطة المحاكم الشرعية العثمانية، وأصبح لروسيا هى الاخرى حق بناء كنيسة باستنبول لحماية التابعين للمذهب الارثوذكسى ، وفى عهد السلطان عبد المجيد تقرر منح سكان لبنان حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة العثمانية وبذلك تشجعت اقلية اخرى للحصول على مزيد من الامتيازات التى أدت فى المستقبل الى اشعال الفتن والمؤامرات ضد سلطة الدولة العثمانية ذاتها .

ولم يخل عهد سلطان فى الدولة العثمانية من الهجوم الاوربى الذى اتخذ شكل الحروب الصليبية وهو مالا يتعلق بمجال هذه الدراسة ، ومع ذلك تمكنت الدولة من توسيع رقعتها بما يزيد على أربعة عشر مليونا من الكيلو مترات ، غير أن عدم احتفاظها بتماسكها لفقدانها رابطة العقيدة الاسلامية جعلت الفرقة تتسع بين شعوب وقوميات جمعتها رابطة العقيدة الاسلامية مثل الاكراد والشركس والشاشا والداغستان ، ثم جاءت الاحزاب والجمعيات السرية لتقوض دعائم هذه الدولة ومنها على سبيل المثال يهود الدونمة الذين لجأوا للبلاد هربا من الاضطهاد فى الاندلس واعلنوا ظاهريا اعتناقهم الاسلام لكنهم كانوا وراء حركات التمرد والثورات المسلحة وصولا الى قلب نظام الحكم فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى والابتعاد عن المنهج الاسلامى وكذلك ضرب الاتحاد والترقى الذى ورط الدولة فى حروب

ونزاعات مستمرة وتبنى الافكار التى اشاعت الفرقة بين أبناء الدولة المسلمين . وكانت عوامل ضعف الدولة على النحو السابق ايضاحه من خلال فترات حكم السلاطين العثمانيين فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجرى .

فالسultan سليم الثانى الذى ولد سنة ٩٣٠هـ وحكم فى الفترة ٩٧٤-٩٨٢ بدأ فى عهده تدهور أوضاع الدولة العثمانية حيث لم يكن مؤهلا للمحافظة على فتوحات والده السلطان سليمان القانونى ، وفى عهده تم اخضاع مدينة صنعاء عاصمة اليمن عام ٩٧٦هـ وقضى على التمرد هناك .

تبعه السلطان مراد الثالث الذى ولد سنة ٩٥٣هـ وشمل حكمه الفترة ٩٨٢-١٠٠٣هـ وكانت فاتحة أعماله أن منع شرب الخمر بين الانكشارية ، وأوعز لوزيريه محمد الصقللى - الذى كان أيضا وزيرا لايه وتمكن من اعادة هيبة سلطة الدولة وعارض الحرب ضد ايران فى عهد السلطان سليم الثانى لكنه غزا فى عهد مراد الثالث بلاد العجم ، وفتح اقليم الكرج - بلاد جورجيا السوفيتية فيما بعد - التى كانت تتبع العجم ، واحتل العاصمة « تفليس » ، غير أن الاعاجم تمكنوا من استرجاع أحد الاقاليم - شروان فى قفقاسيا ويشمل جزءا من بلاد واغستان - ثم حاصروا تفليس حيث قتل الوزير محمد الصقللى ، غير أن حاكم اقليم شروان فتح بلاد واغستان وانتصر على خانها ومار الى الكرج سنة ٩٩٢هـ فاخترق اقليم اذربيجان وقصد تبريز ، وتنازل العجم عن اقليم الكرج وشروان ولورستان - فير ايران - وقسم من اذربيجان ومدينة تبريز ، وكان تمرد الانكشارية فى عهده .

فلما تولى السلطان محمد الثالث ( ١٠٠٤ - ١٠١٢ هـ ) زمام الامور ، تعاقبت هزائم الدولة العثمانية فى عهده واشتدت الفتن حيث أعلن حاكم

بغداد عصيان هزم ولاية ديار بكر وحلب ودمشق سنة ١٠١٠هـ وتوفي محمد الثالث عن عمر يناهز سبعة وثلاثين عاما وخلفه ابنه السلطان أحمد الاول الذى حكم فى الفترة من ١٠١٢=١٠٢٦هـ ، وكانت السمة الرئيسية لهذه الفترة هى اضطراب الاحوال الداخلية التى تمثلت - فيما يتعلق بمجال هذه الدراسة فى تمرد عصيان فخر الدين المعنى الدرزى العقيدة فى لبنان ففى عام ٩٩٩هـ اعتلى فخر الدين الثانى وهو حفيد فخر الدين الاول السلطة وكان درزيا وصوليا بارعا فى حبك الدسائس ، وقد عين واليا على جبال لبنان والمناطق الساحلية وعلى قسم من سوريا وفلسطين ، وكان يهدف لشن حملة ضد السلطان العثمانى بمساعدة الغرب ففأرض الايطاليين والاسبان والبابا كى يستولوا على فلسطين وبلغ جيشه أربعين ألف مقاتل وأعلن العصيان سنة ١٠٢٢هـ ولكنه هزم وفشلت خطته ، وقد عفا عنه فيما بعد السلطان عثمان الثانى ، وقد شجع فخر الدين مولد حركة الثقافة المارونية الروحية الجديدة وأعلن التمرد ثانية مستغلا الحرب العثمانية - الفارسية ، لكنه فشل وتم أسره الى استنبول حيث شقق هناك .

أما الحرب العثمانية - الفارسية التى سبقت الاشارة اليها فترجع أسبابها الى انتهاز الشاه عباس فرصة الاضطرابات الداخلية فى أقاليم الدولة العثمانية وقيامه باسترجاع العراق العجمى وتبريز ، وعقد سنة ١٠٢١هـ صلحا تنازلت الدولة العثمانية بمقتضاه عن جميع الحصول والقلاع المفتوحة من عهد السلطان سليمان الاول بما فيها بغداد ، وكان ذلك بداية انحدار الدولة العثمانية حيث تركت فتوحاتها فى هذه المنطقة الحية من آسيا لأول مرة فى تاريخها .

لم تحدث تغييرات جوهرية فى عهد السلطان مصطفى الاول والسلطان عثمان الثانى ١٠٢٧-١٠٢١هـ سوى عزم الاخير على انقضاء على

الانكشارية من خلال تنظيم جيوش جديدة بدل منها في آسيا لتنفيذ خطته التي سرعان ما أفسدها الانكشارية فعزلوه ثم قتلوه وصولا الى تولية السلطان مراد الرابع ١٠٣٢-١٠٤٩ هـ حيث شهدت فترة حكمه تمردا في بغداد من خلال رئيس بكير أغا الذي اتصل بالشاه عباس وعرض عليه تسليم المدينة له ، وفي الوقت نفسه اتصل بالقائد العثماني وعرض عليه رد المدينة للعثمانيين من أيدي العجم مقابل تعيينه واليا عليها ، وقام العثمانيون باحتلال المدينة قبل وصول حملة الشاه عليها ، وحاصر الشاه بغداد ثلاثة أشهر قام خلالها ابن بكير أغا بخيانة العثمانيين طمعا في تعيينه حاكما على بغداد بواسطة الشاه الذي فطن لدسائسه فقتله مع أبيه .

وفي عهد السلطان مراد الرابع وشي أناس له ضد الصدر الاعظم ، واتهموه بالخيانة التي سبقت سقوط بغداد ، فأمر السلطان بقتله ولى مكانه خسرو باشا الذي سيعلو شأنه فيما بعد بانتصاره على العجم بعد وفاة الشاه عباس وتولى ابنه ميرزا وهو صغير السن فاستغل العثمانيون صغر سنه ووصلوا الى همدان ثم بغداد بقيادة خسرو باشا الذي أمر السلطان بقتله بعد ثورة الجنود ودخلهم قصر السلطان في استانبول سنة ١٠٤١ هـ .

سار السلطان مراد بجيش كبير الى بلاد الفرس فاسترجع تبريز ، ولما اشتدت قوة الفرس وتغلبوا في بعض المواقع سار اليهم السلطان ثانية وصل الى بغداد ودخلها سنة ١٠٤٨ هـ ، ثم عرض الشاه الصلح مقابل تركه بغداد وتم ذلم وترقى مراد الرابع سنة ١٠٤٩ لنجعله العديد من السلاطين بدءا بالسلطان ابراهيم الاول ومرورا بالسلطان محمد الرابع ، والسلطان سليمان الثاني ١٠٩٩ - ١١٠٢ هـ ، والسلطان أحمد الثاني ١١٠٦-١١٠٢ هـ ، والسلطان مصطفى الثاني ١١٠٦-١١١٥ هـ ، والسلطان أحمد الثالث ١١١٥-١١٤٣ هـ ، والسلطان محمود الاول



١١٤٣-١١٦٨هـ ، والسلطان عثمان الثالث ١١٦٨-١١٧١هـ ،  
والسلطان مصطفى الثالث ١١٧١-١١٨٧هـ ، والسلطان عبد الحميد  
الاول ١١٨٧-١٢٠٣هـ وانتهاء السلطان سليم الثالث الذى حكم فى  
الفترة ١٢٠٣-١٢٢٢هـ لينتهى عصر انحدار الدولة العثمانية حتى الربع  
الاول من القرن الثالث عشر الهجرى حيث سارت حركة العلاقات السياسية  
الاسلامية فى اسيا خلال حكمهم على النحو التالى :

أولا :

لم يحدث فى عهد السلطان أحمد الثانى ١١٠٢-١١٠٦هـ شيئا يذكر  
على صعيد تطور العلاقات السياسية الاسلامية فى آسيا سوى تشجيعه توطین  
القبائل فى الاناضول وسوريا فى شهدت فترة حكم السلطان أحمد الثالث  
١١١٥-١١٥٣هـ اضطرابات سياسية فى بلاد الفرس حيث انتهز الصدر  
الاعظم واماد ابراهيم باشا الفرصة واحتل ارمينيا وجورجيا ، وكان بطرس -  
قيصر روسيا - قد سبقه الى احتلال اقليم داغستان وسواحل بحر الخزر ثم  
جرى اتفاق بين الطرفين تم بمقتضاه احتفاظ كل منهما بالأراضى التى  
احتلها فى سنة ١١٣٦هـ . ومن ناحية أخرى قام الفرس بمواجهة هجوم  
العثمانيين عليهم والذين احتلوا عدة مدن منها همذان وتبريز ، وقد ساعد  
على ذلك الفوضى والصراع على السلطة فى ايران ، وعندما تولى طهماسب  
السلطة أغار على العثمانيين غير أن الانكشارية تمردوا على السلطان وعزلوه  
ونادوا بابن أخيه محمود الاول سلطانا وخليفة للمسلمين وقام السلطان  
الجديد ١١٤٣-١١٦٨هـ باستئناف الحرب مع الفرس وهزمهم فتركوا  
للدولة العثمانية ما كانوا قد استولوا عليه من بلاد عدا تبريز وأردهان وهمذان  
، ولكن نادر خان أكبر ولاية الفرس عارض ذلك وعزل الشاه طهماسب  
ونصب نفسه وصيا على العرش ثم انقض على العثمانيين وحاصر بغداد

ولكنه عجز عن المواجهة فعقد صلحا معهم ردت الدولة العثمانية بموجبه ما أخذته من بلاد الفرس .

### ثانيا :

شهدت فترة حكم السلطان محمود الثالث ١١٧١-١١٨٧هـ صراعا بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية حول جزيرة ساقر وآسيا وانتصر العثمانيون في البداية لكن الروس تمكنوا من احراق السفن العثمانية وصار الطريق مفتوحا امامهم لاحتلال استانبول بحرا ، واستمرت المناوشات بينهما والتي انتقلت مظاهر ممارستها الى مصر والشام حيث وجد الروس أحد حكام الماليك - على بك الكبير - في مصر والشام فحرضوه <sup>(١)</sup> على اعلان تمرده على الباب العالي سنة ١١٨٣هـ ، وسمى على بك الكبير نفسه سلطان مصر وخاقان البحرين وقطع علاقاته مع الباب العالي ، ووجد في حاكم صفد ضاهر العمر الذي توسع في املاكه - وجد فيه حليفا وقام الروس بالتخطيط له ، غير أن على بك الكبير استولى على دمشق وصيدا سنة ١١٨٥هـ وحاصر يافا ، وقام بمساعدة حليفه السابق ضاهر العمر ، غير أن الاجداث تغير مجراها حينما سحب على بك الكبير قائد جيشه « أبو الذهب » من دمشق ، فالتجأ الى ضاهر العمر في عكا ، وعندئذ أتى العثمانيون وحاصروا صيدا ، غير أن الروس تمكنوا من رفع الحصار عنها واستولوا على بيروت سنة ١١٨٦هـ .

---

(١) الدكتور على حسر مر مر ١١٢ - ١١٥

### ثالثا :

سبقت الإشارة الى الامتيازات التى حصل عليها الاوروبيون من الدولة العثمانية وأن هذه الامتيازات كانت من أهم عوامل ضعف هذه الدولة ، وفى عهد السلطان عبد الحميد الاول ١١٨٧-١٢٠٣ هـ أصبح للروس حرية الملاحة فى البحر المتوسط والبحر الاسود بمقتضى معاهدة مع الدولة العثمانية بالاضافة حماية النصارى التابعين للمذهب الارثوذكسى وهو ما كان بمثابة هزيمة للعثمانيين الذين حاولوا الالتفات الى الاصلاحات الداخلية وانشاء اسطول بحرى والاستعانة بأبى الذهب فى مواجهة ضاهر العمر - كما سبقت الإشارة - ثم محاصرته بحرا حتى هرب الى جبال صنفد ، وقتل أبو الذهب أثناء محاصرة العثمانيين لمكا وسقوطها فى ايديهم .

### رابعا :

نتيجة لضعف الدولة أكثر وأكثر فى زمن السلطان سليم الثالث ١٢٠٣ - ١٢٢٢ هـ ، فقد حاول وضع انظمة للجيش الحديث بهدف الاستغناء عن الانكشارية غير ان بعض الولاة قد تمردوا ضد سلطة الدولة المركزية فى استانبول ، وأرادوا الاستقلال بولاياتهم ، ومنهم المماليك برئاسة أمرائهم فى مصر والشام ، وكان تدخل الدول الاوروبية السافر بالحملة الفرنسية على مصر لتوطيد النفوذ الفرنسى وحينما علم العثمانيون بالاحتلال الفرنسى لمصر أخذوا يستعدون وعرضت عليهم انجلترا المساعدة ، وكذلك فعلت روسيا التى اعلنت الحرب رسميا على فرنسا سنة ١٢١٣ هـ وحشدت الجيوش فى دمشق ورووس ، وتحرك الروس من البحر الاسود الى استانبول وعبر مضيقى البوسفور والمردنيل الى البحر المتوسط ، وحينما شعر نابليون بتحرك العثمانيين عزم على احتلال بلاد الشام ، فاستولى على غزة ، ووصل الى الرملة ثم يافا ثم حاصر عكا بحرا ، ثم بلغه نبأ تحرك الجيش العثمانى فى دمشق فأرسل نائبه كليبر باتجاه الشمال لمنعه والتقى

الجيشان عند جبل طابور ، وفى ذلك الوقت وصل بونابرت لأرض المعركة بجيشه فكان النصر للفرنسيين وعقب ذلك أنزل العثمانيون والانجليز جيشا فى أبى قير سنة ١٢١٥هـ فانهزم الفرنسيون وانتهت حملتهم بالفشل ووقع بونابرت على مشروع معاهدة مع الدولة العثمانية تؤيد امتيازات فرنسا فى الشرق .

### خامسا

تشابكت العلاقات الفرنسية الروسية الانجليزية تجاه الدولة العثمانية ، وفيما يتعلق بمجال هذه الدراسة فقد كان محمد على ضمن الوحدة الالبانية التى أتت لمخاربة الفرنسيين فى مصر وشهد موقعه أبى قير ، ونجح محمد على فى تنفيذ مخططاته للاستئثار بحكم مصر والشام والجزيرة العربية ، وكانت الجيوش العثمانية تهدده ، غير أن محمد على استهوتته موارد الشام الطبيعية باعتبارها سوقا لمصر ، وتتسم هذه الفترة فى تاريخ العلاقات السياسية الاسلامية بدخول أطراف دولية أوروبية للانقضاض على العالم الاسلامى وصولا الى العقد الثالث من القرن الثالث عشر الهجرى .

### بدء الغزو الفكرى الغربى للدولة العثمانية :

من الثابت أن روح التحدى تجاه الغرب قد سادها الطابع الاسلامى الذى اتسمت به الدولة العثمانية فى القرن الثالث عشر الهجرى - وبالرغم من ضعف قوتها - تدافع عن رعاياها المسلمين فى اطار المحافظة على كيان الامة الاسلامية .. ومن ناحية أخرى فقد امتدت روح التحدى ضد الدولة العثمانية ذاتها من جانب ولاياتها فى الشام والجزيرة العربية - كما سبقت الاشارة - ففى أواسط بلاد العرب كانت روح المقاومة ضد السيطرة العثمانية قد تصاعدت فى شكل الدعوة الاصلاحية التى طالب مؤسسها الشيخ محمد بن

عبد الوهاب واتباعه بالرجوع الى العقيدة الاسلامية كما كانت فى أيامها الاولى وانكار كل ماتعلق بها من شوائب خلال العصور التالية من تقديس للأولياء وأشكال من التصرف الذى كانت ترعاه الدولة العثمانية وانصب السخط الوهابى على السلطان العثمانى وحكومته ورأى انصار الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن العثمانيين قد عقدوا أحقيتهم فى الخلافة الاسلامية ، ومن هنا مارس السلطان العثمانى صلاحياته من خلال واليه محمد على فى مصر .

اتسمت الدولة العثمانية بأنها دولة اسلامية ، وكانت تسمى الدولة العلية العثمانية ، وما كانت تذكر كلمة الترك فى ألقاب سلاطينها أبدا ، وعبر العثمانيون عن صلة الرابطة بكلمة « الملة » ، وكانوا يقولون : أن الدين هو الملة ، وكانوا يلقنون ذلك لأطفال رعاياهم ، وقد سبقت الاشارة أن جيوش العثمانيين خاضت المعارك تحت شعار أما غازى وأما شهيد ، وكان ينظر اليهم على أنهم خلفاء للمسلمين امتدادا للخلافة الرائدة فالاموية فالعباسية ، وكان العثمانيون أترাকা من حيث الجنسية ، ولكنهم لم ينتسبوا للتركية أبدا ، حتى اللغة نفسها ما كانت تنسب اليها - عرفت باللغة العثمانية ، واقتبس العثمانيون من اللغة العربية واللغة الفارسية ، وكانت الابجدية العثمانية عربية خالصة .

وكان ينظر الى العلماء نظرة احترام وتقدير حينما كانوا ينتسبون الى العربية بصفة خاصة باعتبارهم أقدر على استيعاب لغة القرآن الكريم وبقيت الدولة العثمانية بكل معنى الكلمة دون الالتفات الى اللغة والجنس ، بل أن العاطفة التى سادت كانت عاطفة اسلامية بشكل واضح . واخفت محاولات ضرب الدولة من الخلف باثارة دعاوى التعصب ضد النصارى وذلك رغم التركيز على تجزئة الدولة الذى قادته المجموعات الاتنية ، بل أن النصارى

أنفسهم كانوا وقود هذه المؤامرات ، وكان الادباء والكتاب يتكلمون عن الوطن العثماني والامة الاسلامية ومقاضر المسلمين دون التعصب للترك أو للعرب ، واذا ما عدنا الى الفترة الاولى فى انشاء الدولة وجدنا أن كبار العلماء العثمانيين كانوا فى الغالب ممن نزحوا من بلاد ذات حضارة اسلامية قديمة مثل فارس والبلاد العربية ، ولكنهم منذ القرن السادس عشر الميلادى كانوا فى الغالب من الاتراك العثمانيين ، وسواء تعلق الامر بالفئة الاولى أو الثانية فقد كان للعلماء والفقهاء فى الدولة العثمانية مكانة رفيعة ولهم صلات حب واحترام مع اصحاب الطرق الصوفية والسنية ، وهذه الطرق الصوفية نبعت أصلا من الاسلام الاول حيث تربى الزهاد الاوائل ، وفى عهد الدولة العباسية نشأ تيار الروحانية ضد تيار المادية الذى كان نتيجة للثروة والرخاء فى عهد العباسيين الاول ، واستمدت هذه الروحانية أصولها من القرآن الكريم وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته أبى بكر وعمر وعلى وأبى ذر الغفارى وعشرات بل مئات غيرهم بدءا بعصر النبوة والخلافة الراشدة ثم الدولة الاموية والدولة العباسية وصولا الى السلاجقة والعثمانية .

نظم هؤلاء الروحانيون أنفسهم فى منظمات الاخوة الدراوشة ، واتبع كل منهم نظاما صوفيا خاصا يدعى بالطريقة ، وممارستها حبة وصوفية ومنها طريقة البكتاشية والملوية وهما من أصل تركى أناضولى ، كما دخلت الدولة العثمانية الطريقة القادرية التى تأسست فى العراق فى القرن الثانى عشر الميلادى ، ثم الطريقة الرفاعية وهى من العراق أيضا ، كما دخلت تركيا فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى الطريقة النقشبندية قادمة من آسيا الوسطى حيث مؤسسها فى بخارى ثم الطريقة الخلوتية التى أسسها شيخ صوفى من شماخة فى القوقاز الشرقية فى القرن الخامس عشر الميلادى .

ولا يرتبط موضوع هذه الدراسة بشرح تفصيل هذه الطرق ، وإنما بتطور العلاقات السياسية الإسلامية بالنسبة للإمبراطورية العثمانية في هذه الفترة ، بدءا بقوة الدولة المستمدة من سلاطينها الأقوياء وانتهاءا بهؤلاء السلاطين الذين أصبحوا مع تطور الزمن منذ القرن السابع عشر والثامن عشر بصفة خاصة ، ضعفاء الفكر ، فاسدين ، فأختل التوازن بين العناصر والمجموعات الاثنية Ethnic Groups في الدولة حيث هذه العناصر المختلفة كانت أرضا خصبة لقوة هؤلاء السلاطين ثم ضعفهم بأختلال معايير أو مقاييس التوازن وحدثت في القرون التالية تغييرات كثيرة في تركيب الفئات المسيطرة وصلة بعضها ببعض ، والأهم من ذلك النظرة إلى السلطان ذاته .

تطورت الأمور شيئا فشيئا فبدأت تظهر دعاوى بطلان شرعية السلاطين العثمانيين كخلفاء للمسلمين ، وكان دور المستشرقين في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية وصارت الصلوات وتراتيل تتلى باللغة العربية ، وهذه الجهود كانت من جانب البروتستانت ثم الكاثوليك ، وظهر بين هذه المجموعات الاثنية Ethnic Groups من يقول بأنه لا أمل في إصلاح الدولة العثمانية وضمان الحرية والمساواة تحت مظلتها إلا إذا كان النصارى تحت حماية دولة أوروبية نظرا للأغلبية الساحقة الإسلامية في الدولة العثمانية ، وهكذا استفحلت التفرقات العنصرية ، وكانت بيروت أهم مركز لضرب الدولة خلال الحرب العالمية الأولى ، وكان تكوين الجمعيات في استانبول مثل الاتحاد والترقي وتركيا الفتاة التي استقطبت السلطان عبد الحميد الثانى وصارت الفرقة بين العرب والتürk ، ويذكر الدكتور على حسون<sup>(١)</sup> أن

---

(١) الدكتور على حسون ص ص ١٤٢ - ١٤٣ غير أن هذا الرأى يعتبر مبالغ فيه من وجهة نظرنا.

الارسلالات الامريكىة قد جندت « عميلين » لخدمة أهدافها وهما بطرس البستاني وناصيف اليازجى لنشر التوجه الغربى ، ثم أسس اليسوعيون فى سنة ١٢٦٦هـ الجمعية الشرقىة وفى سنة ١٢٧٣هـ تغير سمها لتكون الجمعية العلمىة العربىة بقصد أن يكون مؤسرها جمىعا من العرب وكانت الدعوة لتغىير اسم الدولة باسم تركيا ، ومن أهم مبادئها : فصل الدين عن الدولة .

#### - تصاعد الاضطرابات وتنامى الحركات الاستقلالىة :

تأسست جمعىة تركيا الفتاة فى باريس من المتشبعين الترك بالافكار الفرنسىة ، وكانت سرىة وثورىة ولها فروع فى برلين وسلانك واستانبول وأسست جريدة الانباء التى كانت تهرب سرا الى العاصمة ، وأصبحت دفة التوجيه فى الدولة العثمانىة فىما بعد فى باريس ، وبرى الدكتور على حسون (١) ان المحفل الماسونى فى سلانك رحب بتلك الجمعىة التى كانت تعقد فى غرف المحافل الماسونىة هناك .

سبقت الاشارة الى دور الدول الاوروىة فى الدفاع عن النصارى بالدولة العثمانىة والحصول على مزيد من الامتيازات فى فترة انحطاط الدولة ، وبالاضافة الى ماسبق ايضاحه عن بذور التوجهات الاوروىة الفكرىة فى الدولة العثمانىة ، فقد عكست هذه التوجهات تأثيرها أيضا على صعيد الساحة اللبنانىة ، فالحركات الاستقلالىة عن الدولة العثمانىة فى الشام قد

---

(١) المرجع نفسه ص ١٤٤ حيث يرى أن الماسونىة جمعىة سرىة عالمىة تضم اتباعا من مختلف الديانات ، واليهود هم المحركون لها



أدت الى المذابح والاضطرابات بعد جلاء قوات<sup>(١)</sup> محمد على بهدف  
اثارة المشكلات أمام الدولة صاحبة السيادة فى هذه الاقاليم ، فاجتلترا سلحت  
الدروز سنة ١٢٥٦هـ ودفنهم للتمرد ، فاقصحو القرى الدرزية على  
جنوبى لبنان ، وقامت الدولة العثمانية بتشديد قبضتها ، واستاءت الدول  
الاروروبية من الحكم العثماني المباشر على لبنان وأجرى استفتاء رغب الموازنة  
بمقتضاه بحكم مسيحي فى حين رغب الدروز بحكم الدولة العثمانية ، وما  
لبثت أن عادت الفتن والاضطرابات سنة ١٢٦٠هـ بسبب المناطق المختلطة  
بين الطائفتين ، وتدخلت فرنسا من خلال قنصلها الذى تعمد توسيع  
الحرب الاهلية فقام الموازنة بتقبل الدروز ورد الدروز بالمثل وكانت الغلبة  
للدروز ، والغريب أن الغزو الفكرى الغربى كان وراء القتال بينهما حيث  
دعمت إنجلترا الدروز ، فى حين دعمت فرنسا الموارنة ، ورأت إنجلترا أن  
الدروز هم الذين يمثلون الاسلام وامتدت آثار ذلك الى سوريا حيث وقعت  
الفتن بين المسلمين والمسيحيين نتيجة للصبغة الدينية التى التصقت بهذه  
الفتن ، ونشطت حركة التنصير متخذة من الامتيازات والتسهيلات ذريعة  
وسندا لفتح المزيد من المعاهد العلمية فى سوريا وفلسطين وكان أولها  
الارساليات الكاثوليكية للعاذاريين ، فى حين بعثت فرنسا والفاثيكان ارساليات  
كاثوليكية لبطريركية القدس اللاتينية ، وظهرت أول ارسالية امريكية سنة  
١٢٣٥هـ حيث افتتحت الكلية البروتستنتية السورية ، وفى سنة ١٢٦٥هـ

---

(١) لمزيد من التفصيل حول التدخل المصرى فى الشام والجزيرة العربية فى عهد محمد على  
راجع : دكتورة فتحية البراوى ، دكتور محمد نصر مهنا ، الخليج العربى ، دراسة فى تاريخ  
العلاقات الدولية والاقليمية ، مرجع سابق .

ارسلت روميا القيصريه ارسالية دينية للقدس ، ثم شجعت برطانيا خطط الصهيونية منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجرى والتي تسببت فى المستقبل فى كارثة للمنطقة العربية برمتها .

وعلى صعيد الدولة العثمانية لم تؤت أى إصلاحات ثمارها المرجوه سواء فى ادخال النظم الحديثة فى الادارة أو مبادئ المساواة تجاه الرعايا ، وازداد تدخل الدول الاوروبية فى شئون الدولة العثمانية ، وبانتهاء حرب القرم<sup>(١)</sup> اقرت الدولة العثمانية بينود اتفاقيتها المجحفة بها ، مع أن العثمانيين كانوا قد اجتازوا الحدود من جبهة القفقاس فى آسيا واحتلوا بعض المواقع .

وخلال تصاعد هذه الاضطرابات التى عاصرها السلطان عبد المجيد

---

(١) كان القساوسة الكاثوليك قد حصلوا بموجب الامتيازات الممنوحة لفرنسا عام ١١١٢ هـ فى الدولة العثمانية على حقوق خولتهم امتلاك الكنائس فيها ، وقام نابليون بالتدخل لدى الباب العالي لارضاء رأى العام الفرنسى للمحافظة على مركز فرنسا فى حين عارض الروس وتحسروا على مواقع الدولة العثمانية التى أعلنت انجلترا بنوايا الروس ، وانضمت فرنسا مع انجلترا ضد روسيا ، واستمر الروس فى تهديدهم للدولة العثمانية ، وعبر الروس نهر البروت الذى يفصل بين الدولتين واحتلوا الافلاق والعدنان ، غير أن العثمانيين انتصروا على الروس ، وبتدخل فرنسا وانجلترا تم منع روسيا من احتلال أى جزء من أراضى الدولة العثمانية ، ودخلت الجيوش المتحالفة داخل اراضى روسيا وبلاد القوم ، وضرب الانجليز والفرنسيون لمواقع الروسية فى البلطيق ، غير أن الروس هاجموا العثمانيين عام ١٢٧١ م / ١٨٥٥م وكان النصر حليف المسلمين العثمانيين ، ودخلت الحرب طورها السياسى فى اتفاقية لقرار الصلح بين الدول المتحالفة برطانيا وفرنسا والدولة العثمانية من جهة وروسيا من جهة أخرى .

والسلطان عبد العزيز فان أى منهما لم ينجح فى توطيد دعائم الدولة ونتج عن التدخل الاوروبى السافر عزل السلطان عبد العزيز سنة ١٢٩٣ هـ وصولا للسلطان مراد الخامس الذى تم خلعه أيضا ليحل محله السلطان عبد الحميد الثانى حيث واجهته مصاعب كبيرة لعل أهمها الحرب فى آسيا وهو ما يتعلق بمجال هذه الدراسة ثم علاقته باليهود حين رغبوا استيطان فلسطين .

### ( أ ) عبد الحميد والحرب فى آسيا :

قام الروس بمحاصرة مدينة ( قارص ) وحاولوا اسقاط ( اردهان ) و ( باطوم ) ، غير أن العثمانيين هزموهم واضطر الروس للتقهقر داخل بلادهم وتعقبتهم القوات العثمانية وحقت انتصارات عليهم فى ستة وقائع مشهورة ، غير أن الروس أعادوا هجومهم على العثمانيين مستغلين قلة امدادهم فاستشهد كثير من الجنود العثمانيين ، وانضم المصريون الى الروس مما أدى ال احتلال توازن القوى عسكريا ثم سياسيا من خلال مؤامرات الدول الاوروبية المسيحية على الدولة العثمانية ، وقد أوشكت روسيا على احتلال استانبول ، واضطر الباب العالى للسماح للانجليز بالمرور فى الدردنيل وتم توقيع معاهدة سان سيفانوس الشهيرة حيث قبلت الدولة العثمانية مبدأ احتلال الجيش الروسى للخط الدفاعى القريب من استانبول حتى لا يحتل الروس العاصمة العثمانية ذاتها ، وعلق انسحاب روسيا من أرمينيا على تعهد الباب العالى بتأمين الارض للمسيحيين ودفع تعويضات باهظة لروسيا ، وواقف قيصر روسيا على ترك الدولة العثمانية لاراضيها التى حررتها فى هذه الحرب ، كما فتحت المضائق فى السلم والحرب أمام روسيا .

غير أن الظروف قد تغيرت لصالح الدولة العثمانية فيما بعد من خلال تدهور الاوضاع الداخلية فى روسيا ، وطلب قيصر روسيا من المانيا التوسط مع انجلترا للتدخل ، غير أن انجلترا كانت تخشى من انتقال التغلغل الروسى الى

البحر المتوسط وخليج البصرة وبالتالي طريق الهند ، وأظهرت انجلترا التردد الى الدولة العثمانية واقتاعها بالتوقيع على معاهدة دفاعية مع الروس ، ووقعت معاهدة تم على اثرها انعقاد مؤتمر برلين برئاسة بسمارك ، وكانت هذه المعاهدة - فيما يتعلق بمجال هذه الدراسة - مجحفة هي الاخرى تجاه الدولة العثمانية حيث أرغمتها على منح اقاليم منها الى دول لم تشترك في الحرب أصلا فضلا عن أن الدول الأوروبية قد جعلت من نفسها وصية على أمور الدولة الداخلية بحجة حماية المسيحيين فيها .

### ( ب ) عبد الحميد وجهود اليهود لاستيطان فلسطين :

تجدر الاشارة الى أن المشكلة اليهودية في أوروبا في العصور الوسطى قد عكست تأثيراتها فيما بعد ، وخاصة في قصة السلطان عبد الحميد مع اليهود التي تعد من الاحداث التاريخية الهامة للدولة العثمانية التي وقفت منها موقفا حازما حتى في أوقات محنتها ، فقد كان اليهود قد تعرضوا للاضطهاد في الاندلس وروسيا ، وتشرد الكثير منهم هربا من محاكم التفتيش وما أعقبها من أحداث اضطهاد اليهود في أوروبا فتقربوا من السلطان عبد الحميد وسعوا للحصول على موافقته بالهجرة الى اقاليم الدولة العثمانية ، وبالفعل استقرت اعداد منهم في أزمير ، واستقطب أحدهم وهو سباتاي - الذي ادعى أنه المسيح المنتظر - الكثير من سكان أزمير من اليهود ووصلت شهرته الى اماكن اخرى ، غير أنه أعلن اسلامه من الناحية الظاهرية فقط ، وأخبر أتباعه باستمراره في مهمته ، بل أنهم تظاهروا أيضا باعتناق الاسلام ، وارتدوا ملابس علماء المسلمين وأطلق عليهم لقب « الدونمة »<sup>(١)</sup> وبعد وفاة سباتاي انقسم أتباعه الى فرق عديدة مثل اليعقوبيين الذين تظاهروا بالعادات

---

(١) كلمة الدونمة تعنى الرجوع ، واليها يتسب يهود الدونمة .

الاسلامية ، والقررة قاشيون الذين لم يجدوا ضرورة للتظاهر بالعادات الاسلامية  
ثم طائفة « أصحاب المصدة » وهم جماعة ابراهيم اغا الذين لم يطبقوا  
معتقدات سبتائى ومبادئه بصورة كاملة .

وتذكر المصادر<sup>(١)</sup> ان هذه الطائفة قد ساهمت فى هدم القيم الاسلامية  
فى المجتمع العثمانى ، وشجعت نشر الالحاد والماسونية ، بل انها قامت بدور  
بارز فى عزل السلطان عبد الحميد كخليفة للمسلمين ، وانتشروا فى اقاليم  
الدولة العثمانية وتجنسوا بجنسياتها المختلفة وكان عبد الحميد اكبر اعدائهم ،  
وحينما ضعفت الدولة العثمانية وتم عقد مؤتمر بازل بسويسرا سنة  
١٢٠٤هـ / ١٨٩٧م فقد تبعته الحركة الصهيونية بقيادة هررتزل بارساله  
برقية للسلطان عبد الحميد يؤكد له فيها ولاء اليهود باعتبارهم من رعاياه ،  
كما كتب هررتزل لمشول بريطانى قائلاً : « هناك طريقة لتصحيح المالية  
التركية وبالسالى المحافظة على التعاون الدولى لمدة اطول ولايجاد طريق الى  
الهند فى الوقت ذاته - وهو الطريق الاقصر بالنسبة لانيجلترا - اقصد ، انشاء  
دولة يهودية فى فلسطين لها استقلالها الذاتى ، وتحت سيادة السلطان ...  
وسيكون من مصلحة انجلترا بناء خط حديدى رأسا عبر فلسطين من البحر  
المتوسط الى الخليج ... » .

ومن الغريب ان روسيا القيصرية قد استجابت لهررتزل فى رسالته لوزير  
الداخلية الروسى قائلاً : « ان خلق دولة يهودية مستقلة تستوعب عدة ملايين  
من اليهود يوافقنا جدا ، ولكن هذا لايعنى اننا مستعدون للتخلى عن جميع  
اليهود عندنا ... مريد ان تبقى ذوى الذكاء المتفوق من امثالك ... وتتخلص  
من الفقراء ... » ، ولم ينجح هررتزل فى مساعية لدى السلطان عبد الحميد

---

(١) الدكتور على حنون ص ٢٨٨ .

حتى انه استعمل الرشوة لاغراء المسؤولين الاتراك باقتناعه ، وقابل بالفعل وزير الحرية وبعض السفراء الاتراك فى الدول الأوروبية ودار معهم الحوار حول مساحة الاراضى التى تقتطع من فلسطين ونظام الدولة اليهودية الجديدة وعلاقتها بالدولة العثمانية ، وقال هرتزل : « ... ترغب جماعتنا فى عرض قرض متدرج من عشرين مليون جنيه استرلىنى يقوم على الضريبة التى تدفعها جماعتنا ... ويتوقف النمو التدريجى فى الضريبة على هجرة اليهود التدريجية ... » ، ورفض السلطان عبد الحميد ذلك ..

وفى مناسبة أخرى تقدم هرتزل من السلطان عبد الحميد قائلاً : « مولانا صاحب الشركة جلالة الملك . لقد وكلنا عبيدكم اليهود بتقديم اسمى آيات التبجيل ... ويستعطفونكم للهجرة الى فلسطين المقدسة ، ولقاء أوامركم العالية الجليلة نرجو التفضل بقبول هدية خمسة ملايين ليرة ذهبية » غير أن السلطان عبد الحميد رفض ذلك تماماً قائلاً : « بلغوا هرتزل لا يذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة فى أمر دخول فلسطين والتوطن فيها ... فانى لست مستعداً لأن اتخلى عن شبر من هذه البلاد ... وليحفظ اليهود بملايينهم من الذهب » . وأصدر عبد الحميد أمراً بمنع هجرة اليهود الى فلسطين .

زادت كراهية اليهود للسلطان عبد الحميد وفكروا بتفجير « جسر غلطة » أثناء مروه عليه خلال شهر رمضان وهو فى طريقه لزيارة الآثار النبوية الشريفة<sup>(١)</sup> فى قصر « طوب قيو » من خلال الجمعية الماسونية السرية حيث جمعية الاتحاد والترقى وانصارها من اليهود قد استغلت تداعى الاحداث فادت الى خلع السلطان عبد الحميد الذى كان حريصاً على أرض فلسطين

---

(١) لاتزال هذه الآثار مخروطة فى المتحف الاسلامى فى استانبول « الباحث » .

والشام كلها حيث شملت اصلاحاته انشاء طريق حمص - طرابلس -  
وطريق دمشق - حوران ، وطريق يافا - القدس ، وطريق بيروت - دمشق ،  
وكانت معاملته للاقليات الاسلامية فى اقاليم الدولة نموذجاً يحتذى به ومنها  
الاكرد ، أما فيما يتعلق باليهود فقد كان عبد الحميد فطنا لمؤمراتهم  
وفسادهم ، وبالرغم من ارتكابه بعض الاخطاء الا أنه كان شديد التمسك  
بالاسلام ، غيراً عليه ، وغذى الدعوة الاسلامية فى آسيا ، وكانت اللغة  
العربية فى عهده هى لغة الدولة ، وبعد خلعه بعث برسالة الى عالم بارز من  
المثقفين هو الشيخ محمود أبو الشامات بشأن اليهود الذين استقروا جمعية  
الاتحاد والعرقى قائلا : « ... لقد عرضوا على مبلغا قيمته مائة وخمسون  
مليون ليرة انجليزية ذهبية لأبيعهم أرضا فى فلسطين يسكنها اليهود ، فلم  
أقبل ، وانى خدمت الملة الاسلامية مدة تفوق الثلاثين سنة ... فانتفقوا على  
خلمي ونفى ... » .

- من السلطان محمد رشاد (١٣٢٨-١٣٣٧هـ) الى العصر  
الجمهورى :

تسلم السلطان محمد رشاد الخلافة الاسلامية عقب اقضاء السلطان عبد  
الحميد أثر انقلاب تركيا الفتاة سنة ١٣٢٧هـ وبرى الدكتور على حسن  
أن دعاة القومية الطورانية بعد أن سيطروا على الحكم فان الدولة العثمانية التى  
كانت تحمل فكرة الجامعة الاسلامية يمكن أن تطلق عليها الدولة التركية  
نتيجة لفكرة القومية التى حملتها ، انطلاقاً من الأفكار الأوروبية حول الدولة  
القومية الحديثة التى نشأت هناك منذ القرن السابع عشر ، وعلى الرغم من  
الظلال السوداء التى القتها نتائج السياسة الخارجية لجماعة الاتحاد والترقى  
على الاحداث الداخلية ، فأنها عجزت عن اللحاق بدول الغرب وبقيت  
الحكومة المركزية فى العاصمة « استانبول » عاجزة على فرض سيطرتها على

الأقاليم البعيدة ، وأدت الأساليب الرديئة لممارسة السياسة الخارجية الى انخراط هذه الدولة التي كانت فيما مضى قد توسعت فى افريقيا وآسيا وأوروبا وفرضت ارادتها من خلال الاسلام على شعوب البلاد المفتوحة .

كان الاسلام هو تاريخ العثمانيين ، فلما جاءت ايواق ، الطورانية وتحالف شياطين اليهود ضد ابناء المسلمين ، فقد راجت الافكار الأوروبية الحديثة على حساب الفكر الاسلامى ، وتوالى الحركات والجمعيات التى اصطدمت بالرابطة الاسلامية ، وقد سبقت الاشارة الى تركيز جهود بعض المثقفين العرب فى مصر والشام فى فكرة القومية العربية وهم من المسيحيين ، ونشطت الافكار الأوروبية من خلال المثقفين المسيحيين - ومنهم نجيب عازورى (١) ، فى حين دعا مثقف مسلم هو الكواكبي الى انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية وأن التاريخ الاسلامى يخص المسلمين .

قال أحد (٢) قادة الشبيبة العثمانية : « وطن الاتراك ليس تركيا ولا تركستان ، بل هو قطر كبير لا يموت : طورات ، وبدأت هذه الفكرة كحركة لغوية أدبية ، وقدم مر استترك اللغة بثلاثة مراحل ، أولها من عهد التنظيمات حتى عام ١٣٢٧هـ وكان تطورها ضعيفا فى هذه المرحلة ، فى حين قوت فى المرحلة الثانية فى سنة ١٣٢٨هـ وحتى ظهور الجمهورية

---

(١) ونشر كتابه باسم يقطعة الأمة العربية .

(٢) وهو ضياء كوك ألب ، من أصل كردى ، ولد فى ديار بكر سنة ١٢٩٣هـ وعمل فى حقل التعليم لكنه تأثر بمدير معهد اليهودى وآخرين ملحدين وعمل بالسياسة وانتخب عضوا فى جمعية الاتحاد والترقى السرية وأصدر جريدتين بعد خلع السلطان عبد الحميد ثم عين استاذا للاجتماع فى جامعة استانبول وهرب أثر هزيمة تركيا ، وعاد بعد انتصار مصطفى كمال وانتخب نائبا عن ديار بكر سنة ١٣٤١ .  
راجع ، دكتور على حسون ص ٢١٨ .



التركية حيث بدأ تشكيل الجمعيات وتأسيس النوادي وإصدار المجلات والقاء الدروس والاشعار والاغاني التي تتكلم عن القومية ، أما المرحلة الثالثة فبدأت مع العهد الجمهوري حيث قضت المعاهدات بفصل الاقاليم العربية من تقوية دعاء الطورانية .

ظهر الاعتراض على نسبة الدولة الى العثمانية من جانب دعاء الطورانية ثم ارتفعت دعوتهم الى عدم الاقتباس من العربية أو الفارسية ، ثم برزت المطالبة بتبسيط اللغة ، وكانت اللغتان العربية والفارسية تدرسان في مراحل التعليم المختلفة ثم ساد الرأي القائل بتتركب اللغة حتى صفاها تماما كمال اتاتورك مروراً بنظرة شمس اللغات بما يعنيه ذلك من أن اللغة التركية هي كالشمس بالنسبة لمجموع اللغات الأخرى التي شبهت بالكواكب التي تولدت من الشمس وبذلك توقف التتركب ، في حين تحرر الشعر من القوافي لكن بوجهة . ناه الطورانية كانت شديدة مثال ذلك ما قاله محمد أمين : « أنا تركي .. ديني سام .. حسي عظيم .. قلبي مملوء بالنار » ثم اتجه التتركب نحو التاريخ ، فأعيد النظر في التاريخ المدون وهد منبواً لأنه كتب بوحى من المعتقدات الدينية التي حالت - من وجهة نظرهم - دون تلوين الواقع الصحيح ، وأنه يجب تمجيد جنكيز خان لأنه غلب الأتراك ، وجمعهم تحت راية واحدة ، وعمت الحركة الطورانية التاريخية حتى أصبحت الحضارة العثية والسومرية من مآثر الأتراك وبدأ الدخول في طور الجامعة الطورانية منذ عام ١٣٣١ هـ ، وروح دعائها أنهم أبناء عرق أمتد الى شرقي أوروبا حتى الباسفيك ، ومن البحر المتوسط حتى القطب الشمالي ، وأن أبناءهم من الترك العثمانيين والتركمان في آسيا الوسطى وإيران وتار جنوبى روسيا والقوقاز وقبائل سيبيريا والمغول ، وأن الجميع على صعيد واحد يتسارى فيهم اتلا وإرهاد وألب أرسلان والسلاجقة وأرطغرل والعثمانيين وجنكيز خان وتيمور لنك وجيوش المغول ، وأن الدعوة قد ظهرت أولاً في بلاد التار وبعد

الثورة الشيوعية سنة ١٢١٢هـ / ١٩١٧م انتقلت العدوى الى تركمان  
أواسط آسيا ووصلت الى استانبول ولكنها بقيت ضعيفة حتى غلظتها حركة  
تركيا الفتاة وقد تزعم هذه الفكرة الكاتب التتارى « أحمد آغانف » .

انهم الاتحاديون شعوب جنوبى آسيا من الغرب والفرس والهنود بأنهم  
متخلفون ، وأن الحضارة الاوروبية الحديثة قد أنهكت ، وكان هدف  
الاتحاديين اقحام الجامعة الاسلامية والجامعة الطورانية فى طريق واحد . أما  
دعوة استراك السياسة فقد بدأت بعد ظهور افكار المركزية واللامركزية ، كان  
الاتحاديون يحيذون المركزية فى حين كان المناوئون لهم يتخذون من  
اللامركزية شعارا يتسب له معظم العناصر غير التركية ، وطرحت جماعة من  
المفكرين الخيار بين الرابطة العثمانية والرابطة الاسلامية والقومية التركية  
الطورانية فاخترت السياسة التركية ، أما الدعوة القومية التى قامت فى بلاد  
العرب فكانت هى الاخرى تشبه القومية التركية وحملها النصارى فى بلاد  
الشام وكونوا جميعاتهم التى ساندتها الدول الاوروبية وتحركوا تحت حماية  
الامتيازات ، وكان العرب المسلمون ينضمون تحت لواء الدولة العثمانية  
والخلافة الاسلامية التى كانوا يعدونها امتدادا طبيعيا للخلافة الاسلامية  
الراشدة ، فالأموية فالعباسية - كما سبقت الاشارة - وتطلع النصارى نحو  
الغرب وسارت دعاوى الحضارة النصرانية قبل الاسلام بنشاط ، وعكس ذلك  
تأثيره فى المهاترات بين العرب والترك من موجات من التعصب التى طفت  
خلال فترات الانتخابات .

جاء دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى الى جانب المانيا ليشير  
العديد من ردود الفعل على صعيد العلاقات الدولية والاقليمية ففرنسا رغبت  
فى عدم دخول العثمانيين الحرب الى جانب المانيا كى تحقق أطماعها فى  
الاقاليم العثمانية المنفصلة ، وروسيا خشيت ذلك لأن انجلترا وفرنسا ستكونان

عائقا لتدخلها فى الشئون العثمانية ، وفقدانها الأمل فى الاستيلاء على استانبول ، أما انجلترا فكانت ترغب فى دخول الاتراك الى جانبها حيث يحقق ذلك مصالحها ، أما العالم الاسلامى فلم يقيم بتأييد تركيا فى بداية الحرب وأثناءها رسميا ، ولم يجب دعوة الخليفة لأعلان الجهاد ، ويرجع ذلك للعديد من الاسباب ، فمن ناحية لم يوافق قسم كبير من قادة المسلمين على دخول الاتراك حربا لاتخصهم حيث كان المسلمون فى معزل عن الحياة السياسية العالمية رغم خضوع عدد من الدول الاسلامية للاستعمار الاوروبى ، ومن ناحية أخرى فان رجال الاتحاد والترقى كانوا غير مكثرتين للاسلام ، بل أنهم تنكروا له ، وكان تأثير المانيا على مقاليد الامور فى جهاز الحكم الاتحادى قد وصل الى درجة كبيرة .

- عوامل تدهور أوضاع دولة الخلافة الاسلامية ( محليا - اقليميا وعالميا ) :

يمكن تلمس العديد من الاعتبارات التى أدت الى تدهور أوضاع الخلافة العثمانية على صعيد العلاقات الدولية والاقليمية مروراً بأحداث تفجير الاوضاع الداخلية ، ووصولاً الى هدم الخلافة الاسلامية ، وهذه الاعتبارات مرت عبر تسلسل أحداث هامة كالاتى :

أولا :

كانت عودة السلطنة العثمانية الى سالف مجدها ومركزها السياسى بمثابة حلم راود العديد من الشخصيات ومنهم جمال باشا وزير البحرية الذى علق على أحداث الحرب العالمية الاولى فى صحيفة التايمز البريطانية قائلاً : « أنتم الاوروبيون تظنون أن قضايا تونس وطرابلس ومصر قد انتهت ولكننا نحن الترك لانرى رأيكم ، وحين يأتى وقت يطرح فيه كل هذه القضايا على بساط البحث مرة ثانية ، سنعمل ذلك ، ووراءنا ثلاثمائة مليون مسلم ... »

ويتضح من ذلك أن العديد من الشخصيات البارزة في الدولة كانوا - رغم تدهور الأوضاع - يفتقدون بوحدة الدولة العثمانية والالتزام بالجامعة الإسلامية ووحدة المسلمين ، غير أن المؤثرين في صنع السياسة كانوا يرون عكس ذلك ، حيث تم إبعاد جمال باشا إلى مصر للتخفيف من خطره وآرائه المؤيدة لدور الإسلام مع أنه لم يكن سياسياً .

### ثانياً :

بالرغم من تعاطف المسلمين العرب مع الترك ، إلا أن دعوة الجهاد لم تستقطب مثقفي سوريا الذين تشبعوا بالروح الغربية القومية ، ووقفوا من الأحداث موقف المتفرجين دون أن يشاركوا أو ينخرطوا فيها ، حتى أن جمال باشا قال أثناء الاعتقالات والنفي في فلسطين : « ... أن أحداً من أفراد المؤسسات الدينية لن يعود إلى الأراضي المقدسة بعد الحرب .. » وقد خير يهود روسيا الذين قدموا إلى فلسطين بين أمرين ، أما مغادرة البلاد أو التجنس بالجنسية العثمانية ، وفضل أكثرهم مغادرة فلسطين إلى مصر التي كانت تحت الحماية البريطانية .

### ثالثاً :

خلال تشابك المعارك ، تم صد القوات التركية اليمنية التي حاولت الاستيلاء على عدن من جانب الانجليز الذين ساعدهم الأديسي - حاكم إقليم عسير - ، كما تمكن الانجليز من إبقاء آل الرشيد في حائل على الحياد ، وهجم الانجليز على شبه جزيرة سيناء وجرت اتصالات بينهم وبين الهاشميين انهارت بعدها مؤخرة الجيوش التركية التي أصبح وضعها حرجاً بحلول سنة ١٣٣٦هـ - إذ عزل جمال باشا ، ونقل جميع السلطات العسكرية والسياسية من أيدي الأتراك إلى حلفائهم الألمان ، ثم هوجمت القوات التركية في جبل الدروز ، وعلبك ، وهرب الجنود العرب من الجيش

فأحتل جيش فيصل - لورنس معان ، وتجدر الإشارة أنه كان يوجد ثلاثة جيوش للاتراك فى فلسطين وكان يقود أحداها مصطفى كمال . وقد هجم الانجليز سنة ١٣٣٦هـ على منطقة جنوبى نابلس ، وتقدمت قواتهم نحو مقر القيادة فى الناصرة ، وتراجع الاتراك بقيادة مصطفى كمال شمالا وقامت قوات فيصل بدخول دمشق ، واحتلت القوات البريطانية بيروت ، وجرى توقيع عقد شروط الهدنة حيث استسلمت الدولة التركية وصيغت الادارة فى الاقاليم العربية ، وتركت هذه الاحداث بصماتها على شخصية مصطفى كمال الذى سيلمع نجمه فى المستقبل ضد الخلافة الاسلامية .

#### رابعا :

سبقت الإشارة الى ساعد روح العصبية التى اتخذت مظهر « القومية » بين العرب والترك ، مع أن العرب قد رضوا بالانضواء تحت شعارات الرابطة العثمانية ، وبمرور الوقت شعر العرب بضعف مركزهم عما كان عليه فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ، بل أن المستشارين العرب فى بلاطه قد طردوا - ومنهم عزت باشا العابد - ، وسرعان ما سيطرت القومية التركية ، وفى مطلع سنة ١٣٣١هـ أعلن جماعة من العرب البارزين فى بيروت اقتراحات للتحويل الى اللامركزية والاستقلال الذاتى ، وتقرير اللغة العربية كلفة مناظرة للتركية فى البرلمان التركى ، وحينما ذاع صيت هذه الحركة فى سورية والعراق قام الاتحاديون باغلاق مراكزها والبطش باعضائها ، غير أن قسما من أعضائها أعادوا مقر الجمعية الى باريس باسم الجمعية العربية الفتاة وعقدوا هناك مؤتمرا حضره معظم المندوبين عن سورية والولايات العربية الاخرى ، ولما كانت هذه الجمعية قد تم التفرير باعضائها الذين اتخذوا كمطية من قبل حضومهم ، فان فرنسا قد احتضنتهم وشجعت نشر

توصياتهم ، ومن الثابت أن فرنسا هي الاخرى كان لها أهدافها في سوريا ولبنان .

#### خامسا :

حلت جمعية العهد محل الجمعية العربية الفتاة وتألقت من ضباط أغلبهم من العراقيين أمثال نوري السعيد ، وجميل المدفعي وكان الضباط العراقيون يشكلون معظم العناصر العربية في الجيش التركي ، وحتى ذلك العهد وعلى الرغم من محاولات إثارة الاضطرابات والفتن ، فان سيطرة الدولة كانت قوية نسبيا على الولايات العربية التي ارتبطت بالخط الحديدي الحجازي ، وحصل اتفاق في اليمن بين الامام يحيى والدولة العثمانية التي اعترفت له بأحقية حكم وراثي في المرتفعات الوسطى مقابل احتفاظها بالسيطرة على سهول تهامة والبحر الاحمر ، ولوح عبد العزيز آل سعود بالثورة ضد <sup>(١)</sup> الدولة العثمانية فاختل التوازن ثم تعادل نظرا للصلة مع أسرة آل الرشيد التي بقيت تحكم منطقة شمر في شمال الجزيرة العربية وحاضرتها حائل .

وبالرغم من تشابك الاحداث الاقليمية على هذا النحو فان معظم العرب - لم يطالبوا بالخروج من مظلة السيادة العثمانية وخلافتها الاسلامية حتى ان الضباط العراقيين انفسهم حاربوا ببسالة تحت راية الخلافة الاسلامية والدولة التركية في الحرب العالمية الاولى .

كانت القوة المعنوية هي السلاح الفعال مع شريف مكة وتوقع أن تحالف

---

(١) راجع في تفصيل ذلك : دكتور محمد نصر مهنا ( وآخرون ) ، الخليج العربي ، مرجع سابق .

معه بريطانيا فأرسل ابنه الامير عبد الله سنة ١٣٢٢هـ الى  
سادسا :

القاهرة لمقابلة لورد كتشنر القنصل البريطانى العام فى مصر والمشرف على  
السياسة البريطانية فى الشرق العربى ، ولم يرغب كلاهما فى الالتزام بسياسة  
محدودة مع الآخر ، أو ضد الدولة التركية التى كانت بريطانيا ملتزمة بالمحافظة  
عليها فى القرن الماضى ، وكانت بريطانيا عشية الحرب العالمية الاولى يتركز  
اهتمامها على مراقبة التوسع الاستعمارى الالمانى فلما تحسنت العلاقات  
التركية الالمانية كان هذا مؤشرا فى غير صالح بريطانيا لاحتمال تهديد المانيا  
لطريق الهند ، ووضعت بريطانيا فى اعتبارها أيضا وجود ما يقرب من مائة  
مليون مسلم فى الهند كانوا يعدون السلطان العثمانى خليفة المسلمين الذى  
تجب طاعته وتلبية ندائه اذا ما دعا للجهاد .

سابعا :

عندما أعلنت كل من الدولة العثمانية و المانيا الحرب على بريطانيا وفرنسا  
وروسيا فقد تبدلت طبيعة العلاقات البريطانية مع الاقاليم العربية بما فيها مصر  
التي انتهت بالفعل السيادة التركية المطلقة عليها بعد حكم بريطانى دام  
ثلاثين عاما وأعلنت مصر محمية بريطانية رسميا ، وفيما يتعلق بمجال هذه  
الدراسة فقد تركز اهتمام بريطانيا فى مصر على عنصرين أساسيين ، الاول  
هو أمن قناة السويس بالنسبة للمصالح البريطانية ، أما العنصر الثانى - وهو  
الاهم - هو خوف بريطانيا من استجابة المصريين لنداء الجهاد الاسلامى  
المتوقع صدوره من عاصمة مركز الخلافة الاسلامية ، والواقع أن تحليل بعض  
المصادر لضالة تأثير الرابطة الاسلامية فى صفوف القوات المسلحة المصرية هو

---

(١) قارن : على حنون ص ص ٢٤٤ - ٢٤٥

تحليل بجانبه التوفيق من وجهة نظرنا ، فليست صفوف القوات المسلحة هي الحاكم ، وغالبا ما كان الحاكم في مصر - على نحو ما سبقت الإشارة اليه - ينتمى الى الاسلام اسما ولكنه يكون أداة طبعه في أيدي أعدائه - ويستتبع ذلك - ولكن ليس بالضرورة - فيما يتعلق بمجال هذه الدراسة - أن قبول المصريين الانتقال بهدوء من الانضواء تحت السيادة العثمانية الى العيش في ظل الحماية البريطانية ، فان باقى العرب - طبقا لهذه المقولة - ليس هناك ما يضمن عدم استجابتهم هم تحت المظلة العثمانية - الى نداء الجهاد ، ومرة ثانية تبرز التفرقة بين صفوف الجيش المصرى والشعب المصرى وبين الحاكم فى مصر والتي تتناقضها مثل هذه المصادر حيث توليته لانتسم بالشرعية فى معظم العصور .

فانمسا :

طبقا للاعتبارات السابقة كان مفتاح الحل هو الشريف حسين حيث الدعوة للجهاد يجب أن تصدر من مكة المكرمة ، وفسر هذا حث الحكومة العثمانية له كى يوافق على اعلان الجهاد والدعوة له ، وكان الاختيار الصعب أمام الشريف حسين ، أما الانحياز الى الدولة العثمانية ، أو الى بريطانيا ، حتى أولاد الشريف كانوا متقسمين حول هذا الموضوع ففى حين فضل عبد الله التحالف مع الانجليز ، كان فيصل يفضل التحالف الى جانب الاتراك .

أما ابن سعود الذى اضطر لقبول سيادة الدولة العثمانية سنة ١٣٣٢هـ لم رفضها فيما بعد ووقع معاهدة مع بريطانيا اعترفت باستقلاله فى بلاد نجد فى حين كان التخطيط البريطانى الفرنسى يقوم على فرض السيطرة المباشرة فى المناطق العربية التى تضم العراق وسوريا وفلسطين وشرقى الاردن ، أما شبه الجزيرة العربية فقد استقلت استقلالاً حقيقياً .



## تاسعا :

فى هذه المرحلة برز دور رجل المخابرات البريطانى لورنس الذى ذاع صيته فيما بعد باسم لورنس العرب وكان قد أمضى فترة فى رحلات متتابعة للمنطقة العربية قبل الحرب العالمية الاولى ، وكان يقوم بدراسة عادات العرب وتقاليدهم ، وتجنس على العثمانيين والالمان وتعرف عن قرب على ميول العرب السياسية وسرعان ما تعرف لورنس على عائلة الشريف حسين ، ووصفها فى كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » قائلا : « .. لقد علمنا أن الشريف كان رجلا مسنا ، وابنه الثانى عبد الله رجل نشيط ، أما الابن الاول على فكان صافيا جدا ، وكان زيد بارد جدا ، وحينما تأملت فيصل الابن الثالث وجدته قائدا يتسم بالكفاءة » ثم كثرت الاتصالات بين لورنس وفيصل ، وحينما علم لورنس بتقسيم سوريا والعراق بين فرنسا والمجلترا ، فانه اتخذ التدابير لحفظ بنود معاهدة سايكس - بيكو بعيدة عن انظار فيصل كى يعتمد أكثر وأكثر على بريطانيا ، وانتحل لورنس صفات البدوى البسيط وتعلم ركوب الابل ويصف ذلك قائلا فيما بعد « ليس ذلك حبا فى العرب ولكن لاعتقادي بأنه الافضل لأحكام القبضة عليهم » .

وقد جنت بريطانيا فائدة كبيرة من وراء جهود لورنس اذ انها حركت ثلاثين ألفا من القوات التركية عن طريق الخط الحديدى الحجازى من عمان الى المدينة المنورة ، كما حالت دون التقاء القوات التركية الالمانية مع الحامية التركية فى اليمن لخشيته من اتصال القوات المعادية لهم - أى للبريطانيين - فى جنوبى الجزيرة العربية بالقوات الالمانية فى افريقيا واغلاق البحر الاحمر أمام سفنهم .

## عاشرا :

بعد أن تغلبت قوات « اللنبي » على الدفاعات التركية بين غزة وشر سبع ، فقد احتل يافا ثم القدس عام ١٣٣٥ هـ وكانت هناك معاهدات تمثلت الاولى فى اتفاقية حسين - مكماهون حيث وعدت بريطانيا الحسين بجعل فلسطين جزءا من الامة العربية ، أما المعاهدة الثانية فكانت مع روسيا بشأن اقامة ادارة دولية فى فلسطين ، غير أن المجترة سرعان ما أجرت اتصلا مع اليهود الذين ساعدوهم فى الحرب وساندتهم أمريكا فيما بعد بشأن الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، ومرة أخرى برز دور لورنس حيث احتل جيشه - بالاشتراك مع فيصل - معان ، ثم اقتحم هذا الجيش نابلس وتراجع الاتراك الذين فروا وتشتتوا نتيجة لتدخل سلاح الطيران البريطانى وأسر الانجليز ٧٢ ألف جندي تركي وحوالى أربعة آلاف الماني ، ودخلت قوات لورنس - فيصل الى دمشق بتشجيع بريطانيا التى احتلت بيروت أيضا ثم طرابلس وحمص وحلب .

ولم ينته دور لورنس بعد ، حيث كانت طعنته الأخيرة ضد تركيا المسلمة والعرب قوله : « علينا أن ندفع بالغرب لانتزاع حقوقه من تركيا بطريق العنف .. اننا بهذا نقضى على خطر الاسلام ... ونمزقه من القلب .. حيث يكون خليفتان .. واحد فى تركيا والآخر فى العالم العربى فتنشأ حرب دينية نقضى بها على خطر الخلافة الاسلامية بصورة نهائية » .

غير أن الغاء الخلافة الاسلامية لم يكن بالأمر السهل ، فلا بد أولا من أسلوب عمل جديد .. لتفجير الازمات الداخلية التى استفحلت داخل الجسد السياسى التركى بعد الهزائم المنكرة التى حاقت به فى الحرب ، وتمثل ذلك فى تحريك مصطفى كمال الذى توهم الناس أنه صديق وفى للسلطان ، وصار يث بين أصدقائه أفكارا حول عزل السلطان على الرغم

من تظاهره بالولاء له ، وبالفعل جرى انقلاب فى استانبول وعزلت حكومة السلطان بالقوة ، وتم اجلاء السلطان حيث وضعت بريطانيا عدة شروط للاعتراف باستقلال تركيا هى الغاء الخلافة الاسلامية الغاء تاما وطرد الخليفة خارج الحدود ومصادرة أمواله واعلان علمانية الدولة ، وقرر مصطفى كمال اعلان الجمهورية وبرغم معارضة الزعيمين الهنديين ( أمير على ) و ( اغاخان ) ومطالبتهما باحترام مقام الخليفة العثماني ، الا أن مصطفى كمال نجح بتأييد بريطانيا مؤازرتها فى طرد الخليفة والغاء الخلافة وفصل الدين عن الدولة منفذا بذلك شروط بريطانيا .

أبرمت معاهدة لوزان فى ١٣٤١هـ ، واعترفت فيها بريطانيا باستقلال تركيا ، وانسحبت من استانبول والمضائق ، وحينما احتج مجلس العموم على ذلك رد مسئول بريطاني قائلا : « ان القضية هى ان تركيا قد مضى عليها ، ولن تقوم لها قائمة ، لأننا قد قضينا على القوة المعنوية فيها وهى الخلافة الاسلامية » . وبالفعل تمكن اعداء الاسلام من توجيه ضربتهم القاصمة بتمزيق بلاد العرب المسلمين واثارة التفرات بينهم ثم الغاء الخلافة الاسلامية ، بل انهم تمكنوا من غرس عدو مغتصب استيطاني فى قلب العالم العربى فى فلسطين .

أما السياسة التى اتبعها كمال اتاتورك فيما بعد فكانت هى الاخرى تأكيدا لهذه المؤامرات فقد اقر الدستور الجمهورى المعارض للاسلام ، والغى الحروف العربية التى كانت تكتب بها اللغة التركية ، واستبدلها بأحرف لاتينية ، وقطع بذلك كل صلة للشعب التركى المسلم بماضيه الاسلامى العريق ، ثم ألغى وزارة الاوقاف الاسلامية ، وفيما يتعلق بالعلاقات السياسية الاسلامية مع تركيا ، فقد تخلى اتاتورك عن أهداف الجامعة الاسلامية ، وضم لواء الاسكندرية الى تركيا ١٣٥٧م / ١٩٣٧م ووقع ميشاق سعد آباد

مع ايران والعراق وأفغانستان .

غير أن الحركات الاسلامية استمرت تبذل النشاط تلو النشاط في تركيا خلال فترة حكم مصطفى كمال رغم القمع والتغلغل من جانب أجهزة الدولة ، ومن هذه الحركات ، حركة النور التي أسسها الشيخ بديع الزمان سعيد النورس وكانت أغزر الحركات الاسلامية فكرا وأعماقها تأثيرا في الاجيا الجديدة لتجديد ثقافتها في الاسلام وشريعته السمحة ، وكان بديع الزمان قد بادر منذ عهد الدولة العثمانية بتكوين جمعية اسلامية هي « الاتحاد المحمدي » ، كما كتب العديد من الرسائل الاسلامية حتى أمر أتاتورك بنفيه ، وبالرغم من ذلك فإن عدد أعضاء هذه الجمعية قد بلغ ما يقرب من مليون نسمة .

وفيما يتعلق بحزب السلام الوطني الذي تزعمه نجم الدين أربكان فكان برنامجها للجهاد عن طريق المجلس النيابي للوصول الى حكم اسلامي وبحصوله على تسعة وثلاثين في المئدة النيابي ، فقد تمكن من السماح للجمعيات الاسلامية بممارسة انشطتها ، وعنى بالثقافة الاسلامية ، وتحسنت العلاقات بين تركيا والدول الاسلامية والعربية ، غير أن المؤامرات حيكت بعناية ضد نجم الدين أربكان حيث تقرر ابعاده عن الحكم وأجبر على تقديم استقالته ، وتم اعتقاله في فترة لاحقة - عقب الانقلاب العسكري - ووجهت اليه أربعة عشرة تهمة من بينها : العمل على قيام دولة اسلامية وتطبيق الشريعة الاسلامية وافتتاح مدارس لتعليم القرآن الكريم والعمل لاعادة فتح مسجد أيا صوفيا ومهاجمة تغيير الحروف العربية الى لاتينية ، ودافع نجم الدين أربكان عن نفسه قائلا : « اننى اعمل وفق الحدود الشرعية » ، ونشرت « صحيفة الشرق الاوسط تقول : « أليس ممكنا أن يهتم العالم

---

(١) نقل عن دكتور على حسن مر ٣٠٠ .

العربي والاسلامى بهذا الموصوع ، وأن يعبر عن استنكاره لمثل هذه المحاكمة التى لا يتصور قيامها بهذه الصراحة ولا فى الصين ، وان يحاول انفاذ اربكان من مصيره ؟ واجابت الصحيفة أن ذلك ممكن ، على الاقل انطلاقا من مبدأ بسيط وقع عليه ميثاق الامم المتحدة وهو حرية العقيدة وحرية اقامة الشعائر الدينية ... ، ونتيجة لضغط رأى العام الاسلامى فقد تم الافراج عن أربكان ، واضطرت الحكومة العسكرية فى تركيا الى ادخال مادة التربية الدينية اجباريا فى المدارس والجامعات التركية .

### حركة التحديث :

سبقت الاشارة الى قيام الدول الغربية بمحاولات عدة بهدف ادخال بعض معالم الفكر الغربى الى تركيا أبان العهد العثمانى ، قد انصبت أغلب هذه المحاولات فى تغيير نظام الحكم ، وادخال مجموعة من القوانين الغربية . وسلكت الدول الغربية لذلك عدة أساليب وقبل ذكر هذه الأساليب تجدر الاشارة بأن تركيا حاولت تقمص الحياة الغربية منذ القرن الثامن عشر . فبعد انتكاسات الجيوش العثمانية على جميع الجبهات بسبب عدم كفاية الوسائل الفنية والضعف المتزايد فى كيان الدولة اتجهت السلطات العثمانية وقتئذ نحو فرنسا وذلك بهدف تنفيذ الاصلاحات التى احتاجتها الدولة العثمانية . وتبعاً لهذه المحاولات فقد دخلت التكنولوجيا الجديدة الى الدولة العثمانية عن طريق المدربين العسكريين وكان معظمهم من الفرنسيين . ثم دخلت بعض هذه الاصلاحات الى حيز الوجود عن طريق تجديد بعض الاجهزة الادارية مثل الانظمة الادارية للمحافظات والجمارك وكذلك بأحداث مؤسسات جديدة كمجلس الدولة ، وقد اقتبست هذه الاصلاحات

الى حد كبير من النظام الفرنسى<sup>(١)</sup>.

والسبب فى التركيز على فرنسا من قبل العثمانيين فى هذه الحقبة الزمنية أن الاتراك كانوا يعتبرون الغرب هو فرنسا ويتبين من هذه التحولات أن العثمانيين فى البداية قد ركزوا اهتمامهم بالتكنولوجيا العسكرية للغرب . اذ شعر السلطان سليم الثالث وبكل مرارة خلال الحرب ضد روسيا تخلف الوسائل التقنية العسكرية العثمانية بالنسبة للتقنية الاوربية فقرر عند ذلك اصلاح الجيش العثمانى .

وقد بدأت حركة التحديث فى تركيا العثمانية وبشكل ملموس على عهد السلطان سليم الثالث ، حيث قام الاخير بانشاء مجموعة من المدارس والمعاهد العسكرية ذات طابع غربى ، وقد تم على عهده التبادل الثقافى مع بعض الدول الاوربية ، تم بموجبه تبادل الخبراء ، وارسال البعثات العسكرية الى الدول الاوربية لمسيرة التطور الذى وصلت اليه الجيوش الاوربية بالاضافة الى طبع الكتب بما فى ذلك ما يتعلق بالنواحى العسكرية وترجمتها الى اللغة التركية العثمانية . ويمكن القول أن هذا النوع من التبادل الثقافى بين تركيا العثمانية والدول الاوربية يعتبر نقطة البداية للتماس العلمى والثقافى مع العالم الغربى ، وبلاضافة الى ذلك فان المدارس العسكرية التى انشئت فى هذه الفترة ، وتزايدت مع عهد السلطان محمود الثانى ، قدمت دراسة جيدة على النمط الغربى ، اذ أن المدارس والمعاهد فى هذه الفترة كانت تقوم أساس على المدارس الدينية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الغربى ، خلال عام ١٩٧٧ . من محاضرة للسفير التركى فى باريس بمنزلة مكانة تركيا فى العالم .

(٢) راجع فى تفصيل ذلك :

Lewis, Bernard, The Emergence of Modern Turkey, Royal Institute of International Affairs 1968 pp. 418 - 421 .

وقد برزت المدارس العلمانية الى الوجود على عهد السلطان محمود الثانى ، وأطلق على هذه المدارس اسم « المدارس الرشدية » وهى مدارس اختصت بالتعليم الابتدائى والثانوى . كما وجدت مدارس من نوع آخر ، تحدت وظيفتها على تدريب الجهاز الادارى الحكومى ، وقامت بعملية الترجمة على نطاق واسع . وظهور المدارس العلمانية ، وانتشار الطباعة والترجمة ساهم كثيرا على بروز طبقة جديدة سميت بـ « النخبة الجديدة » ، وأصبحت هذه النخبة تضم فى عضويتها مجموعة من المفكرين والصحفيين ورجال القانون . وهذا يعنى من جانب آخر أن هذه الطبقة لم تكن تتكون من الضباط ، بل ضمت فى عضويتها طبقة من المثقفين بثقافة غربية .

وتبنى السياسة نفسها محمد الثانى ، وكان النجاح حليفه عندما استطاع عام ١٨٢٦م الغاء التنظيم العسكرى الذى أصبح باليا ، وذلك عند قيامه بالغاء الوحدات العسكرية المعروفة بوحدات الانكشارية . وفى هذه الفترة ظهرت بوادر « الحركة الوطنية التركية » التى أعلنت مبادئها السياسية وكان من أهمها العناية باللغة التركية فى اطار جمعية ذات أهداف سياسية ، ونظمت الجمعية نفسها منذ منتصف القرن التاسع عشر وجعلت هدفها الوصول الى تطبيق النظام الاوروبى « الليبرالى » فتصلت - متعمدة - من الاتجاه الدينى واتخذت طريقها بعيدا عن الاسلام ، ثم حول زعماء هذه الحركة الوطنية الى « تركيا متطرفة » ، وانعكس ذلك على قول مدحت باشا - زعيم هذه الحركة - فى عام ١٨٦٧م « لن تبنى الدولة التركية بعد أربعين أو خمسين سنة مساجد جديدة بل مدارس ومؤسسات اجتماعية » ، وربما كان هذا التصريح بمثابة مجازفة غير مأمونة العواقب فى ذلك الوقت ، لكنه من ناحية اخرى كان بمثابة

تنبؤ<sup>(١)</sup> بالتحديث الذى شهدته تركيا فى عهد كمال اتاتورك منذ بداية الحرب العالمية الاولى .

وعموما فان النصف الاول من القرن التاسع عشر يمثل ظهور ضباط الجيش العثماني ، كطبقة تضم فى عضويته مجموعة من المثقفين على النمط الغربى الحديث ، بالاضافة الى بروز رجال الفكر والادب ورجال الصحافة والقانون ، كما أن حركة الطباعة والترجمة فى هذه الفترة ، قد شجعت كثيرا على اضمحلال دور الدين الاسلامى ، وبالتالي ظهور فكرة العلمانية فى الامبراطورية العثمانية .

وكان الغرب قد انتهج مجموعة من الاساليب بهدف ادخال المدنية الغربية الى تركيا . ففي عام ١٨٣٩ وصل الى عرش السلطنة عبد المجيد الاول ، وفى هذه الفترة كان رشيد باشا سفيرا فوق العادة للدولة العثمانية فى لندن ، فما كان من عبد المجيد الا أن عينه وزيرا للخارجية . وجدير بالذكر أن رشيد باشا كان من المنادين بالنظام الدستورى البرلمانى ، وعليه أعلن منذ البداية أنه يرتفع بالامبراطورية العثمانية الى مصاف الدول المتقدمة عن طريق دستور ينص على حقوق المواطنين . وقد استطاع فعلا اقناع السلطان عبد المجيد بخطته هذه ، واعداد وثيقة الدستور بكتمان كلى .

وأصدر السلطان عبد المجيد هذا الدستور باسم « كلخانه » فى اليوم الثالث من شهر نوفمبر عام ١٨٣٩ ، وتضمن هذا الدستور أفكارا أوروبية . وفى الحقيقة أن هذا الدستور يعتبر أول محاولة من نوعها لتبنى معالم النظام الدستورى الغربى فى الداخل . الا أن هذا الدستور لم يدخل الى حيز

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك : بارل شمتز ، الاسلام قوة الغد العالمية ، نقله الى العربية الدكتور محمد شامة ، مكتبة وهبة ، القاهرة بدون تاريخ اصدار .



التنفيذ ، ومع ذلك فإن الدول الغربية لم تأس في الضغط على السلطان بهدف اصدار وثيقة جديدة اذ أصدر السلطان تحت ضغط هذه الدول منشور اصلاح عرف باسم « خط همايون » وتبعاً لذلك منحت حقوق معينة للاقليات المسيحية . ومنحت العديد من الامتيازات للدول الاجنبية ، وأدى حرص كل دولة في الحصول على امتياز الى نوع من التوازن في الحفاظ على الوضع القائم للدولة العثمانية ومن الامتيازات التي منحتها الدولة السماح لكل المذاهب بحرية ممارسة طقوسها ، وأعلنت حرية الأديان ، وأعطى لكل طائفة الحق في انشاء مدارس خاصة بها ، وبهذا انهارت الجسور الأخيرة التي حمت المملكة العثمانية من الطوفان الثقافي الذي نبع من الغرب ، ودفع على هيئة تيارات قوية عبر المسالك التي فتحتها أوروبا الى الشرق ، وبدأت حقبة تاريخية تنساب فيها الموجات ذات التأثير الفعال الذي سيقدر مستقبل العالم الاسلامي الحديث من جهة الاستمرارية ، ولأول مرة يسوى بين المسيحي وبين المواطن المسلم في قانون مدني وفي دولة اسلامية ، وكان هدف الباب العالي بهذه التسوية التي نص عليها المرسوم السلطاني Hattı Humajun<sup>+</sup> . « خط همايون ١٨٥٦ م » أن يؤدي بها دوراً سياسياً في الصراع بين القوى الكبرى . لكن ذلك من ناحية أخرى قد انتقص من السلطات المطلقة للسلطان وأضعف من هيئته داخل الدولة وخاصة بين أواسط الرأي العام الاسلامي والذي اندفع الى التحرك<sup>(١)</sup> ، غير أن ضغط القوى الغربية أحدث مزيداً من التجديد ، ففي أواخر العقد الخامس من القرن التاسع عشر المزيد من الاصلاحات في النظام القضائي وفي أجهزة الدولة المالية ، وأنشئت ادارة أوروبية لديون الدولة التركية ، والعقل الأوروبي

---

(١) عبد القليم زارم ، كيف هدمت الخلافة ، بدون مكان اصدار ١٩٦٢ ص ٣٤ -

الذى استعانت به تركيا ليساعدها على تنفيذ برامجها الاصلاحية . قد كان من الحرص ما جعله يثبت اقدامه ، وفى نهاية العقد السابع تمت صياغة القوانين على النمط الاوروبى ، وأحدثت مثل هذه التغييرات موجات معارضة شديدة من رأى العام الذى ظن أنه سيقضى على الشعب بالفناء اذا تمت مثله هذه التغييرات فى القانون .

وفى هذه الفترة بالذات برز فى المسرح السياسى اسم مدحت باشا وكان متأثرا بالافكار الغربية وكان حيثث وزيراً للعدل فى وزارة محمد رشدى باشا فى عهد السلطان عبد العزيز ، وقدم مقترحات عدة للسلطان طلب فيها اصلاح الوضع فى الدولة بوضع دستور لها ، الا أن السلطان أمر بعزله فى الحال . وهنا عمل مدحت باشا بالتعاون مع المعارضة السياسية فى الخفاء ضد السلطان . واستطاع فعلا الاطاحة بالسلطان فى ٣٠ مايو عام ١٨٧٦ بالاتفاق مع انجلترا والمانيا وفرنسا ، وفى تلك الليلة نفسها رفع مراد الخامس الى العرش <sup>(١)</sup> .

وقد رقى بعد مراد الخامس الى عرش السلطنة أخوه عبد الحميد ، وفى عهد الاخير صار الباب العالى يتهرب من تنفيذ الدستور ، ومن تنفيذ مطالب الدول الكبرى ، اذ قام توا باقالة مدحت باشا كصدر الاعظم فى فبراير ١٨٧٢ بعد أن تبين للسلطان اتصال مدحت باشا مع انجلترا وعليه اتهم بالخيانة العظمى .

---

(١) الدكتور ارنست م . رافرر ، تركيا الفتاة ولورة ١٩٠٨ ترجمة الدكتور صالح أحمد العلى ، بيروت ١٩٦٠ م ص ١٢٤ - ١٢٦ .

غير أن خصوم عبد الحميد الثانى كانوا يعملون فى الخفاء ولاسيما حزب الاتحاد والترقى ، اذ استطاع الاخير أن يثور على السلطان عام ١٩٠٨ حيث قام باعلان الدستور فى ٢١ يوليو وبالتالى أن يرغم السلطان عبد الحميد الثانى على اقرار الدستور . وكانت الافكار السياسية المعارضة قد انتشرت وأدت الى معارضة شديدة للسلطان عبد الحميد عشية اعلان الدستور ، وهذه الأفكار اجتاحت جهات عديدة فى الامبراطورية واتجه الثوار الى المقدونيين وقاموا بحملة دعائية واسعة النطاق بينهم شرحوا فيها الاخطار التى تهددهم من جراء سياسة الحكومة المركزية فى القسطنطينية ، وبذلك أثاروا الشعور الوطنى بشكل سافر لأول مرة ، وبثّر هذا منهجا جديدا فى اللغة السياسية<sup>(١)</sup> للشرق ، وفى خلال اسبوعين من اعلان الثورة كانت مقدونيا فى يد الثوار الذين اغتالوا كبار الضباط المواليين للسلطان ، وحاول عبد الحميد قمع الثورة ، غير أن هذه المحاولة أوضحت تخلف سياسته وخلوها من مضمون تعتمد عليه ، لأنه عندما أراد أن يقذف بقوات من داخل الاناضول ليكافحوا ضد الثوار فى الشمال ، أخذ رأى العام ينظر الى ذلك بمنظور أن مسلما يزحف ضد المسلمين وأن المسلمين يقاتل بعضهم بعضا الأمر الذى يحرمه الاسلام ، فجمع السلطان عبد الحميد علماء المسلمين لاستصدار فتوى تحل له ذلك ، فما كان من المجلس - الذى يعتبر أعلى مجلس دستورى فى المسائل الدينية - الا أن أصدر فتوى تحرم على المسلم أن يشهر سلاحه فى وجه أخيه المسلم .

وتحت هذه الظروف تبلورت فكرة القومية لأول مرة فى السياسة العثمانية ، وفى هذه الفترة بالذات أصبحت اللغة الفرنسية واضحة فى الثقافة التركية . ويتضح هذا الموضوع وهذا التأثير من مراجعة مذكرات خالدة

---

(١) باول شمتر ، م . س . ذ ص ٧٥ - ٨٠ .

أديب والتي جاء فيها « أن الدول الأوروبية قد زودت تركيا بالأفكار الحديثة ، وأوجدت الروح الجديدة فى أدبيات الكتاب الاتراك (١) . أما التأثير البريطانى فيمكن متابعته عن طريق الاساليب الدبلوماسية وكذلك الافكار السياسية . أما بالنسبة للتأثير الالمانى فنجدته فى الحقول الاقتصادية والعسكرية والعمية . أما التأثير الأمريكى فى الثقافة التركية فكان عن طريق التنظيمات التربوية ، ويكفى ذكر فعالية كلية روبرت والتي أسست فى الاستانة منذ عام ١٨٦٣ .

وتأسيسا على ذلك يمكن القول انه كان هناك صراعا مريرا بين القديم والجديد وهذا يعنى بالتأكيد أنه كان هناك اضطرابا فكريا هذا الاضطراب هو الذى أدى بدعاة التحديث الذين كانوا يتمنون الى تنظيمات سياسية معينة لنقل الدولة العثمانية الى حظيرة الدول الغربية ، وتبنى مفاهيم دستورية وسياسية واقتصادية لامبرر لها ، وبمعنى آخر فان الامبراطورية العثمانية قد فقدت حريتها وسلامتها ، حيث كانت عرضة لتدخل الدول الاجنبية فى شئونها الداخلية ، وقد وضع ذلك فى ضغط هذه الدول بين فترة واخرى لارغام السلطان على قبول الدستور ، وهذا يعنى من جانب اخر الارتباط العضوى لقادة الحركات السياسية فى الامبراطورية العثمانية بدوائر اجنبية ، ويقع على هؤلاء المسؤولية العظمى فى ادخال الفساد والضعف فى كيان الامبراطورية . وجدير بالذكر أن هؤلاء الدعاة لم يطبقوا البتة أى مبدأ من المبادئ الغربية ولاسيما فى مجال النظام السياسى الديمقراطى النيابى ، مع انه لم يكن فى التنظيمات السياسية العثمانية القديمة ما يستحيل انسجامه مع الديمقراطية أو التقدم أو العلوم التطبيقية .

---

(١) وجص كاتبة تركية ناصرت الحركة الكمالية فى بدايتها ، راجع فى تفصيل ذلك أحمد نرى محمد النعمى تركيا وحلف شمال الاطلسى ، رسالة دكتوراه فى العلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٧٧ من ص ١٧ - ٢٤ .

## مظاهر التحديث :

استندت مظاهر التحديث التركية على مبادئ ثلاثة وهى :

١- البحث عن أمن تركيا ضمن نطاق توازن ثابت .

٢- التنمية الاقتصادية .

٣- الاندماج فى المجموعة الغربية .

أن الموقع الجغرافى أهمية قصوى فى تحديد مركز تركيا فى العلاقات الدولية حيث أن الموقع الجغرافى لتركيا أجبرها كما هو الحال فى عهد الامبراطورية العثمانية - على البحث من أجل إيجاد بعض المفاهيم المتعلقة بالتوازن الدولى . فالامبراطورية العثمانية حاولت إيجاد هذا التوازن باتجاهها نحو انحيازات مختلفة . وهذا يعنى بالتأكيد أن الامبراطورية العثمانية سعت لمراحل طويلة من تاريخها لوضع حد للتذبذب والقلق السياسى <sup>(١)</sup>.

ولابد لهذا الميراث أن ينتقل الى العهد الجمهورى ، لأن الموقع الجغرافى هو نفسه سواء فى العهد العثمانى أو فى العهد الجمهورى لم يطرأ عليه أى تغير . وقد حاول الجمهوريون اقتداء سياسة سابقيهم مع فارق بسيط أن العهد العثمانى سعى لايجاد توازن لأن مقتضيات السياسة الدولية فى تلك الفترة هى التى أدت الى ذلك . أما فى العهد الجمهورى فانه على العكس من ذلك ، اذ أنه على الرغم من سعى القادة الجدد على وضع حد لهذا التذبذب والقلق السياسى ، الا أنه كان هناك ارتباط مصيرى من الجمهوريين مع المدنية والحضارة الغربية . وهذا يعنى أن تركيا فى العهد الجمهورى اختارت حلفاءها بصورة دقيقة ونهائية ، وزن هذا الاختيار قد نصب على

---

(١) أحمد نورى النيمى ، م . س . ذ . ص ٢٣ .

نقطتين رئيسيتين هما : المصلحة الذاتية لتركيا اندماج تركيا فى الحضارة الغربية . هاتان النقطتان قد طبعتا حركة التحديث التركية بشكل نهائى .

ويركز الباحثون <sup>(١)</sup> على النقطة الثانية وهى اندماج تركيا فى الحضارة الغربية فى العهد الجمهورى اذ أن مصطفى كمال الملقب باتاتورك <sup>(٢)</sup> قد صرح فى عام ١٩٢٥ أن الهدف من التدابير الثورية المتخذة ، وكذلك التدابير التى سيتخذها هو لرفع شعب الجمهورية التركية الى المستوى المعاصر للمدينة .

وقد عمل مصطفى كمال جاهدا فى فترة العهد العثمانى على إلغاء الخلافة العثمانية والوصول الى الدولة العلمانية ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، اجتمع المؤتمر فى لوزان فى ٢٠ نوفمبر ، وحضره عن الدولة العثمانية وقد حكومة أنقرة وحده ، واعتبر الممثل للدولة العثمانية المهزومة فى الحرب العالمية الاولى ، وخلال انعقاد جلسات المؤتمر ، قدم كرزون وزير خارجية بريطانيا اقتراحا يتضمن شروطا أربعة للاعتراف باستقلال تركيا ، وهى : إلغاء الخلافة إلغاء تاما ، وترك الخليفة خارج الحدود ، ومصادرة امواله ، واعلان علمانية الدولة . وقد مثل حكومة انقره فى هذا المؤتمر عصمت اينونو ، الا أنه لم يسفر عن أى شىء يذكر فى هذا المجال . وقد انتقد النواب فى المجلس الوطنى انتقادا لاذعا وفد الحكومة فى المفاوضات واتهموه بالغباء ، وهاجموا ارساله دون موافقتهم ، ثم قرروا التصويت على

---

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) ولد فاتتورك عات ١٨٧٨ وتوفى عام ١٩٣٧ وهو مؤسس الدولة التركية الحديثة فقد انتخب من قبل المجلس الوطنى التركى عام ١٩٣٣ رئيسا لأول جمهورية تركية بعد أن حارب الجيوش اليونانية والانجليزية والفرنسية فى الاناضول ، وأطاح بالخلافة العثمانية وكان متأثرا بشدة بمنهج الحياة والحضارة الغربية .

تحتيته ، وأرسال خلف يحل محله فى المفاوضات .

غير أن أتاتورك سعى حثيثا لتنفيذ الشروط الاربعة الوارد ذكرها ، وأعلن فى المجلس الوطنى قائلا : « اليس من أجل الخلافة والاسلام ورجال الدين قاتل القرويون الأتراك ، وماتوا طيلة خمسة قرون ؟ وقد آن الاوان أن ننظر تركيا الى مصلحتها وتتجاهل اليهود ، والعرب ، وتنفذ نفسها من تزعم الدول الاسلامية » .

ولابد أن يستأنف المؤتمر مرة ثانية ، ويكفل بالنجاح ، الا أن بعض النواب فى مجلس العموم البريطانى قد انتقدوا نتائج مفاوضات مؤتمر لوزان ، واعتبروها هزيمة سياسية للانجليز تجاه الأتراك ، وقد رد مستشار وزارة الخارجية البريطانية على أحد المعارضين قائلا : « عليك بوزن المسألة من حيث الفرق بين دولتى الترك القديمة والجديدة » كما أن أحد النواب على كرزون فى مجلس العموم لا اعترافه باستقلال تركيا ، فأجابه كرزون قائلا : « القضية ان تركيا قد قضى عليها ، ولم تقوم لها قائمة ، لأننا قد قضينا على القوة المعنوية فيها » الخلافة والاسلام ، ومع ذلك فان القضاء على الخلافة فى تركيا لم يكن فى مبدأ أمره عملا موجها ضد الاسلام ، ولم يقصد مؤسسو الجمهورية التركية - بالغاء الخلافة الذى أعلنه كمال أتاتورك - العدا للاسلام ، ولم يخطر ببال أحد من الاوساط الوطنية أن ذلك معناه الالحاد أو محو الاسلام من تركيا ، بل أنه اعتبر بمثابة أمر أملت الظروف وحاكه الدهاء السياسى فبعد أن أمن كمال أتاتورك قيام تركيا كدولة اعتقد القوميون الأتراك ان الاسرة العثمانية المالكة التى مازالت تحكم البلاد لم يعد لها الحق فى البقاء على رأس الدولة الجديدة ، ولهذا حصلوا على قرار من البرلمان التركى بفصل الخلافة عن السلطنة ، والغاء السلطنة بناء على فتوى صدرت من أعلى سلطة دينية فى البلاد ، وبهذه الرسيطة تفادى الوطنيون

صراعاً مع القوى الدينية - فالقرار موافق لفتوى أفتى بها شيخ الأزهر - وكذلك مع الناحية الظاهرية كان يحتفظ بالهبة والشرف كخليفة ، غير أن معارضته للقوميين وهروبه الى معسكر الانجليز قد جعله عدواً للوطنيين ، وسرعان ما استصدرت فتوى بخلعه من الخلافة وتولية عبد المجيد مكانه مع انذار هذا الاخير بعدم التدخل فى شئون البلاد وانه ليس من حقه ابداء الرأى فى المسائل التى تتعلق بالشئون الداخلية للدولة ، حيث تتعدى سلطة الخلافة حدود تركيا الجديدة ، غير أن المؤتمر القومى التركى رأى أنه من الضرورة بمكان والمسائل التى لا تحتتمل التأجيل الوصول الى قرار حاسم للمشكلة المتعلقة بالدول التى تخلف تركيا فى المنطقة العربية بهدف الحفاظ على كيان الدولة التركية الجديدة وتأميننا لوجودها وكان اتجاه المؤتمر نابعا من حرصه على عدم اثقال كاهل الدولة بشوئها الجديد بالتورط فى مسائل عالمية .

ثم انتقل مصطفى كمال الى الخطوة الثانية من برنامجه بعد انتصاره على منائيه بالغاء الخلافة وهى اعلان مفهوم علمانية الدولة ، معلنا أنه لا علاقة بين الدين والسياسة لأن الدين فى اعتقاده قضية تتعلق بالانسان ذاته . وهذا يعنى ان الفرد له الارادة الحرة فى اختيار الدين الذى يختاره ، ولا شأن له فى السياسة . وتبعاً لهذه السياسة الفى المحاكم الشرعية ، والقرانين المتعلقة بالشرعية ، وتطبيق القوانين الاجنبية ، والغاء الحروف العربية وتبديلها بحروف لاتينية والزام الشعب بتغيير الزى الخاص بالمجتمع التركى ، وارتداء القبعة . وفى هذا الصدد خاطب مصطفى كمال الشعب التركى قائلاً : « أنه من الواجب علينا ارتداء ملابس الامم المتعدية الراقية ، كى نبرهن للعالم أجمع بأننا أمة راقية كبيرة ، لنا حضارة عريقة ، ولانسمح للغير بأن يضحك علينا



وعلى تقاليدنا القديمة البالية (١).

وقد نجح أتاتورك في تطبيق الامور السالفة الذكر بعد أن تمكن من توحيد الشعب التركي باسم القومية التركية في اطار حدود نشأت بموجب المعاهدة الوطنية تحت الظروف المروعة لحرب الاستقلال . ونادى أتاتورك بعد الحرب بمجموعة من المبادئ ، وكانت الغاية منها هي التقرب من المدنية الغربية ، وكان شعاره في هذا الصدد : « رفع مستوى الدولة الى مصاف المدنية انحالية » .

وبرر أتاتورك هذه المفاهيم بأنها نتيجة طبيعية للتقييم الحقيقي للوضع السياسي والجيوبوليتيكي التركي في مواجهة توازن القوى والقوى الاجتماعية السائدة في تلك الفترة ، ولتحقيق ذلك فانه نادى بالمبادئ الست التالية : الجمهورية ، القومية ، الشعبية ، الدولية ، العلمانية ، والاصلاحية . وفي الحقيقة فان دستور ٥ فبراير سنة ١٩٣٧ كان يمثل أساسا هذه المبادئ في السياسة الداخلية وكان الحزب الجمهوري - حزب أتاتورك قد أكد - على هذه المبادئ في عام ١٩٣٥ ، حين جاء في برنامجه : « أن أهداف الحزب تتركز في الحفاظ على الصفة الخاصة والاستقلال المطلق للمجتمع التركي . وفي نفس الوقت يؤكد الحزب على البرامج والتطورات الجديدة في العلاقات الدولية ، وعلى ذلك فان الحزب يتبع التوازن والانسجام مع جميع الشعوب المتعدنة .

وهكذا تطورت الاحداث في تركيا متجهة وجهة غير اسلامية ودفعها الى ذلك عدد من المحاولات التي جانبها الحظ فتعثر قيام علاقة ودية بين القوى

---

(١) راجع في تفصيل ذلك أبو الحسن على الحسن الندي ، الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الاقطار الاسلامية ، دار الندوة ، لبنان ١٩٦٨ من ص ٦٥ - ٦٩ .

القومية ، والاتجاهات الدينية ، وفساد المناخ الذى يساعد على تبادل الآراء بينهما ، أصبح التحالف معه مستحيلا فى وقت انجز فيه هذا التحالف دورا حاسما فى العالم الاسلامى ، وبذلك انعزلت القومية التركية ، لأن دعوتها الى التحرر من الدين كانت عنيفة عن باقى الحركات الوطنية التى قامت فى العالم الاسلامى ، وأصبحت فريدة فى منهجها وسياستها ، فخرجت عن أن تكون مثالا لتلك القوى التى يتكون منها البناء الجديد للشرق الاسلامى ، ورغم هذا المنهج لحركة التحديث التركية فلا تزال توجد فى تركيا قوى ذات ثقل لدى الشعب ، تهتم بالدعوة الى عودة الدين لاسلامى الى الحياة السياسية<sup>(١)</sup> ، مما يدل على ان القومية التركية بمفهومها هذا لم يخل لها الجواب بعد - لاحظ أحداث الشغب التى تشيرها فئات أخرى من المجتمع التركى كالارمن مثلا وهم يمثلون قوى معتد بها ويقومون بحركات عنف فى وجه الحكومة التركية من آن لآخر - وهو ما يمكن معه القول أن التطور التاريخى لم ينته فى هذا المتعطف التاريخى ، فالمعارضة الداخلية - فى جزء منها - لم تزل اقوى مما قدر لها المراقبون ، وحين قرر المجلس الوطنى فى تركيا فى نوفمبر ١٩٢٤ فصل الخلافة عن السلطة فقد طبع الخلافة بطابع الروحانية وحصرها فى دائرة السلطة الفكرية الخالصة ، فأصبح مجالها قاصرا على الناحية الروحية لوسائل العبادة ، وهذه صورة لم تعرفها الخلافة من قبل ولم يعهدها المسلمون فى النبى الكريم عليه الصلاة والسلام ، وقد كرس حركة التحديث فى تركيا جهدها فى ( فتكنة الخلافة ) أى تحويلها الى فاتيكان ، لكن المحاولة باءت بالفشل لعدم قبول الخليفة الجديد وهو ابن آخر سلطان لتركيا - « المعين » - لهذا التحديد للسلطة ومعارضته حركة

---

(١) وهو مالمس الباحث بنفسه خلال التقائه بقطاعات عريضة من الشعب التركى بمختلف أفكاره السياسية من وجود تيار اسلامى قوى تشهده تركيا حاليا .

التحديث مما أدى الى هروبه ، وهو ما آثار ردود فعل غاضبة فى العالم الاسلامى سرعان ما خفتت وانقطعت الخطوط الاخيرة التى كانت تصل المسلمين بالقسطنطينية وانصرف انظار العالم الاسلامى عنها .

ومما هو جدير بالذكر ، أنه عندما ظهرت الجمهورية التركية ، ونتيجة قيام ثورة أكتوبر الروسية عام ١٩١٧ ، كان هناك فى تركيا نشاط شيوعى غير عادى وفى هذه الفترة بالذات كانت علاقة تركيا جيدة مع الاتحاد السوفيتى ، ولاسيما أن الدولتين كانتا متفقتين على بعض الاهداف فى السياسة الخارجية . وتركز هذه الاهداف ، على أن الدولتين اعتبرتا الدول الغريبة عدوة مشتركة لهما ، ولاسيما أن الدول الاوروبية قد هيمنت على الاراضى التركية بعد أن وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها . كل هذه العوامل دعت مصطفى كمال الى حثه لبعض زملائه مثل رفيق قورالتان وذلك فى عام ١٩٢٢ بتأسيس حزب شيوعى محلى ، كموازنة للحركة الشيوعية فى تركيا ، هذا من جانب ، وتعزيز العلاقات بين تركيا والاتحاد السوفيتى من جانب آخر غير أن قورالتان أبى أن يقوم بهذا الدور .

ويضيف أحد الباحثين<sup>(١)</sup> عاملا آخر ، الى سبب تشجيع مصطفى كمال قيام حزب شيوعى محلى ، ويرجع السبب فى ذلك أن التنظيمات الدينية فى تركيا كانت قوية جدا ، وهذه التنظيمات تعود أساسا الى عهد الامبراطورية العثمانية ، علاوة على ذلك أن الطابع الدينى فى تلك الفترة كان هو السائد من المدينة الى الريف ، كما أن بعض المشقفين فى البرلمان التركى امثال رؤوف بك وقفوا موقف المعارض من حركة التحديث فى تركيا ، والابتعاد من العالم العربى والاسلامى وكان قيام هذا الحزب وان كان

---

(١) أحمد نورى التيمى ، تركيا وحلف شمال الاطلسى ، م . س . ذ . من ص ١٧ - ٢٨ .

مصطفى كمال من المناهضين للحركة الشيوعية - كان يعنى تقوية الحركة الاسلامية فى تركيا ، والأخذ بمظاهر الفكر الغربى ، بأى وسيلة كانت .

أن مصطفى كمال كان يعتقد بأن أوروبا الغربية قد أهملت الدين ، وبالتالي أعلنت مفهوم علمانية الدولة ، ومن الممكن مناقشة هذه الفكرة ، لأنها مرفوضة من الأساس لان هذا المفهوم فى أوروبا لم يكن يعنى ابعاد الدين عن السياسة ومادامت شعوب أوروبا وأمريكا مسيحية فحكومات هاتين القارتين مسيحية ايضا والا فكيف يمكن ان تفسير توسع بعض الدول ولاسيما بريطانيا والولايات المتحدة باسم التنصير والاستعمار بعد الحربين العالميتين الاولى والثانية . كما لا يخفى عن البال دور جماعات الضغط الدينية الكاثوليكية فى فوز كيندى فى انتخابات الرئاسة الامريكية فى بداية الستينات من هذا القرن ، ودور حركات التنصير الدينية فى افريقيا بصورة عامة ، وجنوب السودان بصورة خاصة .

وهناك تناقض اكيد فى سياسة حكومة اتاتورك ، فهى من جهة تدعى بأنها تسير على طريق الشعوب الغربية الراقية فى فصل الدين عن السياسة ومن جهة اخرى تتدخل تدخلا مباشرا فى الشئون الدينية الصرفة ، فى الوقت الذى أكد فيه اتاتورك بأن هذا المفهوم كان يعنى عدم تدخل الدولة فى امور الدين .

وصفوة القول ان أوروبا وأمريكا لم تنبذ مسيحيتها ، لان هذه الدول جميعا بقيت على مسيحيتها ، لم يتغير شىء فى هذه الصبغة بل لم يتغير شىء من عقائدها الكنيسية التى كانت عليها من قرون .

وعلى الرغم من هذه الملاحظة لأحد الباحثين على برنامج اتاتورك ، الا انه تجدر الاشارة من ناحية اخرى ان اتاتورك قد استطاع ان ينجح فى الحياة السياسية الى حد بعيد ، لانه هو الذى استطاع ان ينقذ تركيا من خطر اكيد

فى ظروف حالكة املتها السياسة الدولية فى تلك الفترة على الامبراطورية العثمانية ، وتمكن بالتالى من خلق حكومة قوية اخذت على عاتقها الدفاع عن استقلال تركيا ، ولكن وطأة هذه الاجراءات جاءت بردود فعل معاكسة على صعيد الشعوب الاسلامية اذ ان كل الدوائر الاسلامية لمعتدلة كانت ترى ان الاسلام فقد - بمحو الخلافة من تركيا - رمزا ذا أثر قوى فى الوحدة الدينية والادبية فى العالم الاسلامى ، واتجهت الامل الى اعادة الخلافة بثوب مغاير للخلافة التركية وبصيغة غير خاضعة للاقليمية بحيث تكون فوق الارتباط بالمصالح القومية ، وامتزج ذلك بالعديد من العوامل التى اثرت فى تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك : دكتورة فتحية النبراوى ، دكتور محمد نصر مهنا ، قضايا العالم الاسلامى ومشكلاته السياسية بين الماضى والحاضر ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٨٣ ص ١٥٣ - ١٦٠ .



## **الباب الثالث**

### **التطلعات الشيعية**

**الفصل الاول : الدولة الشيعية ( الصفويون ) .**

**الفصل الثانى : ايران والعلاقات الاقليمية والدولية**

**الفصل الثالث : النزاع العراقى الايرانى .**

**الفصل الرابع : أمن الخليج .**





## الفصل الاول

### الدولة الشيعية (الصفويون)

- ١ - الايديولوجية .
- ٢ - السياسة المذهبية .
- ٣ - التيارات المعادية .
- ٤ - الحرب السافرة ( جالديران ) .
- ٥ - تجسيد الصراع .
- ٦ - الدولة الصفوية بعد اسماعيل .
- ٧ - استحكام العداء المذهبي .



## ١- الايديولوجية :

يعد نسب الصفويين الى الشيخ صفى الدين الاردبيلى .  
٦٥٠-٧٣٥هـ/١٢٥٢-١٣٣٤م الجد الاكبر للشاه اسماعيل الصفوى  
مؤسس الدولة الصفوية .

وقد التف حول الشيخ صفى الدين الاردبيلى عدد كبير من الاتباع  
المريدين نتيجة للدعوة القوية أو الدعاية المؤثرة التى قام بها هو وأتباعه من  
المتصوفة والدرائش الذين استطاعوا نشر دعوتهم لا فى ايران وحدها وانما فى  
بعض اقاليم الدولة العثمانية وفى العراق وبلاد الشام<sup>(١)</sup> .

وكان المجتمع الايرانى فى ذلك الوقت يعانى من الاثار السيئة والفساد  
للذين نتجا عن حكم المغول اتباع جنكيز خان والتموريين اتباع تيمورلنك  
مما أدى الى ظهور الدرايش والذين كان ظهورهم بمثابة نوع من التمرد  
السلمى ضد الاوضاع القائمة فى المجتمع واستطاع الشيخ صفى الدين عن  
طريق احدى الفرق التى تزعمها ان يشق طريقه فى المجتمع الايرانى  
كما استطاع أن يكسب تأييد ومساندة الكثيرين من الايرانيين مما أدى  
الى تحول هذه الفرق الى الدعوة للمذهب الشيعى حيث اشيع أن  
الشيخ صفى الدين وأولاده يتنسبون الى على بن أبى طالب ومن  
ثم لهم الحق فى المطالبة بالحكم ، ومن هنا تحولت هذه الفرقة من  
فرقة دينية الى فرقة لها مطامع سياسية كما تحولت دعايتهم الى دعوى  
سياسية .

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك دكتور بديع جمعه ، دكتور أحمد الخولى ، تاريخ الصفويين  
وحضارتهم ، دار الراىء العربى للنشر ، القاهرة ١٩٧٦ .

ولجأ الشيخ صفى الدين الى التقية اذ كان مظهره يوحى بأنه سنى الاتجاه بل أنه من اتباع المذهب الشافعى لكنه فى الواقع كان يطبق مذهبه ويخفيه ومع ذلك كان مذهب الامام جعفر الصادق .

ولما تمهدت السبل أمام هذه الدعوة المستترة أعلن أحد أحفاد الشيخ اسماعيل وهو خواجه على سياهبوس الدعوة الشيعية بل أن السلطان حيدر أكد صلة نسبه بالامام موسى الكاظم ومن ثم أصبحت الدولة الصفوية فى ايران تعد نفسها من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذا الاساس تحولت الفرقة التى قادها الشيخ صفى الدين من مجرد مجموعة من الدارويش أو المتصوفة الى رجال لهم أهداف سياسية تقوم على اسس مذهبية أدت فى النهاية الى تأسيسهم للدولة الصفوية فى ايران تلك الدولة التى كان لها دورها الخطير فى تاريخ الاسلام والمسلمين ، وكان لآرائها أثره الواضح على تطور الفكر السياسى فى الاسلام .

وقد قامت الدولة الصفوية فى ايران ونجحت لأسباب عديدة لعل أهمها مايلى :

أولا :

تبحث عن الوحدة السياسية الحقيقية التى فقدتها خلال الاعوام الطويلة تحت حكم التيموريين الذين زادت فى نهاية حكمهم الفوضى وعمت الاضطرابات أرجاء ايران .

ثانيا :

كان الناس يترقبون الى نوع من الخلاص من تلك الانظمة وصمم

(1) Syilkes ( Sir Percy): History of Parsia, London, 1951. pp. 12-40 .

اسماعيل الصفوى على فرض المذهب الشيعى بل اعلانه مذهباً رسمياً للدولة فى ايران ، وقضى بالقوة العسكرية المسلحة على معارضة .

وقد استطاع الصفويون أن يجمعوا حولهم اعداداً غفيرة من الاتباع والمريدين ، وقد لمس الصفويون الجوانب الروحية والمادية للشعب الايرانى الذى منحهم تأييده ومساندته <sup>(١)</sup> .

### ثالثاً :

استخدم الصفويون القوة العسكرية الى جانب القوة الروحية فى الدعوة لآرائهم ومذهبهم وتمكنوا بذلك من تعبئة الشعور الشعبى لدى الايرانيين بالاضافة الى الشعور الدينى ومن ثم تهيئة الجو الملائم لاعلان قيام دولة اسماعيل الصفوى العسكرية الممثلة فى افراد من قبائل القزلباش الذين كانوا على استعداد للتضحية بكل شىء فى سبيل نصرة مرشدهم وشيخهم وأمام طريقتهم .

### رابعاً :

تكاثفت الدعاية الشيعية القوية سواء فى بقايا الفاطميين فى مصر أو الاسماعيلية أو الاسرة الصفوية نفسها فى اعلان المذهب الشيعى فى ايران لتتحول كلها من بعد ذلك من المذهب السنى الى مذهب الدولة الجديدة وهو المذهب الشيعى .

ورغم ذلك فإن ردود الفعل كانت عنيفة خاصة وأن كثيرين من سكان المدن الرئيسية فى ايران مثل تبريز كانوا من السنة ، بل أن علماء الشيعة انفسهم كانوا يخشون على المذهب من رفض السنة له واعلان عصيانهم على

(1) Farmayan., H.F., The Policies and Reforms of Shah Abas & Utah 1969 pp. 27

الحاكم الصفوى شيعى المذهب .

وعموما فقد صمم اسماعيل الصفوى على فرض المذهب الشيعى بل اعلانه رسميا للدولة فى ايران ، وقضى بالقوة العسكرية المسلحة على معارضيه .

وقد عانت الدولة الصفوية فى بداية الأمور من قلة الكتب والمؤلفات التى تبحث فى المذهب الشيعى والتى يمكن أن توضح قواعده واصوله ، ولذلك أخرج القاضى نصر الله الزينونى الجزء الاول من كتاب قواعد الاحكام الاسلامى للعلامة جمال الدين بن المظهر الحلى واصبح الاساس فى تعاليم الشيعة فى الدولة الصفوية (١) .

## ٢ - السياسة المذهبية :

بذل السلطان اسماعيل الصفوى جهودا ضخمة فى فرض المذهب الشيعى فى ايران ، فعلى الرغم من التهيئة الروحية للدعوة الشيعية بين سكان ايران الذين كانوا فى غالبيتهم من السنة فقد لاقى المذهب الشيعى رفضا ومقاومة غداة اعلانه ومن هنا اصبح لزاما على الشاه اسماعيل الصفوى أن يواجه هذا الموقف بتجنيد العناصر الشيعية لفرض هذا المذهب ووجد منها تأييدا ومناصرة واستغل حميتهم لمناصرتهم فدفعهم لضرب معارضيه والتأكيد لمذهبه فى ايران .

لجأ السلطان اسماعيل الصفوى الى سياسة ماهرة فى تأكيد دعوته السياسية والمذهبية فاعتمد على قبائل التربلاش التركية الاصل لتكون نواة لقوته العسكرية ذلك أن المجتمع الايرانى فى ذلك الوقت كان يتكون من

(١) دكتور بدیع جمه ، دكتور أحمد الخولى ، تاريخ الصفويين ، مرجع سابق .

عناصر مختلفة نتيجة لموجات الغزو المتعاقبة على البلاد مما كان يصعب معه صهر كل هذه العناصر فى بوتقة واحدة .

لقد استطاع اسماعيل الصفوى بهذه السياسة أن يجند الطاقة المذهبية عند هذه العناصر لتكون المحور الذى تلتف حوله وتذوب فيها الفوارق العرقية وتخل محلها وحدة ذهبية يمكن له أن يقيم عليها الكيان السياسى الجديد .

وبالإضافة الى ذلك كان عليه أن يجسد الاخطار الخارجية أمام تلك العناصر ، ويوضح مدى الاخطار المشتركة التى يجب عليها أن تواجهها متحدة متماسكة وخاصة الخطر الذى تمثله الدولة العثمانية السنية التى تقيم متاخمة لحدود الدولة الجديدة .

وقد نجح اسماعيل الصفوى نجاحا بالغا خاصة بعد دخوله تبريز وتوجيه ملكا على ايران فى أن يدعم وجدوه المذهبى والسياسى وذلك بالقضاء على معارضيه من السنة ويخلق طبقة جديدة من رجال الدين يستعين بها فى اقرار سياسته المذهبية .

وتوج نجاحه حين استطاع ان يخلق وحدة قومية فى ايران تدفع فيها العناصر المختلفة بكل قوتها لمواجهة الاخطار المحيطة بالدولة الجديدة ممثلة فى القوى السنية المجاورة .

### ٣ - التيارات المعادية :

كان فتح القسطنطينسة على يد السلطان محمد الفاتح عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م بداية مرحلة من الصراع العسكرى والاختلاف السياسى بين الشيعة فى ايران والسنة فى الدولة العثمانية . وكلما تصاعد هذا الخلاف هدأته قبائل الآق قويونلر التى كانت تحكم الحدود التركية الايرانية وكانت

تميل الى ايران مع درايتها بمعارضة العثمانيين .

وحين زالت آلاق قويونلو بدأت القوتان الكبيرتان وجها لوجه دون دويلة تصادم صغيرة تفصل بينهما ، ومن ثم بدأ الصراع على ممتلكات آلاق قويونلو والتي كانت تقع فى اراضى كل من الدولتين الصفوية والعثمانية (١) .

وقد جرد هذا الصراع النزاعات المذهبية بين الدولتين الا أن هذا الخلاف كل يخبو نتيجة لعوامل داخلية أو خارجية فى كلا الدولتين ، فكانت الدولة العثمانية مشغولة بالفتوح الأوروبية ، وكانت الدولة الصفوية مشغولة باضطرابات الداخلية فى ايران .

كانت هناك رسائل متبادلة بين كل من السلطان بايزيد والسلطان اسماعيل الصفوى بشأن السماح للشيعة فى الدولة العثمانية بزيارة الاماكن المقدسة الشيعية وتدل هذه الرسائل على أن نوعا من المسالمة المشوية بالخوف كان بين البلدين . بل أن بايزيد قد أرسل فى تهنئة الشاه اسماعيل الصفوى وقد اعتلى عرش ايران عام ٩١٠ م ١٤١٥ .

كذلك كان كل من السلطان العثمانى والسلطان الصفوى يتوقان الى أن يظفر رعايا كل من المذهبين بمعاملة طيبة . ورغم تعهد كل من السلطان العثمانى لئنه الصفوى بذلك الا أن العهود كانت دائما ما تتجمد أمام المصالح العامة للدولة فقد تعرض السنة فى ايران الى اضطهادات شديدة كما تعرض الشيعة فى الدولة العثمانية الى معاملة مهينة بل معاملات وحشية مثلما كان يتعرض السنة فى ايران .

وقد ظلت العلاقات بين الصفويين والعثمانيين تتأرجح بين الصفاء تارة والعداء تارة اخرى ، وحين تولى السلطان سليم الاول عرش الامبراطورية تخلص من كل معارضيهِ وخاصة ابناء السلطان بايزيد الفاتح الا أن أحد ابناءه

(1) Toynbee, Arnald, A Study of History, Annex, 1, Vol. p. 347.



وهو مراد استطاع الفرار حيث لجأ الى السلطان اسماعيل الصفوى الذى استقبله واكرم وفادته بل عينه حاكما على جزء من بلاده . ولكن الاخير مرض ومات فأمر السلطان الصفوى بدفنه فى الارض الايرانية ، ولما كان السلطان سليم يطمع فى أن يتسلم جثماناخيه ارسل الى الشاه يطلب ذلك فأجابه الى طلبه .

وكان السلطان سليم يطمع فى أن تستقر أمور مملكته فى الداخل والخارج على السواء لما فى الداخل فقد استطاع أن يتخلص من معارضيه ومن ثم بدأ يتفرغ للنظر فى الأمور الخارجية وخاصة مسألة الامن على حدوده الشرقية مع الدولة الصفوية .

ونظرا لسوء العلاقات بين سليم الاول والسلطان اسماعيل الصفوى لأمر تعد شخصية بحتة منها أنه كان يؤيد أخاه أحمد ضده فى ولايته للعرش ومنها انه لم يرسل اليه وقد اعتلى العرش العثماني برسول للتهنئة شأنه فى ذلك شأن اصدقاء الدولة العثمانية فان سليم الاول اعتبر تصرفات الشاه الصفوى امتهاانا له وتصغيرا من شأنه ومن ثم قرر التصدى العسكرى لایران (١) .

وكان لابد من تبرير شرعى ودينى يقدمه السلطان سليم لحرية مع ايران ، فأعلن فى اجتماع لكبار رجال الدولة والقضاة ورجال السياسة وهيئة العلماء فى عام ٩٢٠هـ / ١٥١٤م أن ايران بحكومتها الشيعية ومذهبها الشيعى يمثلان خطرا جسيما لا على الدولة العثمانية بل على العالم الاسلامى كله وانه لهذا يعلن الجهاد المقدس ضد الصفويين وضد القزلباش دعامة الجيش الصفوى بل واعتبارهم مارقين عن الاسلام تجب حربهم ومقاتلتهم بل اعتبر

(1) Ibid., pp. 349 - 351 .

(١) فيشر ، تاريخ أوروبا فى المصور الرسمى ، م . س . ذ .

هذا واجب دينى على كل المسلمين .

#### ٤ - الحرب السافرة ( جالديران ) :

أعد السلطان سليم الاول لمعركة فاصلة مع الدولة حيث وصل الى استانبول وبدأ فى التحرك من استانبول تجاه الاراضى الايرانية وبعد أن غادر اسكوتارى أرسل يهدد الشاه اسماعيل الصفوى فى رسالة يقول فيها « بسم الله الرحمن الرحيم قال الله الملك العلام ان الدين عند الله الاسلام ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ، ومن جاء موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك من اصحاب النار هم فيها خالدون ، اللهم اجعلنا من الهادين غير المضلين ولا الضالين وصلى الله على سيد العالمين محمد المصطفى النبى الامين وصحبه أجمعين » .

وفى نفس الوقت أرسل السلطان سليم الاول الى أحد أفراد اسيرة آق قويونلو وهو محمد بن فرج شاه بيك يحثه على الاشتراك معه فى قتال اسماعيل الصفوى ، وبدأت حرب الاستطلاع بين المعسكرين المتحاربين ، الا أن سليم الاول قد بدأ التحرك نحو الدخول فى القتال حيث عسكر فى صحراء ياسى جمن على مقربة من أذربيجان ، ووصلت الانباء التى أتت بها عيون تقول أن الشاه اسماعيل الصفوى لا ينوى القتال وأنه يؤخره الى أن يحل فصل الشتاء حتى يهلك العثمانيون برداً وجوعاً .

وبدأ سليم الاول يسرع فى تحريك الصراع بينه وبين الشاه اسماعيل فأرسل اليه للمرة الثالثة وأرسل مع رسالته خرقة ومسبحة وكشكولا وعصا رمز فرق الدراويش وهو بهذا يقصد الى أن يذكره بأصله ، وبأصل الاسيرة الصفوية التى لا تستطيع الصمود فى الحرب ، ومع ذلك فقد رد الشاه

اسماعيل يطلب المهادنة وتجديد علاقات السلم والصداقة بين الدولتين ، ولم يقبل سليم الاول هذا من شاه الصفويين ، وأهان رسوله بل أمر بقتل رسول الشاه الصفوى وقد أدرك سليم الاول أن خطة أعدائه تتلخص فى المهادنة والتباطؤ لتأجيل موعد اللقاء حتى يحين فصل الشتاء ، كما واجه سليم الاول أيضا مشكلة تمرد جنده لطول الانتظار بل أن منهم وخاصة من جند الانكشارية من رفض الصمود معه حتى يبدأ القتال لكن سليم قرر أن يستمر حتى ولو واجه الصفويين وحده وأيده أنصاره من جنده وسار سليم يقصد دخول تبريز العاصمة الصفوية .

وأثناء تحرّكه وصلته الأخبار أن اسماعيل الصفوى قد بدأ الاستعداد للقتال والحرب بل أنه على وشك الوصول الى صحراء جالديران فبدأ سليم الاول المسير نحوها فوصلها فى اغسطس عام ١٥١٤م واحتل المواقع الهامة بها حتى اعتلى الاماكن الهضبية فيها مما مكّنه من ايقاع الهزيمة باسماعيل الصفوى وجنوده وكانت هزيمة ساحقة حلت بالجيش الصفوى على أرضه .

واضطر اسماعيل الى الفرار فى نفس الوقت الذى كان سليم الاول يستعد فيه للدخول الى تبريز عاصمة الصفويين .

ودخل سليم الاول تبريز وحصر اموال الشاه الصفوى ورجال القلزياس واتخذها مركزا لعملياته الحربية وفى نفس الوقت كان الشاه اسماعيل الصفوى يحاول الانتقام ومعاودة القتال فاطبق حصارا على العاصمة تبريز ليمنع عنها وصول المؤن حتى يضعف من قوة سليم ويضطره الى الازعان لجنوده بالعودة حين يقاسون الجوع ونقص الامداد والتموين .

## ٥- تجسيد الصراع :

لم ينته الصراع بين الدولة العثمانية والشيعة فى ايران بانتهاء

معركة جالديران وانما ازداد العداء حدة وازداد الصراع ضراوة وظل الطرفان يتربص كل منهما الآخر .

كما ازداد الانقسام بين المسلمين اذ قام الاكراد فى كردستان ينادون بأن ينضموا للدولة العثمانية باعتبارهم سنة بل انه لم يمض وقت طويل حتى طلب معظم سكان المدن الايرانية الانضمام للحاكم العثمانى .

وعندما ساءت الاحوال فى ايران طلب الشاه اسماعيل الصفوى الصلح مع السلطان سليم فأرسل سفراء بالهدايا الى البلاط العثمانى لكن السلطان سليم رفض هذا الطلب وزج بالسفراء فى السجن .

وكان من النتائج الهامة لمعركة جالديران ازدياد رقعة الدولة العثمانية وامتداد نفوذها وسيطرتها على بلاد الشام ومصر .

وفى ايران كان للحرب مع العثمانيين نتائج سيئة على الصعيدين السياسى والاجتماعى ، ونادى الشيعة فى ايران بضرورة الجهاد ضد العثمانيين وغدت المذهبية الشيعية ركيزة اساسية فى القومية الايرانيين .

أما السلطان اسماعيل شاه الصفويين فى ايران فقد كان حين منى بالهزيمة شابا يمتلىء بالحيوية والحماس فلم يفتأ يفكر فى الانتقام من العثمانيين ، لكنه وقد ضاقت به السبل فضل الاعتزال واتخذ طرق الصوفية واعلن ضرورة القصاص من العثمانيين ، وساعد هذا الموقف السلبي الذى اتخذه اسماعيل الصفوى أن ازداد نفوذ العثمانيين وظلوا يتوسعون على حساب الصفويين .

وانتهى عصر الشاه اسماعيل الصفوى بتجسيد الصراع بين السنة والشيعة وزيادة العداء بين ايران والدولة العثمانية .

## ٦ - الدولة الصفوية بعد اسماعيل (١)

تولى الشاه عباس حكم ايران فى ظروف شديدة التعقيد واتخذ لهذا سياسة شديدة التعصب للمذهب الشيعى ، وقد بذل السلطان عباس الصفوى جهودا كبيرة لارساء دعائم المذهب الشيعى الاثنى عشرى .

وقد أكد الشاه الجديد على تركيز دعائم مذهبه بالعودة الى صيغة الأذان الشيعى التى تضم حى على خير العمل ، واشهد ان عليا ولى الله .

كما انه كان يكثر من زيارة الاضرحة منها ضريح الامام الرضا فى مدينة شهد كما كان يزور ضريح جده الشيخ صفى الدين ، وكان يتحمل المشاق فى سبيل الوصول الى هذه الاضرحة فمن المأثور عنه انه سار من اصفهان الى شهد سيرا على الاقدام . ويقارن المؤرخون بين هذه الرحلة وبين الرحلة التى قام بها الامبراطور البيزنطى هرقل حيث سار من القسطنطينية الى بيت المقدس ففرش له المسيحيون الطريق بالورود والرياحين ، بينما سار الشاه الصفوى فى طريق مفروش بالحصى والرمال وآثر أن يتمم رحلته سيرا على الاقدام امعانا فى الخضوع والشعور بالراحة الدينية .

وقد استطاع الشاه عباس أن يفتح بغداد وأن يستعيد الاماكن المقدسة الشيعية فى النجف وكربلاء والكوفة ، وقد زارها وسط مظاهر الاجلال والتقدير ، وقد أورد بعض المؤرخين أنه قضى عشرة ايام فى زيارته للنجف حيث قام بنفسه بخدمة الحجاج فى ذلك المكان كما يذكر ان امعانا فى اعلان تمسكه بالمذهب الشيعى وولائه لعلى بن أبى طالب ان اطلق على نفسه لقب كلى عقبه على ، كلب عتبة الولاية ، كما نقش هذا على

---

(١) دكتور بديع جمه ، دكتور أحمد الخولى ، تاريخ الصفويين وحضارتهم م . م ٣ . ص ٣

خاتم الذى كان يستعمله فى مراسلاته الرسمية .

وعلى الرغم من تعصبه الشديد للمذهب الشيعى الا انه رفع أيدى رجال الدين عن التدخل فى شئون الحكم والسياسة ومارس نوعا من السلطة المطلقة فى حكم البلاد .

واستعاد السلطان عباس الصفوى قوة الكلزباش التى كانت عماد الجيش الايرانى ، وفى نفس الوقت اهتم بأمور الادارة فى الدولة ودعمها بالرجال الأكفاء<sup>(١)</sup> .

وكان حتما على الشاه عباس أن يقضى على الفتن الدينية التى انتشرت فى البلاد سواء منها ما قام به الشيعة من أعداء الدولة أو السنة من الأكراد الذين عاملهم معاملة سيئة نظرا لولائهم المذهبى للدولة العثمانية .

وقد أنزل الشاه عباس الصفوى أقصى أنواع العقاب بأعداء الدولة من السنة فاما أن يقتلوا أو تسمل عيونهم ، ولم يكن يتسامح مع أى منهم الا اذا تخلى عن مذهبه السنى وأعلن ولاءه للمذهب الشيعى .

وبلغ عداء الشاه اسماعيل الصفوى للمذهب السنى أن اتصل بملوك من المسيحيين ، واماعانا فى ضرب الدولة العثمانية حامية المذهب السنى فقد عقد اتفاقات تعاون مشترك معهم من أجل تفويض أركان الدولة العثمانية السنية ، ولم يكن يعبأ حتى اذا قدم عديدا من التنازلات للدول الاوروبية تأكيداً لتعاونه معهم انطلاقاً من عداوته للدولة العثمانية .

وعامل الشاه عباس الصفوى المسيحيين فى ايران معاملة حسنة على عكس معاملته للسنة ، وقد كان لمعاملته الطيبة للمسيحيين أن نشطت الحركة التنصيرية المسيحية فى ايران كما شجع التجار الاوروبيين فى عقد

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٨ - ٢٩٤

صفقات تجارية كبيرة مع التجار في إيران وأصبحت إيران سوقا رائجا للتجارة الأوروبية ، وتوج تسامحه مع المسيحيين بأن أعلن في عام ١٥٩٨/١٠٠٧ م أوامره بعدم التعرض لهم والسماح لهم بحرية التجول في ربوع الدولة الصفوية.

وجاء بالمرسوم الذي أصدره شاه الدولة الصفوية مايلي : ...

من اليوم يسمح لمواطني الدول المسيحية ومن يدينون بدينهم بالحضور الى أى بقعة من وطننا ولايسمح لأى شخص بأى حال من الأحوال اهانتهم ، ونظرا لما يبتنا وبين الملوك المسيحيين من علاقات ود ومحبة فيسمح للتجار المسيحيين بالتجول فى جميع انحاء إيران ، ومزاولة نشاطهم التجارى فى أى بقعة من الوطن ، دون أن يتعرض لهم بالايذاء من أى شخص سواء كان حاكما أو أميرا أو خانا أو موظفا أو تابعا للدولة كما تعفى جميع أموال تجارتهم التى يحضرونها معهم من ضرائب المال وليس لأى شخص مهما بلغت مكانته أن يزاحمهم أو يكلفهم المشاق ، وليس من حق الدين مهما كانت طوائفهم التجروء على الاضرار بهم أو التحدث معهم بخصوص العقائد المذهبية .

وبعكس هذا رأى الذى أصدره شاه الدولة الصفوية عباس الصفوى خطورة الخطوة التى لجأ اليها الشاه نتيجة لعداته مع الدولة العثمانية وتأتى خطورة هذه الخطوة من أن الاسلام والمسلمين مهما بلغ بأبنائه الخلاف والانقسام لا يصل الى حد التعاون مع اعداء الاسلام ، ذلك أن اعداء الاسلام هم اعداء السنة والشيعة على السواء ، ذلك أن العداة للإسلام لايفرق بين سنة ولا شيعة ، اذ أن العداة عداة كامل موجه لأبناء الدين على الرغم من اختلافاتهم المذهبية .

ان من المظاهر التى التصقت بعصر الشاه عباس الصفوى انه جامل المسيحيين وشرب معهم الخمر احتفالا بأعيادهم كما أنه سمح لهم بالتبشير بالمسيحية فى داخل ايران ، واعطاهم امتيازات ببناء الكنائس المسيحية فى كبرى المدن الايرانية .

وظهر تعاطفه الشديد مع المسيحيين فى زيارته لكنائسهم وحضور اعيادهم واحتفالاتهم الدينية والتشاور مع رجال دينهم فى الامور الدينية ومن المعروف عنه انه كان على دراية كبيرة بجوانب الدين المسيحى ، بل أن رجال الدين المسيحى دعوا الشاه نفسه الى اعتناق المسيحية والارتداد عن الاسلام .

وقد اتهم الشاه عباس الصفوى بضعف الايمان ، الا أن المتعصبين له من الشيعة يحللون ذلك على انه ضرورة سياسية لجأ اليها الشاه نظرا لظروف العداء مع الدولة العثمانية السنية .

وعلى العكس من ذلك كانت معاملته لليهود معاملة قاسية فلم يتمتعوا فى عهده بالحرية الدينية كما فرضت عليهم قيود اقتصادية ، من ذلك أنهم فرضوا عليهم الا يتعاملوا فى تجارة الذهب والمجوهرات ومن ثم أصبح اليهود فى عزلة عن الجميع ، وتحددت لهم أحياء خاصة للسكنى ولم يسمح لهم الا بالاقامة فى حاراتهم ، كما لم يسمح بالتجول ليلا الا فى أحيائهم .

ومعنا يكن من أمر فان الشاه عباس الصفوى كان شيعى المذهب شديد العداء سافرا فى تصرفاته وفى سلوكه فى الداخل والخارج .

#### ٧- استحكام العداء المذهبى :

يمكن تمييز مراحل ثلاثة للعلاقات الايرانية العثمانية فى عهد الشاه عباس الصفوى أما المرحلة الاولى قد تميزت بالسلبية وعدم قدرة الدولة الصفوية التصدى للدولة العثمانية التى كانت قواتها تسيطر على معظم أراضي الدولة



الصفوية ولذلك كان شاه ايران عباس الصفوى شديد الحرص على ارضاء العثمانيين وعدم القدوم على ما يعكر صفو العلاقات بينه وبينهم خاصة وأن العثمانيين فى تلك المرحلة اليد الطولى فى العلاقات بين الدولتين ولعل ابرز دليل على ذلك معاهدة ٩٩٨هـ / ١٥٨٠م التى عقدها مع العثمانيين والتى يصفها المؤرخون على انها كانت وثيقة خضوع واستسلام من جانبى الصفويين للدولة العثمانية .

أما المرحلة الثانية فكانت مرحلة التحرير والمواجهة العسكرية التى قاد فيها الشاه عباس الصفوى معارك ضارية ضد العثمانيين من أجل تحرير بلاده من السيطرة والنفوذ العثمانيين ، وقد توج كفاح ايران فى هذه المرحلة بامكانية التحرير من السيطرة العثمانية ، وحين تم للصفويين ذلك أصبح التعامل بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية معاملة الند للند وفيها عادت للدولة الصفوية حريتها واستقلالها ، وعادت للايرانيين عزتهم وكرامتهم .

أما المرحلة الثالثة فقد تحولت فيها الدولة الصفوية من الدفاع الى الهجوم ، وتحولت فيها قدرة الجيوش الصفوية من دور المدافع الى دور المهاجم ، واستطاع فيها عباس الصفوى استعادة الاراضى التى كانت تحت السيطرة العثمانية ومنها أماكن الشيعة المقدسة فى العراق ، وكان لتأييده لاوروپا المسيحية وانشغال الدولة العثمانية فى حروبها مع الدول الاوروية فيما بعد اثره فى استمرار العداء بين الدولتين وصولا القرن التاسع عشر على نحو ما سوف يتم تفسيره فى الفصل الآتى :



## الفصل الثاني

### ايران والعلاقات الاقليمية والدولية

- بعض الملاحظات الجيوبوليتيكية والتاريخية .
- ايران والعلاقات الاسلامية والدولية فى القرن التاسع عشر .
- التقسيم البريطانى الروسى لفارس ١٩٠٦-١٩٠٧ م وتصاعد المد الاسلامى .
- الحرية العالمية الاولى وما بعدها .



## - بعض الملاحظات الجيوليتيكية والتاريخية :

من الملاحظ اننا لم نتعرض حتى الآن للأوضاع الجيوليتيكية لايران ، ونظرا لأهميتها وخاصة فى فترة التاريخ المعاصر فسوف نتعرض لأهم هذه الملاحظات .

تقع ايران فى جنوب غرب قارة آسيا ، وبجاورها العراق وتركيا من جهة الغرب ، وافغانستان وباكستان من الشرق ، والاتحاد السوفيتى وبحر قزوين من الشمال ، والخليج العربى وبحر عمان من الجنوب . ومناطقها الداخلية صحراوية على وجه العموم ، وسهولها ضيقة واشهرها سهل الاهواز الذى يكمل سهول العراق ، ومناخها قارى ، وانهارها كثيرة وتتجه ليصب بعضها فى بحر الخزر وبعضها نحو الخليج العربى وخليج عمان وبعضها يصب فى بحيرات داخلية ، ويوجد بها بحر الخزر وهو بحر مغلق ويمتد من مضيق هرمز حتى مصب نهر قارون ثم بحر عمان الذى يتصل بالمحيط الهندى ويتدخل بين ايران وجزيرة العرب واتجاه مضيق هرمز .

يبلغ عدد سكانها نحو أربعين مليون نسمة معظمهم من العنصر الايرانى ، ويشكل الفرس ٦٣٪ والأتراك ٢٠٪ والعرب ٧٪ والبالوج ٢٪ ، ويعيش الايرانيون الفرس فى المناطق الوسطى فى حين يعيش الأتراك فى الشمال الغربى فى اذربيجان ، والشمال الشرقى فى خراسان يعيش فيها التركمان ، فى حين يسكن العرب والاكرد منطقتى الاهواز وكردستان ، واللغة الرسمية هى اللغة الفارسية وتكتب باللغة العربية ، وكلماتها العربية كثيرة . وكان اهل ايران من المجوس الذين يعبدون النار وانتشرت الديانات الزردشتية ، والماتوية ، والمزديكية ، ثم دخلها الاسلام فى القرن الاول الهجرى ليعتقه ٩٩٪ من مجموع السكان .

وتجدر الاشارة ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد بعث وفودا الى

ملك بلاد فارس كسرى برويز الذى مزق الخطاب ، وما كان من قتل كسرى ، ثم تحقق فتح بلاد فارس فى عهد عمر بن الخطاب بقيادة سعد بن ابى وقاص فى معركة القادسية حيث انتصر المسلمون وانهزم الفرس على نحو ما سبقت الاشارة اليه تفصيلا .

### - ايران والعلاقات الاقليمية والدولية فى القرن التاسع عشر :

شهد القرن التاسع عشر تشابك العلاقات السياسية الاقليمية الاسلامية بين بلاد فارس وافغانستان حيث ارتبط تاريخها الحديث ، خاصة وان بريطانيا كان لها هى الاخرى - باعتبارها من القوى العظمى الاستعمارية تأثير كبير فى سير الاحداث على النحو الذى سيرد تفصيله فى المشكلة الافغانية .

عندما تولى « شاه محمد العرش سنة ١٨٣٤م فقد توجه صوب افغانستان وهرآة - وتقع فى شمال شرق ايران وضمن الحدود الافغانية حاليا - حيث روح التوسع نشطت فى ذهنه وامتزجت بذكريات افغانستان مسرحا للتنافس البريطانى الروسى ، فقد كان دوست محمد يتولى حكم افغانستان منذ سنة ١٨٢٦ وحاول تثبيت حكمه بالتحالف مع الانجليز وهو ما جعل روسيا تنظر الى ذلك بحسد فسعت الى كسب دوست محمد الى صفها ، وفى اعقاب توغل قواته فى هراة فان الشاه هو الآخر قد تدخل بقواته ، ونظرت بريطانيا الى تحرك الشاه ضد هراة على انه تم بتوجيه من روسيا ، ومع ذلك فان الخلاف بين فارس وافغانستان كان مفيدا للروس - على حد وصف أحد المصادر - ويخدم مصالحهم ، وفى حالة تعيين قنصل روس فى هراة فان هذا سيسهل عملية اتمام تخطيط حدود الاراضى الهندية ، وفى حالة فشل ايران فان ذلك سيجعلها أكثر تبعية وخضوعا للنفوذ الروسى .

ومن ناحية أخرى فقد استفادت بريطانيا من تدخل الفرس فى هراة ، وظن الانجليز ان هراة ستسلم ، ولكن المدافعين عنها اثبتوا صلابة فى

مواجهة الايرانيين ، واضطرت بريطانيا الى استخدام نفوذها لارغام الشاه محمد على سحب جيشه من هراه ، وتم ابرام معاهدة بريطانية - ايرانية تمنح بريطانيا امتيازات سياسية وتجارية في ايران ، ولدى تمرد الشاه على بريطانيا تجاه هذه المعاهدة غير المتكافئة لأنها تسيطر على بلاده ، فقد اندرته بريطانيا بأن تدخله ضد هراه يعتبر عدوانا عليها ، بل أن القوات البريطانية قد احتلت جزيرة « خاراج » واستمر احتلالها لها في الفترة ١٨٣٨-١٨٤٢ م .

أتيح لبريطانيا تهديد الساحل الايراني باستيلائهم على « خاراج » وخاصة من ميناء « بوشهر » ، وقامت السلطان الفارسية بمناطقه جزيرة « خاراج » اقتصاديا ، وكان طبيعيا أن يتصاعد التوتر بين بريطانيا وايران ، وانتقلت الوكالة البريطانية في شهر بوشهر الى جزيرة خاراج في ٣٠ مارس ١٨٣٩ نظرا لأهميتها الجيوسياسية حيث البواخر التي تتخذ لها من جزيرة « خاراج » قاعدة لها ، يمكنه مراقبة أى تحرك فارسي معادي .

شهد العقد الرابع من القرن التاسع عشر أزمات حادة كانت بريطانيا هي أحد أطرافها الرئيسية ، فمن ناحية أصبح الصدام متوقعا بين محمد علي - والى مصر - ، والسلطان العثماني - محمد الثاني - ( حرب ) ١٨٣٩ وتزعمت بريطانيا تحالفا أوروبا ضد مصر من روسيا وبروسيا والنمسا وفرنسا ومن ناحية أخرى وجدت بريطانيا أنها مسئولة عن الدفاع عن الدولة العثمانية في العراق حتى لا يحدث وفاق مع ايران حيث كان الشاه ساخطا على تحرك والى بغداد العثماني من البصرة لاحتلال الحمرة والتي كان الفرس يعتبرونها تابعة<sup>(١)</sup> لهم ، كما تطلع خورشيد باشا - قائد الحملة المصرية في شبه الجزيرة العربية - الى البصرة ثم الحمرة - المجاورة لها - ، ومرة أخرى فان

---

(١) اعتمدنا في هذا الجزء من الدراسة على : دكتور عبد العزيز نوار ، الشعوب الاسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٣ ص ٤٣٧ - ٤٥٤ .

بريطانيا وجدت في ذلك خطورة على مصالحها وخاصة اذا ما تحالفت مصر وايران ، بل أن شاه ايران بعث الى محمد علي والى مصر برسالة قال فيها : « أن تقوية الجامعة المصرية ، واحكام رابطة الصداقة والمودة المنوطة باتخاذ الافكار والآراء ... وأنه اذا اقتضت المصلحة بمطالبتنا بأى تعتضيد ومظاهر فائنا مستعدون لآدائها » (١) . وحذر المسئولون البريطانيون الشاه مغبة أى هجوم يفكر فيه على العراق .

دخلت القوى الأوروبية الاخرى حلقة التنافس على المسرح الدولي والاقليمى فحث فرنسا والى بغداد على احتلال الحمرة ، وأوضحت بعض الوثائق البريطانية أن الروس حرصوا الشاه على مهاجمة العراق ، فى حين يرى أحد المؤرخين (٢) العرب المحدثين أن المسألة المصرية كان يوجد بشأنها تفاهم ما بين بريطانيا وروسيا ، وأن أكثر ما كانت تخشاه بريطانيا هو مهاجمة القوات المصرية فى شبه الجزيرة العربية للبصرة حيث يتاح لها الاتصال بالفرس من هناك مما يجعل المنطقة برمتها فى ظروف معقدة فى انعكاساتها الدولية حيث احتمال اقتحام روسيا للناضول وايران للعراق .

سار المخطط البريطانى لمواجهة هذه الاحتمالات على أساس التعاون مع الحكومة العثمانية لشن حملة معادية لايران ، وبعث السلطان العثمانى برسالة الى محمد علي والى مصر يقول فيها : « ان اعداء الدين والوطن قد طمعوا فينا ، ولاسيما الايرانيين الذين يفكرون فى هجوم مفاجىء على بغداد مما سيؤدى الى حرب بين الدولتين العثمانية والايرانية » . ثم دخل المخطط البريطانى مرحلة التنفيذ الفعلى بمرابطة ثلاثة بواخر مسلمة بالمدفعية على

---

(١) دكتور محمد نصر مهنا وآخرون ، الخليج العربى ، دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية ، مرجع سابق .

(٢) نقلا عن ، دكتور عبد العزيز نوار ، الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ص ٤٤٢ .



شط العرب فى نهر الفرات لكى تكون حاجزا بين القوات المصرية والعراق ،  
بالاضافة الى أنه قد أصبح باستطاعة بريطانيا التحرك من « خاراج » ضد  
الساحل الفارسى وضد العراق .

لم تكن روسيا على استعداد للدخول فى حرب بريطانيا من أجل ايران  
وهو ما وجدته بريطانيا فرصة سانحة لمطالبة الشاه باصدار فرمان يضمن حماية  
افراد البعثة البريطانية وان يتم جلاء أى قوات ايرانية عن افغانستان وضرورة  
توقيع معاهدة تجارية تصحب تجديد العلاقات السياسية ، بل أن الحكومة  
البريطانية بحثت موضوع شراء جزيرة « خاراج » انطلاقا من مفهوم مفادة ان  
سلامة المصالح البريطانية تكمن فى سلامة ايران .

اعيد تأسيس المفوضية البريطانية فى ايران فى أكتوبر سنة ١٨٤١ وعقدت  
معاهدة تجارية وشرعت بريطانيا فى الجلاء عن خاراج فى أواخر سنة ١٨٤١  
حيث وجدت بريطانيا أفول أهمية « خاراج » بعد نجاح التحالف الأوروبى  
ضد مصر وارغامها على الانسحاب من الشام ومن شبه الجزيرة العربية ،  
ووصل الانجليز الى اتفاقية بشأن « هراة » بعد تولى ناصر الدين زمام الامور  
فى ايران فى ٢٠ أكتوبر ١٨٤٨ ، وقد تم توقيع الاتفاقية فى يناير ١٨٥٣  
بشأن عدم ارسال ايران أى قوات الى هرات الا اذا كان ذلك لصد هجوم  
اجنبى ، وعدم تدخل الحكومة الايرانية فى الشؤون الداخلية لهرات وعدم  
وجود أى تبعية لايران ، وعدم احتفاظ ايران بزعماء من هرات كمسجونين  
سياسيين ، وكانت بريطانيا متشددة فى شروطها بسبب توقعها أزمة مع روسيا  
لتعارض واصطدام مصالح كل من الدولتين - بريطانيا وروسيا - فى الدولة  
العثمانية والذى ادى الى حرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٦ م .

---

(١) المرجع نفسه ص ٤٤٣ .

وفي افغانستان خشي دوست محمد خان من تدخل حكومة طهران في شؤونه الداخلية بعد ان اتجهت نيته الى تكوين حلف رباعي مع هرات وكابل وقندهار ، مما جعله يلجأ الى الانجليز للوقوف بجانبه ومن ثم فقد عقد معاهدة سلام وصداقة مع شركة الهند الشرقية في ٣٠ مارس ١٨٥٥م ، وسارت الاحداث بسرعة غير متوقعة ، فالأزمة البريطانية الفارسية قد زادت حدتها ، واستخدمت بريطانيا اساليب تعسفية ضد اتالييم الشرق الاسلامية برمتها ومنها ايران ، وتذكر المصادر أن أقل المشكلات تفاقمة كانت كفيلة بتصعيد الازمة البريطانية الفارسية سواء فيما يتعلق بسياسة فارس تجاه افغانستان أو ازاء هرات التي استولت عليها فارس بالفعل بعد انتهاء حرب القرم ، وانعكس ذلك على علاقات فارس المباشرة ببريطانيا حيث ارسلت بريطانيا انذارا موجهها الى الشاه ناصر الدين في أواخر سنة ١٨٥٦ تضمن انسحاب القوات الايرانية من هرات وعدم التدخل مطلقا في أمورها ، وان أي مشكلة إيرانية معها يجب أن تدخل فيها بريطانيا كوسيط لحلها ، وعقد معاهدة بريطانية فارسية يحق لبريطانيا بموجبها تعيين قناصل في أية بقعة إيرانية ، وترتيب عملية استئجار بندر عباس لسلطان مسقط ، وعزل الشاه نفسه باعتباره مشغول عن تصاعد الازمات البريطانية الفارسية

كانت الشروط السابقة بمثابة استفزاز لايران لأعلان الحرب على بريطانيا وهو ماتم فعلا في نوفمبر ١٨٥٦ حيث عملت بريطانيا على تزويد دوست محمد خان بالأسلحة والأموال بالإضافة الى تقديم الاموال لشيخ العشائر في المناطق الفارسية المطلة على الخليج (١) العربي لاثارة المشاكل في وجه الحكومة الفارسية ، وحتى فرنسا فقد أظهرت هي الاخرى توافقه مع

---

(١) راجع في تفصيل ذلك ، دليل الخليج القسم التاريخي ، اصدار دولة قطر اعداد قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر .

بريطانيا ضد ايران وارسلت سفينة حربية الى المياه الاقليمية لايروانية كى تظهر للايروانيين استمرار تضامننا الودى مع بريطانيا ، أما روسيا فقد كانت أيضا عاجزة عن تقديم أى مساعدة لايران بعد هزيمة الروس فى حرب القرم ، وبالطبع فقد أغتطبت الحكومة العثمانية للمأزق الفارسى .

أجريت استعدادات ايروانية لمواجهة الحرب مع بريطانيا ، غير أن القوات البريطانية استولى على بوشهر ، وهزمت القوات الفارسية فى فبراير ١٨٥٧ واحتلت المحمرة فى مارس من نفس العام ، واضحا ان رغبت فى عقد صلح سريع مع ايران بدلا من الدخول الى قلب ايران حيث لم يكن هدف بريطانيا ضم ارض جديدة الى حكومة الهند البريطانية. وإنما أجبار طهران على قبول شروط الصلح . وكانت تكاليف الحرب باهظة للغاية لو أذعنت القوات البريطانية فى زحفها الى داخل ايران ، وكان الانجليز يرون من مصلحتهم انتهاء القضية الفارسية للتفرغ للاوضاع غير المستقرة فى الهند .

تم عقد الصلح فى ٤ مارس ١٨٥٧ وقضى باقامة سلام دائم وصداقة مع بريطانيا وانسحاب القوات الايروانية من هرات وافغانستان وان تتخلى ايران عن أى مطالب لها فى السيادة على هرات وافغانستان والاعتراف باستقلالهما ، وفى المقابل تسحب القوات البريطانية من ايران ، وشهدت الفترة ١٨٦١-١٨٧٠ ربط ايران بجيرانها والدول الاوروبية من خلال خطوط التلغراف ، وافتتح الانجليز بنكا ضخما فى ايران وحصل البارون دى رويتر De Rauter على امتياز مد خط حديدى من بحر قزوين الى الخليج العربى فى ٢٥ يوليو ١٨٧٢ بالاضافة الى حصول بريطانيا على امتياز مد خطوط حديدية بين طهران وشستر فى جنوب ايران وذلك رغم معارضة روسيا التى قدمت مشروعات الى ايران مما أدى الى تسابق وتنافس انجليزى روسى ووقوع ايران فى هوة الديون الاجنبية ، وبالتالى بروز حركة وطنية اسلامية قوية ضد

الشاه ناصر الدين ممثلة في زعامة جمال الدين الافغانى .

- التقسيم البريطانى الروسى لفارس ١٩٠٦-١٩٠٧ وتصاعد المد الاسلامى :

ساعدت البلاد الاسلامية بضعفها وعدم تواءمها مع مستوى العصر على بسط الدول الاستعمارية نفوذها على الشعوب الاسلامية من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ، حتى العلاقات السياسية الاسلامية نفسها قد انعكست عليها مظاهر هذا الضعف ، ففي الهند ضاعت - فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر - امبراطورية المغول وخضعت الهند للسيطرة البريطانية ، وبدأت مرحلة التفسخ فى الدولة العثمانية والحركات الاستقلالية الانفصالية عنها ، والخليج العربى هو الآخر أصبح تحت سيطرة الاسطول البريطانى ، وفرضت بريطانيا على امراء الخليج ومشايخه سلسلة من المعاهدات التى ربطتهم بعجلة الامبراطورية وفصلتهم عن بقية البلاد العربية ، وقوضت بريطانيا دولة البور سعيد ووضعت عمان ومشيخات حضر موت تحت حمايتها ، كما استعمرت عدن ، وطوقت اليمن ، واقتسمت (١) الصومال مع ايطاليا وفرنسا والحبشة .

كان طبيعيا أن تكون هناك بادرة أمل واشراقة اسلامية جاءت من المصلحين المسلمين وبرزهم جمال الدين الافغانى الذى تحرك بنشاط ضد

---

(١) كما استغلت بريطانيا الازمة الخليج فى مصر فاشتريت مع فرنسا فى احتلالها وسيطرت فرنسا على تونس واضطهدت المسلمين فى الجزائر لتجعلها مقاطعة فرنسية .

التسلط الاوروبى واستبداد الملوك<sup>(١)</sup> على السواء ، وتوافقت هذه الآراء مع رغبة الشاه ناصر الدين فى ايران على تخليص بلاده من التسلط الاوروبى ، ووصل جمال الدين الافغانى الى ايران سنة ١٨٨٦ وغادرها ثم عاد والتقى بالشاه مرة أخرى فى طهران حيث بدأ نشاطه من أجل الاصلاح بهدف التخلص من التسلط الاوروبى - وهو ما كان يريده الشاه - واقامة حكم دستورى فى البلاد - وهو ما لا يرضى عنه الشاه - ، وخشى رجال الشاه على مستقبل النظام السياسى من خطورة جمال الدين الافغانى الذى اتخذ أحد المساجد الكبرى فى طهران ، ووجدت دعوته صدى لدى الشعب الايرانى المسلم فطرده الشاه من البلاد .

أحدثت نداءات جمال الدين الافغانى - على صفحات جريدة القانون فى لندن - ردود فعل عنيفة على الشاه ناصر الدين لمهاجميته اياه وثارأت أزمة سياسية بين رجال بلاط الشاه والمثقفين المسلمين فضلا عن الضرائب المرتفعة التى أثقلت كاهل الشعب الايرانى ومهدت للشوكة خاصة وان المعارك كانت تدور بين الناس على الخبز وانتشرت مجاعة مروعة فى الفترة ١٨٧٠-١٨٧٢ م ، وما زاد الامر سوءا الامتيازات التى منحها الشاه للاجانب

---

(١) والواقع ان جمال الدين الافغانى كان له الفضل فى تأسيس الحزب الوطنى فى مصر فى اواخر حكم الخديوى اسماعيل باشا ، وكان بحث زعماء مصر على اقامة نظام الحكم على اسس دستورية ، وكان طبعيا ان يسارع الخديوى توفيق الى طرد جمال الدين الافغانى من مصر سنة ١٨٦٩ ،

راجع : دكتور عبد العزيز نوار ، ص ٤٥٨ ، دكتورة فتحية النبراوى ، دكتور محمد نصر مهنّا تطور الفكر السياسى فى الاسلام ، الجزء الثانى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥

وقد مهدت هذه الاحداث لسقوط الشاه ناصر الدين قتيلا سنة ١٨٩٦ وخلفه مظفر الدين الشاه ١٨٩٦-١٩٠٧ حيث انتهج نفس سياسة والده .

وتوالى القروض الاجنبية وخاصة من بريطانيا وروسيا وكانت الاستدانة هى السبيل الذى سلكه الشاه وحكومته ، وأصبحت هذه القروض وسيلة للتحكم والتسلط الاوروبى وبالتالى سببا من أسباب الثورة الوطنية وتنافست كل من بريطانيا وروسيا للسيطرة على السياسة الاقتصادية الايرانية ، وبدأ الاصطدام بين القوتين الكبيرتين الطامعتين فى ايران ، فقيما مضى كانت بريطانيا تعمل على المحافظة على كيان الدولة الفارسية سليما لكل تكون عقبة أمام التوسع الروسى جنوبا ، غير أن هذه السياسة قد تبدلت بعد سنة ١٩٠٥ وأصبحت بريطانيا تفكر جديد فى أن يكون النصف الجنوبى تحت نفوذها اذا ما وضع الروس النصف الشمالى من ايران تحت سيطرتهم .

أدركت حكومة روسيا القيصرية اهمية وضع سيطرتها على نصف فارس الشمالى وعدم الاندفاع وراء المخططات البعيدة الاحتمال ، ومع ذلك فان مناوراتهم « السياسية » فى منطقة الخليج العربى فى أواخر القرن التاسع عشر كانت بمثابة رد على المناورات السياسية البريطانية فى شمال ايران ضد المصالح الروسية ، وكانت هناك مشروعات روسية عن خط حديدى من الشمال الى الكويت فى حين رأى الانجليز القضاء على هذا المشروع فجاءت معاهدتهم المشهورة مع شيخ الكويت سنة ١٨٩٩م التى التزم فيها شيخ الكويت بعدم التنازل عن أى اراضى من امارته لاية حكومة سوى بريطانيا التى كانت ترى أن سياسة بناء السكك الحديدية من جانب روسيا ستجعل جنوب ايران تحت رحمتها .

أما ألمانيا<sup>(١)</sup> فقد كانت هي الأخرى من القوى الأوروبية الكبرى التي أرادت توطيد علاقتها مع إيران ، وحصل بعض الألمان على امتياز من الشاه بمد خط حديدي من طهران إلى طانقين ، ورحب بعض المراقبين البريطانيين بذلك بهدف ضرب روسيا بألمانيا ، غير أن اللورد كيرزون Carzon - نائب الملك في الهند - مرع بأنه سواء تعلق بروسيا أو بألمانيا فإن بريطانيا يجب أن تظل صاحبة اليد العليا في الخليج ، وأنه إذا رفع الروس علمهم في بندر عباس فسيفعل الإنجليز ذلك في جزر هرمز وقشم وهنجام ، ومع ذلك فقد تصاعد النفوذ الروسي في طهران وكان ذلك بمثابة تمهيد لسياسة اقتسام كل من بريطانيا وروسيا في إيران .

وعلى الصعيد الداخلي تدهورت الأوضاع في إيران فقد كان الفساد منتشرًا في أسرة الشاه وحاشيته ، فقد كان ناصر الدين شاه مسرفًا في رحلاته خارج البلاد ، مستبدًا بالأمور ، وكان خليفته مظفر الدين شاه غير مؤهل لقيادة البلاد خلال الأزمة الاقتصادية الطاحنة ، وأهمل في إنقاذ بلاده من الإفلاس المالي ، كما ساد الفساد بين حاشية الشاه وكبار موظفيه كما زادت فرص الإثراء أمام حكام الولايات حيث لا رقابة عليهم في فرض الضرائب وجمع الأموال من الشعب ، وانتقلت مظاهر الفساد إلى موظفي الدولة الذين تقاضوا الرشوى وتراخى العمل في المشروعات الاقتصادية ثم تقروض بسبب هذه الرشوى وسيطر الفكر العشائري والقبلي على أثرياء إيران وملاك الأراضي فأهملوا الإصلاحات الاقتصادية .

كان طبيعيًا أن يسود التذمر بين أفراد الشعب ، واندلعت ثورات محلية طلبًا

---

(١) راجع في تفصيل ذلك ، دكتور محمد نصر مهنا وآخرون ، الخليج العربي ، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٨٨ .

للخبز ، فى حين كان الاجانب يتمتعون بالامتيازات ويحصلون على المرتبات العالية والأرباح الخيالية ، وسيطر الانجليز على اقتصاديات موانئ ايران المطلة على الخليج العربى ، فى حين حول الروس تجارة افغانستان - الذاهبة الى ايران - الى روسيا ، وانعكست هذه المظاهر على الشعب بالطبع الذى عاش فى يؤس شديد والقيت على كاهله مسئولية اخطاء حكم الشاه وبلغت الاحوال فى ايران درجة الغليان فى الفترة ١٩٠٤-١٩٠٦ م وكانت العتبات المقدسة الشيعية فى العراق معقلا من معاقل المعارضة ضد الشاه ، حيث يصعب وصول رجال الشاه بسيف الانتقام ، وزادت حدة حركة المعارضة بسبب تزعم علماء الدين الاسلامى للثورات المناهضة لسلطة الشاه المطلقة ، واعتصم بعضهم بالمساجد ، وأسند الشاه أمور الحكم الى رجل مخلص له هو ( عين الدولة ) الذى وجه ضربة شديدة لمعارضى الشاه وخاصة علماء الدين الاسلامى الذين كان لدورهم أهمية كبرى فى تصاعد حدة الحركة الوطنية حيث امتلأت المساجد بالمعتصمين فقامت القوات الايرانية بمحاصرتهم وغادر الكثيرون منهم طهران الى مدينة قم تاركين البلاد معطلة من حيث تنفيذ الشريعة الاسلامية .

تضامن التجار مع المجتهدين من علماء الدين الاسلامى فى طهران فأغلقوا حوانتيهم ، وأقفوا المعاملات التجارية ، وعندما هددهم ( عين الدولة ) بفتح محلاتهم بالقوة ، فقد طلبوا اللجوء الى المنوشية البريطانية التى قبلت ثلاثة عشر ألف مواطن وبدت وكأنها معقل الثوار على الشاه ، وتدهورت صورة حكومة الشاه أمام رأى العام الاسلامى ، فأبعد عين الدولة عن الحكم وعمل على اعادة المنفيين فى ١٠ قم .

وقفت روسيا أيضا مع الثوار الايرانيين مؤيدة الحركة الدستورية حيث هزمت روسيا فى حربها ضد اليابان ١٩٠٤-١٩٠٥ م فضلا عن أن الروس



نظروا بحسد الى ماحققة البريطانيون من رضاء الثوار عليهم فأرادوا استقطابهم أيضا ، واضطر الشاه الى اصدار - أول فرمان - عهد اعظم - بشأن الحياة البرلمانية وذكر الشاه أنه من أجل تحقيق طمأنينة الرعية وسلامتها وتماسك مؤسسات الدولة - فان اصلاحات شاملة ستجرى فى البلاد ، وأشار الشاه الى مجلس منتخب من ممثلى الشعب والفئات التى لها حق الانتخاب وهم الامراء والاسرة القاجارية والمجتهدون والاعيان والملاك والتجار وأصحاب الحرف ، وان اختصاصات المجلس التمثيلى تلخص فى الاستفسار والبحث ومراجعة كل أمر يتعلق بمصالح البلاد والشعب .

وضع هذا فرمان بداية هزيلة للحكم الدستورى حيث المجلس المنتخب سيكون العمود فى يد الشاه الذى له الحق فى اصدار التشريعات وبالتالي مثل المجلس التمثيلى ، غير أن قيمة هذا فرمان أو العهد الاعظم هو أن فتح الباب فى اتجاه الحكم الدستورى وتكوين الاحزاب السياسية ، وبالفعل صدر الدستور الذى علق عليه المؤرخ الفرنسى للمعاصر *بيير رينوفان* قائلا : « ... فى الحياة البرلمانية الفارسية ، كان الدستور يمنح العلماء حق الاعتراض على القوانين التى يصدرها المجلس الوطنى فى حالة اذا ما رأوا هذه القوانين التى يصدرها المجلس الوطنى تتعارض مع المبادئ المقدسة للاسلام - بقصد الشريعة الاسلامية » .

ويعلق أحد المؤرخين العرب المحدثين قائلا (١) : « ان المشكلة ليست فى اعتراض رجال على بعض القوانين المتنافية للتشريع الاسلامى ، ولكن فى مدى استخدام رجال الدين - يقصد علماء الدين الاسلامى كانوا فى طليعة الثوار ضد الشاه - لم يكونوا قد بلغوا درجة من العلم الحديث تمكنهم من احداث نقله حضارية فى البلاد الفارسية » ، كذلك فان علماء الدين

---

(١) دكتور عبد العزيز نوار ، الشعوب الاسلامية ، ص ٤٧٥ .

الاسلامى بتعاونهم مع التجار ، فانهم وضعوا أنفسهم دون ادراك حقيقى -  
فى خدمة مصالح الرأسمالية المتعاونة مع المؤسسات الاجنبية فى ايران .

خلف محمد على شاه والده الشاه مظفر الدين ، وأدرك قصر المدة الباقية  
لحكم أسرة القاجار ، وكان يرى أن الحكم المطلق هو الاصلح لبلاده فركز  
السلطات فى يده وعطل المجلس النيابى ودبر القضاء على الحركة الدستورية  
حتى وقع الرفاق الروسى البريطانى بشأن اقتسام فارس سنة ١٩٠٧ الأمر الذى  
يقتضى وقفة للتفسير :

سبقت الاشارة الى هزيمة روسيا أمام اليابان ١٩٠٤-١٩٠٥ م والتي  
كانت عاملا هاما فى تركيز روسيا جهودها التوسعية تجاه ايران ، ومع ذلك  
فلم ترغب كل روسيا وبريطانيا فى وقوع المواجهة بينهما لخشية بريطانيا -  
من ناحية أخرى - من تدهور علاقاتها مع فرنسا <sup>(١)</sup> ، وكان من الضروري  
ايجاد تسوية معقولة بين روسيا وبريطانيا فى الطار توازن القوى بين الدولتين  
لاستغلال ايران ، فعملا على تقسيم القوى الوطنية ، ولم يكن فى استطاعة  
الشاه محمد على تقسيم القوى الوطنية ، ولم يكن فى استطاعة الشاه محمد  
على أن يوقف الحركة الوطنية أو يوقف سيل المنشورات المتدفق عبر الحدود  
العراقية الايرانية ، فقد تجولت العتبات المقدسة الشيعية فى العراق الى مراكز  
ثورية طالبت الشاه بابعاد الذين وضعوا ايران على حافة الاحتلال الكامل ،  
وفى نفس الوقت وجد الجناح الدستورى تأيدا من الانجليز فى حين وجد  
الشاه تأيدا من الروس وخلال استعدادات الشاه لضرب الحركة الوطنية  
تعقدت الامور بشدة وتصادمت المصالح البريطانية الروسية .

---

(١) وهو أمر كانت تتجنبه الحكومة البريطانية خاصة منذ أن عقدت مع فرنسا الرفاق الودى .

١٩٠٤ الذى يطلق يد فرنسا فى مراكز يد بريطانيا فى مصر ، فضلا عن تحالف فرنسا مع  
روسيا ضد الخطر الالماني الذى يهددهما معا .

ألقى الشاه القبض على عدد من الوزراء وكان يعدمهم لولا تدخل السفارة البريطانية ، واستخدم القوة ضد المجلس التمثيلي وأراد الاستعانة بالقوات الروسية غير ان السفارة البريطانية عترضت على ذلك حيث يقضى الوفاق الروسى - البريطانى بأن المنطقة الوسطى المتروكة للشاه يجب أن لا تتفوق بما يضر بمصالح الدولة الاخرى ، وبالفعل سارت الامور على هذا النهج ، ووافق الشاه على ترك نفوذ الدولتين معا ، ومع ذلك فقد وضع نفسه فى جانب الروس الذين أكدوا استعدادهم للقتال بجانبه ضد الدستوريين ، وأثبت الروس صدق نواياهم تجاه الشاه حينما فر الى قزوین فى أقصى الشمال فى يونيو ١٩٠٨ . - وهى منطقة واقعة تحت سيطرة الروس بحكم الوفاق الروسى البريطانى .

حثت روسيا بريطانيا على انتهاج سياسة مماثلة وطلبت اصدار بيان مشترك روسى - بريطانى بشأن حماية الشاه وحق الاسرة القاجارية فى العرش فى حين احتج الشاه على اصرار بريطانيا لاقامة نظام برلمانى يحد من سلطاته ، غير أن الحكومة البريطانية رفضت السير فى الاتجاه الذى يريده الروس والشاه . ومرة أخرى تتفق الدولتان على حث الشاه على التخفيف من عنفه تجاه الحركة الوطنية وإيقاف سياسة القضاء على الدستور .

ركز الثوار عملهم فى تبريز وأعلنوا منها الثورة على الشاه الذى كانت قواته تسيطر تماما على طهران ، وحذت البلاد الاخرى حذو تبريز مثل رشت واصفهان وتم اعداد قوات عسكرية من الثوار ، وكان المظهر العام لایران وكأنها تسير نحو حرب أهلية ووجد الشاه نفسه أمام ثوار يحيطونه من كل جانب ، وعلى صعيد موقف بريطانيا وروسيا ، فقد أزمعتا الضغط على الشاه للقيام باصلاحات تعيد الدستور والمجلس التمثيلى ، وفى حين تحركت القوات الروسية فى الشمال بسرعة فى محاولة فاشلة للقضاء على ثوار تبريز ،

فان القوات البريطانية قامت بمناورات عسكرية فى اتجاه المناطق الفارسية المطلّة على الخليج العربى بهدف كبح جماح الحركة الوطنية غير أن الثوار ضاعفوا من تحركاتهم بعد أن فقدوا الثقة نهائيا فى الشاه واستولوا على طهران بينما لجأ الشاه الى السفارة الروسية وكانت خاتمة حياته سنة ١٩١١م بعد محاولات فاشلة للعودة الى العرش .

دخلت الحكومتان البريطانية والروسية فى مفاوضات أدت الى انسحاب القوات الروسية فى ايران ، وعدلت بريطانيا من موقفها بالنسبة للمنطقة الجنوبية ، وكانت المشكلة المالية هى أعقد المشكلات التى واجهت الايرانيين ، وطلبوا من الولايات المتحدة ان ترسل اليهم خبيرا ووافقت الحكومتان الروسية والبريطانية على ايفاد و . م . شىستر W.M. Shuster الذى درس أوضاع ايران المالية والاقتصادية وأولاهها كل عناية ورأى وضع برنامج اصلاحى يقلل أو يمنع من تحكم السفارتين البريطانية والروسية من التدخل فى اقتصاديات ايران ، غير أن الحكومتين البريطانية والروسية تقدمتا بمذكرة رسمية الى رئيس الحكومة الايرانية لانهاء خدمة شستر ، وكان هذا بمثابة تدخل سائر فى أدق الشؤون الداخلية لايران ، ودارت مباحثات متعددة الجوانب بين الحكومة الايرانية وزعماء الحركة الوطنية الدستورية .

عكست هذه الاحداث ردود فعل عنيفة فى مجلس العموم البريطانى حيث أكد وزير الخارجية البريطانية ان هذا التدخل يأتى وفقا لمقدمة الوفاق الردى بين بريطانيا وروسيا بشأن ضرورة احترام سلامة واستقلال ايران وان شستر الذى قام بجولات تفتيشية فى الاراضى الواقعة تحت النفوذ الروسى لم يراع الاعتبار المتعلقة بالوفاق الردى وأنه قام بما املاه عليه واجبه ولم يكن مدفوعا بدوافع سياسية ، وأضاف وزير الخارجية البريطانية قائلاً : « انه اذا كان من حق حكومة فارس أن تخلص نفسها من ذلك الشاه المعارض للحركات

الاصلاحية فى البلاد ، فليس لها الحق فى أن تتخلص من النفوذ الروسى وانما عليها ان تتخذ فورا سياسة ودية ازاء روسيا ، وبرر الوزير البريطانى حق حكومته فى احتلال اجزاء من ايران الجنوبية ان ذلك مراعاة لمصالح الدول المجاورة لها ، وأنه يجب استمرار صداقة روسيا لبريطانيا لأنها معا تستطيعان مواجهة قوة المانيا الصاعدة ، وفشلت الحكومة الايرانية فى الوصول الى اتفاق يحفظ لها كرامتها ولم يلبث ان حل المجلس التمثيلى بتدخل من روسيا وبريطانيا لتشبهه بموقفه الرافض تدخل الدولتين فى الشئون الداخلية لايران ، ولم يتعقد المجلس الا بعد قيام الحرب العالمية الاولى حيث القى الشاه الجديد - حمد نجل الشاه محمد على - خطابا أكد فيه وقوف فارس على الحياد فى هذه الحرب .

#### الحرب العالمية الاولى وما بعدها :

فرضت الظروف الجيوبوليتكية والعسكرية أوضاعها على ايران التى كانت قد أعلنت الوقوف على الحياد فى الحرب العالمية الاولى ، فالعراق العثماني الى الغرب من ايران صار ميدانا من ميادين هذه الحرب بين الاتراك والانجليز الذين اعدوا قواتهم فى الخليج العربى للعمل فى منطقة شط العرب وابار الزيت فى « عبادان » كانت المصدر الاساسى لتزويد الاسطول البريطانى بالبترول ، فى حين حرصت السلطات التركية قوى العشائر ضد الشيخ خزعل أمير عربستان الذى أخذ جاب الانجليز ، واستعدت وحدات من الجيش التركى لعبور الحدود فى اتجاه همدان لموقعها الاستراتيجى الهام وصولا الى وسط فارس وشمالها لاعاقه الزحف الروسى من الشمال للجنوب فى مقابلة القوات البريضاية الزاحفة من الجنوب للشمال .

وجدت ايران نفسها متورطة فى حرب لم تشارك فيها وليس لها الرغبة فى اقحام نفسها فيها ، وكانت مشاعر الشعب الايرانى ضد الانجليز والروس

ومتعاطفة مع المانيا ، وطلعت عشائر البختيارى الايرانية الى تحقيق هدفها من الحرب بشأن عزل الاسرة القاجارية بعد أن فشلت فى عزلها قبيل الحرب ، غير أن الانجليز قضوا على جهود البختيارى وظلت المناطق الوسطى والشمالية فى ايران مسرحا لتحركات القوات الروسية والعثمانية حتى هزيمة الجيش العثماني فى العراق سنة ١٩١٧ .

ورثت بريطانيا روسيا فى المنطقة الشمالية من ايران بعد وقوع الثورة البلشفية ونجحت بريطانيا بذلك فى السيطرة على أكبر مساحة ممكنة للبلاد ، وعندما شرع الحلفاء فى اعادة رسم خريطة جديدة . لعالم فى اعقاب الحرب كانت لبريطانيا السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية على ايران ، فى حين اعلنت روسيا السوفيتية عدم قبولها احتلال أراضي اخرى وتخليها عن امتيازاتها فى ايران ، وتم عقد معاهدة بين الدولتين فى سنة ١٩٢٠ تقوم على اساس الاحترام المتبادل واستقلال ايران ، والتنازل عما سبق أن استولت عليه روسيا العنصرية من أراضي فارسية .

وبالاضافة الى تصاعد نفوذ بريطانيا داخل ايران عقب الحرب العالمية الاولى ، فقد أصبحت الدولة الاوروبية الوحيدة التى تتحكم اقليميا فى المنطقة الممتدة من الحدود الصينية شرقا حتى العراق ، وبالتالي تحولت ايران الى ما يشبه الدولة التابعة لها من خلال معاهدة غير متكافئة فى ١٩ أغسطس ١٩١٩ التى نصت على تزويد الحكومة البريطانية بمختلف الادارات وأجهزة الحكم فى فارس بالخبراء والمستشارين الذين يتمتعون بصلاحيات نافذة فى الجهاز الحكومى وان يصبح الجيش الفارسى تحت سيطرة الانجليز من خلال امداده بالمدربين والضباط والاملحة والذخيرة وان تكون المسائل الاقتصادية تحت سيطرتها بما فيها استغلال آبار الزيت .

أحدثت هذه المعاهدة معارضة شديدة من جانب الرأى العام الايرانى وأدت

الى تحرك وطنى داخل البلاد ، غير أن الجيش كان يملك مفتاح السيطرة ولم تعد الثروات المحلية لها جدوى ، وكان بروز ضابط مثقف من الجيش هو الوسيلة للتغيير ، وظهر رضا بهلوى الذى كان ناقما على تخاذل الشاه وحكومته أمام الانجليز ، وتحالف رضا بهلوى مع ضابط آخر هو ضياء الدين طباطبا الذى زحف بقواته الى طهران وسيطر عليها فى فبراير ١٩٢١ واسند اليه رضا بهلوى رئاسة الحكومة حيث عمل على تطهير الاداة الحكومية وصادر أموال الذين أثروا على حساب الشعب .

وبالرغم من أن الاصلاحات التى ادخلها رضا بهلوى قد شملت تقوية الجيش أيضا الا أن الامور لم تكن قد استقرت بعد حيث تصاعدت العصبيات المحلية ، وكرهت الاقاليم الحكومة المركزية وقاومتها وخاصة جيلان واذريجان بسبب ما تحتويه هذه الاخيرة من عناصر كردية استطاعت ان تعلن قيام جمهورية كردية ، ومع ذلك فقد استطاع رضا بهلوى أن يفرض هيبة الحكومة المركزية فى معظم اجزاء ايران بما فيها جيلان واذريجان واقليم عربستان<sup>(١)</sup> الذى يحتوى على اغنى مصادر البترول فى المنطقة فضلا عن تحكمه فى طريق شط العرب التجارى .

---

(١) الذى كان تحت حكم خزرغل خان وهو أمير عربى استمر فى حكم امارته شبه مستقل منذ أواخر التسعينات من القرن التاسع عشر ، وكان الانجليز يؤيدونه ولكنهم تغلوا عنه بعد أن حصلوا على تنازلات من رضا بهلوى الذى تمكن من احتلال عربستان سنة ١٩٢٥ .  
راجع : دكتور محمد نصر مهنا ( وآخرون ) ، الخليج العربى ، مرجع سابق ، دكتور عبد العزيز نوار ، مرجع سابق .

قام رضا بهلوى بجهود تجعل البلاد مقبلة على عهد جديد فى الفترة ١٩٢١-١٩٢٥ جعلته رجل ايران الاول ، وتحت ضغط الحركة الوطنية تم خلع الشاه أحمد القاجارى وأعلن المجلس التثلى تنصيب رضا بهلوى شاهها على ايران فى ابريل ١٩٢٦ واستمر فى الحكم حتى سنة ١٩٤١ حيث خلفه ابنه محمد رضا شاه الذى حكم ايران حتى قيام الثورة الايرانية سنة ١٩٧٩ م .



### الفصل الثالث

#### النزاع العراقي الايراني

(نزاع بين دولتين تربطهما اواصر الاسلام والجوار)

- ١- جذور مشكلة الحدود .
- ٢- معاهدة ارضروم الاولى .
- ٣- ردود الفعل .
- ٤- تشكيل لجنة الحدود .
- ٥- استمرار توتر العلاقات .
- ٦- مشكلات الحدود من الحرب العالمية الاولى الى معاهدة ١٩٣٧ .
- ٧- لجنة تخطيط الحدود .



## ١ - جذور مشكلة الحدود :

كان اختراق الخليج العربي - البحرين ثم الجزر العربية الثلاث ، طنب وطنب الصغرى وأبو موسى - والتقدم نحو شط العرب ، هو السياسة التي اتخذتها إيران تجاه الحدود الشرقية للوطن العربي في عقد التسعينيات من القرن العشرين وصولاً للانتقال إلى الساحل العربي من الخليج برمته . والواقع أن الحدود الشرقية للوطن العربي سواء تعلق ذلك بقسمها المائي ( الخليج العربي ) ، أو امتدادها البري - عربستان والمناطق الحدودية الأخرى - قد عانت من محاولات أطراف عديدة لإلغاء عروبتها . سمات حركتها التاريخية ، من هذه الأطراف القوى الأوروبية - على نحو ما سبقت الإشارة إليه تفصيلاً - بدءاً بالبرتغال ومروا بهولندا وفرنسا وإنجلترا وصولاً إلى الدور المتعاضم للدولتين العظميين ، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي بهدف جرف أطراف إقليمية إلى صراع داخلي يستنزف الموارد البشرية والاقتصادية ، والأهم من ذلك تغيير المعالم الجيوسياسية للأرض العربية من خلال بث وسائل التجزئة على أساس الدين والمذهب والقبيلة (١) .

ومن هذا المنظور شهدت منطقة الخليج العربي - كما سبقت الإشارة - عشر ترجيح كفة الدولة العثمانية والعمل على إلغاء صفة السيادة العربية ، وبدأت صراعاتها يدينان بالاسلام ، وتدخلت القوى الأوروبية بأساليب الضغط المختلفة لتشجيع السياسات الطائفية ، وبدأت صراعات وحروب ظاهرها مذهبي وجوهرها المصالح المادية والتحريض الأوروبي للطرفين ، لكن الأخطر من ذلك هو الممارسات التي استهدفت استمرار احتلال إيران للجزر العربية

---

(١) دكتور عبد الله الحويشي (وآخرون) ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، دراسة تاريخية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، بدون تاريخ إصدار ص ٥ - ١٤ .

الثلاث - طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى - فى إطار جعل الخليج العربى فارسيا والعودة الى المطالبة بالبحرين وتهديد استقلال وسيادة العراق مما ينتج عنه استمرار التوتر فى الحدود الشرقية للوطن العربى والتى تشمل الخليج العربى والأرض الممتدة الى جبال زاغروس شرقا ، وكان هذا الامتداد مدعوما بأدلة عديدة لعل أهمها تأثير النتائج السلبية فى وضع الحدود الشرقية مما نجم عنه وقوع المنطقة تحت الاحتلال العثمانى والصراع الذى دار بين الدولتين العثمانية والفارسية ، وشهدت أقطار الخليج العربى بصفة خاصة تجسيد هذا الصراع دون الالتفات لارادة شعوبها العربية أو احترام الاتفاقيات الدولية والالتزام بها<sup>(١)</sup>.

كانت العلاقات بين الدولتين العثمانية والفارسية ذات طابع خاص ، دوليا واقليميا ومحليا ، فمن ناحية أحدث ظهور الدولة الصفوية فى بلاد فارس انقلابا فى استراتيجية الدولة العثمانية ، فتوقف زمنها فى أوروبا أو كاد خلال القرن السادس عشر ، ومن ناحية أخرى جاء التحالف الصفوى - الشاه اسماعيل الصفوى - الاوروبى فى مرحلة لاحقة ليواجه العثمانيين والمماليك وهما القوتان الرئيسيتان فى الاناضول والشام ومصر والحجاز ، وقد احتدم الصراع الفارسى العثمانى فى بداية القرن السادس عشر كما سبقت الاشارة وخضعت بغداد نفسها للاحتلال الفارسى ، غير أن ميزان القوى بدأ يتغير فى أعقاب موقعة جالديران سنة ١٥١٤ هـ حيث تحطمت قوى الدولة الفارسية واهتز وجودها بشدة فى العراق ، ومع ذلك فقد استمرت سياسة التحالف الفارسية - الاوروبية لمتابعة الحرب ضد الدولة العثمانية ، غير أن تردى الاوضاع الداخلية فى بلاد فارس بعد تحالفها مع أوروبا ضد مجد ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠ - ١٢ .

ونمكنت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٤٠-١٥٦٦م) أن تثن حرباً شاملة على بلاد فارس وتستولي على أجزاء منها ، ولم تثمر عدة معاهدات بين الطرفين خلال هذه الفترة (١) في توقف اسباب الصراع بينهما ، وكان العراق ميداناً لانعكاس هذا الصراع حيث تمكنت الدولة الفارسية من احتلال العراق سنة ١٦٢٣ م ، وفي سنة ١٦٣٨ م استعادت الدولة العثمانية سيادتها الكاملة على العراق (٢).

غير أن العراق عاد منذ العقد الرابع من القرن الثامن عشر ميداناً للصدام المسلح بين العثمانيين والفرس ، حيث غزته القوات الفارسية سنة ١٧٣٢ م ، ولكنها ارتدت خاسرة وفشلت محاولة احتلال كركوك والموصل

---

(١) حيث نقضت الدولة الفارسية للمعاهدات للتعايش السلمي مع الدولة العثمانية وقد عقدت هذه

المعاهدات في السنوات ١٥٩٠ ، ١٦١١ ، ١٦١٣ ، ١٦١٨ م

راجع في تفصيل ذلك :

دكتور علاء موسى كاظم نوري ، العراق في العهد العثماني ، بغداد ١٩٧٩ من ص ٢٨

- ٣٥ -

- شاكرو صابر الضابط ، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران ، بغداد ١٩٦٦ .

(٢) راجع :

- كارل بروكلمان ، ترجمة منير فارس ونبية بولعكي ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، بيروت

١٩٤٩ ، من ص ١٣٢ - ١٤٤ .

- صالح محمد العابد ، حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد في : مجلة المورد ، المجلد

الثامن ، العدد الرابع ، بغداد ، ١٩٧٩ .

- Creasy, Edward, History of Ottoman Turks, ( London 1875).

وبغداد ، رغم حصار هذه الأخيرة لأكثر من سبعة شهور<sup>(١)</sup> من جانب القوات الفارسية وفي سنة ١٧٣٥م عاودت القوات الفارسية هجومها على البصرة ودخلت شط العرب ، ويذكر لوريمر<sup>(٢)</sup> أن نادر شاه طلب مساعدة إنجلترا لاستيلائه على البصرة ، غير أن سلطات حكومة الهند البريطانية أصدرت أوامرها لممثلها في بندر عباس بعدم وضع أية سفينة حربية بريطانية في خدمة الفرس أو تحت تصرفهم ، وتجدد الهجوم الفارسي على العراق سنة ١٧٤٣م باتجاه كركوك والبصرة والموصل وبغداد ومنطقة شرق نهر دجلة ، لكن القوات الغازية فشلت في عملياتها العدوانية ، وظل العراق في مأمن من الغزو الفارسي حوالي ثلاثة عقود لم تخل أيضا من اعتداءات على عدة جبهات عراقية في هذه الفترة حتى غادر كريم خان للبصرة حوالي ١٧٧٥م خلال انشغال الدولة العثمانية في حروبها مع روسيا<sup>(٣)</sup> ويهدف توجيه ضربة الى تجارة البصرة والقضاء على منافستها للموانئ الفارسية ، ودامت مدة حصار البصرة لأكثر من عام (١٧٧٥-١٧٧٦م) ، ويذكر الرحالة الانجليزي بارسونز ان معنويات سكان البصرة كانت عالية وأن مشاركة بني خالد قد تصدت للغزو الفارسي أيضا لساحل عمان ، وقد سبقت الإشارة الى

---

(١) دكتور علاء مرسى كاظم نورس ، الصراع العثماني الفارسي وأثره على العراق حتى أواخر القرن الثامن عشر ، في : الحدود الشرقية للوطن العربي ، مرجع سابق من ص ٤٧ - ٧٦  
نقلا عن :

Hammer, J.: Histitove de L' Empire Ottoman , Vol. Xiv, (Paris 1839) p. 590 .

(2) Lorimer, J.G., : Gazatter of Persian Gulf, Oman & Central Arabia Vol 1. Part 1 ( Calcutta, 1915). pp. 1197 - 9 .

(3) Ibid., pp. 1229 - 1245 .

أن عمان كانت فى هذه الفترة قوة بحرية مهمة فى الخليج العربى استطاعت أن تحمى من النفوذ الفارسى فى المنطقة <sup>(١)</sup> ، وقد أشاد السلطان العثمانى عبد الحميد الاول بالموقف العثمانى <sup>(٢)</sup> .

#### ١ - معاهدة أرضروم الأولى :

ظل العراق هدفاً للاطماع الفارسية منذ أواخر القرن الثانى عشر <sup>(٣)</sup> وخلال القرن التاسع عشر بهدف الاستيلاء على العراق وخاصة بعد الضعف والتفكك الذى اشتد فى الجسد السياسى للدولة العثمانية وتداعى مؤسساتها العسكرية وتعقد مشكلاتها الداخلية <sup>(٤)</sup> ، وسار النهج الفارسى فى تنفيذه مرتبطاً بمدى قوة الدولة الفارسية وطبيعة الظروف الدولية والاقليمية المحيطة بها ، فعندما أدرك الفرس استنزاف القوة العسكرية العثمانية جزءاً كبيراً من طاقاتها القتالية بسبب حروبها المستمرة فى أوروبا الشرقية وفى اليونان فإن الانقضاض على أراضى الدولة العثمانية القريبة كان دائماً هو النهج الذى سارت عليه سياسة الدولة الفارسية وتذكر المصادر <sup>(٥)</sup> ان الميراث أو الذرائع

---

(١) راجع أيضاً ، ارنولد ويلسون ، ترجمة عبد القادر يوسف ، الخليج العربى ، الكويت ، ١٩٧٠ من ص ٣٠١ - ٣٠٧ .

(٢) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة ١٨٩٦ من ص ١٥٤ - ١٢١٢ .

(٣) محمود على الدرداد ، التطور السياسى الحديث لقضية عمان ، القاهرة ١٩٦٤ من ص ٢٠ - ٢٧ .

(٤) المرجع نفسه ص ٢٦ راجع أيضاً :  
- Miles. Samuel B., The Countries & Tribes of the Persian Gulf  
London 1966 ) pp. 272 - 267 .

(٥) بروكلمان ، مرجع سابق من ص ٦٥٠ - ٦٥٩ .

الظاهرة لأعلان الحرب واجتياح الحدود كانت دائما جاهزة ومتعددة ، مثل مشكلات العشائر الكردية المتجولة ، والحجاج ، والتجار ، والفارين ، وبالفعل واصلت القوات الفارسية تفوقها نحو كركوك وبغداد ، غير أن القوات العثمانية قامت بهجوم كاسح عليها مما جعل القوات الفارسية تبادر بالانسحاب ، وكان المرزا محمد علي قائد هذه القوات قد وافته المنية في أكتوبر ١٨٢١ ، واتفق الجانبان الفارسي والعثماني على اجراء مفاوضات صلح في ارضروم ، وتم عقد معاهدة صلح بينهما في ٢٨ يوليو ١٨٢٣ م حيث اتخذ الجانبان من معاهدة سنة ١٧٤٦ م أساسا للمعاهدة الجديدة فيما يتعلق بالحدود والحجاج والتجار ورد الفارين واخلاء سبيل الاسرى واقامة اشخاص من الجانبين في أراضي الطرف الآخر ، واطلق على هذه المعاهدة : معاهدة ارضروم الاولى .

وقد اشترطت معاهدة ارضروم الاولى سنة ١٨٢٣ م عدم القيام بأى عمل من شأنه اثاره الكراهة والقضاء بين الدولتين ، وأن تعيد الحكومة الايرانية الى الدولة العثمانية جميع ما استولت عليه في السلم والحرب من قلاع وأراضي واقضية وقرى عائنة اليها ، وأن تطلق الدولتان سراح رعايا الدول الاخرى ممن وقع في أسرها ، وعدم جواز تدخل إحدى الدولتين في الشؤون الداخلية للآخرى ( المادة الاولى ) ، وكان المقصود بذلك عدم تدخل الدولة الايرانية في تعيين الأمراء الأكراد في العراق وأن لا تؤيد متصرفي الوية كردستان السابقين واللاحقين أو تتبناهم وفي حالة حدوث أى نزاع ، فانه ينبغي على والى بغداد وولى عهد ايران مرزا عباس أن يتفقا على فض المنازعات بالوسائل السلمية .

ونصت المادة الثانية بأن يراعى الحجاج والزوار الفرس ، كما يراعى سائر المسلمين وغيرهم في الدولة العثمانية ، وعدم استيفاء رسوم زائدة معهم .



ويدفع الرعايا والتجار والفرس الضرائب نفسها التي يدفعها رعايا وتجار الدولة العثمانية ويمنح التاجر تذكرة تؤيد دفعه للضريبة القانونية المطلوبة منه للحيلولة دون استيفاء ضريبة مكررة منه في المناطق التي قد ينتقل اليها . أما المادة الثالثة فتقضى بتنظيم أحوال العشائر الجواله في المناطق الحدودية ، ونصت المادة الخامسة على اعادة اموال التجار الايرانيين التي حجزت أو صودرت في الولايات العثمانية الى اصحابها ، ونظمت المادة السادسة طريقة حصول الوارث الايراني على التركات التي ي خلفها الايرانيون المتوفون في البلاد العثمانية ، ونصت المادة السابعة والأخيرة على أصول التمثيل الدبلوماسي <sup>(١)</sup> .

وفي تقييم معاهدة ارضروم الاولى ، تذكر المصادر <sup>(٢)</sup> أنه حتى هذه المعاهدة لم تكن وليدة دراسة شاملة للمشكلات المعقدة التي أدت الى نشوب سلسلة الحروب بين الدولتين العثمانية والفارسية ، ولم تأت بشيء جديد يساعد على سم المنازعات القائمة بينهما ، وكان طبيعيا استمرار الخلافات بينهما بشأن المشكلة الكردية والمسائل الحدودية ، فلقد بقيت القوات الفارسية تحتل لواء زهاو ، مع أن هذه المعاهدة اعترفت بتبعيته للدولة العثمانية <sup>(٣)</sup> ، وقد وصف المبعوث العثماني الى ايران (١٨٢٤-١٨٢٥) السياسة الايرانية بعدم احترام الموائيق والاعراف الدولية ، ويذكر المؤرخ التركي جودت ان ايران استغلت انشغال الدولة العثمانية بالمسألة اليونانية والصراع مع روسيا ، فكانت رغبتها في ضم جزء من لأرضى العراق اليها ، ولهذه الاسباب فان ايران لم تنسحب من زهاب والسليمانية وكوى وحريز ولم تكد عن

---

(١) دكتور مهدي جواد حبيب ، الصراع العثماني - الفارسي وأثره على العراق حتى لوآخر لقرون

التاسع عشر ، في : الحدود الشرقية للوطن العربي ، مرجع سابق ص ص ٧٩ - ١٤٠ .

(٢) المرجع نفسه ص ٩٩ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٠٠ .

لمطالبه بحقوق مالية (١) .

وعندما تولى على رضا باشا مسؤولياته الادارية فى اىالة بغداد وملحقاتها (١٨٣١-١٨٤٢) فإنه بذل جهودا كبيرة فى التصدى لحل المشكلات السياسية والاقتصادية وفى مقدمتها مسألة تأكيد السيادة العثمانية فى شمال العراق ( المنطقة الكردية ) وجنوبه ، بما فى ذلك الضفة الشرقية لشط العرب ، ومن الأرجح أن طبيعة الظروف التى واجهتها بلاد الاحواز و عربستان ، أملت على الأمراء العرب اللجوء الى سياسة التلويح بالولاء الرمزي المؤقت مع كل من الدولتين العثمانية والفارسية من أجل إيجاد حالة توازن دائمة للمحافظة على استقلالهم الفعلى من الادارتين العثمانية والفارسية معا .

وقد سبقت الاشارة الى التواجد الانجليزى الفرنسى فى منطقة الخليج والمنافسة بينهما لبسط نفوذهما على المنطقة فى هذه الفترة ، وقد أرسلت انجلترا بعثة استطلاعية (١٨٣٤-١٨٣٦) لدراسة مدى صلاحية أنهار دجلة والفرات والرجيل ( الكارون ) للملاحة البخارية وثبت لدى البعثة صلاحية نهر دجيل ( الكارون ) للملاحة ، وجرى الاتصال بالشيخ جابر أمير الحمرة للحصول على موافقته باستخدام دجيل ( الكارون ) للملاحة البخارية الانجليزية ، غير أن الشيخ جابر رفض هذا المشروع خوفا من المنافسة الاجنبية تجاه بلاده ، أما فرنسا فكانت تراقب تحركات انجلترا فى منطقة الخليج العربى ، واعتقد المسئولون الفرنسيون أن نشاط انجلترا فى انهار العراق وسياساتهم الاستعمارية فى الخليج العربى التى تعززت باحتلالهم جزيرة خاراج ذات الاهمية الاستراتيجية الكبرى ماهى الا مقدمات لاحتلال مراق فى زمن لاحق .

(١) دكتور عبد العزيز مرار ، داود باشا والى بغداد القاهرة ١٩٦٧ ص ١٨٥ ص ١٩٤

لقد بدأ لوالى بغداد أن هدف الفرس الاساسى من الهجوم على عربستان هو منع الجيش العثماني من تأكيد السيادة العثمانية على تلك الديار ، وأضاف الى ذلك قوله أن يخشى من سيطرة الفرس على المحمرة واطراف البصرة المجاورة لها . والواقع أنه المحمرة لها أهميتها الجيوپوليتيكية سواء تعلق ذلك بالدولة الفارسية أو الدولة العثمانية ، وتقع المحمرة عند مصب نهر دجيل ( الكارون ) فى شط العرب والذي ثبتت صلاحيته للملاحة البخارية ، وبعد الاحتلال الفارسى لعربستان أبدلوا اسم المحمرة الى ( خومشهر ) ، وعندما تقرر ضم المحمرة الى الدولة الفارسية بمقتضى معاهدة ارضروم الثانية ( ١٨٤٧ ) - كما سيأتى تفصيل ذلك - فقد بقى حاكمها يمارس ادارته مستقلا عن فارس والدولة العثمانية ، بل أن الدولة الفارسية ذاتها فضلت استقلال عربستان تخلصا من عبء ادارتها الاسمية والاعتراف بالأمر الواقع<sup>(١)</sup> ، وفيما يتعلق بالبصرة فقد اقترح والى بغداد وضع قوة عسكرية بها بحيث تتمركز لعدة سنوات حتى يتأكد الوجود العثماني هناك من خلال اجراءات عسكرية صارمة نظرا لأن ذلك سيحقق فوائد اقتصادية تتمثل فى زيادة الواردات الجمركية . غير أن الحكومة المركزية كانت مشغولة فى ارسال قوات والى مسر محمد على باشا ، وقام السفير الانجليزى فى استانبول بصرف نظر الباب العالي عن مسألة المحمرة ، وقام بتجسيم خطر محمد على باشا على الدولة العثمانية وجعله الشغل الشاغل للادارة العثمانية ، فى الوقت الذى قدم فيه تأكيدات وتعهدات بمنع أية محاولة فارسية للاستيلاء

---

(١) دكتور مهدي جواد حبيب ، مرجع سابق ص ١٠٢ نقلا عن تاريخ جودت ، ج ١٢ من ص

على المحمرة<sup>(١)</sup> . ويلاحظ مهدي جواد حبيب<sup>(٢)</sup> ان الادارة العثمانية لم تكن تدرك بعد أهمية عربستان بالنسبة للمصالح والاستراتيجيات العالمية والتي لم تتمكن من الوقوف في وجه الاطماع الفارسية المتزايدة ، ويضيف مهدي جواد حبيب<sup>(٣)</sup> قائلا : « ويحتمل أن بعد المسافة من استانبول الى المحمرة جعل السياسة العثمانية ، ومنذ زمن بعيد تتسم باللامبالاة في تعاملها مع قضية عربستان . لذا وافقت الدولة العثمانية على ضم المحمرة الى فارس بموجب معاهدة ارضروم الثانية (١٨٤٧م) رغم قناعتها بعدم احقية الفرس في ضم تلك المنطقة العربية أرضا وشعبا وتاريخا لها » .

### ٣ - ردود الفعل :

بدلا من أن تلتزم السلطات الفارسية بالمعاهدة المعقودة مع الدولة العثمانية ، فقد عاودت سياستها في التدخل في شئون العراق ، ففي سنة

---

(١) حيث أصدر ناصر الدين شاه في اواخر عام ١٨٥٧ مرسوما ملكيا تضمن استناد اماره المحمرة الى الحاج جابر بن مرادو وابنته من بعده وان تبقى الجمارك تحت ادارة السلطات الفارسية ويديرها أمير المحمرة نيابة عنها ، وأن يتعهد أمير المحمرة بنجدة الدولة الفارسية بجيشه في حالة اشتباكها بحرب مع دولة أخرى . وبعد وفاة الحاج جابر تولى ابنه خزرعل شئون الامارة (١٨٨١-١٨٩٧) حيث تغلقت إنجلترا عربستان لاستثمارها اقتصاديا ، وفي عام ١٨٨٨ تم افتتاح نهر دجيل ( كارون ) لملاحة التجارة الدولية وحصلت بريطانيا من خلال شركة لنج على امتياز بهذا الشأن ، وفي عهد الشيخ خزرعل (١٨٩٧-١٩٢٥) تفجر النفط في عربستان وتطورت مصالح إنجلترا في الامارة . وكان الشيخ خزرعل واحدا من أشهر الذين عرفهم الخليج العربي في تاريخه الحديث ، وقد أنهت حكمه مؤامرة فارسية - انجليزية . راجع تفصيلا : - مصطفى عبد القادر النجار ، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ، القاهرة ١٩٧١ م ص ٨٥ - ٩٤ .

(٢) دكتور مهدي جواد حبيب ، مرجع سابق ص ١١٢ .

(٣) المرجع نفسه ص ١١٣ .

١٨٤١ طلبت من والى بغداد عزل متصرف السليمانية وأرسلت قوة عسكرية مكونة من خمسة آلاف مقاتل للاستيلاء عليها ، غير أن متصرف السليمانية تمكن من صدّها ، مع ذلك فقد استمرت الاوضاع فى السليمانية غير مستقرة شأنها شأن الاطماع الفارسية فى العراق ، وقد أثّرت مسألة فتح ممثلية فارسية فى بغداد فى منتصف العقد الرابع من القرن التاسع عشر ، غير أن والى بغداد على رضا ذكر فى تقرير رفعه للصدر الاعظم فى استانبول فى ديسمبر ١٨٣٦ قوله : « أن فتح ممثلية فارسية فى بغداد سوف يؤدى الى جعلها مصدرا لكل أنواع التخريب والافساد واثارة القلاقل والفتن » .

وقد تمثل الخطر الفارسى تجاه منطقة الخليج العربى واقطاره عموما فى النشاط الفكرى التخريبى الذى مارسته تيارات فارسية ذات صفة غير رسمية ، ففى مطلع القرن التاسع عشر نشطت فى فارس حركات البابية والبهاية ، ونشأت حركة البابية وامتدادها البهاية تعبيراً عن الفكر الذى ظهر قديما بسبب تعاون اليهود الذين حرروهم كوروش من الأسر البابلى واستقروا فى فارس بعد أن اذن كوروش للأسرى الآخرين بالعودة الى فلسطين مع القوى والتيارات الفارسية الساخطة على الاسلام الذى ازال كياناتهم المجوسية<sup>(١)</sup> . والواقع أن هذه الحركات هى حركات هدامة تلتقى مع الماسونية والصهيونية فى أهدافهما وهى صرف الناس عن أديانهم وأوطانهم ، ومن الغريب أن تلتقى المصالح الاستعمارية فى بسط نفوذها على ايران والعراق<sup>(٢)</sup> والخليج العربى بهدف القضاء على الروح الجهادية للاسلام وبث روح اليأس

---

(١) المرجع نفسه ص ١١٣ .

(٢) راجع : على الوردى ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث - الجزء الثانى - بغداد

والضياح في نفوس المسلمين والعرب ، وقد ثبت علاقة إحدى الشخصيات من أبرز زعماء<sup>(١)</sup> هذه الحركات بأخبار اليهود في الفترة ١٨١٤-١٨٤٨ م .

والواقع أن الشاه ناصر الدين قام بحملات متواصلة في مواجهة البايية بعد تزايد خطرهما على سلطانه ، وبعد اعدام الباب في ٩ يوليو ١٨٥٠ انقسم الباييون الى فريقين ، جاهر فريق منهم بخلافة المرزا يحيى نور الملقب بـ «صبح أزل» ، واطلق على هذا الفريق «الازلية» ، في حين تمسك الفريق الآخر - وهم الاكثريه - بأخيه المرزا حسين علي (١٨١٧-١٨٩٢) الملقب «بيهاء الله» وسموا «بالبهائية» ، وفي محاولات الشاه ناصر الدين لاستئصالهم فقد لجأ المرزا حسين الى المفوضية الروسية التي قامت بتسليمه للسلطات الفارسية بعد أن أخذت وعدا بالمحافظة على حياته وأنصاره ونفيهم خارج الحدود ، ف لجأوا الى الدولة العثمانية التي أجرت لهم مخصصات شهرية ، وحددت اقامتهم في بغداد .

وفي بغداد نشطت حركة البايية لعدة عوامل من أهمها دعم الروس لهم ، وأن من مصلحة النظام الفارسي نقل الفوضى والاضطرابات الى العراق الذي أصبح بالفعل ميدانا لنشاط البايية التخريبي ، وتذكر المصادر<sup>(٢)</sup> ان الفتن والاضطرابات المذهبية قد استمرت في المدن العراقية الكبرى بغداد والكاظمية

---

(١) وهي شخصية «رزين تاج» الملقب بقره العين وكان له علاقة بجبرين يهوديين هما «الباهر ولا زار»

راجع ، ادارة الكواكب الذرية في مآثر البهائية ، القاهرة ١٩٢٣ م ص ١٩٧-٢٠٢ .

(٢) دكتور مهدي جواد حبيب ، مرجع سابق ص ١٣٣ نقلا عن ، الأرشيف التركي ، مجلس حصوص ، رقم الوثيقة ١٤٧٥ ، ملف ٦ .

وكريلاء ، غير أن السلطات العثمانية أمرت بالقبض عليهم ومصادرة جميع كتبهم ورسائلهم وقامت باستجوابهم ثم وضعت الحراسة عليهم وتبين أن صبح أزل كان قد ادعى النبوة فى حين ادعى المرزا حسين على ( بهاء الله ) نزول الوحي عليه بالعربية والفارسية ، وأنه المهدي المنتظر ، ثم ادعى النبوة ، ورأت السلطات العثمانية أن استمرار هؤلاء فى ضلالتهم سوف يكون له آثاره السيئة على بعض السذج من المسلمين ، ولذا تقرر الحكم عليهم بالنفى المؤبد الانفرادى وتم ارسال « البهاء » ومريدوه الى قلعة عكا <sup>(١)</sup> وتقرر قطع المرتبات التى خصصت لهم سابقا .

#### ٤ - تشكيل لجنة الحدود :

واصلت السلطات الفارسية تقديم الاحتجاجات الى الباب العالى بعد حملة على رضا على اُسرة سنة ١٨٣٧ م ، ولم تقتصر الجهود الفارسية على تلك الاحتجاجات وانما تعدتها الى احتلال الفلاحية والمحمرة ذاتها (١٨٤٠ - ١٨٤٢) كما طالبت فارس بعرستان . غير أن الفرس شعروا بأن العثمانيين سيواصلون ضغطهم لاستعادة المحمرة لكونها تتبع البصرة التى يفصلها عن الاراضى الفارسية نهر دجيل ( الكارون ) . وأدت مشكلة الحدود الى استعداد الفرس لخوض حرب شاملة مع العثمانيين ، وهددوا بارسال جيش لاحتلال البحرين والكويت ، وطالبوا بلواء السليمانية وعرستان حتى القرنة ، وبابعاد الامراء الفرس المقيمين فى بغداد ، وردت السلطات العثمانية بتعبئة قواتها على الحدود ، وبدأت المناوشات الحدودية -

---

(١) المرجع نفسه ص ١٢٤ وقد دفن « البهاء » فى عكا ومقبرته أصبحت مزارا للبهائيين ومن أهم مؤلفاته « الاقدس » الذى نسخ به « البيان » .

راجع : عبد الرزاق الحسينى ، البايون والبهائيون فى ماضيهم وحاضرهم ، من ص ٢٥ - ٣٠

خاصة فى قاطع السليمانية . غير أن تورط انجلترا وروسيا جعلها يتبعان اسلوب التفاوض ، والموافقة على تشكيل لجنة رباعية من الدول الاربع المذكورة مهمتها الرئيسية وضع خريطة دقيقة وتفصيلية للحدود بين الدولتين يمكن الرجوع اليها عند حدوث نزاع جديد فى المستقبل .

وقد اتخذت اللجنة مدينة ارضروم التركية مقرا لها ، وباشرت جمع الوثائق المتعلقة بالحدود وخاصة تلك المتعلقة بأوضاع المحمرة <sup>(١)</sup> ، وعقدت اللجنة أول اجتماع لها فى ١٥ مايو ١٨٤٣ ، ولكنها توقفت بعد أيام قليلة بسبب توتر العلاقات الفارسية العثمانية على أثر هجوم القوات العثمانية على كربلاء ، وبعد تصفية أزمة كربلاء تركزت المطالب الفارسية فى امتناع السلطات العثمانية عن مساندة الأمراء الفارين اليها حتى لايتخذوا من الأراضى العثمانية قواعد للتآمر على النظام الفارسى وحق اشتراك الشاه فى اختيار حاكم للسليمانية وتعيين قناصل لدى الدولة العثمانية واحترام رعايا الشاه الموجودين فى الدولة العثمانية ، وتطبيق المساواة بين رعايا الدولة العثمانية بصرف النظر عن الدين أو المذهب ، واعادة العشائر الفارسية التى هاجرت الى الأراضى العثمانية ، كما طالبت السلطات الفارسية تسهيل أمر الزوار والحجاج الفرس الى العراق والحجاز والغاء الضرائب المفروضة على دفن الموتى فى العتبات المقدسة .

أما المطالب العثمانية فقد تركزت فى انسحاب الفرس من المحمرة ، واعتراف الحكومة الفارسية بمعاهدة سنة ١٨٣٨ والتى كانت قد عقدت بين الدولة العثمانية وبريطانيا ، واحترام الاحكام الواردة فى معاهدات ١٦٣٩

---

(١) دكتور عبد العزيز نوار ، داود باشا والى بغداد ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٣٣٠ - ٣٣٨ .  
وراجع أيضا : محمد امين زكى ، ترجمة محمد جميل الروز يمانى ، تاريخ السليمانية واتحائها ، بغداد ١٩٥١ .



وقد تحولت جلسات اللجنة الى مشادات كلامية بين المندوبين الفارسي والعثماني وتطورت المناقشات الى تبادل الاتهامات ، ووجدت الدولتان الوسيطتان - إنجلترا وروسيا - ان مشكلات الحدود بين الدولتين العثمانية والفارسية تحتاج الى وقت طويل لحلها ، واقترحتا أن تعقد معاهدة تنص على حل لبعض المشكلات القائمة ، وان يترك بعض منها للدراسة والتسوية ، وعلى هذا الاساس تم الاتفاق فيما بعد على ابرام معاهدة ارضروم الثانية (١٨٤٧) التي تنازلت بموجبها الدولة العثمانية عن مطالبتها في عربستان الى الدولة الفارسية ، وبالمقابل اعترفت هذه الاخيرة بسيادة الدولة العثمانية على لواء السليمانية<sup>(١)</sup> .

واستمرت اجتماعات لجنة الحدود خلال ١٨٤٩-١٨٥١ ولكن دون جدوى ، وانتقلت المفاوضات الى عواصم الدول الاربع بناء على اقتراح إنجلترا ، بينما تركت لجنة فنية في ارضروم لاستكمال دراسة الحدود ووضع خريطة لها ، وخلال قيام اللجنة بعملها نشبت حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) فتوقفت اللجنة عن العمل ، ولم تكد تنتهى هذه الحرب حتى اعلنت إنجلترا الحرب على الدولة الفارسية واتهمتها بالخضوع لروسيا بسبب قيام فارس بارسال حملة الى هرات عند الأمير الافغانى المتحالف مع إنجلترا . وقامت البحرية البريطانية باحتلال المحمرة ، وأجبرت القرم على عقد معاهدة باريس (١٨٥٦م) ، وعادت لجنة الحدود الى عملها ، واستمرت الدراسات فى الفترة ١٨٥٧-١٨٦٥ ، ووضعت خلالها خريطة للحدود من جبال أرارات الى الخليج العربى ، وقدمت

(١) دكتور مهدي جواد حبيب ، مرجع سابق ص ١٢٨ - ١٣٠ .

الخريطة ليعتمدها الطرفان ، ووافق كل منهما عليها ، ومع ذلك لم تحسم هذه الخريطة نزاع الحدود حيث أثارت إحدى القبائل الكردية الفوضى على الحدود لسنوات عديدة ( ١٨٦٩ - ١٨٧٢ ) .

وتذكر المصادر أن مشكلة العشائر المتنقلة عبر الحدود ومسألة نؤفء الزوار الفرس عبر الأماكن المقدسة ، ظلنا من أهم أسباب النزاع العثماني الفارسي فى الفترة اللاحقة على معاهدة ارضروم الثانية ، وقد اتفقت الدولتان على تبادل وجهات النظر ، وتوصلنا الى وضع برتوكول فى سنة ١٨٦٩ ، وبحضور روسيا وانجلترا ، وتضمن هذا البروتوكول اقرار الدولتين لاحترام خطوط الحدود التى وضعتها لجنة تخطيط الحدود ، وظلت المنحدرات الجنوبية الغربية قرب نهر دجلة على ما كانت عليه لحين تثبيت الحدود بدقة مع عدم بناء أية مبان أو حصون على هذه الاراضى .

وخلال زيارته للعراق سنة ١٨٧٠ جرت مفاوضات بين ناصر الدين شاه ومدحت باشا فى العراق حول مشكلة الحدود والمشاكل الاولى المتعلقة بين البلدين وأهمها منع تجاوز واعتداء العشائر الكردية ، غير أن حرس الحدود الفرس لم يلتزموا بتطبيق بنود الاتفاق ، فاضطر مدحت باشا الى انشاء مواقع عسكرية فى الممرات التى تربط بين حدود البلدين لمنع التجاوز بقوة السلاح ، وبرزت مشكلة الحدود ثانية سنة ١٨٧٦ وقدمت الدولة الفارسية

---

(١) دكتور عبد العزيز نوار ، مرجع سابق ص ٤٣٦ نقلا عن :

Airchison A Collection, Vol XII, pp. 20 - 22 .

(٢) دكتور مهدي جواد حبيب ، مرجع سابق ص ١٤٠ ، نقلا عن : مدحت باشا : تذكرة عبرت ، استانبول ١٣٢٥ هـ ، الجزء الاول ، ص ٦٦ .

مذكرة جاء فيها : أن استمرار احتلال قطر وعدة أماكن أخرى يعد انتهاكا  
لنصوص معاهدة ١٨٤٧ ، وهناك سوء معاملة الزوار والحجاج الفرس وعدم  
الجدية في شط العرب ومشكلة جزيرة شهلة في شط العرب (١) .

#### ٥- استمرار توتر العلاقات :

طوى القرن التاسع عشر أحداثه بمحاولات إيران التجاوز المستمر على  
الأقاليم الحدودية للعراق ، وضمها تدريجيا بذرائع مختلفة الى الولايات  
الایرانية الغربية ، وكان ذلك سببا رئيسيا لتوتر العلاقات بين البلدين خاصة  
وأن الحكومات الفارسية في توسعها الدائب على حساب أرض العراق خلال  
هذه الحقبة قد اتبعت السياسات الآتية (٢) :

١- سياسة التدخل في الشؤون الداخلية . حيث اشتغلت تلك الحكومات  
ببعض الأوضاع والمشاكل التي كانت قائمة في العراق تحت الحكم العثماني  
وخاصة في السليمانية وأربيل وكر كوك وإيجاد حكام لتلك المناطق موالية  
لها ، وقد أدى ذلك دورا كبيرا في انتزاع إيران مدنا وأراضى عراقية مهمة في  
هذه الجهات فضلا عن تحول اهتمام إيران الى إقليم الاحواز العربي ( معاهدة  
ارزروم الثانية ١٨٤٧ ) .

٢- سياسة التضييل : حيث لم تثبت إيران حدودها البرية الغربية ، ولم  
تعلن عنهما بصفة رسمية ، وكانت تعتمد عقب التوقيع على أية معاهدة  
حدود الى التجاوز على بنود تلك المعاهدة بفرض واقع جديد يستهدف عقد

---

(١) دكتور عبد العزيز نوار ، مرجع سابق من ص ٤٣٨ - ٤٤٠ نقلا عن :

Airchison, op, cit., pp. 20 - 22 .

(٢) اعتمدنا على التحليل القيم للدكتور مهدي جواد حبيب ، مرجع سابق من ص ١٤٢ -

معاهدة أخرى ، فإذا ما عقدت شرعت باستغلالها لتثبيت ما كانت قد حصلت عليه في الحقبة السابقة ثم تهيئة نفسها لعمل توسعى جديد .

٣- سياسة تغيير التركيب القومى القبلى : فقد راعت المعاهدات المعقودة بين الطرفين العثمانى والايرانى - الاوضاع القبلية على المناطق الحدودية بين دولتهما ، فأقرب وحدة العشيرة ، وحالت دون شطرها بحسب الحدود الفاصلة ، فان تثبتت تبعية كل قبيلة لأحدى الدولتين وتركبتها تنتقل بحرية تامة بين أماكنها صيفا <sup>(١)</sup> وشتاء ، غير أن دفع حدودها مع العراق دأبت على استغلال هذا العامل المتحرك فى دفع حدودها مع العراق والتوسع على حساب أراضيها ، وكانت وسيلتها فى ذلك دفع القبائل الفارسية ، أو تشكيل نسبة عديدة من اتباعها من شأنها تغيير التركيب السكانى فى المناطق المذكورة تمهيدا لسليلها من الارض العراقية وضمها الى ايران .

٤- سياسة القوة المسلحة : طغى هذا الاسلوب على علاقات ايران بالولايات العراقية ، وتغيير معالم مناطقها ومسح اسمائها العربية لتعدو وكأنها جزء من ايران .

٥- المعاهدات والاتفاقات العديدة الخاصة بحدود العراق البرية التى عقدت بين الدولة العثمانية بصفتها صاحبة السيادة على العراق انذاك ، وبين الحكومات الايرانية المتعاقبة بدءا بمعاهدة اماسية سنة ١٥٥٤م وانتهاء باتفاق الامتانة سنة ١٩١٣ الذى أخذ بمبدأ ابقاء الوضع الراهن Status quo وهو الوضع الناجم عن التغييرات التى طرأت على الحدود فى الفترة ١٨٤٨-١٩٠٥ ، وهذه التغييرات تعنى الواقع الذى فرضته ايران خلال المدة

---

(١) جابر الرلوى ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية بغداد ١٩٧٥ ص ٣٠

المذكورة ، فضلا عن ضعف الدولة العثمانية المستمر ، والمشكلات المتنوعة التي كان يعاني منها العراق على نحو خاص ، فقد تسبب ذلك في اقرار بعض المعاهدات المتأخرة للتجاوزات العديدة التي قام بها الجانب الايراني على تلك الحدود البرية الطويلة (١) مع العراق .

## ٦- مشكلات الحدود : من الحرب العالمية الاولى الى معاهدة سنة ١٩٣٧ :

ورث العراق بعد الحرب العالمية الاولى جميع مشكلات الحدود التي كانت قائمة بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية ، وكان لموقف بريطانيا المتنازعة للعراق في مطالبه والماليء في الوقت نفسه لايران نظرا لمصالحها هناك ، ماشجع ايران على المطالبة بالمزيد من تعديل الحدود ، ورفع وزير الخارجية الايرانية الى رئيس مؤتمر الصلح في ٩ يناير ١٩٣٠ مذكرة يطلب فيها تعديل بعض اجزاء الحدود لصالح بلاده ، وترى المصادر (٢) العراقية ان مشكلة الحدود العراقية الايرانية في فترة الانتداب البريطاني على العراق هي فصل من فصول العلاقات البريطانية - الفارسية ، أكثر من كونها من فصول العلاقات العراقية الفارسية .

---

(١) يقسم الدكتور مهدي جواد حبيب هذه الحدود لثلاثة اقسام : الاول : من ملتقى حدود الدولتين الى منطقة أورمان ، الثاني : من درتلك الى نقط شاه ، والثالث : من سومار الى دهلران حيث يبدأ اقاليم الاحواز ،

راجع : دكتور مهدي جواد حبيب ، مرجع سابق ص ١٤٨ - ١٨٢ .

(٢) دكتور مصطفى عبد القادر النجار ، التجاوزات الايرانية على العراق بعد الحرب العالمية الاولى ، في : الحدود الشرقية للوطن العربي ، مرجع سابق من ص ٣٥٧ -

ولم تنقطع حوادث الحدود بين الدولتين ، وقد تدخلت بريطانيا لاقناع ايران بوجوب الاعتراف بالمملكة العراقية ، وهو ماتم بالفعل فى ابريل ١٩٢٩ ، ومع ذلك فان ايران لم تعترف بشرعية الحدود ، واعتبرت الوثائق التى سبق التوقيع عليها قد فقدت أهميتها ، وأن المعاهدات ليست ذات صيغة تنفيذية لتقرير الحدود ، وطالب الشاه أن تبحث قضية الحدود من جديد معلنا خروج بلاده على الاتفاقيات التى عقدت بين بلاده وبين الدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الاولى ، وعليه كثرت التجاوزات الايرانية واصبحت خطرا يهدد علاقات البلدين من خلال التعرض لوسائل النقل النهرية العراقية فى شط العرب ، ولم تابه ايران بالشكاوى العديد التى قدمها العراق وقد عرضت الحكومة العراقية على ايران استعدادها للمفاوضات ورفعت اليها مذكرة بذلك الى عصبة الامم غير أن ايران اخترقت الحدود العراقية واستولت على مسافات تبلغ حوالى ٥٠٠ مترا مربعا على ضفة شط العرب اليسرى وعندئذ وجهت وزارة الخارجية العراقية احتجاجا لايران للكف عن هذه التجاوزات ، ولما لم تدعن ايران للمطالب العراقية فقد رفعت شكوى اخرى ضد ايران الى عصبة الامم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٣٤ وتضمنت الشكوى عرضا للاعتداءات من جانب الموظفين الفرس على الحدود وعدم مراعاتهم لخط الحدود ، وعدم اعتراف الحكومة الايرانية بصحة وثائق الحدود بين البلدين ، والحقت بالشكوى ثلاثة ملاحق ، الاول ، خاص بمعاهدة ارضروم الثانية . والثانى : خاص ببيروتكول سنة ١٩١٣ ومحاضر جلسات لجنة تخطيط الحدود لسنة ١٩١٤ ، أما الملحق الثالث فقد تشعب الى اربع فقرات خاصة بالتجاوزات الايرانية فى شط العرب .

غير أن مجلس عصبة الامم لم يبد حماسا فى بحث المشكلة ، والذى حدث ان المجلس كلف ممثل ايطاليا بالقيام بدور توفيقى بين الجانبين ، وجرت مباحثات فى روما ثم جنيف ثم طهران ، وأوفدت الحكومة الايرانية

وفدا الى طهران فى اغسطس ١٩٣٥ ، وأصرت ايران على وجوب تنازل العراق عن مرسى أمام عبادان على أن يكون عرضه منتصف شط العرب ، كما أصرت الى أن قضية الملاحة فى شط العرب على انها مرتبطة بقضية الحدود ، وقد وافق العراق على منح ايران مرسى فى عبادان لقاء اعتراف ايران بالحدود .

وفى ٤ يوليو ١٩٣٧ تم توقيع معاهدة الحدود وبرتوكول ملحق بها بشكل نهائى بين العراق وايران ، وتكرنت المعاهدة من ست مواد ، والبرتوكول الملحق بها من خمس مواد ، وجاء فى ديباجة المعاهدة : « أن الغرض من عقدها هو تحقيق ما أعلنه الطرفان من وضع حد بصورة نهائية لقضية الحدود بين دولتيهما » .

ونصت المادة الاولى على أن يكون خط الحدود بين الدولتين هو الخط الذى عينته وخطته اللجنة ، وتنازل العراق بموجب المادة الثانية عن جزء من شط العرب أمام عبادان بحيث يمر خط الحدود بمجرى المياه العميق ، وقضت المادة الثالثة بتأليف لجنة لأجل تثبيت دعائم الحدود التى كانت قد عينت أماكنها لجنة سنة ١٩١٤ . كما تم عقد معاهدة صداقة بين البلدين فى ١٨ يوليو ١٩٣٧ ، وأخرى فى ٢٤ من نفس الشهر والسنة . وقد تم الاعتراف صراحة بمشروعية برتوكول الأستانة ومحاضر جلسات لجنة تجديد الحدود . كما أنها اعطت ايران مكسبها جديدا بالاضافة الى ماسبق أن كسبته سنة ١٩١٤ أمام مدينة المحمرة ، وبذلك أصبح لايران منطقتان تكون لهما مياهها وطنية فى شط العرب بمسافة ١٥ كيلو مترا أحدهما أمام المحمرة والاخرى أمام عبادان ، وصارت مصالح العراق المتعلقة بالنفط وميناء البصرة - من خلال المكاسب الايرانية الجديدة - أكثر تهديدا على أثر كل أزمة تقع بين البلدين .

وتذكر المصادر العراقية <sup>(١)</sup> ان تنازل العراق عن هذا الجزء من مياهه الوطنية دون مقابل من ايران سوى اعترافها بصحة الوثائق التي تستند اليها الحدود ، أما ايران فقد اعترفت بأن شط العرب يكون مياهها وطنية عراقية تخضع للسيادة العراقية الكاملة فيما عدا الاستثنائين السابقين . وحصلت ايران على مكسب جديد أيضا بموجب هذه المعاهدة عندما نصت صراحة على أن يكون شط العرب مفتوحا لمروور السفن الحربية الايرانية والسفن الاخرى غير التجارية المستخدمة في مصالح حكومية ، حيث لم تحصل ايران قبل ذلك على حق السفن الايرانية الحربية بشط العرب الا طبقا لمبدأ حق الملاحة البريء ، كذلك فقد حققت ايران مكاسب متعددة أخرى <sup>(٢)</sup> .

غير أن الرأي العام العراقي لم يقبل التنازلات السابقة حيث جرت مظاهرات صاخبة في بغداد وبصرة احتجاجا على قبول مجلس النواب العراقي للمعاهدة ، وسادت بغداد موجة من الحزن نتيجة لتدخل الشرطة للحيلولة دون وصول المتظاهرين الى المجلس ، أما في البصرة فقد أمر بتصرفها بجلد الطلاب القائمين بالمظاهرات ، وأيا كان الامر فقد تم ابرام المعاهدة في ٢٠ يونيو ١٩٣٨ وتم تبادل الوثائق وابلاغها لعصبة الامم .

#### ٧ - لجنة تخطيط الحدود :

بدأت لجنة تخطيط الحدود عملها في ديسمبر ١٩٣٨ وحققت العديد من الانجازات ، غير أن ايران استمرت في تجاوزاتها ، وبقي الوضع متأزما واستمرت حوادث الحدود حتى قيام ثورة يوليو في العراق سنة ١٩٥٨ ، وقد انتهزت ايران الاحداث الداخلية في العراق وعدم التفاته الى مشكلات الحدود

(١) المرجع نفسه ص ٢٦٥ - ٢٦٦

(٢) راجع تفصيل ذلك في المرجع السابق ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .



المعقدة بين البلدين ، وساد العلاقات توتر كبير وحشدت القوات المسلحة الإيرانية على طول الحدود ، وفي ٧ مايو ١٩٥٩ أعلن الوزير الإيراني المفوض في بغداد بأن بلاده قد اعتبرت خسرو آباد ميناء بحريا تابعا للمحمرة وطالبت العراق الاعتراف به ، غير أن الحكومة الإيرانية اصررت على عدم قبولها هذا الطلب ، وأنها ستحتفظ « بحقها القانوني » باتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك ، واستمرت ايران نخالف معليمان ميناء البصرة وصارت بواخر شركة النفط البريطانية - الإيرانية تدخل شط العرب متجهة نحو ميناء خسرو آباد بحراسة زوارق إيرانية مسلحة دون الحصول على موافقة سلطات المواليء العراقية .

وفي محاولات العراق حل هذه الخلافات بالوسائل السلمية المباشرة وغير المباشرة فانها طالبت بعرض المشكلة على الامم المتحدة ثم محكمة العدل الدولية واحصت العديد من المخالفات <sup>(١)</sup> التي ارتكبتها ايران ، وقد تهربت ايران من أى تفاهم مع السلطات العراقية واستمرت فى مخالفاتها لمبادئ حسن الجوار ، وعندما قامت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ فى العراق تقدمت ايران بمشروع لمعاهدة تحل محل معاهدة سنة ١٩٣٧ ولما رفض العراق الطلب الإيراني ، فقد أعلنت ايران فى ١٩ ابريل ١٩٦٩ الغاء الحكومة الإيرانية لمعاهدة الحدود بين العراق وايران سنة ١٩٣٧ ، وابلغت الحكومة العراقية رسميا بالقرار <sup>(٢)</sup> واعلنت الحكومة العراقية رفضها للقرار الإيراني <sup>(٣)</sup> ، ورفعت الأمر الى مجلس الامن وطالبت باحالة النزاع الى محكمة العدل الدولية .

---

(١) تفصيل ذلك فى المرجع السابق من ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٢) مذكرة السفارة الإيرانية فى بغداد الى وزارة الخارجية العراقية رقم ٤٩٩ فى ٢٩ ابريل ١٩٦٩ .

(٣) مذكرة وزارة الخارجية العراقية الى السفارة الإيرانية فى بغداد رقم ٥١٦ فى ١ مايو ١٩٦٩ .

واستمرت ايران فى الفترة التالية تزود المتمردىن فى شمال العراق بالاسلحة والمعدات والخبراء ، حتى انفجر الوضع على الحدود فى فبراير ١٩٧٤ وتآزم الوضع بين البلدين واتخذ مجلس الامن توصية بتعيين ممثل دولى دراسة المشكلة ، وقد أوصى مجلس الامن بناء على تقرير الممثل الدولى - باستئناف المفاوضات ، واجتمع الوفدان العراقى والايرانى فى استنبول فى الفترة ١٢ - ١٨ أغسطس ١٩٧٤ كان حصيلتها صدور بيان صحفى باستئناف المفاوضات وفى مارس ١٩٧٥ ومن خلال الوساطة الجزائرية تم عقد اتفاقية الجزائر ، وحققت ايران لنفسها مكسب فوريا مباشرا طالما حلمت به - على حد قول المصادر العراقية (١) ، ومع ذلك استمرت التجاوزات الايرانية حيث كثرت اعتداءات الحدود طوال السنوات الخمسة التالية مما جعل العراق يلغى اتفاقية الجزائر فى ٦٧ سبتمبر ١٩٨٠ ليدخل النزاع مرحلة جديدة .

---

(١) دكتور مصطفى عبد القادر النجار ، مرجع سابق ص ٢٧٤ .

## الفصل الرابع

### امن الخليج ومشكلات الحدود المعاصرة

- ١- النوايا الايرانية .
- ٢- ايران والبحرين .
- ٣- ايران والجزر العربية الثلاثة .
- ٤- الانسحاب البريطاني .
- ٥- رد الفعل العربى .
- ٦- مشكلات الحدود المعاصرة .



## ١ - النوايا الايرانية

ارتبط أمن الخليج العربي بالسياسات العالمية والاقليمية ارتباطا وثيقا ومباشرا ، سواء تعلق ذلك بالسياسات الغربية أو الاتحاد السوفيتي أو السياسات العربية والايرانية . بين التجمعات المحلية ذاتها ، وقد أدى تشابك الاطراف الى اضفاء أهمية كبيرة على الأوضاع الجيوليتيكية لمنطقة الخليج العربي برمتها ، وتركز جوهر قضية أمن الخليج ابان مرحلة الوجود البريطاني حول توفير غطاء عسكري خارجي وعقد تحالفات قوية بين مشيخات الخليج وبريطانيا ، ثم جاء اصلاح « أمن الخليج » بعد رحيل بريطانيا سنة ١٩٦٨ حيث تمثلت الهواجس الغربية خيفة من ترك الأمور لتداعياتها الطبيعية خوفا على مصالحها ، واكتشفت الدول الغربية خاصة بريطانيا والولايات المتحدة أن تباين المصالح بين دول الخليج نفسها تجاه الغرب يمكن ان تؤدي الى مضاعفات خطيرة وخاصة عندما أخذت دول الخليج العربي - السعودية والكويت أساسا من ناحية ، وايران من ناحية أخرى في اتباع سياسات بترولية مختلفة عما يتوقعه الغرب .

وتعمق الاحساس بالخطر نتيجة لشواهد عدم الاستقرار في المنطقة ، وما تبع من ذلك من سباق التسلح (١) لكافة دول الخليج في عقد الثمانيات ، وبرزت مشكلات الحدود على السطح رغم ما يبدو - ظاهريا - من أنها قد تم تسويتها . فالحدود العراقية الكويتية ظلت بدون حل في هذه الفترة ، كما

---

(١) وعلى سبيل المثال قد بلغت قائمة المشتريات السعودية للأسلحة الأمريكية خلال الأشهر الثمانية الأولى من عام ١٩٧٦ حوالي ٥٤٠٨ مليون دولار ، أما ايران فقد تجاوزت موازنتها العسكرية الثمانية مليارات من الدولارات في عام ١٩٧٧ .

أن قضايا الحدود بين السعودية والامارات لم يتم حسمها الا فى عام ١٩٧٥ ، وبالرغم مما شهرته العلاقات الايرانية العراقية من تحسن عقب توقيع اتفاقية الحدود فى عام ١٩٧٥ ، فان أوجه الخلاف ظلت كامنة بين ايران والعراق من جهة والعراق وجيرانه من جهة أخرى ، حيث اتسمت النظرة الايرانية فى جوهرها بأنها عرقية ( الجنس الآرى ) ، فى حين كانت النظرة العربية تركز على الدين الاسلامى ، بل أن العراق قد انطلق من حيث الهوية الى تصور عربى وليس اسلامى أو آرى ، وهو ما يمس جوهر قضية الاستقرار وهى التنمية الحقيقية والاساسية التى تعتمد أساسا على الاستقلال الوطنى والاقتصادى لدول المنطقة .

وعموما فقد شكلت التطلعات الايرانية تجاه امارات الخليج عنصرا أساسيا فى أمن الخليج حيث نظرت المملكة العربية السعودية للتحركات الايرانية فى عهد الشاه فى منطقة الخليج على انها تدخل فى سباق صراع قومى ودينى ، فمن الناحية القومية خشيت السعودية من وجود الفارسى ضد التكوين العربى لشعوب منطقة الخليج والجزيرة ، وقد سبقت الاشارة الى الجهود المضنية للحركة الاصلاحية السلفية للشيخ محمد بن عبد الوهاب والتى أزرتها الدولة السعودية بكل قوتها بالاضافة الى العلاقات القديرة والقوية بين العائلات الحاكمة فى البحرين وقطر وآل سعود منذ القرن التاسع عشر فى اطار الدعوة الاصلاحية السلفية والتى كان لها الفضل فى حماية آل سعود للبحرين من هجمات الفرس ومسقط الى أن وقعت البحرين تحت حماية بريطانية ، فلما أعلنت بريطانيا عن انسحابها من الخليج ، فقد سارعت ايران باعلان نواياها فى ضم البحرين وهو ما أحدث ردود فعل سعودية لشجب هذه النوايا لاسيما وان السعودية لايفصلها عن البحرين سوى حوالى خمسة عشر ميلا من مياه

الخليج<sup>(١)</sup> العربى فضلا عن أن المنطقة الشرقية السعودية المجاورة للبحرين قد شهدت تدفقا مضطردا من الثروة البترولية . ويفسر ذلك حرص المملكة العربية السعودية على اقامة علاقات متينة مع البحرين حفاظا على أمن الخليج الذى تعتبره السعودية أمرا جوهريا .

والواقع أن السياسة الايرانية تجاه البحرين والجزر العربية الثلاثة على مضيق هرمز ( أبو موسى ، طناب الكبرى ، طناب الصغرى ) ، قد أوضحت عند التطبيق نوايا ايرانية توسعية وهو ما يقتضى وقفة للتفسير والتعليل .

## ٢ - ايران والبحرين :

سادت العلاقات الايرانية - البحرينية الكثير من الملبسات السياسية التى اكتفت علاقات البلدين ، فكثيرا ما كانت العلاقات المتوترة سببا فى اثاره المشكلات السياسية وخاصة منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وكان اتفاق الطرفين فى كثير من الاحيان فى تسوية هذه المشكلات مبررا لزيادة حدتها ، وإذا أضيف الى ذلك ان مشكلة الحدود بين ايران والدول العربية المواجهة لها فى الخليج بوجه عام قد واجهت صعوبات تطبيق قاعدة خط الوسط نظرا لأن الخليج ملئ بالجزر ، فضلا عن اختلاف التركيب الجغرافى للساحل الايرانى عن الساحل العربى ، وجاءت العلاقات الايرانية - البحرينية رمزا للرصيد العام للعلاقات مع الساحل العربى بما يحويه من أعباء الماضى ومؤثرات الحاضر .

ومن الثابت أن ايران لم تخف مطالبها بضم بعض الاراضى العربية اليها وكان لظهور النفوذ المصرى على الشاطئ الشرقى لشبه الجزيرة العربية سنة

---

(١) يمكن ربط السعودية بالبحرين فيما بعد من خلال جسر على مياه الخليج والذى ساهمت المملكة العربية بالجزء الاكبر من تكاليفه . (الباحث) .

١٨٣٩ أثره البعيد فى احياء اهتمام ايران وتجديد مطالبتها بالسيادة على البحرين<sup>(١)</sup> . اذ أن ايران خشيت من القوة العربية الراحفة<sup>(٢)</sup> فأرسلت مندوبا الى البحرين ليجمع الاتاوة للخزينة الفارسية وهو « الحاجى قاسم »<sup>(٣)</sup> وقد انكرت بريطانيا الادعاء الايرانى رسميا فى سنة ١٨٤٣<sup>(٤)</sup> .

وحينما شرعت فارس انذاك فى بناء اسطولها فى الخليج العربى ، ابلغ المقيم العام البريطانى فى الخليج حكومته بأن اهتمام فارس ببناء اسطولها فى الخليج قد يفسر بأنه جزء من مخطط للاستيلاء على جزر البحرين ، وقد وعده الحاكم العام فى الهند برد أى محاولة من هذا النوع ، كما أن وزير خارجية بريطانيا صرح بأن أى تدخل من جانب فارس سوف لا توافق عليه بريطانيا الا اذا اقنعت بالحجج لهذا التدخل ولم تسكت فارس . على ذلك ، فقد قدمت وأل مذكرة احتجاج رئيسية بشأن البحرين وكانت هذه المذكورة عبارة عن مذكرتى احتجاج متممين لبعضهما البعض : فى ٤ فبراير ، والثانية فى ١٥ مارس سنة ١٨٤٥<sup>(٥)</sup> . أحتوت المذكرة الاولى على نسخة من معاهدة شيراز سنة ١٨٢٢م وهى التى تحوى اعتراف بريطانيا بالسيادة الايرانية على البحرين والمذكرة الثانية أحتوت عدد من النقاط تبرز فارس من خلالها أحداثا معينة ترمى الى سيطرتها على البحرين .

---

(١) أمل الزياتى ، البحرين بين الاستقلال السياسى والانطلاق الدولى بدون مكان نشر ، ١٩٧٧ ، ص ١٣٠ - ١٣٧ .

(٢) دكتور سيد نوفل ، الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٥ - ٢٢ .

(٣) أمل الزياتى ، مرجع سابق ص ١٣٨ .

(٤) دكتور سيد نوفل ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٥) أمل الزياتى ، مرجع سابق ص ١٣٨ .



وقد ردت الحكومة البريطانية على ادعاءات ايران هذه وأفادت أن معاهدة شيراز لم تمهر بتوقيع حكومة الهند لذا فهي تعد غير شرعية وكان ذلك بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٨٤٥ (١).

ولم تكن هذه المذكرة الوحيدة التي رفعتها ايران احتجاجا بل تبعها عدد من المذكرات والاحتجاجات .

وبرز الادعاء الايراني في البحرين بصورة واضحة مع ظهور البترول في سنة ١٩١٤ حين وقع الحاكم البحريني مع السلطة البريطانية تعهدا خاصا بالبترول ، ولم تترك ايران بعد ذلك أية فرصة تؤكد من خلالها سيادتها على البحرين سواء بمعارضة أى اتفاق ثنائى تبرمه أى دولة مع البحرين (٢) ، مثال ذلك حينما احتجت ايران على المادة السادسة من الاتفاقية السعودية - البريطانية فى سنة ١٩٢٧ والتي تنص على أن « بتعهد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على العلاقات الودية السليمة مع حكومتى البحرين والكويت ومع شيخ قطر وساحل عمان الذين تربطهم حكومة صاحب الجلالة البريطانية معاهدات خاصة » وقد أرسلت ايران نسخة من هذا الاحتجاج الى سكرتارية عصبة الامم فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٧ (٣). كما ارسلت فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٨ مذكرة أبرزت فيها وجهة نظرها ، ولكن وزير خارجية بريطانيا السير أوستن شمبرلين أجاب عليها بمذكرة مطولة بتاريخ ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩ رد فيها على الحكومة الايرانية مفندا وجود أية اسانيد شرعية يمكن الاستناد عليها لتبرير المطالبة الايرانية وقد استتدت ايران فى ادعاءاتها الى صلتها التاريخية بجزر البحرين وعلى ثقافة

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) دكتور سيد نوفل ، مرجع سابق ص ٣٢

(٣) أمل الزهائى ، مرجع سابق ص ١٤١

شيراز سنة ١٨١٢ وولاء بعض الحكام البحرينيين لايران ، وفى سنة ١٩٣٠ قدمت ايران مذكرة احتجاج للحكومة البريطانية تنكر فيها على شيخ البحرين أن يكون له أى حق فى منح أى امتياز لاستثمار موارد الزيت فى بلاده ، دون استشارة أو موافقة حكومة ايران كذلك قدمت ايران احتجاجا للحكومة الامريكية فى ٢٢ مايو سنة ١٩٣٤ حينما منح حاكم البحرين حق التنقيب عن الزيت لشركة استباتدور أويل أوف كاليفورنيا<sup>(١)</sup>

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت ايران فى اتخاذ مواقف واجراءات تثبت ادعاءاتها السابقة ومن ذلك اصدارها فى سنة ١٩٤٦ قرارا من البرلمان الايرانى يقضى بعزمها على ممارسة سيادتها على البحرين وتطبيق الرسوم البريدية على البريد الصادر الى البحرين<sup>(٢)</sup>.

حينما أبلغت الحكومة الايرانية السفارات الاجنبية فى طهران أن نزول الطائرات الاجنبية فى مطار البحرين أمر محظور الا بتصريح سابق من ايران بدعوى أن البحرين جزء من ايران واقليم من اقليمها .

اجتمع مجلس الجامعة العربية وقرر معارضة الادعاء الايرانى بجميع الوسائل وتأكيد استقلال البحرين وسائر المنطقة<sup>(٣)</sup> . وقررت اللجنة ارسال رد عربى موحد الاسس بذلك الى الخارجية الايرانية لكن مالبثت ان تراجعته عن ارسال الرد أمام الهجمات الاعلامية الايرانية<sup>(٤)</sup> .

وهكذا تبنت الجامعة العربية قضية الدفاع عن كيان البحرين بدلا من

---

(١) أمل الزهائى ، مرجع سابق من ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٤٢ .

(٣) المرجع نفسه من ص ١٤٧ - ١٤٩ .

(٤) دكتور سيد نوفل ، مرجع سابق من ص ١٣٨ .

مواقف الحكومات العربية الاعضاء فى الجامعة<sup>(١)</sup>.

غير أنه نظرا لتراجع العرب عن ارسال رد عربى موحد فقد أعلنت ايران أن البرلمان الايرانى سوف يبحث مشروعا تقدمت به حكومته ، ينص على اعتبار البحرين ولاية من ولايات ايران الاربعة عشر .

وفى سنة ١٩٥٧ أصدرت الحكومة الايرانية قرار يقضى بضم البحرين الى الاراضى الايرانية باسم الاقليم الرابع عشر<sup>(٢)</sup>.

أما رد فعل الحكومة الايرانية على قرارات الجامعة العربية بتأييد الاستقلال البحرينى فقد شنت أجهزة الاعلام الايرانية حملة دعائية مفرضة على الجامعة العربية ودولها الاعضاء<sup>(٣)</sup>.

وحينما بدأت مباحثات انشاء اتحاد للامارات العربية المتحدة احتجت ايران وحذرت من انضمام البحرين الى الاتحاد . ونشرت صحيفة التيمس البريطانية فى عددها الصادر فى يوم ١٩٦٨/٤/٣ افتتاحية جاء فيها : ان ايران تحذر من ضم البحرين الى اتحاد الامارات العربية لما تدعيه من تبعية البحرين لها<sup>(٤)</sup>.

وحينما طالبت العراق بالانسحاب الايرانى من الجزر العربية الثلاث أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى التى استولت عليها ايران سنة ١٩٧١ صرح صادق روحانى « ان ايران قد تطالب بالبحرين مرة اخرى » وأثار ذلك

---

(١) المرجع نفسه من ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) المرجع نفسه من ص ١٥٢ .

(٣) دكتور سيد نوفل ، مرجع سابق من ص ١٣٨ .

(٤) المرجع نفسه .

غضب السلطات البحرينية وطالبت البحرين ايران فى بيان ان  
توقف الدسائس ضدها والتى يمكن أن تؤدى الى أوضاع  
خطيرة<sup>(١)</sup>.

وحينما أعلن مجلس الامن قراره بتقرير مصير البحرين فى ١١ مايو سنة  
١٩٧٠ ، وأرسلت لجنة لتقصي الحقائق وخرجت النتائج بتأكيد عروبة  
البحرين ، فقد عمدت ايران الى التقارب مع البحرين وأرسلت وفدا للتهنئة  
بصدور القرار وملك برئاسة وكيل وزارة الخارجية الايرانية بتاريخ ٢٣ مايو سنة  
١٩٧٠ ، كما قام رئيس مجلس الدولة البحريني الشيخ خليفة بن سلمان  
بأول زيارة رسمية لمسؤول بحريني الى ايران منذ أكثر من مائة عام ، كما زار  
حاكم البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة فى ١٨ ديسمبر سنة  
١٩٧٠م ايران . وفى سنة ١٩٧٥ زار عباس هويدا رئيس الوزارة الايراني  
البحريني<sup>(٢)</sup>.

واذا كان هو موقف الحكومة الايرانية فان هناك أحزابا ايرانية مثل ( حزب  
بان ايرانسيت ) لم ترضى عن موقف الحكومة المعتدل تجاه البحرين ، وأعلن  
رئيس الحزب ( محسن يزشكبور ) ان البحرين جزء من التراب الايراني ...  
والذين قبلوا بفصل البحرين عن ايران هم خونه ولا يمكن الاقرار بفصلها من  
ايران لا من وجهة نظر القانون الدولي ، ولا من وجهة نظر قانون الحقوق  
العالمى ولا من وجهة النظر الداخلية<sup>(٣)</sup>.

---

(١) مجلة الخليج العربى ، المند الرابع ، ١٩٨١ من ص ٦٠ - ٦٢ .

(٢) أمل الزياتى ، مرجع سابق ص ١٦٨ .

(٣) محمد وصفى أبو فعلى ، اتجاهات السياسة الايرانية نحو الخليج العربى ، مركز دراسات الخليج

العربى ، البصرة ، ١٩٨٠ من ص ٢٠ - ٢٥ .

ولم تنته المشكلات السياسية بين إيران والبحرين عموما بينهما . وبين الدول العربية الخليجية بصفة خاصة وذلك من خلال محاولات شاه ايران اقامة حلف دفاعى فى المنطقة منذ عام ١٩٧٣ ( تصريحات الشاه لمجلة نيوزويك وزيارته لواشنطن سنة ١٩٧٥ ) وأن ايران تبحث عن الامن الجماعى فى الخليج . وتعد له منذ عدة سنوات ، غير أن الدول العربية الخليجية أبدت عدم حماسها لمشروع الحلف الدفاعى ، وفى ٢٥ يونيو ١٩٧٨ أعلن رئيس الوزراء الايرانى ان الاتصالات الايرانية العربية لاقامة حلف دفاعى بمنطقة الخليج <sup>(١)</sup> قد توقفت ، ومع ذلك لم تقف المحاولات الايرانية عند هذا الحد حيث دعت الى تكوين ما يسمى « بحائط البترول » من الاخطار الاجنبية وعرضت نفسها كقوة عسكرية لتوفير الغطاء العسكرى لبترول المنطقة ، وكان ذلك مؤشرا ملموسا للتطلعات الايرانية السياسية لاسيما وأن علاقاتها بالعراق لم تكن توتر ، وقد رفضت المملكة العربية السعودية - وهى أكبر دولة لاحتياطى البترول فى المنطقة - جميع الاشكال التنظيمية الايرانية للدفاع عن الخليج أيا كانت صورها .

### ٣- ايران والجزر العربية الثلاثة :

#### بعض الملاحظات الجيوبوليتيكية :

تقع الجزر العربية على مضيق هرمز المتحكم فى مدخل الخليج العربى من ناحية المحيط الهندى ، وهى جزيرة « أبو موسى » التابعة لامارة الشارقة ، وجزيرة طنب العليا أو الكبرى ، وجزيرة طنب الوسطى أو السفلى التابعتين لامارة رأس الخيمة <sup>(٢)</sup> .

(١) وكانت ايران ترغب فى اقامة هذا الحلف مع كل من السعودية والعراق بدعى مواجهة الانتشار الشيوعى وحماية آبار البترول .

(٢) أمل الزبائى ، مرجع سابق من ص ١٧٠ - ١٧٢ .

تبعد جزيرة أبو موسى من مدينة الشارقة بحوالى ٤٥ ميل داخل الجرف القارى العربى وهى تحت السيادة حاكم الشارقة ومساحتها حوالى ٣٥ كم<sup>٢</sup> وطولها ٧ كم وعرضها ٥ كم وهى جزيرة مستطيلة الشكل .

أما جزيرة الطنب الكبرى فتبعد حوالى ٢٠ كم عن رأس الخيمة وهى تقع الى الشمال الشرقى من جزيرة أبو موسى وتبعد عنها ٥٠ كم ومساحتها ٩ كم<sup>٢</sup> وهى دائرية الشكل ، ويسكنها حوالى ٢٠٠ نسمة تقريبا .

وأخيرا تبعد جزيرة الطنب الصغرى عن الساحل مسافة ٩٠ كم وتقع على بعد ٨ أميال الى الغرب من جزيرة طنب الكبرى ، وهى على شكل مثلث ، طولها ميل وعرضها ١/٢ الميل<sup>(١)</sup> .

وكانت هذه الجزر وغيرها من جزر الخليج منذ منتصف القرن الثامن عشر تحت سيطرة القواسم وقد اعترفت حكومة الهند الخاضعة لبريطانيا بذلك وأكدت بأن الجزر تابعة دائما للقواسم<sup>(٢)</sup> .

وهناك مثال آخر للسيادة العربية على الجزر ، عندما حاولت شركة الوادى الذهبى مد امتيازاتها الى جزيرة الطنب ، وكانت المراسلات بين شركة الوادى الذهبى والمقيم البريطانى مع حاكم رأس الخيمة تؤكد ان الجزر العربية كانت تحت السيادة العربية<sup>(٣)</sup> .

وترجع مطالبة ايران بجزر الخليج العربى الى سنة ١٨٤٥ م حينما أرسلت

---

(١) محمد حسن العيدروس ، التطورات السياسية فى دولة الامارات العربية المتحدة ، الكويت ١٩٨٣ من ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) أمل الزهائى ، مرجع سابق ص ١٧٣ .

(٣) محمد حسن العيدروس ، مرجع سابق من ص ١٧٥ - ١٧٨ .

فارس أول مذكرة احتجاج الى اللورد ابردين وزير خارجية بريطانيا آنذاك رد على طلب ابروين اعطاء براهين من جانب حكومة فارس تثبت حقوقها في جزر البحرين .

وقد رد الوزير البريطاني على مذكرة فارس من المكتب السياسى فى الهند بواسطة بيكوك غير أن فارس آنذاك لم تحدد هذه الجزر وانما كانت مطالبتها شاملة (١).

وكان من مصلحة بريطانيا من أوائل القرن العشرين ابعاد النفوذ الايرانى عن الجزر لأن ايران كانت تبدو أكثر خضوعا للنفوذ الروسى ، ومن هنا نرى تصارع القوى الاستعمارية وتضارب سياساتها من أجل تأكيد مصالحها فقط . وكانت زيارة نائب الملك فى الهند اللورد كيرزون للخليج سنة ١٩٠٣ حين شعرت بريطانيا بتزايد الاهتمام الروسى فاثرت ان تعرقل مهمة مطالبة ايران بالجزر ، ويسدو أن ايران لم تتأثر بهذه الزيارة ، فبعد عام منها قامت الحكومة الايرانية سنة ١٩٠٤ برفع علمها على جزيرتى أبو موسى وطنب العليا ، غير أن السفير البريطانى فى طهران تحرك بسرعة - خوفا من التسلل الروسى - وأنذر الحكومة الايرانية بأنها اذا لم تنزل اعلامها عن الجزيرتين ، فان بريطانيا ستثير موضوع امتلاكها لجزيرة ( سبرى ) العربية ولذا تفشل ايران اجراءاتها وتفقد تلك الجزيرة التى تمتلكها بالفعل .

ولم تهتم ايران بالتهديد البريطانى ، اذ أنه عندما اكتشفت شركة الوادى الذهبى كميات من الأوكسيد الاحمر فى جزيرة هرمز حاولت هذه الشركة أن تمد نشاطها الى جزيرة أبو موسى عن طريق الحكومة الايرانية وأشار الى ذلك الوزير البريطانى فى طهران السير برسى لورين فى سنة ١٩٢٣ فى

---

(١) أمل الزهائى ، مرجع سابق ص ١٧٥ .

رسالة بعث بها الى حكومته حيث قال : أنه علم أن صاحب امتياز الأوكسيد الاحمر فى جزيرة هرمز قد حرض الحكومة الايرانية على اثاره ادعاءاتها على جزيرة أبى موسى والبحرين وأن الحكومة الايرانية تتجه بالفعل لعرض ادعاءاتها هذه على عصبة الامم .

وقد حذرت الحكومة البريطانية ايران من أنها ستأخذ موقفا أشد صلابة ، ولكن الايرانيين لم يلقوا بالا لهذه التهديدات وقاموا بارسال بعثة جيولوجية الى جزيرة أبى موسى فى نهاية سنة ١٩٢٥ لفحص كميات الاوكسيد الاحمر الموجود فى الجزيرة . واحتجت بريطانيا على ذلك وتمسكت بسيادة حاكم الشارقة على جزيرة أبى موسى وكرد فعل على ذلك أرسلت سلطات الشاه الى رجال الجمارك الايرانيين تعليمات تقضى بعدم مواصلة الاعتداءات على جزيرتى الطنب وأبى موسى .

وقد أرسلت الحكومة الايرانية فى سنة ١٩٢٧ موظفى جمارك ايرانيين الى جزيرة هنجام الذين احتجزوا مركبا تابعا للشيخ أحمد بن عبيد حاكم هنجام مما دفعه الى مهاجمة موظفى الجمارك الايرانيين ودار بين الطرفين قتال عنيف مما تسبب فى ارسال حملة عسكرية ايرانية الى الجزيرة فى شهر مايو سنة ١٩٢٨ فاضطر حاكم هنجام الى الهروب الى الامارات العربية وترك امارته تحت الاحتلال البريطانى .

وفى سنة ١٩٢٩ جرت مباحثات بين بريطانيا وايران من أجل التوقيع على مسودة معاهدة سنة ١٩١٩ والتي اعتبرت جزيرة ( صرى ) تابعة لايران على أن تكون أبى موسى والطنبين تابعة للعرب ، ولكن المفاوضات توقفت بين الطرفين بسبب اصرار ايران على ملكيتها لجزر الطنب مقابل تخليها عن جزيرة أبى موسى .

وحاولت بريطانيا عقد اتفاق بين ايران ورأس الخمية من أجل تأجير الجزر



لمدة خمسين عاما . وكان تلك فى سنة ١٩٧٠ بناء على اقتراح ( نيمور تاش ) وزير البلاط الايرانى . وفى شهر ابريل سنة ١٩٣١ م اجتمع المقيم البريطانى فى الخليج مع حاكم رأس الخيمة الشيخ سلطان القاسمى حول تأجير الجزر لكن الشيخ اشترط شرطين : الاول أن يكون علم رأس الخيمة مرفوعا فوقها أما الشرط الثانى فهو أن لا يكون للجمارك الايرانية سلطة على رعاياه . ولكن تم تعليق موضوع تأجير الجزر العربية لايران بسبب الاختلاف فى بعض الاسباب الجوهرية .

وفى أواخر سنة ١٩٤٨ بدأت الادعاءات الايرانية تظهر من جديد وطالبت ايران بالجزر بحجة أنها مناطق تهرب منها البضائع الى ايران .

وفى مارس سنة ١٩٦٧ احتلت قوات ايرانية جزيرة « أبو موسى » الواقعة على بعد ٥٦ كم عن ساحل ديبى ، وبرزت الحكومة الايرانية ذلك بأنها هددت مياهاها الاقليمية ووصفت لها علامات أدخلت جزيرة أبو موسى فيها لكن المسؤولين فى الشارقة لم يلبثوا أن رفعوا العلامات عن الجزيرة (١) .

وكانت ايران قد حاولت كسب ود حاكم رأس الخيمة حيث عرضت عليه استعدادها لتأسيس مستشفيات ومدارس وأمداده بالأطباء مقابل توقيعه على تنازل عن الجزر ولكن الشيخ رفض ذلك الطلب وأعقب ذلك احتلال ايران لهذه الجزر (٢) .

وقد اتخذت الجامعة العربية موقفا أكثر ايجابية سنة ١٩٦٤ بعد الاعتداء الايرانى على جزيرة أبى موسى حيث قام مندوب الجامعة العربية بالتحرى عن

---

(١) دكتور ميد نوفل ، مرجع سابق من ص ١٣٥ - ١٣٩ .

(٢) وقد توقع أمير رأس الخيمة وقتئذ أن الدول العربية سوف تقدم له المساعدات العسكرية لمواجهة التهديد الايرانى .

هذا الموضوع ووجد أن إيران قد وضعت علامات وسط مياه الخليج تحدد مياهها الإقليمية .

ولكن بريطانيا أرادت في أن تقطع على الجامعة العربية هذه الجهود فحثت إيران على سحب خفر السواحل من جزيرة أبي موسى .

وفى الشارقة رأى خالد بن محمد القاسمي أن الحصول على نصف الجزيرة خير من ضياعها بأكملها ، وعرف أن هدف إيران من احتلال الجزر عسكريا هو البترول الموجود في جزيرة أبو موسى ولهذا رأى أن أفضل حل هو تجميد المشكلة سياسيا ومعالجتها اقتصاديا .

### الانسحاب البريطاني :

تأكدت المطالبات الإيرانية للجزر العربية بعد اعلان بريطانيا من عزمها الانسحاب من الخليج العربي حيث تحدث القائم بالاعمال الإيراني في القاهرة وقال ( لقد أوضحت الحكومة الإيرانية في كثير من الأحيان وقبل تاريخ ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٧١ وجهة نظرها فيما يتعلق بهذه الجزر وابلغت كثيرا من الدول العربية أن عندما تنسحب بريطانيا من الخليج وينتهي احتلالها له فإن إيران ستمثل الجزر الثلاث لأنها تعتبرها جزرا إيرانية<sup>(١)</sup> .

وفور اعلان بريطانيا الانسحاب من المنطقة كشفت إيران عن تطلعاتها تجاه هذه الجزر ، واعلن الامير عباس هويدا رئيس الوزراء الإيراني في البرلمان أن قوات عسكرية نزلت في جريرتي طناب الكبرى والصغرى واحتلت مواقع استراتيجية في جزيرة أبو موسى وذلك في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٧١ أن قبيل بدء بريطانيا سحب معداتها العسكرية من منطقة الخليج العربي .

وقد أصدرت امانة رأس الخيمة بيانا من الهجوم الإيراني جاء فيه :

(١) محمد حسن العيدروس ، مرجع سابق ص ٤٨١ - ٤٨٤

« فى الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم الثلاثاء ١٩٧١/١١/٣٠ غزت القوات الايرانية البحرية والبرية المحمولة بهجوم غادر على الجزر العربية الثلاث الطنب الكبرى ، والطنب الصغرى ، وأبو موسى ، والمراكز الحكومية فى جزيرة الطنب الكبرى . وكان جنود الحملة يقدرون بعشرات الآلاف... » (١) .

وأشارت وسائل الاعلام الغربية الى هذا الحادث ورد فى صحيفة التايمز اللندنية أن ايران قد استولت على جزيرتى الطنب الكبرى والطنب الصغرى بعد أن اطلق البوليس المحلى النار على القوات الايرانية النازلة على الطنب الكبرى ... وقد ردت القوات الايرانية على النار بالمثل ... وهكذا نفذت ايران آخر الامر مطلبها بالقوة (٢) .

#### ٥- رد الفعل العربى :

افادت أبو ظبى أن ايران لم تجد قوة عربية تتمثل فى جبهة متماسكة قوية تواجهها ، فكل ما فعله العرب « هو كلام فى كلام » ، وأعلنت تمسكها بأى قرار تتخذه الدول العربية والتزامها به وتتعهد بتنفيذه ، وطالبت بأن يستأثر هذا الموضوع بأكبر قدر من الاهتمام بحيث تشعر ايران بأنها تواجه جبهة عربية قوية (٣) والواقع ان العراق كان من أكثر الاقطار العربية تمسكاً للتصدي للعدوان الايرانى ، فقد بادر الى قطع علاقاته الدبلوماسية مع كل من ايران وبريطانيا محملا اياهما مسئولية جريمة الاغتصاب الايرانى للجزر العربية الثلاث ، كما عقدت الجامعة العربية اجتماعا طارئا فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٧١ بحضور الشيخ يسرى الدويك ممثلا من الشارقة والشيخ عبد العزيز

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) دكتور سيد نوفل ، مرجع سابق ص ٢٨ .

(٣) محمد حسن العيدروس ، مرجع سابق ص ٥٨٩ .

القاسمى ممثلاً عن رأس الخيمة ، واصدر المجلس القرار التالى :

• تدارس المجلس ببالغ القلق الوضع الخطير الناجم عن الاحتلال الايرانى للجزر العربية بالخليج واستمع الى البيانات المقدمة من الامانة العامة وممثلى رأس الخيمة ، ودولة الامارات العربية المتحدة الى ما أسداه رؤساء وفود الدول الاعضاء بشأن موقف حكوماتهم وقرر ما يأتى :

١- التأكيد على عروية الجزر الثلاث أبو موسى والطنب الكبرى والطنب الصغرى .

٢- ادان هذا الاحتلال للجزر من الارض العربية بالقوة مما يهدد الامن والاستقرار فى المنطقة ويجافى ميثاق الامم المتحدة وجامعة الدول العربية والمعاهدات الدولية .

٣- تتحمل بريطانيا المسؤولية لتخليها عن التزاماتها الدولية وأدائها لتكرها لارتباطاتها .

٤- ان ايران بهذا الاحتلال تعرض الصداقة والعلاقات العربية الايرانية للخطر وتجنباً لذلك ، فان الامين العام للجامعة ينوى الاتصال فوراً على أعلى المستويات من أجل دفع ايران الى اعادة النظر فى مواقفها .

٥- ان يعرض الامين العام على مجلس وزراء الخارجية فى اجتماعه تتابع اتصالاته .

وهكذا تبلور العمل العربى المشترك بهذا القرار الذى أصدرته الجامعة ، كما دعى مجلس الامن لمناقشة الموقف بآء على طلب من بعض الدول العربية ، وأصدرت بعض الدول العربية بيانات تندد بالعدوان وتدعو ايران للانسحاب من الجزر<sup>(١)</sup>

(١) المرجع نفسه ص ٤٨٥ - ٤٨٦

وقد أوضحت ايران موقفها من الاحتجاجات العربية عندما أشار السيد مشرواني سفير ايران في القاهرة للامانة العامة لجامعة الدول العربية موقف حكومته على الوجه التالي :

« أن العلاقات الايرانية العربية وثيقة منذ القدم . وأن شابتها أخيرا بعض الشوائب ، فإن الجهد يجب أن يبذل لديها » . كما أشار الى « أن بريطانيا هي التي أوجدت المشاكل واحتلت الجزر العربية .. وقد تنازلنا عن البحرين واعترفنا بها وبقطر أما بقية الجزر فهي ايرانية » . واستطرد قائلا :

« أن العراق تثير المشاكل ضد ايران التي هي حريصة على التفاهم معها . كما حاولت التفاهم مع شيخ رأس الخيمة ولكن من يدفعونه حالوا دون اتفاقه » .

وبالنسبة لموقف الجامعة العربية فقد طالب السيد حشرواني منها أن تقوم بتهدئة الخواطر وعدم اعطاء أهمية للموضوع وقال أن الحق معنا والجزر لنا <sup>(١)</sup> .

وعموما فإن استيلاء ايران على هذه الجزر يعتبر أول احتلال ايراني منذ الحرب العالمية الثانية <sup>(٢)</sup> . وقد تعددت أهداف ايران من عملية الاستيلاء على هذه الجزر ولكن يبرز هدفان رئيسيان :

الهدف الاستراتيجي : حيث شعرت ايران بأهمية الموقع الفريد للجزر لأنها متحركة بمضيق هرمز كما ان الاشراف الايراني على الساحل الشرقي للخليج يهدده وجود الجزر تحت سيادة أخرى .

---

(١) دكتور سيد نوفل ، مرجع سابق ص ٣٤ .

(٢) محمد حسن الميروس ، مرجع سابق ص ٤٨ .

الهدف الاقتصادى : وجود أكسيد الحديد الاحمر وكميات من النفط الامر الذى كان بمثابة هدف جوهرى دفع ايران لاحتلال الجزر حيث من الممكن استغلال ما بها من معادن بصورة تجارية .

وبعد قيام الثورة نالت التصريحات من المسؤولين فى ايران بالتأكيد على عروبة الخليج والجزر الثلاث حيث قال حسين منتظرى « اننا لانختلف ولن نختلف على التسمية ، وفى الاسلام لا أهمية لموضوع التسمية ، ومن حيث الجزر فى نظر الاسلام أن جميع الدول الاسلامية واحدة ولا حدود فيها » كما أشار صادق خلخاي الى أن الخليج العربى خليج اسلامى وأن الحكومة الايرانية مستعدة لاعادة النظر فى قضية الجزر الثلاث التى سيطر عليها الشاه فى سنة ١٩٧١ ، غير أن الحكومة الايرانية نفت تلك التصريحات بعد ذلك حيث اشار ابراهيم يزىدى الى أن حكومته لاتنوى اعادة النظر فى وضع الجزر الثلاث ، وأكد ان الاسم التاريخى هو « الخليج الفارسى وان تغييره مخالف للمنطق » .

كما أن أبا الحسن بنى صدر وآخرين من أقطاب النظام الايرانى اعلنوا مرات عدة عن نواياهم تجاه أقطار الخليج العربى وعدم انسحابهم من الجزر العربية<sup>(١)</sup> .

## ٦- مشكلات الحدود المعاصرة :

من الثابت أن كل من ايران والمملكة العربية السعودية تشكلان أكبر دولة مطلة على الخليج والذى يعتبر بالنسبة لهما موضع اهتمام خاص ، ومن هنا فان أى منازعات بين الدولتين حول الحدود تشكل خطورة خاصة وقد سبقت الاشارة الى صعوبة تطبيق قاعدة خط الوسط التى أوصت بها اتفاقية

---

(١) مجلة الخليج العربى ، العدد الرابع ، من ص ٦١ - ٦٣ .

جنيف للبحر الاقليمي لعام ١٩٥٨ ، وترجع اسباب ذلك الى أن الخليج يحتوى على عدد كبير من الجزر ، كما لا يوجد اتفاق حول الاساس الذى يقاس منه خط الوسط ، فضلا عن اختلاف التركيب الجيولوجي للساحل الايرانى عن الساحل الغربى ، وهو ما يقتضى وقفة للتفسير والتعليل وصولا لايضاح مشكلات الحدود فى منطقة الخليج .

يشمل حوض الخليج العربى المجرى المائى للخليج والجزر المتناثرة فيه والدول المطلة عليه بشكل أو بآخر ، وتأسيسا على ذلك فان حوض الخليج العربى يشمل العراق والكويت وايران والمملكة العربية السعودية والبحرين وقطر ودولة الامارات العربية وسلطنة عمان . وتتوغل الذراع البحرية - التى هى فى الواقع الخليج العربى برمتها - للمحيط الهندى داخل الارض اليابسة مما يجعلها تقرب المسافة البرية غير منطقة الهلال الخصيب بين المحيط الهندى والبحر المتوسط ، وتضم هذه الذراع البحرية خليجين كبيرين هما خليج عمان كخليج خارجى ، والخليج العربى كخليج داخلى ، ويصل بينهما مضيق هرمز ، ويفصل هذان الخليجان بين السواحل الايرانية من جهة ، والسواحل العربية من جهة اخرى <sup>(١)</sup>.

ويبلغ طول الخليج العربى حوالى ٦١٥ ميلا ، وعرضه عند اقصى أجزائه اتساعا ٢١٠ أميال ، فى حين يبلغ فى أقلها اتساعا عند بوغاز هرمز ٤٠ ميلا ، ويبلغ مساحته الكلية ٩٢٥٠٠ ميلا مربعا ، وحجم مياهه ٢٠٠٠ ميل مربع ، ويتفاوت عمق الخليج حيث يبلغ أقصى عمق مياهه ٣٠٠ قدما عند مضيق هرمز ، ويبلغ العمق عند دلتا دجلة والفرات حوالى ١٢٠ قدما

---

(١) لعل من أفضل الدراسات العربية التى تعرضت لذلك : دكتور عبد الله الاشعل ، قضية الحدود فى الخليج العربى ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٢٨ ، القاهرة ١٩٧٨  
ص ٦٥ - ٦٨ .

لمسافة ٥٠ ميلا من المدخل حتى الانهار ، ويزداد العمق بسرعة من ناحية الشاطئ الى الايراني عنها من ناحية الشاطئ العربي ، ويعنى ذلك أن محور الاعماق فى الخليج يقع قريبا من الساحل الايراني . كما يمتاز الخليج بعمقه القليل ، وهو مايفسر كثرة الجزر فيه حيث تتكون هذه الجزر نتيجة للارساب النهري مثل المجموعة الجزرية فى رأس الخليج ، ويتكون بعضهما الاخر نتيجة ارساب أمثلتها الجزر المنتشرة على طول السواحل فى امارات الخليج بين دى ورأس الخيمة حيث أسهمت التيارات البحرية والامواج والرياح فى تكوينها بالاضافة الى فعل التكوينات المرجانية ، وأغلب هذه الجزر شعاب منخفضة السطح وتوجد بكثرة قرب البحرين وقطر ، وهناك قباب ملحية فى بعض جزر هرمز مثل لاراك وهنجام وطنب وأبو موسى .

كما تكونت جزر عديدة بفعل الحركات الارضية لجزيرة البحرين فهى قبة طولية الشكل ، التوائية ، عند محورها فى اتجاه شمالى جنوبى مواز للثنية الكبرى التى كونت شبه جزيرة قطر ، أما مجموعة الجزر الطولية التى تمتد بموازاة الساحل الايراني للخليج والقرية منه ، فقد هبطت قممها - كسلاسل جبلية - تحت سطح البحر بفعل حركات قشرة الارض ، أما مضيق هرمز فانه يخلو من التواءات مما يسهل أسباب التيارات البحرية بين خليج عمان والخليج العربى وذلك على عكس التواءات الموجودة فى بورغاز المنذب بين خليج عدن والبحر الأحمر . ونسبة الملوحة مرتفعة فى الاجزاء الوسطى نتيجة لدفع مياه الخليج ، هذه الملوحة العالية نتج عنها قلة الاحياء البحرية كالاسماك التى تعيش فى المستويات السطحية ، فى حين أن أجود أنواع الاسماك تعيش فى الأعماق .

ويتسم الساحل العربى للخليج بكثرة الاحوار ، أى اللسنة البحرية التى تتوغل فى اليابس لبضع أميال ، وقد أدت هذه الاخوار دورا رئيسيا فى حياة



السكان وتاريخ المنطقة حيث قامت بقربها مراكز العمران المختلفة واحتمى السكان في مياها الضحلة من أمواج البحر وغارات القبائل والقراصنة ، كما أسهمت هذه الحماية الطبيعية في نشأة وازدهار امارات دبي والشارقة ولجمان وأم القيوين ورأس الخيمة .

والواقع أن هذه الملامح الجغرافية قد عكست تأثيرها على أسلوب تخطيط الحدود في منطقة الخليج حيث لم تظهر أية حدود ثابتة على الخرائط مثل القرن العشرين ، وقد سبقت الإشارة ان اتفاقية سنة ١٩١٣ بين الدولة العثمانية وبريطانيا كانت أول محاولة لتعيين الحدود والتي تحدد بموجها خط الحدود السياسية بين المناطق الخاضعة لكل من الدولتين في شرق جزيرة العرب .

ويذكر الاشعل أنه لم تكن لمسألة الحدود أهمية تذكر لدى حكام المنطقة في الماضي ، فتارة تقرر الحدود على اساس اعلان الولاء من زعيم القبيلة ، وحيانا أخرى كانت الحدود تقرر على اساس التبعية لمذهب ديني ، كما كانت تقرر على اساس الملكية ، فقد سبقت الإشارة الى أن أسرة البوفلاح كانت تملك بعض بساتين واحة البرعى أو على دفع الزكاة ، وكان للحاكم سلطته على أية أرض نتيجة نفوذه على القبائل المستقرة فيها ، حيث كان الولاء للحاكم ذاته وليس للامارة ، وقد جعلت هذه الخاصية تخطيط الحدود أمرا صعبا لاسيما وأن طبيعة الصحراء قد أملت على القبائل أن تكون في حركة مستمرة من عدم الاستقرار والتداخل وارتباط ذلك بالولاء وعلاقات القبائل بالحاكم ، فاذا تحول ولاء القبيلة من حاكم الى آخر انعكس ذلك على حقوق الاقليم موضعاً للنزاع بين الحاكمين ، وأبرز مثال لذلك قضية القبيسات بين أبو ظبي وقطر حيث يميل الباحثون فيما يتعلق بخور العديد والتي يرجع النزاع حوله الى اوائل القرن التاسع عشر بين بريطانيا والدولة

العثمانية - يميل الباحثون لاستنتاج انكالحور كان يخضع لقطر ، وأن قبائل القبيسات قد هاجرت القبيسات - احدى فخذ بنى ياس فى أبو ظبى - الى قرية « العديد » - وهى من أعمال قطر - وبالتالي فانه ليس من المنطقى أن يكون الخور تحت سيطرة حاكم أبو ظبى ثم تهاجر القبيلة اليه ، ولما كانت المنطقة الفاصلة بين الامارتين غير محدودة ولم يتم تخطيطها ، فمن الأرجح أن القبيلة فرت الى الخور الاقرب الى قطر منه الى أبو ظبى ثم أنشأت القرية فيه ، وتستدل هذه الآراء على ذلك بدليل ان القبيلة عادت بعد ذلك الى أماكنها فى أبو ظبى ، ولم ينازع حاكم أبو ظبى فى ذلك الوقت فى ملكية الخور له ، وكان يلزم لاستمرار تبعية الخور لقطر أن تستمر قطر فى ممارسة سيطرتها السيادية على الخور منذ ذلك الحين دون أن ينازعها أحد فى سيادتها عليه ، ويرى دكتور عبد الله الاشعل ، أنه من الصعب بالتالى الاستناد الى واقعة وجود القبيسات فى الخور فترة معينة كسند وحيد لتحديد تبعية الخور لاحدى الامارتين ، ومن الافضل أن يتم الاتفاق بينهما فى ضوء معايير أخرى (١).

ويشير المثال السابق الى طبيعة تخطيط الحدود فى الخليج قضية مرتبطة هى الاخرى بتعمير مساحات كبيرة فضلا عن تنوع الحرف وازدياد السكان وتنوع أسباب الاحتكاك واختلاف المصالح وتعارضها وما نتج عن ذلك من تعدد المشاكل المترتبة على ذلك وخاصة اذا أخذنا فى الاعتبار الوظائف المتعددة لأهمية تخطيط الحدود لعل من اهمها الدفاع عنه الدول وحماية أمنها القومى وسيادتها الاقليمية ونتاجيها الاقتصادى وتنظيم انتقال الافراد وتداول السلع ، فضلا عن الاعتبارات التى تكفل والانسجام بين عناصر الوحدة السياسية - أى الدولة - وفى منطقة الخليج بصفة خاصة كانت

---

(١) دكتور عبد الله الاشعل ، ص ٦٥ - ٦٨ .

الحدود بين القبائل معترفا بها ، غير أن ذلك الاعتراف لم يكن يحمل مفهوم السيادة الإقليمية بمعناه في العلاقات السياسية الدولية المعاصرة ، فكان لكل تبيلة منطقة تقليدية تتحرك فيها في فصول السنة المختلفة ، ولم تكن الحدود واضحة أو ثابتة . وكان وضع القبائل في الصحراء أشبه بوضع الدول في أعالي البحار ، فلكل دولة مياهها الإقليمية المقررة باعلان منفرد من جانبها مع بقاء مساحة من المياه الدولية فتكافأ فيهما التزامات الدول وحقوقها ، وفي منطقة الخليج لوحظ أن تخطيط الحدود قد تم وفق مصالح القوى الخارجية في القرنين التاسع عشر والعشرين من أجل ضبط طرق الاتصال وذلك في ضوء المعايير الطبيعية أو التاريخية أو الرضا والاتفاق أو معيار ولاء القبائل ، ولم تسمح بريطانيا - وهي الدولة الكبرى صاحبة النفوذ في منطقة الخليج العربي في ذلك الوقت - لم تسمح لمنازعات الحدود بأن تتحول الى صدامات بين الحكام ، واحتفظت بريطانيا بتطبيق قاعدة « الوضع الراهن » Status que كى تتفرغ لمراعاة مصالحها بالدرجة الاولى .

وفيما يتعلق بوجهات السياسة الإيرانية نحو البحرين فقد سبقت الإشارة الى أن بريطانيا عندما أعلنت عن انسحابها من الخليج ، فقد أعلنت إيران نواياها في ضم البحرين ، الأمر الذى جعل المملكة العربية السعودية لاتقف من الاحداث موقف المتفرج حيث اعتبرت هذه التوجهات الإيرانية بمثابة تحدى حقيقى لها كأكبر دول المنطقة واقواها ، وأثمرت جهود الملك فيصل عام ١٩٦٨ وعام ١٩٦٩ فى جعل إيران تتخلى عن ادعاءاتها تجاه البحرين حيث التقى ممثلون عن السعودية والكويت وبريطانيا فى جنيف عام ١٩٧٠ ورفضت السعودية ما طرحته إيران بشأن اجراء استفتاء فى البحرين ، ثم تقدمت إيران باقتراح عرض « المشكلة » على محكمة العدل الدولية ورفضت السعودية هذا الاقتراح بالمثل لأنه ليست هناك مشكلة قانونية أساس بين البحرين وإيران ، وقد استقلت البحرين بالفعل فى ١٤ أغسطس ١٩٧١

وانتهت مشكلتها ، غير أن إيران نجحت في احتلال جزر أبو موسى وطنب الكبرى والصغرى قبل انسحاب بريطانيا بفترة وجيزة في نوفمبر ١٩٧١ .

وفيما يتعلق بمشكلة الحدود بين إيران والعراق فقد سبقت الإشارة الى الملبسات التي اكتتفت علاقات البلدين والتوتر الذي صاحب اثارة هذه المشكلة من جانب إيران بصفة خاصة في التاريخ الحديث والمعاصر لدرجة أنه من المتعذر في الوقت الحاضر التوصل الى تسوية مرضية لهذه المشكلة وأن ذلك بات أمرا بعيد الاحتمال لارتباطه بمعالجة العلاقات الايرانية العراقية أساسا . أما مشكلة الحدود البحرية السعودية الايرانية فقد كانت هي الاخرى من أبرز مشاكل الحدود البحرية بين إيران ودول الساحل العربي في الخليج وهو ما تقتضى وقفه للتفسير .

فقد منحت السعودية شركة أرامكو امتياز التنقيب في الجزء المواجه لكل السواحل السعودية على الخليج ، أما إيران فقد أصدرت قانون البترول في يوليو ١٩٥٧ ، ومنحت بموجبه امتياز التنقيب في المناطق المغمورة في الخليج الى شركات ايطالية وكندية وأمريكية ، وكان عان ١٩٦١ بداية لمباحثات مستمرة بين إيران من ناحية والكويت والسعودية والعراق من ناحية اخرى ، وفيما يتعلق بالطرفين السعودى والايرانى فقد حاولا تسوية المشكلات بينهما حول التنقيب حيث بدأت أرامكو باكتشاف حقل مرجان الغنى بالبترول ثم اكتشفت شركة ايباك الايرانية الامريكية حقل فريد وهو في حقيقته امتداد لحقل مرجان ، وبذلك صار لكل من الامتيازين السعودى والايرانى عمليات متجاوزة في تركيب حقلى واحد ، وأسفرت المفاوضات السعودية الايرانية عن اتفاقية ديسمبر ١٩٦٥ استهدفت تحديد المناطق البحرية بين البلدين ، واخذت بنظرية التقسيم على أساس الخط المستقيم الذى يتم رسمه عند أرض الجار للمياه ، ولما كانت جزيرة خاراج تبعد عن الشاطئ الايرانى بأكثر

من ١٢ ميلا بحريا فقد رسم لها خطان أحدهما يفصل شاطئ السعودية وإيران ، والثاني يتوسط المسافة بين خاراج والسعودية ويرسم عند ادنى انحسار للمياه ، وقضت الاتفاقية بتشكيل لجنة فنية مشتركة مهمتها تحديد معالم المناطق التي تصدرت لتنظيم أوضاعها .

غير أن الاتفاقية السابقة لم تطبق لعدة أسباب منها عدم تحديد وضع نهائي لجزيرتين متنازع عليهما بين السعودية وإيران هما فارس وعربي ، كما تمسكت إيران بأن يبدأ قياس خط الوسط المتفق عليه من الساحل الغربي لجزيرة خاراج والتي تبعد عن الساحل الإيراني بمسافة تربو على ثلاثة وعشرين ميلا ، ويذكر الأشعل<sup>(١)</sup> أن القياس من هذه النقطة يؤدي إلى زحزحة خط الوسط داخل المنطقة المخصصة للسعودية ، ويرجع تمسك إيران إلى وجود بترول يعتبر من أغنى حقول العالم في هذا الجزء من الخليج ، وقد منع طرد إيرانى مزاوله عمليات الحفر التي حاولت إرامكو تنفيذها في يناير ١٩٦٨ بمناطق الامتياز الممنوحة لها غرب خط الوسط المرسوم في الاتفاقية ، وأعقب ذلك مفاوضات مع الجانب السعودى تم الاتفاق بموجبها على خريطة فى المنطقة فى أغسطس من نفس العام ، ونفذت الاتفاقية الجديدة فى أكتوبر من العام نفسه حيث تم تسوية المشكلات المتعلقة بالحدود بين السعودية وإيران على النحو التالى :

أولا : الاعتراف بتعية جزيرة فارسى لإيران مقابل حصول السعودية على جزيرة عربى .

ثانيا : الاعتراف بأن المياه الإقليمية لكل جزيرة تبلغ ١٢ ميلا بحريا ، ورسم خط وسط بينهما بحيث يتمتع الطرفان عن القيام بأعمال التقيب

---

(١) المرجع نفسه ص ٨٦

على البترول لمسافة ٥٠٠ متر<sup>(١)</sup>.

ثالثا : أنشأت الاتفاقية منطقة حاجزة بمسافة كيلومتر لتنفيذ مساوىء التقسيم الجغرافى وتوحيد البثرين وهما مرجان على الجانب السعودى ، وفيرودون على الجانب الايرانى .

وعموما فان التطلعات أو الطموحات الايرانية تجاه الخليج العربى قد ازدادت فى ظل حكومة الثورة بدليل ممارسة ايران لاعمال أكثر عنفا (حرب الخليج - التلويح والتهديد باستخدام العنف تجاه الكويت وممارسة ذلم بالفعل ضد ناقلات البترول ... الخ ) بحيث أصبحت ايران تشكل اضطرابا حادا تجاه أمن الخليج العربى ، وبالرغم من أن السياسة الخارجية السعودية تتبع منهج الاعتدال ، الا أن القلق يسود نظما سياسيا أخرى كالكويت والبحرين نتيجة للتطلعات الايرانية .

#### ٧- مضيق هرمز :

يرتبط أمن الخليج ارتباطا وثيقا ومباشرا بمضيق هرمز باعتباره مدخلا للخليج العربى ومصبه فى خليج عمان المتصل بالمحيط الهندى ، وأهمية مضيق هرمز تماثل أهمية مدخل البحر الاحمر عند باب المندب ، فالبحر الاحمر يعد معبرا مائيا على قدر كبير من الاهمية وذلك عن طريق قناة السويس فى الشمال وباب المندب فى الجنوب ، وقد أصبحت المملكة العربية السعودية بامتلاكها الجزء الاكبر من مساحة شبه الجزيرة وأغنى بلداتها من الثروة البترولية وطول سواحلها على البحر الاحمر - أصبحت القوة الاساسية وراء استراتيجة الدولتين العظميين ، ويهم العربية السعودية تأمين حدودها فى البحر الاحمر حماية لثروتها البترولية فى الخليج العربى

(١) المرجع نفسه ص ٨٧

من ناحية ، وتأمين مشروعاتها البترولية فى البحر الاحمر ذاته حيث استمرار اقامة السعودية لمشروعات بترولية فى ميناء ينبع الذى يرتبط بمنطقة حقول التنقيب فى الاحساء بالمنطقة الشرقية المطلة على الخليج العربى .<sup>(١)</sup>

ويبلغ اتساع مضيق هرمز ، أربعين كيلو مترا ، وهو المنفذ الوحيد للخليج العربى الى العالم الخارجى ، وتمر عبره التجارة بين دول العالم ودول الخليج والتى تمثل نسبة عالية من حجم التجارة العالمى حاليا بالنظر الى ارتفاع القوة الشرائية لتلك الدول وتزايد دخلها البترولى ونهضتها الصناعية والعمرانية ، وتأسيسا على ذلك فان مضيق هرمز يكتسب أهميته من أهمية الخليج استراتيجيا وسياسيا واقتصاديا ، وقد سبقت الاشارة أن القوى البحرية الكبرى قد أرتادت هذه المنطقة منذ فجر التاريخ الحديث بدءا بالبرتغال ومرورا بهولندا وفرنسا وانتهاءا ببريطانيا بالاضافة الى تطلع مصر والوصول الى بعض بلدانه ، كما كان الاستراتيجية الغربية ممثلة فى الولايات المتحدة اهتماماتها بالاضافة الى الاتحاد السوفيتى بعد الحرب العالمية الثانية نظرا لكون المضيق معبرا للتجارة وحلقة وصل بين آسيا وأوروبا ومرا استراتيجيا ذا أهمية سياسية ملحوظة ، كما تقع على شواطىء الخليج المراكز البترولية الرئيسية لايران ومعامل تكرير البحرين التى تكرر ثلثى انتاج المملكة العربية السعودية من البترول والذى يمر عبر مضيق هرمز .

وقد نتج عن انسحاب بريطانيا من الخليج عام ١٩٧١ العديد من المشكلات وأهمها قضية أمن الخليج التى طرحت نفسها بالحاح نظرا لما أثارته من خلافات بين العرب وايران على شاطئ الخليج ، فقد أبدت ايران من اكبر دول الخليج ، وأن الخليج منفذها الرئيسى ، ومنفذها الى العالم الخارجى من خلال المدن الايرانية على شاطئه فى حوضه الادين فضلا عن

---

(١) المرجع نفسه ص ٩٤ .

تصاعد حدة الخلافات مع العراق حول شط العرب ، ومساندة ايران لسلطان عمان لمواجهة تمرد ثوار ظفار الذين تساندتهم اليمن الشعبية ، وقد يمكن السلطان قتبوس من التغلب على هذه الحركة التمردية فى اطار الحفاظ على الامن الاقليمى ودعم السيادة على عمان وانسحبت القوات الايرانية التى كانت تساند السلطان وكانت كل من ايران وعمان بتوقيع اتفاق فى عام ١٩٧٥ يقضى بقيام الدولتين بانشاء نظام للاشراف البحرى المشترك بينهما على مضيق هرمز .

والواقع أن المصالح الاقتصادية والسياسية للدول العربية المطلة على الخليج قد استأثرت باهتمام ملوك ورؤساء الدول العربية الخليجية وبات واضحا ضرورة تنسيق السياسة الاقتصادية خاصة وأن الخليج يعد حوضا متميزا وقائما بذاته بالمفهوم الجيوبولتيكى والاقتصادى وظهرت من داخل دول الخليج منذ عام ١٩٧٩ نداءات مخلصمة لتحقيق هذا الهدف الذى تمثل فى انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربى .



## **الباب الرابع**

### **انتشار الاسلام وتأثيره في دول آسيا**

- الفصل الاول : الهند .**
- الفصل الثاني : باكستان .**
- الفصل الثالث : مشكلة كشمير .**
- الفصل الرابع : الصين الشيوعية .**
- الفصل الخامس : الاتحاد السوفيتي السابق**
- الفصل السادس : تطور مشكلة افغانستان « دراسة وثائقية »**
- الفصل السابع : دول آسيوية أخرى .**



## الفصل الاول

### الهند

- بعض الاوضاع الجيوبوليتكية والتاريخية .
- الامبراطورية المغولية .
- الامارة المرهتية .
- استيلاء نادر شاه على الهند .
- امارة حيدر آباد .
- امارة السيكون السيخ .
- الاستعمار البريطاني .
- فترات الحكم البريطانيين ( الاوضاع الداخلية وانكاساتها الاقليمية ) .
- ارهاصات الثورة .
- الحرب العالمية الاولى وما بعدها ( شئون الهند والحركة الاسلامية ) .
- الامارات الاسلامية .
- تطور الجهود السياسية لمسلمي الهند .



## - بعض الملاحظات الجيوبوليتكية :

تشكل الهند جزءا رئيسيا من شبه القارة الهندية الى جانب بنجلاديش وباكستان . وتقع الهند فى جنوب قارة آسيا ، وتقع سلسلة جبال الهملايا فى شمالها كحائط منيع تفصلها عن وسط آسيا ، وفى جنوب الهملايا تقع سهول الهند التى تعتبر من أوسع سهول العالم مساحة وأكثرها خصبا ، وهى موطن الحركات الثقافية والسياسية . ويبلغ عدد السكان أكثر من ثمانمائة مليون نسمة ، ويتكون الشعب الهندى من عناصر متعددة تتميز بعقائدها الدينية ولغاتها الكثيرة التى تبلغ أكثر من أربعمائة لغة ولهجة ، واللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية فى الدولة .

والدين السائد هو الهندوسية ، وبالإضافة الى تقديس البقرة الى درجة العبادة ، فان الهندوس يقدسون « نهر الجانج » لاعتقادهم أن مياهه تطهرهم من ذنوبهم ثم ديانة السيخ بكتابهم المقدس فى معبدهم الذهبى فى منطقة « أمر تسار » ، ثم الديانة المجوسية وأصحابها من أتباع مذهب زرادشت بالإضافة الى ديانات اخرى كالبودية والجينية والبرهمية واليهودية والمسيحية ، لكن احتقار الهنادكة للمسلمين كان أكثر بكثير من نظرتهم المتعالية الى الديانات الاخرى كالمجوس واليهود والنصارى ، وربما تفرى كراهية الهندوس . أى الهنادكة - للمسلمين من أنه لم يحدث بين أصحاب هذه الديانات وبين الهندوس من الاحتكاك مثل ما حصل بينهم وبين المسلمين الذين نظر اليهم الهندوس على انهم مغتصبين لأرضهم وانهم دخلاء على البلاد .

وتجدر الاشارة الى أنه فى الوقت الذى كانت الخلافات المذهبية قد بلغت أشدها فى جنوب بلاد الهند - بل فى شبه القارة الهندية كلها من أصحاب المذاهب البرهمية والبودية والجينية ، وكانت البرهمية تحارب البوذية والجينية اللتين ثارتا عليها بسبب تطبيقها لنظام الطبقات غير العادل فى المجتمع ، مما

اضطر معه البوذيون والجينيون بالانتقال الى المناطق الشمالية لبلاد الهند ، وكان أصحاب الديانة البرهيمية بجانب اشتراكهم فى المناظرات والمباحثات الدينية لايجاد مبررات لقمع أصحاب المذاهب الاخرى - فقد كانوا يستغلون سلطتهم السياسية أيضا فى القضاء على المذهبين الاخرين ، ويقومون بالقتل الجماعى والتعذيب الوحشى لاتباعهما بتأييد الحكام ومؤازرتهم . ومن الثابت أن سكان بلاد الهند - ماعدا البراهمة - كانوا يعانون من فوضى مذهبية وفكرية وقلق نفسى وعدم شعور بالاستقرار الاجتماعى والخوف المستمر على الارواح والممتلكات وكانوا لذلك يحشون عن مذهب أو دين جديد عادل يضمن لهم الحرية الروحية والسعادة الاجتماعية .

أدى التجار العرب دورا كبيرا فى الدعوة الى الاسلام ، وكان تفوذهم يتزايد باستمرار مع مرور الزمن ، وكانوا قد حصلوا على اذن للانتقال بفضائهم التجارية من المدن الساحلية الى المدن الداخلية الاخرى ، كما كانوا ينتقلون من ميناء الى ميناء بسفنهم التجارية ، وكان البراهمة لا يرون خطرا سياسيا يتهددهم من المسلمين لقلة عددهم ، وبالتالى لم يكونوا يهتمون بالتجار العرب أو بتبليغهم للاسلام بقدر اهتمامهم الشديد - مثلا - بالبوذيين ومحاربتهم سياسيا ، لأن التجار العرب بجانب كونهم من الاقلية ، فقد كانوا يساهمون بدور كبير فى النشاط الاقتصادى لبلاد الهند . ومن الارجح أن المكانة الاجتماعية للتجار العرب قد ارتفعت أكثر منذ القرن الاول الهجرى وحتى القرن الرابع الهجرى بسبب تطور حالتهم الفكرية والاجتماعية واهتمامهم الشديد - وهذا هو الاهم - بالناحية الدينية التى انعكست - مثلا - على رؤيتهم أن تأدية الصلاة بالجماعة هو شعار « قيمة » اجتماعية مهمة ، واصرارهم على اخلاصهم وتمسكهم بدينهم ، وقد اعترفت الحكومات المحلية الهندية للعرب بحريتهم فى شئرتهم المذهبية وحق التصرف فى المعاملات الاجتماعية والاقتصادية حسب أحكام

الشريعة الاسلامية ، ويبلغ عدد المسلمين فى الهند نحو مائة وخمسين مليون نسمة ، ومن منظور تاريخى فان انتشار الاسلام فى الهند يرتبط أولا بتطور العلاقات التجارية بين العرب وسكان سواحل جنوب الهند حيث اقامت الجاليات العربية ، ولما ظهر الاسلام فى شبه الجزيرة العربية ، فقد بدأت هذه الجاليات بالدعوة له ، وكان الهنود معجبين بالحياة الاجتماعية للعرب ومناقشتهم فى تعاليم الاسلام السامية وكان دور الدعاة المسلمين بارزا فى استقطاب الهنود لاعتناق العقيدة الاسلامية . غير أن الخلافات المذهبية والسياسية كانت شديدة ، ومع ذلك فان البراهمة أصحاب الدين الرسمى فى البلاد وقتئذ لم يجدوا خطرا فى الاسلام لاسيما وأن العرب المسلمين قد ساهموا بدور كبير فى النشاط التجارى والاقتصادى ، أضف الى ذلك أن العرب كانوا لايتدخلون فى الأمور السياسية وهو ما جعلهم يشعرون بالاستقرار ويمارسون شعائرهم الدينية بهدوء وأمن وسكينة .

وعقب الفتوحات الاسلامية لغرب آسيا ، اتسعت دائرة التجارة البحرية - بصفة خاوية - عن طريق البحر المتوسط الى موانئ السندوالهند وصولا الى موانئ الصين فازداد عدد المسلمين الهنود واعترفت بهم الحكومات المحلية سواء تعلق ذلك بشئونهم الدينية أو معاملاتهم الاجتماعية والاقتصادية ، وتزاوج العرب من نساء الهنود وكثر انجابهم فازداد عدد المسلمين أكثر وأكثر وتجدر الاشارة ان فتح بلاد السند - باكستان حاليا - وهى جزء من شبه القارة الهندية - كما سبقت الاشارة - كان فتحها بقيادة محمد بن القاسم الثقفى فى القرن الاول الهجرى ويرجع الفضل فى اعتناق الهنود للاسلام للعلماء المسلمين حتى أواخر القرن الرابع الهجرى ، ثم قام السلطان

---

(١) لمزيد من التفصيل ، راجع دكتور محمد نصر مهنا ، الفتوحات الاسلامية والعلاقات السياسية فى آسيا ، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٩٠ .

محمود الغزنوى بفتوحات مباشرة لمناطق من شبه القارة الهندية حيث زاد انتشار الاسلام ، كما تأسست سلطنة اسلامية فى تلك المناطق النائية استمرت فترة طويلة وهو ما يستدعى وقفة للتفسير .

فعند اللحظة التى وطأت فيها اقدام المسلمين أرض السند والهندوس يدركون أن المسلمين الفاتحين هم من طراز خاص ونمط جديد لم يألوه ، اذ أن المسلمين لم تكن لهم اطماع دنيوية ، بل كانوا دعاة رسالة انسانية ، وأصحاب عقيدة سماوية ، وقد أعجب الهندوس بالدين الجديد لبساطته وما يمنحه للمؤمنين به من حرية عامة وخاصة ، وما ينطوى عليه من تعاليم عالية ، فأخذوا ينضوون تحت راية الاسلام .

وبعد انقضاء العهد الاموى وانتقال الخلافة الى بنى العباس فقد عنوا بالسند ، فأرسل المنصور سنة ٧٦٠م هشاما بن عمر التغلبى واليا عليها ، فنشط المسلمون فى زمنه ، فلما ضعفت الخلافة العباسية انشطرت السند الى امارتين مستقلتين ، وانسلخت عن الخلافة العباسية ، وكانت محصلة ذلك ظهور الشعوبية بمبادئها وتعاليمها الهدامة ومنها القرامطة الذين غالوا فى تطرفهم حتى أفسدوا اسلامهم <sup>(١)</sup> وجعلوه خليطا من الاسلام والهندوسية ، واستمر حكم الشعوبيين نحو اربعة قرون عانى المسلمون خلالها من الاضطهاد على الرغم من الفترات المنسرفة التى مرت فى عهد السلطان محمود الغزنوى والغوريين حتى قضى المغول عليهم واعادوا الاسلام الى نهجه وباستيلاء الغوريين على السند والبنجاب فقد توغلوا فى الهند حتى استولوا على دلهى وعرفوا باسم ملوك الهند رغم أن سيطرتهم كانت على القسم الشمالى فقط ، ثم تعاقبت على الهند ملوك من أسر مختلفة امتد ملطتهم الى جميع انحاء الهند ، ثم أخذ امراء المقاطعات يستقلون فى

(١) نفس المرجع السابق من ص ٢٠٧ - ٢٥٠ .



حركات انفصالية وأعقب ذلك غزو المغول واستيلائهم على البلاد واخضاع الامراء لسلطانهم وكانت سلطة المغول أوسع وأعم حتى خضعت الهند برمتها لهم .

ومن الأهمية بمكان إيضاح أن أحوال المسلمين قد انتعشت في عصر الامبراطورية المغولية نيفا وثلاثة قرون ، وتركت فيها أثارا خالدة منها تاج محل .

### - الامبراطورية المغولية :

سبقت الإشارة أن المسلمين قد فتحوا القسم الأكبر من إيران في عصر الخليفة عمر بن الخطاب ووقفوا عند حدود مكران - الجنوب الغربي من باكستان حاليا - ، وفي عصر الدولة الأموية استولى المسلمون على الجزء الغربي من بلوچستان وعلى أمارات فلان التي كانت تابعة للسند وضموها إلى مكران ، ثم تقدموا شمالا حتى استولوا على قندهار وكابول - وكلاهما في أفغانستان حاليا - ، ولم يرغب المسلمون في التوغل في هذه البلاد حتى هبأت لهم الظروف الاستيلاء على السند أولا ثم باقى البلاد الهندية .

وتجدر الإشارة أن والى مكران سعيد بن اسلم الكلابي قد قتل في سنة ٧٠٣م على أيدي عرب قبيلة العلافين ثم فروا إلى أمير السند حيث تعقبهم محمد بن هارون بتكليف من الحجاج لمدة خمسة سنوات حتى قتلهم ، وشهدت هذه الفترة أيضا غارات القراصنة السنديين على السفن الإسلامية وسلبها فعهد الحجاج إلى عبد الله بن بنهان بحملة لتأديب هؤلاء القراصنة ثم بديل البجلي حيث فشل في مهمتهما ، فعهد الحجاج لمحمد بن القاسم الثقفي الذي سار بعزيمة الشباب وحكمة الشيوخ حتى بلغ حدود كشمير واخضع شبه القارة الهندية للدولة الإسلامية على نحو ما سبقت

الإشارة إليه تفصيلا حتى أن مؤرخا بريطانيا قال انه لو أراد محمد بن القاسم ان يستمر بفتوحاته حتى الصين لما عاقه عائق .

أدرك الهندوس أن المسلمين - منذ وطئت أقدامهم أرض السند - ليسوا مثل من سبقهم من الفاتحين ، بل هم دعاة رسالة انسانية ، واصحاب عقيدة سماوية ، وقد أعجب الهندوس بالدين الجديد لبساطته وتعاليمه العالية فانضوا تحت راية الاسلام .

وبعد أن انتقلت الخلافة الى العباسيين ، فقد عنا بالسند فأرسل اليها الخليفة المنصور سنة ٧٦٠م هشاما بن عمر الثقفي واليا عليها فتوسع برا وبحرا ، فلما ضعفت الخلافة العباسية أنقسمت السند الى امارتين مستقلتين وانسلخت عن الخلافة العباسية ، وكان من نتائج ذلك ظهور الشعرية ولاسيما القرامطة ، وغلبوا على أمور البلاد ، وغالوا في تطرفهم حتى أفسدوا اسلامهم وجعلوه خليطا من الاسلام والهندوكية ، ومن سوء حظ المسلمين أن استمر هذا الحكم نحو أربعة قرون على الرغم من الفترات التي مرت على البلاد في عهد السلطان محمود الغزنوي والسلاطين الاخرون من الغوريين حتى قضى المغول عليهم واعادوا الاسلام الى نهجه .

وكان الغوريون قد توغلوا في بلاد الهند بعد استيلائهم على السند والبنجاب حتى استولوا على دهلي - دهلي - وطبعوا الهند كلها بطابعهم وعرفوا باسم « ملوك الهند » بالرغم من أن سيطرتهم لم تشمل سوى القسم الشمالي ومع ذلك فقد كانوا اقوى ملوك الهند ، وتعاقت على الهند - أو بالاحرى مملكه دهلي - دهلي وتقع الشمال في وسط الهند - حيث امتدت سلطتهم الى جميع انحاء الهند ، واخذ أمراء المقاطعات يستقلون كل في ناحيته حتى تفككت عرى سلطنة دهلي ، فجاء المغول واستولوا على البلاد كلها ، وأخضعوا كل امرائها لسلطانهم ، وعاشت الامبراطورية المغولية

أكثر من ثلاثة قرون وهي تطبع الهند بطابع إسلامي ، وتركت فيها آثارا خالدة منها تاج محل ، كما خلفت اللغة الأردية .

حكم سلاطين الأسرة المغولية منذ مطلع الربع الثاني من القرن السادس عشر حتى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر بدءا بالسلطان باير ١٥٢٦-١٥٣٠م ومروا بهمايون ١٥٣٠-١٥٥٥ ، أكبر ١٥٥٥-١٦٠٥ جها نكير ١٦٠٥-١٦٢٧ ، شاه جهان ١٦٢٧-١٦٥٨ ، عاكير الاول ١٦٥٨-١٧٠٧ ، شاه عالم الاول ١٧٠٧-١٧١٢ ، جها ندار شاه ١٧١٢-١٧١٣ ، فرج ٧١٣-١٧١٩ ، ثم رفيع الدرجات الذي حكم بضعة شهور في سنة ١٧١٩ ثم أعقبه أبو المظفر ناصر الدين محمد شاه غازي ١٧١٩-١٧٤٨ ، مجاهد الدين ٧٤٨-١٧٥٤ ، عالمكير الثاني ١٧٥٤-١٧٥٩ ، شاه عالم الثاني ١٧٥٩-١٨٠٦ وهو الذي أعطى الشركة الانجليزية سنة ١٧٦٥ حق جباية ضرائب البنغال ثم أكبر شاه الثاني ١٨٠٦-١٨٣٧ وانتهاء بسراج الدين محمد بهادر شاه الثاني ١٨٣٧-١٨٥٨ الذي مات في منفاه سنة ١٨٦٢ والذي اعتبره لورد كيننج Kenning الحاكم الانجليزي للهند بمثابة البقية الباقية من ذكريات الامبراطورية المغولية العظيمة وانه آخر شخص يسمح له بلقب سلطان .

وسوف نستعرض من فيما يأتي لتطور أوضاع الامبراطورية المغولية في الهند منذ مطلع القرن السادس عشر وأهم حكامها بمرورا بعوامل ضعفها وتفككها وسيطرة القوى البحرية الأوروبية على سواحل الهند ، وتجدر الإشارة الى ان هذه الفترة شهدت ايضاح تنافس القوى المحلية والاقليمية وصعود بعض الامارات مثل الامارة المرهتية وامارة حيدر أباد وامارة السيكو بما تخلل فترات حكم هذه الامارات من تصاعد نجم نادر شاه في الهند .

برز العديد من الحكام المرموقين على صعيد العلاقات السياسية الاسلامية

فى فترة حكم الدولة المغولية من مطلع القرن السادس عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر . ويعتبر باير من وجهة نظر المؤرخين <sup>(١)</sup> العرب المحدثين من عظماء التاريخ الاسلامى بصفة عامة ، وتاريخ الهند على وجه الخصوص ، واسمه الحقيقى هو « ظهير الدين محمد بن عمر شيخ ميرزا » وينحدر من ناحية الاب من سلالة « تيمور لنگ » والفاتح المغولى جنكيز خان . وقد ولد باير سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م وتولى عرش فرغانة ولايزال صغير السن عقب وفاة والده لكنه استطاع ان يستولى على سمرقند فى وسط اسيا ، كما وضع يده على كابل و غزنه وتطلع الى مزيد من التوسع فى اتجاه الهند ، وقام بغزواته العديدة هناك ووضع يده على بعض اقاليمها .

عانت الهند فى اوائل القرن السادس عشر من الاضطرابات تحت حكم أسرة اللودهى حيث الهنادكة كانوا خصمهم اللدود ، وكان الامراء الافغان فى الدولة اللودهى قد تضائل نفوذهم واخذوا يحثون عن زعيم قوى وتمثل ذلك فى بايز الذى غزا لاهور سنة ١٥٢٤م وواجه الشاه اللودهى سنة ١٥٢٥ وهزمه فاستحق العرش ، ووجد معظم شمال الهند تحت سيطرته وخاصة الهنادكة الذين كان خطرهم شديدا ، وبالرغم من ان باير كان سكيراً الا انه كان مؤمناً بالله ، ولما كان مقبلاً على الجهاد وفى حاجة لان يطهر نفسه فقد اقسم ان يترك الخمر ، وان توبته الى الله سبحانه وتعالى متعقبها تضحية بالنفس فى جهاد الوثنيين « الهنادكة » ، وخاض باير معركة خانوة التى اعتبرها المؤرخون من أعنف المعارك التى دارت فى القرن السادس عشر وذلك فى ١٦ مارس ١٥٢٧ وثبت اقدامه صم شرع بوسع رقعة ملكه فى الهند وبناء دولة اسلامية قوية ، وكان بعيد النظر حين ادرك انه يحكم شعباً خليطاً من المسلمين ومن الهنادكة ، فكانت دعوته للتسامح الدينى وهى أهم الرصايا لابنه - همايون - قبل وفاته فى سنة ١٥٣٠م .

خلف همايرون اياه ، وقد ييهار والبنجاب وافغانستان ، وخاض حروبا ومعارك عديدة تمكن خلالها أن يدخل كابول سنة ١٥٥٥م ، ومات في العام التالي تاركا دولة اسسها بجهوده ، وخلفه ابنه أكبر الذى استمر حكمه حتى سنة ١٦٠٥م وقام خلال فترة توليته بشن أكبر سلسلة من الغزوات على السند والمثلتان وكشمير وكجرات وخاندش واستولى عليها وعامل حكامها السابقين باحترام ، وقرب اليه الامراء الهنادكة واشركهم معه فى توجيه أمور البلاد وصاهرهم وكان هذا بمثابة معنى للتعاطف الاسرى والسياسى على حد قول فريق من المؤرخين <sup>(١)</sup> المحدثين .

سيطر اكبر على معظم اجزاء الهند وخاصة شمالها ووسطها وكذلك كشمير والبنغال والمثلتان وافغانستان وكان مسلما سنيا يؤدى الفرائض وينشر الدين الاسلامى ومتحمسا لبناء المساجد ، ثم شهزت الفترة ١٥٧٨-١٦٠١ تغييرا فى توجهاته حيث حاول الانطلاق فى اجواء الفلسفات الالهية وأعلن المذهب الالهى ، أما الفترة الاخيرة من حياته ١٦٠١-١٦٠٥ فكانت فترة القلق النفسى والعاطفى حتى عاد الى حظيرة الدين الاسلامى قبل وفاته وهو يحاول ان ينطق باسم الله سبحانه وتعالى .

ومن الأمور التى فكر فيها محاولات اتحاد الهنادكة والترك والفرس والمسلمين والبراهمة والزرادشتيين والجينيين فى بونقة واحدة . وكانت محاولاته أيضا فى اتحاد اللغات واللهجات ، وان هذه الصور من المتناقضات بين الاجناس والمعتقدات يجب أن تتوحد فى اطار واحد يعيش داخله جميع الناس ، وهذه الشطحات الفلسفية التى أصيب بها اكبر هى التى قادته الى تلمس الطريق السوى بين الفرق الاسلامية ، ولكنها هى الاخرى كانت لها موارثها من المأسى ، فأتجه الى دراسة الكتب السماوية القرآن الكريم والانجيل

---

(١) المرجع نفسه ص ٥١٨

ثم دعا الى ندوات يشارك فيها فقهاء الدين الاسلامى من سنة وشيعة ورجال الدين والبراهمة وكهنة زرداشت ورجال المذهب الحينى ، وثار الجدل والنقاش بينهم ، وتوصل أكبر الى ما أطلق عليه المذهب الالهى حيث يعبد الجميع ربا واحدا ، وأكبر نفسه هو ظله على الارض . وان يعيش الناس بدون كذب ولا يشربون الخمر ، وهم متساوون لافرق بين شخص أو آخر لدى الحاكم ، فهو مذهب يصهر الجميع فى بونقة واحدة ، ولهذا أصدر أكبر سلسلة من التشريعات (١) تمنع ممارسة بعض العادات والتقاليد المتضاربة مع مذهبه .

ومن الثابت أن محاولات أكبر فى تجميع هذه الاجناس المختلفة والعقائد المتباينة تحت لواء عقيدة واحدة قد أبعدته عن الاسلام وتعاليمه ، وجعلته يقترب من العلمانية وتأثر أكبر بواقع الامور فى الهند وكذلك بالتيارات الدينية القائلة بظهور المهدي أو المسيح ليعيد العدل الى الارض بعد أن ملكت جورا وظلما ، وقد استهدف أكبر من مذهبه الالهى ان يصبح خليفة حتى يرتفع شأنه عن مكانة السلطان العثمانى والشاه الفارسى غير أن تفكيره كان مركزا على الهند وليس ما وراءها ، وابتعد بذلك عن الاحداث العالمية حيث عزل الهند وراء سواحلها مما جعل القوى البحرية الأوروبية تطرق أبواب الهند بقوة .

وعلى الصعيد الاقليمى فقد عاصر أكبر آخر عصر من عصور القوة الاسلامية فى الشرق ، كان عصر سليمان القانونى العثمانى ، وعصر الشاه

---

(١) حيث منع الارملة التى لا أطفال لها أن تتحر بعد وفاة زوجها ، وأحل زواج الهندوكيات الارامل ، وأن لا يتزوج العجائز ممن هم فى سن ابتائهم وبنائهم ، ومنع زواج الفنى والفتاة الا بعد اكتمال الصفات الجسمية والعقلية ، ودعا الى التلوج من أسرات لا يتصلون بصلة القرابة .  
راجع : المرجع نفسه ص ٥٢٥ .

عباس الثانى فى فارس ، وعلى الصعيد العالمى فقد كان العصر نفسه هو عصر النهضة الأوروبية الكبرى حيث تولى جهانكير الحكم فى الفترة ١٠١٤-١٠٣٧هـ/١٦٠٥-١٦٢٧م ومن أعقبه وصولا الى عاكيمير الاول ويعتبران معا آخر الاباطرة الكبار من المغول ، وفى عهد جهانكير حدث صراع على السلطة بين ولديه خسرو ، وشاهجان وخاصة بعد استيلاء الشاه عباس الصفوى على قندهار ، وانعكس الصراع على السلطة فى الاسرة على الجبهة الاسلامية فى الهند ، فتمت الحركة الشيعية بين مسلمى الهند ، فى حين كان المغول متحمسين للسنة وأرادوا أن ترفع راية الاسلام على اساس المذهب السنى غير أن المذهب الشيعى كان قد انتشر بسرعة فى الهند وخاصة فى مناطق الدكن ، وبدأت حركات انفصالية شيعية ، غير أن عاكيمير الاول الذى حكم حتى عام ١٧٠٧ كان شديد التمسك بالاسلام ، وبعده ، وتطبيق مبادئه الشرعية ، فوضع جانبا فكرة التسامح والمساواة - التى كان قد وضعها أكبر كما سبقت الاشارة - وفرض الجزية على الهنادكة وابعد امراءهم عن مناصب الحكم والادارة .

دب الضعف والتحلل فى امبراطورية المغول فى الفترة اللاحقة فى الوقت الذى كانت فيه القوى الشمالية الاسلامية الافغانية والفارسية تتطلع للسيطرة على هذه البلاد الضعيفة ، فكانت غزوتا نادر شاه على الهند ثم افغانستان باعتبارها مصدر ثراء لفارس ، وبموته تفكك جيشه وضاعت فتوحاته فى الهند حيث استمرت حضارة المغول - رغم ضعف الحكام - باعتبارها مزيج من حضارة الاسلام وحضارة الهند ، وكان التسامح الدينى وتجنب التعصب والطائفة من السمات الرئيسية لحكم المغول فى الهند ، وكان انتشار اللغة

(١) اعتمدنا على التحليل القيم للدكتور عبد العزيز نوار ، نفس المرجع السابق ص ٥٣٤-٥٤٥

ونكتب اللغة الاردية بحروف عربية وهى مزيج من العربية والانجليزية والفارسية والى حد ما لغة البشر التى نحدث بها الشعب الافغانى « الباحث » .

« الأوردية » مظهرا من مظاهر التداخل هو الآخر بين حضارة الهند القديمة وحضارة الاسلام ، ومع ذلك لم يكتمل الامتزاج بين المسلمين والهنادكة نظر للتعصب الشديد للهنادكة وتطلعهم الى استعادة هذا الحكم من المسلمين - وهو ما سوف يتم بشكل أو بآخر بعد ذلك بقرون قليلة وكانت هناك دولة هندوكية قوية فى الجنوب وقفت عقبة امام المغول أنفسهم ، وكانت المقارنة بين حضارة وتفوق المسلمين وحضارة الهنود وما صارت اليه من تدهور دافعا للمفكرين الهنادكة للبحث عن أسباب تفرق المسلمين وتدهور الهنادكة ، فناقشوا عقائدهم الموروثة ، جاءوا بأفكار جديدة بعضها من تراث الهند القديم ، وبعضها من الاسلام والمسلمين ، ومع ذلك ظلت مناطق اخرى متمسكة بعقائدها القديمة ولغاتها وكانت المحصلة معاناه الهند من صراع بين الحضارتين الهندية والاسلامية الامر الذى انعكس على القدرات العسكرية حيث لم يتجه المسلمون أو الهنادكة على السواء لبناء أى قوة بحرية فى وقت كانت فيه القوى البحرية هى اداة الحرب والتوسع على شواطئ الهند الغربية .

اصطدمت امارتا كجرات فى شمال غرب الهند وكاليكوت بقوة بحرية كبرى هى البرتغال حيث جاء البرتغاليون ببوارجهم الكبيرة ومدافعهم ليتقوضوا على كل سفينة اسلامية ، واستصرخت امارا كجرات سلاطين المسلمين وخاصة قانصوه الغورى سلطان مصر المملوكى ، ثم طلبت معونة السلطان العثمانى سليم الاول الذى استولى على مصر سنة ١٥١٧م ثم دعت السلطان سليمان القانونى ليتعاون مع مسلمى الهند فى مواجهة العدوان الصليبي البرتغالى ، ولم يعير حكام الهند التفاتا الى تطورات اساليب الملاحة والحروب المحيطية ، والقى العبء الاكبر على مصر لمواجهة اساطيل البرتغال على مقربة من شواطئ الهند ، وكانت معركة « ديوى » الشهيرة سنة ١٥٠٩م حيث لم يتصرف أى من الطرفين البرتغالى أو المصرى ، ومع ذلك



كانت النتيجة لصالح البرتغاليين الذين احتفظوا بمواقع قليلة - لكنها هامة - على شواطئ الهند الغربية ، وتفصلهم جبال الغات العربية عما يدور في داخل الهند من حروب كبرى من اباطرة المغول والامارات الهندية الاسلامية والهندوكية .

ظلت البرتغال هي القوة الاوروبية المسيطرة على الملاحة العالمية المؤدية الى الهند لمدة قرن من الزمان حتى سقطت تحت ضربات القوى البحرية الاوروبية القومية الناشئة ( بريطانيا وفرنسا وهولندا ) التي كونت عدة شركات اشهرها <sup>(١)</sup> شركة الهند الشرقية البريطانية مطلع القرن السابع عشر ، والتي أنشأت وكالات تجارية على السواحل الهندية ولم يشعر المغول بخطورة هذه الوكالات ، فظل حكام الهند المسلمون لايلقون بالا لهذه الوكالات رغم صداماتها مع السلطات المحلية ، وانتقلت مهمة الوكالات من مجرد التبادل التجارى الى الاستعمار المباشر فى وقت تفككت فيه تماما امبراطورية المغول وحلت محلها امارات اسلامية وراثية ضعيفة متناحرة حيث كان من السهل على طبقة الراسماليين الهنود المرتبطين بالوكالات الانجليزية توجيه سياسة هذه الامارات .

غير أن أحد هؤلاء الامراء قد تمرد فى وجه هذه السياسة وكانت لديه من القوة ما يكفى لتهديد المصالح الانجليزية وهو سراج الدين - أمير اقليم البنغال - حيث زحف على حصن الانجليز هناك واستولى عليه فى ٢٠ يونيو ١٧٥٦م ، وهو ما جعل السياسة البريطانية فى الهند تعيد تقويم مواقفها تجاه سراج الدين حيث تم استبداله - من خلال الخيانة بنائبه مير جعفر ، وادركت القوى الاسلامية خطر الانجليز الحقيقي بعد مال اليه مصير سراج

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك : دكتور محمد نصر مهنا ، الخليج العربى ، دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية ، مرجع سابق .

الدولة ، وكان مصير الامبراطورية المغولية هو الهزيمة الشديدة سنة ١٧٦٤ فى معركة بوكسر حيث فقدت البنغال الى الابد وارغم الانجليز الامبراطور المغولى على منح الشركة « الحق الديوانى » - بمعنى حق التصرف الادارى فى ايرادات مناطق البنغال ، وبيهار ، وأوربا ، وبالمثل حدث مع اماره حيدر اباد التى لم تتمكن من دحر الانجليز سنة ١٧٦٥ حيث أدرك حاكمها حيدر أنه لاطاقة له بتفوق الانجليز الكاسح ، ورغم استعانه بالفرنسيين - الا أنهم تركوه يواجه البريطانيين الذين هزموه ، وأرغموه على عقد اتفاقية سرنجا تاتام سنة ١٧٩٢ .

شهدت هذه الفترة تصاعد التنافس الانجليزى الفرنسى الذى تمثلت مظاهره فى اعلان فرنسا الحرب على بريطانيا سنة ١٧٩٣ وسيطرة نابليون على ايطاليا والحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ ، وفى الهند ظن بونايرت أن العديد من القوى المحلية الكارهة للوجود البريطانى من الممكن أن تتعاون معه ، فحثهم بونايرت من خلال رسائل بعث بها الى امراء الهند الى زيادة نشاطهم العسكرى ، غير أن الامارات الهندوكية قد سقطت هى الاخرى كما سقطت قبلها الامارات الاسلامية فتفككت تماما الامبراطورية المغولية رغم ما كانت قد شهدته احدى الامارات الاسلامية وهى الامارة المرهتية من دور بالغ الاهمية فى مطلع القرن الثامن عشر .

### الامارة المرهتية

يرجع الفضل فى انشاء هذه الامارة الى الزعيمين « ساهوجى » ، « سيواجى » ، وكانا يعملان فى بلاط اماره دهلى - دهلى - ، وقد ادت هذه الامارة دورا كبيرا على مسرح الاحداث السياسية فى الهند ، ومرت بمراحل متغيرة من الاستقلال الى التبعية والخضوع للسلطة المركزية ثم الانفصال عن الامبراطورية المغولية وهو ماتم الفعل فى اواخر عهدها .

كانت هذه الامارة مرهوبة الجانب ، قوية الشكيمة ، وازدهرت أوضاعها في القرنين السابع عشر الثامن عشر ، ففي عام ١٧٠٨ استطاع وزيرها « بالدجي » ان يجعل منصب الوزير وراثيا ، ومعادلا لمنصب الامير ذاته . ونجح في القضاء على الاضطرابات الداخلية ، وجمع كلمة البلاد تحت سلطة الامير « ماهوجى » ، فلما جاء باجى راؤ سنة ١٧٢٠ فقد أدرك ببعده نظره السياسى قرب انقضاء العهد المغولى ، وأخذ يعمل على انشاء امارة مرهتية حيث كانت عاملا هاما في دحر القبائل الافغانية ، وفي سنة ١٧٧١ استتجد بهم السلطان شاه عالم الثانى لاختضاع ولاياته الشرقية المتمردة ، غير أن هذه الامارة قد تفسخت هى الاخرى وانقسمت الى امارات متعددة بسبب تفكك العنصر المرهتية وتصاعد عناصر غريبة عن البلاد وتدخلها فى الوظائف الكبرى فى الجيش والادارة .

- استيلاء نادر شاه على الهند :

فى سنة ١٧٠٩ أدركت القبائل الافغانية المقيمة على الحدود الايرانية - الهندية والتابعة لايран ، - أدركت حالة الضعف فى ايران فاستولت على مدينة قندهار ، وأعلنت قيام امارة افغانية مستقلة فيها ، وقد قام شخص يسمى نادرقلى بمساندة الشاه - طهما سب بن حسين الصفوى لطرز الافغان ونجح فى جعل الافغان يعملون ثانية الصالح ايران . وقد أصبح نادرقلى هو نادر شاه فيما بعد حيث طلب أيضا من محمد شاه سلطان الهند طرد القبائل الافغانية من بلاده ، وكانت سلطنة الهند ضعيفة ، فاستولى نادر شاه على غزنة وكابول دون مقاومة تذكر ، ثم استولى على لاهور ودھلى - دلهى اليوم - سنة ١٧٣٩م وقتل نحو ثلاثين ألفا ثم عاد الى ايران ، وكانت القبائل الافغانية قد انضمت الى نادر شاه كما سبقت الاشارة ، فلما ارتحل نادر شاه عهد الهند عائدا الى ايران فقد كانت القبائل الافغانية بالاستيلاء على قندهار

- تقع فى جنوب افغانستان بالقرب من باكستان حاليا - بقيادة أحمد الابدانى الذى اعلنها أمانة له ولقب نفسه بأحمد شاه ثم استولى على خراسان بعد أن وجد الضعف يدب فى جاريته ايران والهند كما استولى على بلخ والسند وكشمير وكابل ، ولم يتمكن من الاستيلاء على لاهور وتوفى محمد شاه سلطان الهند سنة ١٧٤٨ ليخلعه ابنه « مجاهد الدين » .

تولى « مجاهد الدين » سلطنة الهند ولم يبق من الامبراطورية المغولية الا الاسم حيث تناثرت الى امارات عديدة وجديدة ، مثل ركن والبغال والامارة المرهتية ، وفى سنة ١٧٥٤م تم تنصيب عز الدين حفيد شاه سلطانا على البلاد بعد قتل السلطان مجاهد الدين ، أما الشخث الذى كان أكثر بروزا فهو عماد الدين الذى عزم على استرجاع اقليم البنجاب من القبائل الابدالية الافغانية بقيادة أحمد شاه ابدالى ، وذهب عماد الدين الى لاهور سنة ١٧٥٧ فاستولى عليها كما استولى على دهلى فى السنة التالية وارتكب فيها أعظم الجرائم حتى فر كثير من سكانها ، وسادت الفوضى بلاد الهند كما ساد الاضطراب اقليم البنجاب ، وأكد أحمد شاه سيادته ونفوذه على دهلى ، ومع ذلك فقد عجز الافغانيون على الدفاع عنها سنة ١٧٦٠ عندما أغار الجيش الهندوكى عليها ، وعند استجمع الافغانيون قوتهم فيما بعد فقد هزموا اعداءهم - المرهتيين - الذين بلغت خسائرهم نحو مائتى الف جندى سنة ١٧٦١ وتحطمت احلامهم فى اقامة سلطة مركزية هندوكية ، وبالرغم من هذا النصر الكاسح فان الافغانيين لم يطمعوا فى انشاء امبراطورية هندية مركزها العاصمة « دهلى » ، بل اكتفوا بالبنجاب ، والواقع أن مدينة « دهلى » رغم كونها العاصمة وقبض الا أنها لم تكن مركز السلطة الهندية بل كانت امانة من الامارات الهندية الكثيرة التى انبثقت عن انحلال وتفكك مجرى الامبراطورية المغولية فى شبه القارة الهندية .

## امارة حيدر آباد :

وتقع فى وسط الهند الى الجنوب ، وهى من الامارات القديمة التى استطاعت المحافظة على كيانها بمرور الزمن ، وقد أسس هذه الامارة شخص سمر قندى الاصل اسمه : « خواجه عابد » ، وينتمى الى الشيخ شهاب الدين السهروردى وكان لفخر الدين حفيد « خواجه عابد » دور كبير فى تأسيس الاسرة الاصفية ، وبموته خلفه ابنه نظام الدولة ناصر ، وكان للنزاع على السلطة فضلا وجود الشركة الفرنسية دور كبير فى ازدياد النفوذ الفرنسى هناك . وقد حدثت العديد من المناوشات بين حكام هذه الامارة وبين المرهتهيين فى عامى ١٧٦١ ، ١٧٦٢ وأدى ذلك الى ضعف حيدر آباد وصولا الى استيلاء دولة هندوستان عليها فيما بعد عقب تحريرها من الاستعمار البريطانى .

ونظرا لتشابك العلاقات البريطانية - الفرنسية وتنافس الدولتين فقد باءت حملة المرهتهيين سنة ١٧٦٣ بالفشل ، وطرد أمير حيدر آباد الفرقة الانجليزية الموجودة فى حيدر آباد باسم المساعدة ، ورجع الى فرنسا وطلب منها تنظيم جيشه وامداده بالسلاح الجديدة ، وقد استجابت فرنسا لمطالبة فصار جيش حيدر آباد من أقوى جيوش الهند ، وكان طبيعيا أن تنظر بريطانيا بحسد الى مركز فرنسا المتفوق ، وعلى أثر وفاة القائد الفرنسى سنة ١٧٩٨ فقد حاصرت فرقة انجليزية حيدر آباد التى استسلمت تماما للسيطرة البريطانية وغدت جزءا من مستعمرة الهند الكبيرة .

## امارة السيكون « الشيخ » :

من الثابت أن الهند لم تتوجد وحدة تامة شاملة كاملة حتى ابان عهود الامبراطورية المغولية ، وقد أدى هذا الى نتيجة مفادها ظهور امارات كثيرة منها يونا وحيدر اباد ، وميسور والبنغال وأرده وبهر تبور وفرخ آباد ثم امارة السيكون

حيث لهذه الاخيرة اهمية خاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين المسلمين والهندوس ، فقد كان من نتائج اختلاط المسلمين بالهندوس أن طرأت على العقيدة الهندوسية افكار جديدة حملها المسلمون فغيرت وجهة نظر القوم في دينهم ، وظهرت في الهند وجهات نظر للتقريب بين الدين الاسلامى وبين الحاكم - والدين الهندوسى ، دين أهل البلاد . وفى حين لم ينجح السلطان أكبر ١٥٥٥ - ١٦٠٥م فى « خلق دين جديد » - كما سبقت الاشارة ، فقد نجح غيره فى ذلك ومنهم كثير من الدعاة الى الوحدة الدينية مثل « بابا نانك » الذى ولد فى احدى قرى البنجاب سنة ١٤٦٩م بالقرب من لاهور وتوفى سنة ١٥٣٨م ، وربما كان أصله تركيا ، وأغلب الظن انه كان مسلما حيث زار مكة المكرمة والمدينة المنورة والبلاد الاسلامية ووضع مذهبا جديدا يقرب بين المسلمين والهندوس واسماه « سيكر » ومعناه اللغوى « التلميذ » ، كما وضع كتابا ضمنه افكاره ، غير أن النتيجة النهائية لم تكن تقريبا بين الدين الاسلامى والدين الهندوسى وانما ابتدع دينا جديدا ، وكان هذا الدين اقرب الى الاسلام منه الى الهندوسية ، وحينما ضعفت الامبراطورية الاسلامية فى الهند فان هذا الدين اقترب من الهندوسية وابتعد عن الاسلام ، ثم أصبح فيما بعد دينا قائما <sup>(١)</sup> بذاته يضم معتنقيه العداوة والبغضاء للاسلام والمسلمين .

---

(١) فقد أجاز « بابانانك » لاتباعه اكل الخنزير واحل شرب الخمر وحرم ذبح البقر ، فسأمر بذلك الهندوس ، وحرم عبادة الاصنام وعدم قص الشعر الذى ينبت على جسم الانسان طوال حياته ، ورجال سوارا من الحديد فى ايديهم ، ويلبسون ثيابا لا يخلصونه ابدا وان يحملوا خنجرا أو حربة ، وتضعون مشطا فى شعر رؤوسهم وتبرير ذلك ان فرض الاشياء السابقة مما يحتاج اليه الجندى فى حالة الحرب وان الجاسوس لا يستطيع اطالة شعره ليتدمج فى القوم ، وقد تركهم الانجليز يحملون هذه الاشياء ابان الفترة الاستعمارية باعتبارها من فرائض دينهم .

ومن الغريب أن العقيدة « السيخية » قد بدأت كشكل من اشكال الفرق الصوفية الاسلامية فى أغلب الظن ، ثم انحرفت حتى اصبحت ديناً قائماً بذاته بعيداً كل البعد عن تعاليم الاسلام بل ومناهضة له حيث كان نواة لجماعة سياسية أدت دوراً فى سياسة البنجاب مستقبلاً ، ذلك انه عندما ضعفت السلطنة المغولية فان السيخ - السيكو - انتهزوا هذه الفرصة وعبثوا فى الارض فساداً حتى استولوا على مدينة كانت نواة لامارة سيكيةهية . وقد رافقت هذه الاحداث استيلاء بريطانيا على دهلى - دهلى - وعقدت معاهدة مع زعيم الطائفة السيخية - رنجيت سىكو - افسحت المجال بها للاستيلاء بطائفة السيخ - السيكو - على بلاد أوسع واطمئنناها الى صداقة الانجليز جنوباً والافغان شمالاً ، ثم استولى السيكو على بعض بلاد البنجاب وكشمير ومدينة ييشاور - تقع على الحدود الباكستانية الافغانية - غير أن بريطانيا عملت على القضاء على الاسرة السيكيةهية بموت زعيمها وساعد الانجليز على ذلك رد الفعل الاسلامى من جراء الظلم الذى عاناه المسلمون من السيخ حيث حرموا على المسلمين الآذان فى المساجد بحجة ان صوت المؤذن يزعجهم وينجس آيتهم واثاثهم وهو دليل على روح التعصب الشديدة التى سيطرت على السيخ (١) ضد المسلمين .

### الاستعمار البريطانى :

لايتعلق موضوع هذه الدراسة (٢) بتطور الاستعمار الاوروبى تجاه الهند

(١) هناك مدينة مقدسة للسيخ « السيكو » لاتزال قائمة فى اقليم البنجاب الهندى وهى « امر نسر » حيث معبدهم الشهير فى وسط بحيرة لا يصل للمره اليها الا فوق جسر .

(٢) راجع فى تفصيل ذلك :

دكتور محمد نصر مهنا ، ( وآخرون ) ، الخليج العربى ، دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية ، مرجع سابق

سواء ارتبط ذلك بالعصور الوسطى - الحروب الصليبية - أو العصور الحديثة حيث تمثل ذلك فى النشاط الاقتصادى البريطانى والفرنسى فى شبه القارة الهندية منذ سنة ١٦٠٠ م ، ولكن الدراسة تتركز على انتشار الاسلام فى آسيا منذ الغزو المغولى ، وتطوره فى شبه القارة الهندية ، وسوف يتم التعرض لآوضاع المسلمين فى الجانب الآخر من الهند حيث تأسست دولة باكستان المسلمة فى موضع لاحق من هذه الدراسة .

وفما تعلق باستيلاء الانجليز على الهند فقد تم ذلك سنة ١٨٥٧ كما سبقت الاشارة حيث اراد الانجليز اغتنام كل فرصة ، واستثمارها لصالحهم فى نهاية عصر السلطنة المغولية ، فمئذ منتصف القرن الثامن عشر جاء السلطان شاه عالم (١٧٥٩-١٨٠٦ م) الى البنغال وأراد ان يفرض سلطته ، فاعلن كارنك - أحد ممثلى شركة الهند البريطانية - الحرب عليه باسم مير محمد قاسم - وهو فرد عادى من رعايا السلطان - وبالطبع انتصر الانجليز وأرغموا السلطان شاه عالم على ان يشرفوا هم على مالية البنغال ، وفى سنة ١٧٦٥ عقد الانجليز معاهدة غير متكافئة مع السلطان تعرف بمعاهدة آلة اباد تنص على اعطائهم حق الاشراف المالى على الولايات الشرقية ، وعلى ولاية كرناتك فى جنوب الهند ، وان يتنازل لانجلترا على منطقتى « مدنا بور » و « بردوان » وكان هذا بمثابة بيع الهند للانجليز .

لم تعد الهند بعد أن منح السلطان عالم شاه للانجليز حق الاشراف على مالية البنغال لم تعد تلك الهند التى يتنازع الامراء المغول فيما بينهم اماراتهم ، بل أصبحت تحت السلطة الغربية ممثلة فى بريطانيا وتحت الشركة الهند البريطانية السيطرة التامة على النواحي الاقتصادية المختلفة ، والتى أصبحت دولة تعقد لمعاهدات ، وتعلن الحروب ، وتسئ القوانين ، وتضرب النقد ، وكان مدير الشركة بمثابة حاكم أعلى أو أمير يساعده حكام مقاطعات وولايات ،



وله مجلس ادارة اشبه بالبرلمان ، وتحت امرته جيوش وقواد ، وهكذا كانت شركة الهند البريطانية بمثابة دولة مكتملة الشروط والسيادة من خلال حكام مديدين تعاقبوا على ادارتها منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر بدءا بهيستنكر Hestings الذى تولى حكم الهندسة ١٧٦٧م ومرورا بجون شور John Shore ، ريتشارد ويلزلى Richard Wellesely وكارنوالس وجون بارلو John Barlow ومنترو Mento ، الماركيز هيستنكر وهو شخص مختلف عن هيستنكر الاول ثم ايمرست Emmerst ووليم بنتنك Bentinck ولورد أوكلند Ockl and ولورد النيرو Ellenborough ولورد هاردنك Harding ولورد ولهوزى John Lorraine Delhousie ولورد كينك Kenning ، جون لورنس ولورد ميو Mano ولورد نور ثيرون Northbrook ولوردلتن Lytton ولورد رين Rapin ولورد دفرن Dufferin ولورد لنسدن Linsdon ولورد ايلجن Elgin ولورد كرزون Curzon ولورد منترو Mento .

ولورد هاردنك للمرة الثانية وصولا الى قيام الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ .

- فترات حكم الحكام البريطانيين ( الاوضاع الداخلية وانكاساتها الاقليمية ) :-

وسوف نستعرض لتطور الاحوال الداخلية من ثانيا فترات حكم هؤلاء الحاك البريطانيين للهند ففى سنة ١٧٦٧ عنت الحكومة البريطانية وارن هيستنكر Ciarn Hestings حاكما على الهند ، وكان قد سبق له العمل فى شركة الهند الشرقية وارتقى فى وظائفها ، وفى عهده سنت الحكومة البريطانية قانونا لتنظيم شئون الهند وما وراءها ، وقسمت ممتلكات الشركة الى أربع ولايات هى : شكنه ومدارس وبمبى وسومطرة وجعلت كلكتا عاصمة للبلاد ومقرا للحاكم العام وكان هيستنكر يخلق المناسبات للاعتداء على

الامارات الوطنية وأهانة امرائها وأذلالهم بأنقاص رواتبهم ، وهيات له الظروف التدخل فى شئون المرتهيين فى غرب البلاد حيث تسلم الحاكم البريطانى زمام الأمور هناك باستثناء اماره « ميسور » التى أدت دورا بارزا فى الكفاح ضد الاستعمار البريطانى وكان فيها أسرة عربية قرشية أتت البلاد مهاجرة وعمل أمراؤها فى الجيش وارتقوا فى مناصب الدولة حتى وصل أحدهم - حيدر على - الى قائد أعلى لجيش اماره ميسور وفى سنة ١٧٨٢ خلفه ابنه الأكبر الذى أصبح أميراً وظل اسمه جزءا لا يتجزأ من تاريخ الصراع الهندى الاسلامى للحفاظ على استقلال البلاد ، وكانت الحروب الفاشلة التى شنتها الفرقة البريطانية ضد اماره ميسور سببا فى استقالة هيستكرز ومغادرته الهند عائدا لبريطانيا سنة ١٧٨٥ .

وفى سنة ١٧٨٤ سنت الحكومة البريطانية قانونا جديدا للهند أنشأت بموجبه مجلس رقابة مركزه لندن وخولته صلاحيات واسعة لمراقبة اعمال الشركة ، وتم تكليف جماعة من رؤساء الشركة بمتابعة الاحكام وجعلت لهذه الجماعة رئيسا أصبح فيما بعد يسمى « وزير الهند » ، وبعد صدور هذا القانون تم تعيين لورد كارنوالس Cornwallis حاكما عاما على الهند سنة ١٧٨٦ م واستمرت فترة حكمه الى سنة ١٧٩٣ حيث تعين نائبه جون شور John Shore حاكما عاما وقد كان مثالا للمكر والتضليل والخداع حيث جعل كافة التزامات بريطانيا تجاه الامارات الهندية بموجب المعاهدات المبرمة بها وكأنها لم تكن ، وذهب خلفه ريتشارد ويلزلى Richard Wellesely الى ابعد من ذلك فى الرقابة بين الامراء وبعضهم البعض مما خلق المنافسات والعداوة بينهم وأضعف قوة اماراتهم وكان من نتيجة ذلك تقسيم امارتى حيدر آباد وميسور واضعافهما تماما ، وكانت حيدر آباد إحدى اقوى الامارات الاسلامية التى امتلكها الانجليز بعد اماره ميسور ، وعندما انتهى الدور المرسوم لويلزلى فقد أنهت الحكومة

البريطانية خدمته سنة ١٨٠٥ م .

جاء لورد كانوالس حاكما عاما سنة ١٨٠٥ وكان الدور المخطط له هو اعادة الاطمئنان وتهذئة الاعصاب وامتصاص الثورة الكامنة فى نفوس الهنود ، وبموته تسلم سير جان بارلو تقاليد الامور بهدف اعادة النشاط الاقتصادى للشركة ، غير أنه واجهته ثورات الهنود نتيجة لتدخل الجيش فى عادات الهنود وعقائدهم وأمر دينهم فضلا عن محاولات نشر الدين المسيحى فى ربوع هذه البلاد الواسعة من خلال دور المنصرين ، واشتعال ثورات الهنود فى أماكن مختلفة قامت الشركة بعزل بارلو وتعيين لورد منتو Lord Mento حيث كانت البلاد الهندية فى ثورة روحية بعد ثوراتهم الوطنية ولم يتنازل الهنود عن عقائدهم أو قوميتهم ، وخلق عصره من الاحداث الداخلية حتى أغفى من منصبه سنة ١٨١٣ م .

تولى مركيز هيستكر - وهو شخص آخر غير وارن هيستكر - سنة ١٨١٣ والشركة تسيطر على أكثر البلاد الهندية سيطرة مباشرة ، وأصبح جيشها هو القوة الوحيدة فى البلاد ، ولم يكن الجيش الانجليزى فى الهند جيشا انجليزيا بمعنى الكلمة - بل كان جيشا هنديا يقوده ضباط انجليز ، وبالتالي كان الهنود يقاتلون بعضهم البعض وامتدت سيطرة الانجليز ، وبالتالي كان الهنود يقاتلون بعضهم البعض وامتدت سيطرة الانجليز الى البنجاب ونيبال التى أرغم أميرها سنة ١٨١٦ على توقيع معاهدة تعرف بمعاهدة سكولى تنازل بمقتضاها عن مناطق من امارته للحاكم البريطانى فى الهند كما أدخل امارته تحت الحماية <sup>(١)</sup> البريطانية ، وقد عالج هيستكر الاضطرابات الداخلية فى الهند وخاصة تلك التى قام بها جماعة البنداريين

---

(١) وظل هذا شأن إمارة نيبال حتى استقلت الهند ثم استولت الصين عليها سنة

وهم خليط من مختلف الاجناس والاديان وأكثرهم من الافغانيين ، ثم استقال من منصبه سنة ١٨٢٣ بعد أن كون لانجلترا امبراطورية أو شبه امبراطورية وخلفه ايمرست Emmerst الذى نهج سياسة سلفه فى التوسع ، فاستولى على آسام سنة ١٨٢٦ والحقها بالهند واستولى على قلعة بهرتبور ، وانتهت خدمته سنة ١٨٢٨ م .

تولى وليم بنتنك Bentinck منصب الحاكم العام وركز على الاصلاحات الداخلية فرفع الضرائب على تجارة الافيون فزادت واردات الشركة وأوجد فرص عمل كثيرة لاهل البلاد ، واصدر قانونا بعدم اجبار ارملة المتوفى الهندوسى على حرق نفسها حية فوق جثمان زوجها كما تقضى الديانة الهندوكية ، وادخل تعديلات على المظم الادارية تقضى بتفويضه السلطة على جميع الولايات وحقه فى سن قوانين جديدة للهند ، ونصت احدى مواد القانون الجديد ( المادة ٨٧ ) على تساوى المواطنين الهند ، والا يكون اختلاف الدين أو القومية أو اللون سببا فى حرمان المرء من عمل ما من الاعمال ، ولم ينص القانون على تساوى الهند بالانجليز ، وأثيرت فى عهده قضية اللغة التى يجب ان تكون لغة عامة للهند كلها ، وفى محاولة لارضاء المسلمين والهنداكة فقد قرر جعل اللغة الانجليزية لغة البلاد الرسمية ، وانتهت خدمته سنة ١٨٣٥ .

بينما كانت الحكومة البريطانية تضع القوانين وتصرح علانية بعدم رغبتها فى الاستيلاء على الهند برمتها وبقاء الامارات المستقلة تتمتع باستقلالها ، فان شركة الهند الشرقية كانت تبذل جهودها - وعلى رأسها الحاكم العام للقضاء على هذه الامارات حتى استولت على الهند كلها باستثناء السند والبنجاب ، بل أنها تعدت حدود الهند الى آسام ونيبال - كما سبقت الاشارة - فلما جاء لورد أوكلند Ockland حاكما عاما قرر الاستيلاء على

افغانستان ليجمعل السند والبنجاب بين فكى المستعمرة الهندية ولكى لاتقع افغانستان فى فم الدب الروسى كما وقعت ايران ، وأرسل أوكلاند الى أمير الافغان دوست محمد شاه لعقد معاهدة صداقة ، ولكنه اشترط لذلك مساعدة بريطانيا نه لاسترجاع مدينة بيشاور التى كانت لافغانستان واستولى السيكهو Sikh السيوخ عليها ، غير أن أوكلاند كان يحرص هو الآخر على أن تكون بيشاور من ممتلكات الشركة الانجليزية ، وبالتالى لم يرض بشرط أمير افغانستان ورأى ان يفوض ارادته عليه فرضا فعقد سنة ١٨٣٨ معاهدة مع كل من رنجيت سنكهو أمير السيكه « السيوخ » وشاه شجاع حفيد أحمد ابدالى .

كان شاه شجاع قد تولى عرش افغانستان مدة من الزمن ، ثم ثار عليه ابن اخيه فخلعه ، وحل محله وفرشاه شجاع لاجئا الى الهند فرحب به الانجليز ولما كان دوست محمد شاه ليس من أولاد أحمد شاه ابدالى ولكنه من اسرة ثانية اغتصبت العرش ، فقد لعب الانجليز بهذه الورقة الرابعة فى استغلال شاه شجاع وأنصاره للقضاء على دوست محمد ، وتمكن أوكلان بذلك من القضاء على امارات السند واستولى على قلعة غزنه ونصب شاه شجاع على العرش ، ولم يرحل الجيش الانجليزى عن افغانستان لأنه هدفه الحقيقى كان الاستيلاء عليها .

غير أن الشعب الافغانى ذاته ثار على هذه الاوضاع ، فهو شعب مسلم ومتدين ، ولم يرض بما ارتكبه الضباط الانجليز من انواع الدعارة فى بلاده الاسلامية المتمسكة بأخلاقيات الاسلام ، وتمخض ذلك عن ثورة سنة ١٨٤٠م ، ومع ذلك فقد استسلم دوست محمد خان للانجليز - وهو الحاكم الشرعى لافغانستان - غير أن هذا الاستسلام لم يمنع الثورة الافغانية من أن تشتعل وصرولا الى كابول حيث اشتبكت بريطانيا مع الشعب الافغانى

واندحر الانجليز الذين لم يجدوا مناصبا سوى عرض الصلح على الأمير محمد أكبر خان ابن دوست محمد خان الذى كان يقود الحملة ضد ثوار كابل ، وصالحه الانجليز بشرط جلائهم عن جلال اباد وقندهار وغزنه وكابل وغيرها وعلى أن يعيدوا دوست محمد خان الى عرشه ويأخذوا له عهدا من شاه شجاع بالتنازل نهائيا عن العرش .

لم يكن المندوب الانجليزى الذى كان يفارض محمد أكبر خان مخلصا فى قوله وفعله حيث كان يثير القبائل الافغانية سرا ضده ولتصره شاه شجاع ، وقد تيقن لمجد أكبر خان ذلك فقتل المندوب الانجليزى مما جعل بريطانيا تجدد حملتها على أفغانستان لكن الشعب الافغانى دحرها ، مما ألقي الرعب فى صدور الانجليز واعتبروا اركلانده هو المسئول فتم عزله سنة ١٨٤٢ .

تم تعيين البرو Ellenborough حاكما عاما على الهند والاضلاع متوترة مع الحاميات الانجليزية التى لم تكن جلت عن قلاع جلال اباد وغزنه وقندهار وغيرها ، ولكنها جلت عن كابل ، واضطر الافغانيون لقتال هذه الحاميات غير ان الانجليز توغلوا داخل بلاد افغانستان ودخلوا كابل واحرقوا سقف سورها الذى كانت له شهرة واسعة فى جميع بلاد آسيا ، ثم رجعوا الى الهند عن طريق يشارور .

وفى عهد البرو وقفت اضطرابات وفتن فى كل من البنغال ومدارس بين الجنود الهنود ، فأنتهت الحكومة البريطانية خدمته سنة ١٨٤٤ وعينت هاردنج Delhousie الذى كان الطريق أمامه ممهدا - بعد الاستيلاء على الهند كلها - ماعدا البنجاب - ، أن يخلق المبررات للاستيلاء على هذه الامارة الواسعة التى كانت تحت سيطرة السيكة « السيخ » ، وأخذت الجيوش الانجليزية تتوغل فى بلاد البنجاب حتى دخلت لاهور وأملى الانجليز شروط الصلح على السيكة « السيخ » الذين تنازلوا على منطقة جلندهر ، والبلاد الواقعة

ما بين نهري جمنا والفتح وبلاد كشمير وهزاره ، ومن انجازات هارونج الداخلية اصداره قانونا يمنع بموجبه قتل البنات وتقديم الضحايا البشرية ففضى بذلك على عادات جاهلية ، وانتهت خدمة هارونج سنة ١٨٤٨ ليخلفه دلهوزى Delhonsie الذى جاء الى الهند حيث اقليم لبنجاب يسوده الغضب والاضطراب .

بحث دلهوزى Delhousie فى اسباب هذه الثورة الكامنة فى نفوس سكان البنجاب بصفة عامة والمثلثان على وجه الخصوص ، فوجد أن المقيم الانجليزى فى لاهور كان يتدخل فى شئون ولاية المثلثان الداخلية مما استفز سكانها ، كذلك كان انتزاع استقلال الامارة السيخية أحد هذه الاسباب ، وقد امتدت اضطرابات المثلثان بالفعل الى شمال لاهور وحدثت مواجهة مع الانجليز حيث قتل منهم نحو ألفين وخمسمائة ولكنهم استعانوا بقوات جديدة وأرغموا الشيخ على التراجع نحو لاهور ثم طاردوهم الى قرب مدينة كجرات وكانت سنة ١٨٤٩ خاتمة حياة هذه الامارة الوطنية فى البنجاب حيث عزل دلهوزى اميرها القاصر دليپ سنكه .

### ارصاصات الثورة :

خلت الهند بعد القضاء على امارة البنجاب السيخية من الامراء الوطنيين الذين كانوا يلقبون راحه ، ومهاراجه ، ونواب والذين عاشوا فى ظل الاستعمار البريطانى وكان عددهم نحو خمسمائة امير ، وريح الانجليز منهم الجوهرة المعروفة باسم « كوه نور » - أى جبل النور - وهى أكبر ماسة فى العالم ، وتزين التاج البريطانى حتى الان ، وكانت ملكا لأمير البنجاب ، ولما طالبت بها حكومة باكستان فيما بعد فقد رفضت بريطانيا اعادتها . وقد استمرت الاضطرابات فى البلاد وصولا الى تولية لورد كيننج Kenning فى مطلع سنة ١٨٥٦ وكان السيل قد بلغ الزبى فى كره البريطانيين وحكمهم

وكانت الامور الدينية هي أهم أسباب الكراهية من جانب الهنود تجاه البريطانيين مثال ذلك ارغام الضباط الانجليز للجنود الهنادكة على ركوب البحر وهو ما يعتبر محرما في دينهم ، وما أشيع عن عزم الانجليز تنصير الهنود بالجبر والاكراه وامتهان الانجليز لكرامة السكان في اشخاص ملوكهم وامرائهم ، وقد سبقت الاشارة الى اراء كينج في سلطان دهلى - بهادر شاه - وهو آخر رموز أو ذكريات الامبراطورية المغولية وانه يعتبره آخر شخص يسمح له بحمل لقب سلطان من هذه الاسرة ، وآخر من يحق له عقد مجالس سلطانية ، وان جميع الامتيازات التى تمتع بها تنتهى بموته ، وقد نزلت مثل تلك الامور على الهنود كالصاعقة لانهم يعتبرون السلطان - رغم ضعفه - رمز السلطة الوطنية .

أصبحت نفوس الناس تحمل الثورة في طياتها ، وقد هب الانجليز أنفسهم قيامها سنة ١٨٥٧ باستخدامهم نوعا من الرصاص له فتيل مغموس بالشحم ، وشاع في الاوساط الهندوكية أن القتل مغموس بشحم البقر الذى يقدسونه ، والخنزير الذى يحرمونه فى طعامهم ، وأدى ذلك الى قيامهم بثورة عارمة ارتكب الانجليز خلالها كثيرا من الجرائم الوحشية تجاه الهنود وهو ما أعترف به المؤرخون البريطانيون أنفسهم ، وكان من نتيجة هذه الثورة أن الحق الانجليز الهند ببريطانيا مباشرة دون وساطة الشركة ، وأقر البرلمان البريطانى سنة ١٨٥٨م دستورا جديدا للهند جعل من الملكة فيكتوريا ملكة انجلترا والهند ، وأحدثت وزارة باسم وزارة الهند ، وحمل مجلس الهند محل مجلس رقابة الشركة من القاضية الاستشارية وأصبح لقب حاكم الهند العام هو نائب الملك .

كان أول ما اتجه اليه كينج نائب الملك فى الهند هو تأليف جيش جديد للهند الشمالية غير جيش الشركة الذى كان يتألف من مائة وثمانية وعشرين



الف جندي هلك منهم في الثورة مائة وعشرون ألفا ، وأخذ كنج ينظم هذا الجيش الجديد فاشترط الا يزيد عدد الجنود الهنود في أية فرقة على ثلاثة أضعاف البيض ، الهندي الى ثلاثة جيوش هي : جيش يومباي وجيش مدارس وجيش البنغال وبعد هذه الانجازات انهيت خدمة كنج سنة ١٨٦١ م .

تولى سير جون لورنس John Lorraine مهمة نيابة الملك في الهند وفي عهده أصيبت مقاطعات أرية وشمال مدارس وشرق الهند ووسطها بقحط شديد قضى على نحو مليوني نسمة في الفترة ١٨٦٦ - ١٨٦٩ والغريب أن الانجليز أيضا تعمدوا تجويع مقاطعتي بنديل كهند وراجبوتانه لاذلال سكانهما وصولا الى مغادرة جون لورنس الهند سنة ١٨٦٩ وخلفه لورد ميوه May وكانت السياسة البريطانية تقتضى الاستمرار في سياسة المسالمة والتسامح ، فسار الى نهج سلفه ، في تقوية العلاقات مع جيرانه الافغان حيث دفع مليون روية سنويا لأمير كابول ، وتعهد له باستخدام نفوذ بريطانيا السياسي للضغط على روسيا كي تتنازل لافغانستان عن مقاطعة بنخشان وعدم توسعه نفوذها الى ما وراء نهر جيمون وبذلك ضمن ميوه وقوف افغانستان الى جانب بريطانيا ضد روسيا وبالرغم من اصلاحات ميوه لاقتصاد الهند الا أنه اغتيل سنة ١٨٧٢ حيث عينت الحكومة لورد نورث بروك North brook الذي انصرف الى الاعمال الادارية حتى نهاية خدمته سنة ١٨٧٦ وصولا الى عهد لورد لنن Lytton الذي كان عهد شوم على الهند حيث ساد القحط الشديد في البلاد ، فضلا عن وباء الكوليرا الذي أفتى ملايين البشر ، وكان تفكير لنن يتركز حول بقاء الهند رمزا للامبراطورية البريطانية ، ففكر في الاستيلاء على افغانستان وحجته في ذلك أن الروس استولوا على طاشقند سنة ١٨٦٥ وعلى بخارى سنة ١٨٦٨ وأصبح الطريق مفتوحا أمامهم لدخول افغانستان ومنها الى الهند .

استولى الانجليز على مدينة كوتيه التابعة لأمير بلوچستان سنة ١٨٨٦  
وتقع قريبا من قندهار - المركز الدفاعي للافغان - ثم استولوا جلال آباد  
وقندهار . وقد فرشير على خان حاكم أفغانستان الى بلخ ليستجد بالروس  
فمات هناك ، وصالح الانجليز ابنه يعقوب على أن يتنازل لهم عن وادي  
خيبر ، ووادي بولان وغيرهما من مناطق الحدود ، كما اشترط الانجليز  
قبوله سفيرا بريطانيا ، وان لا تستعين افغانستان بأى دولة خارجية دون استشارة  
بريطانيا وبذلك صارت افغانستان اماره تابعة للتاج البريطانى شأنها شأن امارات  
الهند ، غير أن الافغان تمردوا على ذلك وقتلوا السفير البريطانى مما جعل  
الجيش الانجليزى يستولى على كابول ويخلع اميرها ، واستقال ولتن سنة  
١٨٨٠ م .

جاء لورد رابن Rapin والجيش الانجليزى لايزال مستوليا على الجزء  
الجنوبى من افغانستان حتى كابول ، وقد ارادت بريطانيا تقسيم افغانستان الى  
امارات صغيرة حتى يسهل السيطرة عليها مستقبلا ، غير أنها فشلت فى  
تحقيق ذلك وانسحبت فى مطلع عام ١٨٨١ من افغانستان كلها ، وفى سنة  
١٨٨٥ غادر رين الهند وحل محله لورد دوقزن Dufferin الذى رغب فى  
مقاتله الروس لاقصائهم عن الحدود الافغانية ، ولكنهم بدلا من ذلك اعطوا  
كميات من السلاح والعتاد لعبد الرحمن خان أمير افغانستان ، فقام بتسوية  
الخلافات مع روسيا بالصلح وانتهى الأمر .

فشلت محاولات بريطانيا ضم افغانستان اليها ، وتفاوضوا مع أمير عبد  
الرحمن خان الذى تنازل لهم عن بلوچستان نهائيا - وهى بلاد لم تكن  
تابعة لافغانستان الا اسميا فى حين كانت السيطرة الفعلية للانجليز منذ  
استيلائهم على كوتيه ، وفى عهد لورد لنسون Lindon والفترة التالية  
سيطرت بريطانيا تماما على بلوچستان وقبائلها ، أما لورد ايلجن Elgin الذى

قدم الهند سنة ١٨٩٤ كنياب عام للملك فقد قام بحملات عديدة فاشلة للقضاء على نفوذ قبائل سليمان بهدف بناء مخافر وقلاع فى مرتفعات جبال حير وجبال سليمان وصدته القبائل الافريدية .

خلف لور كرزون Curzon سلفه لورد ايلجن سنة ١٨٩٩ ويعد كرزون من اعظم نواب الملك لانه لجأ الى استخدام الحكمة فى سياسته ، ففصل الجزء الغربى من البنجاب ، الواقع غرب نهر السند ، عن ولاية البنجاب وجعله ولاية مستقلة سماها « ولاية الحدود » ، وفى سنة ١٩٠١ توفى أمير افغانستان عبد الرحمن خان وخلفه ابنه حبيب الله خان حيث عاد الصفاء بينه وبين بريطانيا . غير أن التوسع الروس فى ايران جعل انجلترا تشعر بالفرع حيث كانت انجلترا حريصة على بقاء الخليج العربى تحت سيادتها حتى انها أكرهت سلطان عمان سنة ١٩٠٠م على فسخ المعاهدة التى عقدها مع فرنسا سنة ١٨٥٨م ، وفى سنة ١٩٠٣ أعلنت بريطانيا عدم السماح لاية دولة بدخول الخليج العربى .

خشيت بريطانيا من التوسع الروسى ليس من ناحية ايران فحسب بل من ناحية التبت أيضا لأن أمير التبت - فى فترة كرزون - حاول التخلص من سيطرة الصين ليتقرب من الروس مما ازعج كرزون واجبر أمير التبت على اخضاع سياسته الخارجية لبريطانيا ، وعلى الصعيد الداخلى انتشر الطاعون وعم القحط بلاد الهند فى عهد كرزون ، فضلا عن تدخله السافر فى شئون الامارات الوطنية حتى فاجأ أهل البنغال سنة ١٩٠٥ بقانون يقضى بتقسيم البنغال الى ولايتين ، وقد سبب سوء ادارته تكوين الجمعيات الارهابية التى اغتالت الكثير من سكان البنغال والبنجاب ، وانتهت خدمته سنة ١٩٠٥م .

ثم تعيين لورد منتو Mento الذى يعرف فى التاريخ الهندى باسم منتو الثانى - واصدر سنة ١٩٠٩ قانونا قيد بمقتضاها الاقلام ، وحد من حرية الكلام ،

ودعم اركان مصلحة الشرطة السرية ، ولكن ذلك لم يمنع نفوذ الوطنيين من الازدياد فى الجهاز الحكومى أكثر من ذى قبل وغادر البلاد سنة ١٩١٠ ليخلفه لورد هاردنج Harding للمرة الثانية وقد عمل جاهدة على تهدئة سكان الهند ولكنه فشل لأن الفاعج الانجليزى كان مختلفا تماما عن الفاعج العربى أو المغولى أو الافغانى ، وكان الاسلام جعل منهم قلبا وروحا وشعورا ، وقد شارك الهنود الفاعج الاسلامى فى الحكم والمعيشة ، وكان المسلمون هم المسيطرين على الهند منذ أكثر من عشرة قرون ، وكان الفاعجون من المسلمين لايعتبرون غرباء بعكس الانجليز الذين لم تربطهم بالهند رابطة عنصرية أو قومية أو دينية .

غير أن مسلمى الهند قد أزعجهم تكالب دول الغرب على الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة وحامية الاسلام التى كانت أملمهم الوحيد فى انقاذهم مما هم فيه ، وصولا الى عام ١٩١٦ حيث غادر هاردنج الهند خلال فترة الحرب العالمية مما استدعى وقفه للتفسير . فترة الحرة العالمية مما استدعى وقفه للتفسير .

الحرب العالمية الاولى وما بعدها ( شئون الهند والحركة الاسلامية ) :

إذا كان من السهل ان الهندوس قد قاتلوا المسلمين فى الهند ، فلم يكن سهلا أن يقاتل المسلم الهنودى أخاه فى دولة الخلافة الاسلامية - الدولة العثمانية - خلال الحرب العالمية الاولى حيث أخذت بريطانيا تغدق الوعود للزعماء وتقنع الشعوب الاسلامية المستعمرة ( بفتح الراء ) بأن دولة الخلافة فى خطر ، وأن بريطانيا وحلفاءها يريدون انقاذها من يرثى المانيا ، وتمكنت بريطانيا بالفعل - وبهذه التبريرات - ان تجند مئات الالوف من الهنود المسلمين والهندوس .

عاد الهنود من الحرب وهم عازمون على انتزاع استقلالهم بالقوة أو باللين

من الانجليز الذين كانت كل جهودهم متركزة على اصلاحات سطحية ، وقد زاد اصرار الهنود على تحقيق هدفهم فى الاستقلال عندما انتصر أمان الله خان ملك الافغان على المجتثرا فى الهند ، وخشى الانجليز ان تسود الهند روح العصيان ، ويرى البعض أنهم أوعزوا الى غاندى للدعوة الى المقاومة السلبية ليصرف الناس عن العنف ، غير أن المظاهر العنيفة اجتاحت الهند قد اضطرت الانجليز الى وضع برنامج للاصلاح سنة ١٩١٩ عرف باسم اصلاحات مانتى فرد ( نسبة الى ما تتجوه Fred وجيمس فريد Mantg ) لعل اهمها منح مزيد من المشاركة الشعبية للهنود فى المجلس التشريعى - الاستشارى - الذى انقسم الى فرعين الاول « مجلس المملكة » ويضم ستين عضوا منهم منتخب ومنهم معين ، ويضم الفرع الثانى - المجلس التشريعى مائة وخمسين عضوا بالانتخاب وكانت هذه أول مرة فى تاريخ الهند يمارس فيها الناس حق الانتخاب ، وعلى الصعيد الاقليمى فان أمور التعليم والزراعة صارت ضمن اختصاصات وزراء اقليمين هنود ، كما تم توسيع صلاحيات مجالس الولايات وأصبح أكثر اعضائها بالانتخاب .

قاطع حزب المؤتمر الاصلاحات السابقة لأنها سطحية ولا تمنح الشعب الاستقلال ، واتفق الهندوس والمسلمون على السواء على رفضها ، وفى نفس الوقت قامت حركة اسلامية قوية تدعو الى اعلان الحرب على الانجليز وطردهم بالقوة ، ورأى أصحاب هذا الرأى - وكانوا اقلية - ان خير حل هو الهجرة الى افغانستان لتكون نقطة ارتكاز بشن الغارات على الهند ، ولكن هذا الرأى لم يكن عمليا ، وفى الوقت ذاته ظهرت حركة اسلامية اخرى تدعو الى احياء الخلافة وقد تولى زعامة هذه الحركة كل من محمد على جناح وشوكت على اللذين اسسا بالفعل حزبا اسلاميا هو حزب الخلافة بهدف العمل على استقلال الهند ضمن اطار اسلامى ، غير ان الهندوس كانوا يحبطون كل عمل وطنى اسلامى .

اصدر لورد ريدنج Reading نائب الملك فى الهند سنة ١٩٢١ قوانين صارمة لمعاقبة غير المتعاونين مع الحكومة الذين استجابوا لدعوة غاندى « الساتيا »<sup>(١)</sup> جراها ، حيث استقال كثير من الموظفين وتوقف المحامون عن المرافعات فى المحاكم وترك التلاميذ مدارسهم ، وانقلبت هذه الحركة السلمية الى عصيان مسلح ، ولم يشترك الهنود فى استقبال ولى العرش البريطانى حينما زار الهند سنة ١٩٢٣ الا زعيم القاديانية الذى رحب به ، والقت الحكومة القبض على غاندى فى ١٣ مارس ١٩٢٢ وفرقت بين أعضاء حزب المؤتمر حيث جعلوا فريقا منشقا يؤسس حزبا اسموه « سواراج » أى الحكم الذاتى ، وقد جعلت هذه الأمور المسلمين يتوجسون خيفة من استبداد الهندوس فتوترت العلاقات بين الفريقين .

اجتمع حزب المؤتمر سنة ١٩٢٤ بهدف توحيد صفوفه وازالة الخلافات بين الهندوس والمسلمين ومعارضة حزب سواراج ، ولم تثمر هذه الجهود رغم أن غاندى كان قد أفرج عنه ، ولم تقدم اللجنة الانجليزية التى قدمت الى الهند لدراسة نتائج اصلاحات مانتى - شيثا يذكر ، واعترض محمد على جناح وأصر على ضرورة اصلاح الاوضاع ، وفى سنة ١٩٢٨ عنت الحكومة الانجليزية لجنة جديدة لاصلاح الدستور ، غير أن حزب المؤتمر قد قاطعها ، وعهد حزب المؤتمر لجواهرلال نهرو لوضع سورة دستور للهند والمطلبة بحكومة الدومنيون فى حين قدم الزعيم الهندى المسلم محمد على جناح أربع عشرة مادة تحفظية لحفظ حقوق المسلمين تجاه الدستور المزمع ، وانكر نهرو على المسلمين حقوقهم سواء فى تكوين دولتهم المستقبلية -

---

(١) لمزيد التفصيل حول الساتيا جراها ، راجع : دكتور محمد نصر مهنا مدخل الى النظرية السياسية الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨١ .

باكستان - أو اعتدائه على كشمير المسلمة وحيدر آباد وغيرها من الولايات  
الاسلامية ، وكان متعصبا يكره الاسلام والمسلمين .

بعث غاندى من جديد حركة العصيان المدنى فقبض عليه الانجليز ، وفى  
١٢ نوفمبر ١٩٣٠ انعقد مؤتمر المائدة المستديرة تحت شعار اعطاء الهند  
استقلال داخليا وبحث المؤتمر وضع دستور عام الهند ، واستلزم الامر اطلاق  
سراح غاندى الذى اجتمع بنائب الملك فى ٣١ مارس ١٩٣١ وأجيب  
بعض مطالبه ومنها اطلاق سراح المسجونين السياسيين . وفى سبتمبر ١٩٣١  
عقد فى لندن مؤتمر المائدة المستديرة واشترك غاندى بنفسه فيه ، ولدى تغيير  
الوزارة البريطانية وتولى المحافظين الحكم بدلا من الاحرار فشلت الجهود فى  
التوفيق بين الاراء فعاد غاندى غاضبا الى الهند ، وتم القبض عليه وصادرت  
الحكومة أموال حزب المؤتمر ومكاتبه ، وأصدرت قرارا بتوزيع المقاعد  
التشريعية على الطوائف وتمتع طائفة المنبوذين بحق الانتخاب المستقل  
فخسرهم الهندوس ، ثم تنازلت طائفة المنبوذين بشرط أن ينتخبوا بأنفسهم  
نوابهم من أبناء طائفتهم وتم توقيع اتفاقية بين الهندوس والمنبوذين عرفت  
باسم اتفاقية بونا .

عقدت الجلسة الثانية لمؤتمر المائدة المستديرة فى ١٧ أكتوبر ١٩٣٢  
ونشرت توصياتها فى مارس ١٩٣٣ ، ثم ادخلت عليها تعديلات فى نوفمبر  
١٩٣٤ وعلى ضوء ذلك تم وضع مسودة للدستور الهندى فى ٥ فبراير  
١٩٣٥ ووافق عليها مجلسا العموم واللوردات والملك وتم تنفيذه بعد عامين  
، غير أن حرب المؤتمر رفض تولى المناصب الحكومية ، فنقذت بريطانيا بتود  
الدستور دون مشاركته ، وقد تكون هذا الدستور من ٤٨٧ مادة ومن أهم  
مناص عليه تقسيم الهند الى احدى عشر ولاية هى : آسام ، والبنغال ، بهار ،  
اريسه ، الولايات المتحدة ، الولايات المتوسطة ، مدراس ، بربماى ، السند ،

البنجاب ، ولاية الحدود ، وأن تعد كل ولاية دولة مستقلة تتعرف بأمورها الداخلية وقف مصالحها ، كما نص الدستور على تأليف مجلسين تشريعيين يتألف الأول من ١٥٦ عضوا ممثلين للمناطق ومن ١٠٤ عضوا ممثلين للامارات ، في حين تألف المجلس الثانى من ٢٥٠ عضوا عن البلاد الحكومة ، ١٢٥ عضوا عن الامارات ، ويتمتع المجلسان بصلاحيات سن القوانين ، ولم ينفذ هذا الدستور فى الاحدى عشر ولاية الا فى سنة ١٩٣٧ .

### الحرب العالمية الثانية وما بعدها ( المسلمون واستقلال الهند ) :

ما كادت الحرب العالمية الثانية تنتهى حتى اعلنت بريطانيا رغبتها فى منح الهند الاستقلال التام ، ويرجع البعض اسباب ذلك الى الضغط الامريكى ، لكننا نرجح الآراء التى تقول انه لم يعد بقدرة بريطانيا السيطرة على بلاد كبيرة كالهند التى عزم أهلها على انتزاع استقلالهم من المستعمر بكافة الوسائل كما سبقت الاشارة . وعلى صعيد مسلمى الهند فقد كانوا يشعرون بنوايا الهندوس تجاههم بأن الهند للهندوس وعلى المسلمين الدخول فى الدين الهندوكى أو الرحيل من البلاد ، وكان غاندى ونهرو فى طليعة الناس الذين انكروا على المسلمين حقوقهم المشروعة ، ولما كان حياة مايزيد على مائتى مليون مسلم معرضة للخطر ، فقد ثار حزب الجامعة الاسلامية وطالب تقسيم البلاد ، وبدأت هذه المطالبة تأخذ شكل الثورة التى انتقل شرارها من البغال الى البنجاب الى الحدود الشمالية وازاء هذه الحالة اضطرت بريطانيا الى تغيير سياستها .

تم تعيين لورد مونتباتن Mourit batten نائبا للملك سنة ١٩٤٧ بهدف تنفيذ تقسيم الهند بموجب تصريح عرف باسم « برنامج ٣ يونيو » ، ومع ذلك فقد نهج مونتباتن نهج اسلافه بشأن جعل الهند مستقلة وموحدة واقترح



تقسيمها الى ثلاث مناطق ، الاولى هى المنطقة التى أصبحت الهند فيما بعد ، الثانية هى التى أصبحت اسم باكستان ، والثالثة هى التى أصبحت تسمى بنجلاديش بعد انفصالها عن باكستان ، على أن تكون هذه المناطق الثلاث تحت سلطة مركزية واحدة ، وقد رفض المسلمون ذلك التقسيم لانه لم يضمن لهم حقوق الاقلية فى اطار الاغلبية الهندوكية ، وأوضح المسلمون لنائب الملك مونتابان انهم سيقاتلون حتى الموت اذا ما أعطيت السلطة للاكثية الهندوكية ، وفسر زعماء المسلمين ذلك ان الفكرة الدينية لدى الهنادكة اقوى من الفكرة القومية وبالتالي سيتعرض المسلمون لمزيد من القهر والاضطهاد .

دافع الهنادكة عن وجهة نظرهم بأنهم الاكثية وان آراء الاقلية المسلمة يجب الا تحول دون قيام دولة هندية موحدة تضم البلاد الهندية كلها ، غير أن فكرة المسلمين بشأن التقسيم هى التى سادت فى النهاية ولم يكن التقسيم عادلا للمسلمين اذا أعطى الهند بما فيها مدن كبيرة وتجارة واسعة للهنادكة واعطاهم ايضا نحو سبعين مليون مسلم ، فى حين اعطى التقسيم باكستان الشمال الغربى من الهند وجزءا من البنغال مع عدم وجود أى اتصال بين جزئى الدولة الا عن طريق الجو أو البر من خلال المرور بأرض الهند ، وقسمت منطقة البنجاب الى قسمين اخذ الهنادكة القسم الذى يليهم بما فيه من فقر مدقع وموارد اقتصادية ضئيلة ، ومع ذلك فقد رضى المسلمون بهذا التقسيم بهدف جعل التفاهم وعلاقات الود والجوار مستمرة مع جيرانهم الهنادكة .

اقترح محمد على جناح الزعيم المسلم تعيين مونتابان كحاكم للدرمينيونين - فقد أصبحت الهند دولتين دومنيون - ، غير انه الزعيم المسلم غير رايه بعد أن رأى ميل مونتابان الى الهنادكة وانه بالتالى يستعمل سلطته

فى غير صالح المسلمين ، ويرى البعض ان محمد على جناح لم يفكر قط بانتخاب مونتباتن حاكما على باكستان ، بل أنه اعلن ذلك حتى ياخذ الهنود كحاكم فتخلص باكستان منه بلباقة ، وقد صدقت توقعات محمد على جناح اذا لم تمضى اسابيع قليلة حتى دعت حكومة دلهى مونتباتن لتولى منصب الحاكم ، فخلا الجو لأهل باكستان لانتخاب محمد على جناح حاكما لباكستان .

لم ترض نتائج التقسيم الهنادكة وخاصة المتطرفين منهم - وعلى رأسهم غاندى دنهرو - ققاموا بذبح المسلمين ، وانقض المسلمون فى باكستان كرد فعل على الهنادكة انتقاما لاختوانهم المسلمين ، فذهبت ارواح بريفة من الجانبين بلا مبرر ، وانتهز السيخ الفرصة فكونوا عصابات للاعتداء على القرى المسلمة وانعدم الامن فى البلدين فهاجروا نحو عشرة ملايين مسلم الى باكستان ، وهاجر نحو ستة ملايين هندوكى الى الهند وكانت المحصلة فى غير صالح المسلمين فى الباكستان ، فالمسلمون كانوا فقراء معدمين ، فى حين كان الهنادكة اغنياء وحملوا معهم ثرواتهم واعقب ذلك اضطراب اقتصادى مما جعل الحكومتين تمنعان الهجرة سنة ١٩٤٨ وان تعمل كل منهما فى بلادها على تهدئة الخواطر وتقديم الضمانات لغير ابناء دينها .

وتذكر المصادر أن المسلمين لم يبدأوا الهنادكة بالعدوان بل كان الهنادكة هم البادئين حيث أرغموا المسلمين على الهجرة ، والمسلمون الذين تعودوا فى الماضى على حكم غيرهم من شعوب آسيا لم يتسبر فى عداوة هذه الشعوب وهو ما أشار اليه محمد على جناح أمام المجلس التشريعى قائلا : « انكم سوف ترون ، مع مرور الزمن ، بأن الهنادكة لن يكونوا هنادكة ، والمسلمين لن يكونوا مسلمين ، ولست اقصد بذلك الناحية الدينية لأن

العقيدة شئ شخصي ، وانما أقصد القومية ، واعنى بذلك أن باكستان لن تكون دولة دينية يتولى أمورها علماء دين مهمتهم دينية ، بل ستكون باكستان دولة باكستانية يتولى أمورها باكستانيون ، وعندنا كثير من غير المسلمين وكلهم باكستانيون ، ، وتبع ذلك محاولة المسلمين العيش في صفاء ومودة مع الهنادكة ، وتنازل حزب الجامعة الشعبية الاسلامية في البنغال عن كلمة « اسلامية » لىسمى حزب الجامعة الشعبية فقط ، وذكر أحد الكتاب الاوروبيين انه - باستثناء بعض الشخصيات التى نالت حظوة فى حكومة هندوستان - فان الاكثرية المسلمة التى تعيش تحت حكم الهنادكة هى فى حالة سيئة ، فالهنادكة متعصبون - وغاندى نفسه حث الهنادكة على القضاء على الفوارق بين الهنادكة وأصحاب الديانات الاخرى . وعموما فان الهنادكة لم يرضوا بالتقسيم واستمروا يعملون على تقطيع باكستان ونجحوا فيما بعد فى تقسيمها الى ( باكستان وبنجلاديش ) .

### الامارات الاسلامية :

بالرغم من سيطرة طائفة الهندوس على الهند فترة طويلة - كما سبقت الاشارة - فان هناك ثلاثة امارات وطنية ارتبطت بالعقيدة الاسلامية بشكل أو بآخر - قد ظلت مستقلة تحت سيادة أمرائها الوطنيين ، فلما استقلت الهند فى شكل دومينيون كان يوجد فى الهند ٥٦٥ اماره كان بالامكان أن تبقى هى الاخرى مستقلة ، غير أن القائمين بالأمور قرروا على صفحاتها الى الابد، ودعا مونتباتن - نائب الملك فى الهند - الامراء الى التنازل عن سلطتهم للدومينيون الذى هم فى نطاق حدوده ، وحدد لهم تاريخ ١٥ اغسطس ١٩٤٧ موعدا لهذا التنازل ، ولبى هؤلاء الامراء الدعوة بالتنازل عن عروشهم باستثناء ثلاث امارات ارتبطت بالعقيدة الاسلامية . وكانت أولى هذه الامارات هى جوناكدة حيث اعلن اميرها المسلم انضمامه الى باكستان

على الرغم من ان بلاده تقع فى الهند فخرق بذلك مبدأين : بتجاوزه حدود الدومينيون ، وأن أكثرية هذه الامارة كانت من الهنادكة وطالبت الهند بالامارة وضمتها اليها بالفعل بعد استفتاء سكانها .

أما الامارة الثانية فهي حيدر آباد والتي كانت فيما مضى امبراطورية يتبعها العديد من الامراء ويزيد سكانها على العشرين مليون نسمة كما تزيد مساحتها على مليون كيلو متر مربع <sup>(١)</sup> ، وكان أميرها يلقب بصاحب السمو العالى ، وآخر أمرائها أمير عثمان على خان ، وكان رجلا زاهدا بسيطا ، وعلى الرغم من أكثرية سكانها كانوا من الهنادكة فقد تمكن من نشر العدل وتأمين الناس جميعا على ارواحهم واموالهم واعراضهم ، واحبه الهنادكة كما احبه المسلمون ، وقد جرت العادة فى الامارات الهندية ان يكون رئيس الوزراء مسلما اذا كان الامير هندوكيا ، وأن يكون هندوكيا اذا كان الامير مسلما ، ولم يشعر الهنادكة بهذه الامارة بأى سوء معاملة من الحكم الاسلامى وامتازت حيدر اباد عن غيرها من بلاد الهند بأن لغتها الرسمية كانت اللغة الاردية وليست الانجليزية ، ولم يكن فى وسع حكومة الهند أو الحكومة البريطانية على السواء ان تعامل امارة حيدر اباد معاملة الامارات الاخريات وتعرض عليها التنازل ، بل رأت معاملتها معاملة خاصة حتى تنتزع منها هذا التنازل . والذى حدث هو أن امارة كشمير - وهى دون حيدر اباد من حيث الاهمية وعدد السكان - كانت لانزال موضع مفاوضات ولم يرد اميرها ان يتنازل عن عرشه - فكان من حق حيدر آباد أن يكون أميرها أكثر حرصا على امارته ، كذلك فقد خشى مسلمو حيدر اباد وهم اقلية - ان يؤدى استسلام الامير الى انقضاء الهنادكة عليهم لانفائهم أو ردهم عن دينهم ، وبالرغم من أن السلطة الشرعية كانت ممثلة فى الامير

---

(١) اى - يزيد على مساحة فرنسا وايطاليا وبلجيكا وسويسرا مجتمعة .

الا أنه - من ناحية - لم يعد قادرا على مخالفة آراء مسلمي البلاد ، ومن ناحية ثانية كان عليه أن يسعى لحفظ كيان امارته ، غير أن حكومة دلهي رفضت قبول أى تأخير بضم الامارة الى الدومنيون وأرغمت بشكل أو بآخر أمير حيدر آباد على المرافقة على منع زعيم الحركة الاسلامية هناك من القيام بمظاهرات شعبية واعادة تأليف حكومة تمثل الطائفتين المسلمة والهندوكية وكذلك المجلس الدستوري المنتخب ، وهكذا طويت صفحة هذه الامارة التي يعود نسب أمرائها الى العرب ، وهم أمراء هذه البلاد منذ عهد الامبراطورية المغولية .

أما الامارة الاخيرة فكانت اماره كشمير ، وبالرغم انها تسببت فيما بعد فى الحرب بين الهند وباكستان - على نحو ما سيرد ذكره تفصيلا - الا أن هذه الامارة تعتبر من الناحية الجيوبوليتيكية امتداد حيويا وحدودها الطبيعية تدخل مع باكستان وثمانين فى المائة من سكانها مسلمون ، فى حين أن أميرها هندوكى ورئيس وزرائه مسلم غير انه اشترك مع نهرو - وهو من كشمير أصلا - فى جعل هذه الامارة خارج باكستان حيث كان يعز على نهرو أن تقع مسقط رأسه فى يد دولة مسلمة ، ونظرا لكونها تقع على حدود كل من الهند وباكستان فقد كانت مخيرة بالانضمام الى إحدى الدولتين ، وأعلن الامير انضمامه الى الهند ورفضت الهند طلب باكستان اجراء استفتاء فى كشمير ورفضت القضية وانتهت بالحرب واستيلاء الهند عليها عنوة على نحو ما يتم التعرض تفصيلا فى موضع لاحق من الدراسة .

## تطور الجهود السياسية لمسلمى الهند :

سبقت الاشارة الى عرض موجز لتاريخ الهند الحديث والمعاصر بشعوبها المختلفة الاديان وصولا الى تكوين دولة باكستان الاسلامية سنة ١٩٤٧ ، والواقع أن المسلمين الهنود قد مروا بمراحل كفاح فى سبيل التمسك بالعقيدة الاسلامية ، ويرجع ذلك فى تطور الجهود السياسية لهم وينسب الفضل لزعماء مسلمين هنود كانوا بمثابة حافز مشجع لهم المسلمين هناك ، فبعد ان قضت بريطانيا على الامبراطورية المغولية سنة ١٨٥٧ ، واجه المسلمون الهنود مؤامرات مافرة للقضاء على العقيدة الاسلامية فى نفوسهم .

راى الهنادكة أن الاسلام يغزوهم ببساطته وعمق تعاليمه وصلاحيته لكل زمان ومكان ، فى حين أن دينهم يحرسه ٣٣ مليون اله ، وعلى الصعيد السياسى فقد وجدوا فى الانجليز اصدقاء مخلصين ، فى حين وجد فيهم الانجليز اعوانا ناقمين ، فتعاون الفريقان للكيد بالمسلمين الذين ساءت احوالهم الاقتصادية والاجتماعية ، والمسلمون انفسهم ساروا فـس الطريق الخطأ معتمدين على العواطف الجياشة دون قيادة سياسية توجههم وكانت المحصلة هى أبعادهم عن مراكز الدولة فأصبح الهنادكة حكام البلاد مع الانجليز .

تهيأت الظروف للمسلمين من خلال الزعامة السياسية لسيد أحمد خان الذى أدرك ضرورة تحسين العلاقات مع الانجليز فكتب سنة ١٨٥٨ موضحا ان الثورة الهندية ليست ثورة دينية بل ثورة قومية ، وان الهنادكة والمسلمين قد اشتركوا فيها ... وان الحكومة فى واد والشعب فى واد آخر . وبالرغم من ضعف آثار هذه الاقوال وضآلتها لفترة من الزمن ، الا أن أكثر كتاب الانجليز كانوا متعاطفين مع الهنادكة ضد المسلمين الذين اعتبروهم اشدا عداء

الانجليز ، وازاء ذلك نشر سيد أحمد خان سلسلة من المقالات يدافع فيها عن المسلمين وسياستهم ، وانهم اقرب الى المسيحيين لأنهم اهل كتاب ، وقد اثمرت هذه المقالات فى ردود افعالها حيث اخذ الانجليز يتفهمون روح الاسلام والمسلمين كما ادرك فريق من المسلمين أهمية تعلم اللغة الانجليزية .

أسس سيد أحمد خان سنة ١٨٦٣ جمعية لترجمة الكتب الانجليزية التى تبحث فى النهضة العلمية الغربية غير أن الجمعية كانت وسيلة لتبادل الاراء بين الهنود بما فيهم المسلمين والانجليز ، وقد درس سيدخان برامج التعليم فى إنجلترا فى الفترة ١٨٦٨-١٩٧٠ ولما عاد الى الهند كون لجنة لبحث تأخر المسلمين من الناحية العلمية ومهد لذلك لانشاء جامعة عليكرة وكان اسمها « الكلية الشرقية الانجليزية المحمدية » التى أصبحت بمثابة مصنع الزعامات الاسلامية فى شبه الجزيرة الهندية الباكستانية .

خلال الفترة التى كان أحمد خان يتابع جهودها ، تأسست فى البنغال سنة ١٨٦٣م جمعية كلكتا الادبية المحمدية برئاسة نواب عبد اللطيف وكانت تضم مسلمين وهنادكة وانجليز ، واعتبرت الحكومة الانجليزية هذه الجمعية ممثلة لمفكرين المسلمين فى البنغال واستأنست بأراء اعضائها فى مناسبات عديدة بشأن ماتسته من قوانين متعلقة بالمسلمين . وفى سنة ١٨٧٧ تم تأسيس الجمعية المركزية الوطنية المحمدية بهدف جعل الحكومة تعترف بمطالب المسلمين ، وخلال بضع سنوات استطاعت هذه الجمعية ان تؤسس لها فروعاً وتنشئ مراكز اسلامية وضمت فى عضويتها الطبقة الرفيعة والطبقة الوسطى لاعطائها قوة بهدف تدعيم التضامن الاسلامى وكانت هذه الجمعية أول هيئة سياسية تمثل المسلمين فى كل البلاد الهندية وتبنت مطالب المسلمين فى مذكرة قدمتها الى نائب الملك فى الهند بشأن الشكوى من

عدم تمثيلهم تمثيلا كافيا فى وظائف الحكومة كما تعرضت للأوضاع  
القضائية والاجتماعية والسياسية والدينية وظلت هذه الجمعية تمارس نشاطها  
حتى سنة ١٨٨٥.

اعتمد الهنادكة على حسن صلاتهم بالانجليز ولم يعنوا بتنظيماتهم  
السياسية فى حين سبقهم المسلمون فى هذا الميدان ، وحث مسئولون  
بريطانيون الهنادكة على تأليف حزب سياسى بهدف الوقوف فى وجه  
الحركات الاسلامية ولكى يكون عونا للانجليز على تثبيت سيطرتهم على  
الهند ، واستقطب هذا الحزب السكان من هنادكة ومسلمين ، وكان  
انضمام المسلمين يأتى من مفهوم مفادة التفرقة بين الدين والوطن ، غير ان  
الهنادكة كانوا يريدون البلاد لهم وحدهم وهرروا ذلك بأن المسلمين اقلية ،  
فلما رأى المسلمون هذا التعصب من جانب الهنادكة وانه لن يجدى أى  
تفاهم معهم فقد انسحبوا من الحزب ، وفى حين أوهم زعماء الهنادكة رأى  
العام خارج الهند بأن المسلمين هم المتعاونون مع الانجليز .

على الرغم من محاولات المسلمين اقناع الانجليز بقبولهم التعايش  
السلمى مع الهنادكة الا أن الانجليز انفسهم ساروا فى تنفيذ سياستهم تجاه  
تضييق الخناق على المسلمين فى تجارتهم وحرمانهم من وظائف الدولة ، ومع  
ذلك فقد عملت الجمعيات الاسلامية جاهدة من أجل مصالح المسلمين ،  
والخطأ الذى وقع فيه زعمائهم هو أن عولوا على دولة الخلافة لانقاذهم  
والتي كانت تنقسم من الداخل ، وتناثرت اقاليمها ، مما كان له أثر سىء  
على مسلمى الهند الذين أسسوا جمعية باسم « جمعية خدام الكعبة »  
بههدف السعى لبقاء اراضى الامبراطورية سالمة من كل اعتداء حتى تبقى  
البلاد المقدسة فى حماية الدولة ، ومع ذلك فقد استمرت السياسة البريطانية  
تجاه مسلمى الهند بدون تغيير يذكر فمن ناحية وضعت العقوبات امام توسع



جامعة عليكرة ومن ناحية أخرى فقد قامت بلدية كانبور في يوليو ١٩١٣ بهدم جزء من المسجد الجامع بحجة توسيع الطريق وعند احتجاج سكانها فقد فتحت عليهم الشرطة النيران وقتلت الكثيرين .

وينشوب الحرب العالمية الأولى كان على الانجليز ان يتحملوا أهل الهند عامة والمسلمين منهم على وجه الخصوص لمحاربة دولة الخلافة ، وتوالى التصريحات من هربوت اسكويث رئيس الوزراء ومن بعده لويد جورج بشأن تطبيق الحكم الذاتى لهم ، غير أن مسلمى الهند الذين كان اخلاصهم للدولة الخلافة ظاهرا سرعان ما تضاربت تصريحات زعمائهم ونداءاتهم ومنها ما يدعو الى الاخلاص للانجليز فى حين كتب محمد على جناح بحث تركيا على الانضمام لمانيا بشرط أن يظل المسلمون مخلصين لانجلترا ومع ذلك فقد ألقت السلطات الانجليزية القبض على الزعيمين الاخوين محمد على وشوكت على .

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى وتقطيع أوصل الدولة العثمانية ، فقد خشى مسلمو الهند على الاماكن المقدسة فى الحجاز من سقوطها فى ايدى اعداء المسلمين فانشأوا حركة للدفاع عن الخلافة اطلقوا عليها حزب الخلافة ، وعقد فى ديسمبر ١٩١٩ مؤتمر لبحث قضية الخلافة برئاسة شوكت على ، وفى يناير ١٩٢٠ طلب وفد من مسلمى الهند نائب الملك هناك من احترام مركز الخلافة ، وبالمثل توجه وفد مماثل الى أوروبا لنفس الهدف ، والقى محمد على محاضرة فى لندن فى ٢٣ مارس ١٩٢٠ قال فيها : « انه لا يمكن تقطيع تركيا اجزاء كما فعل بالمانيا والنمسا ، لأنكم فى اليوم الذى تمزقون فيه شمل امبراطورية الخلافة فانكم تسيئون الى شعور سبعين مليون من قومكم » . وتلى ذلك حملة واسعة قام بها مسلمو الهند ضد تقسيم الدولة العثمانية الذى تم بالفعل فى مؤتمر سيفر حيث لم يبق منها سوى

تركيا الحالية وهى عبارة عن بضع ولايات من ولايات الدولة العثمانية الكثيرة ، وكان رد الفعل حدوث مزيد من الاضطرابات مما جعل السلطات تلقى القبض لاول مرة على الهنادكة والمسلمين والذين توحدت قيادتهم فى شخص غاندى كزعيم للهند كلها وصولا الى الغاء الخلافة الاسلامية كلية على يد كمال اتاتورك سنة ١٩٢٤ .

عكس انتصار بريطانيا فى الحرب العالمية الاولى نتائجه فى شعور مسلمى الهند من عدم جدوى الثورة ، فرحل فى اغسطس ١٩٢١ نحو ثمانية عشر الف مسلم الى افغانستان وكان أكثرهم من السند ، لكنهم اعيدوا من حيث اتوا حيث منعتهم السلطات الافغانية ، ومن ناحية اخرى عانى المسلمون - على نحو ما سوف يأتى تفصيله - من حركة سياسية هندوكية عنيفة تجاههم تمثلت فى محاولات القضاء التام على المسلمين والاسلام فى شبه القارة الهندية الباكستانية ، باتباع وسائل معلنه فى مكافحة الدين الاسلامى والعمل على ارتداد المسلمين وانشاء دولة هندوكية والاستيلاء على افغانستان وادخال اهلها فى الهندوكية وان على مسلمى الهند أن يتسموا باسماء هندوكية ويحتفلوا باعياد الهند ويلبسوا اللباس الهندوكى وبايجاز تام الا يدعوا أنفسهم مسلمين وصولا الى ما قام به غاندى نفسه على نحو ما سيأتى تفصيله عند التحدث عن باكستان فى الفصل التالى .

## الفصل الثاني

### باكستان

- الفتوحات الاسلامية الاولى .
- فترة الدعوة الثانية .
- بروز محمد على جناح ودوره .
- الحرب العالمية الثانية وما بعدها .



كانت أولى الحملات الاسلامية التى قام بها العرب على سواحل الهند والسند عن طريق البحر فى سنة ١٥هـ خلال عهد الخليفة عمر بن الخطاب حيث أخبر عثمان بن العاص قائد هذه الحملة - أخير الخليفة عمر بنجاحه ، غير أنه لم يكن يجذ المخاطرة بأرواح المسلمين فى بلاد بعيدة كالهند والسند دون اتخاذ استعدادات كافية - وفى سنة ١٧هـ وافق عمر بن الخطاب على فتح بلاد السند من خلال حملة برية عن طريق بلاد فارس وخلال السنوات التالية كان العرب قد اتموا فتوحاتهم لاقليم كرمان ببلاد فارس ، وأقليم مكران ببلاد السند وصولا الى سنة ٢٣هـ حيث وصل القائد العربى الحكيم بن عمرو التغلبى الى بلاد السند - باكستان حاليا - ليفتح أهم ثغر فيها ، وواصل جيش المسلمين فتوحاته حتى بلغ نهر السند ، ومع ذلك لم يقتنع الخليفة عمر بن الخطاب بفتح بقية أجزاء بلاد السند لحرصه على ايراد جيش المسلمين بالمقارنة بكثرة سكان تلك البلاد الواسعة.

ولما تولى الخليفة عثمان بن عفان فى سنة ٢٤هـ سأل عن أحوال تلك البلاد فأجابه ( حكيم بن جبلة العبدى ) قائلا : « يأمر المؤمنين قد عرفتها وتحررتها » ، فقال الخليفة عثمان : « صفها لى » فقال العبدى .. « ماؤها وشل ، وثمرها نفل ، ولصها بطل ، أن قل الجيش فيها ضاعوا ، وأن كثروا جاعوا .. » ، فلم يوافق الخليفة عثمان على غزو عاصمة السند لأن الوقت لم يكن مناسباً ، وفى سنة ٣٩هـ نجح الحارث بن مرة العبدى فى فتح بعض المدن القريبة لنشر الاسلام وذلك خلال عهد الخليفة على بن ابن طالب حيث تم بناء الكثير من المساجد والمدارس لنشر الاسلام .

سبقت الاشارة ان الجاليات العربية التى كانت تقيم فى السواحل الجنوبية ببلاد الهند قد دخلت الاسلام مند بداية القرن الاول للهجرة ، وكانت

تعيش وتعمل فى رعاية الحكومات المحلية الهندية وتتمتع بالحرية الدينية والاحترام والرفاهية ، أما فيما يتعلق ببلاد السند والبنجاب « باكستان حاليا » فان المصادر التاريخية لاتذكر بان مثل تلك الحالة كانت موجودة فى السواحل السندية ، ويعزى ذلك الى عدم ترحيب الحكام المحليين فى هذه المناطق السندية بالعرب مراعاة لمصالحهم الخاطئة رغم أن الدولة العربية الاسلامية قد اتسعت كثيرا منذ منتصف القرن الاول الهجرى حتى اخذت تقترب من حدود بلاد السند ، وكادت تحيطها من كل جانب ، ولذلك كان حكام بلاد السند يخشون سياسيا على مصالحهم الشخصية والوطنية ، وبالتالي فقد قاوموا اقامة العرب على السواحل السندية حتى لا يصبح لهم نفوذ فى تلك المناطق .

وعلى الجانب العربى فان العرب انفسهم كانوا يفضلون مجرد المرور بمرأى السواحل السندية مثل ميناء الديبل ، وميناء تيز ولم يرغبوا فى الاقامة فى تلك السواحل لوجود القراصنة من اهل السند وعدم سيطرة الحكام عليهم ، فضلا عن وجود الاخطار فى الطرق التجارية داخل بلاد السند والبنجاب بسبب اقامة بعض القبائل السندية الخطيرة مثل قبيلتى الزط والميد ، وكانت هاتان القبيلتان تهاجمان القوافل التجارية وتنهب اموالها ، بالاضافة الى رداءة المناخ الصحراوى وقلة المياه وكثرة الهضاب والجبال ببلاد السند ، وكانت تلك الاسباب هى التى لم تشجع العرب على ركوب المخاطر والمغامرات والقضاء الارواح الى التهلكة فى سبيل التجارة وهو ما يفسر عدم وجود جاليات عربية فى تلك السواحل أو الولايات السندية قبل الفتح العربى .

ومع ذلك فقد فتح العرب واحدة من اكبر واهم مناطق بلاد السند الواسعة وهى اقليم مكران منذ القرن الاول للهجرة وصولا الى الوالى الامرى الذى

حكمها بصفة رسمية من قبل الخلافة الاموية منذ خلافة معاوية بن ابي سفيان الى سنة ٩٢ هـ التى تم فيها فتح العرب لبلاد السند . وقد أثر العرب فى سكان اقليم مكران تأثيرا كبيرا شمل النواحي الفكرية والمذهبية . ولم يكن من السهل أن يتغلغل العرب المسلمون الى داخل بلاد السند فى اوائل القرن الاول للهجرة ومع ذلك فان اهل السند لم يكونوا خائفين من السفر بالبحر بعكس الهنود فى جنوب الهند ، بل ان اعدادا من سكان السند قد اقاموا فى الدول العربية ذاتها ، مثال ذلك انه فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب حين فتح العرب بلاد فارس ، فقد انضم عدد كبير من افراد قبيلة الزط السندية الى الجيش العربى ، واعلنوا اسلامهم بعد ان قرروا الانفصال عن الجيش الايرانى ، ونقلوا جميعا الى العراق ، وسكنوا بعض المناطق بين مدينة البصرة ومدينة واسط - كما سبقت الاشارة - وازداد عددهم فيما بعد .

شجع الخليفة على بن ابي طالب بعضا من سكان السند على تولي وظائف فى مصارف البصرة لمهارتهم فى الاعمال المصرفية والحسابات ، وتجدر الاشارة ان عددا من حراس الخليفة عثمان بن عفان كانوا من افراد قبيلة الزط الذين دافعوا عنه يوم استشهاده حتى قتلوا جميعا على يابه ، وحتى فى الفترة السابقة على الفتح الاسلامى لبلاد السند ، فقد سبقت الاشارة ان نفوس اهل السند كانت مستعدة لقبول الاسلام وخاصة بعد أن مهد لذلك الرحالة السنديون المقيمون فى البلاد العربية .

واذا ماعدنا لشرح الاسباب التى دعت الى عدم اهتمام العرب أو رغبتهم فى اقامة والتجارة فى سواحل السند كان من أهمها وجود القراصنة الاقوياء ضد سلطة الدولة ومهاجمتهم السفن التجارية العربية المارة بميناء الديبل ببلاد

السند فى طريقها من الموانىء العربية الى الموانىء الهندية ثم موانىء البنغال وموانىء الصين ، وكانت هذه الهجمات للقراصنة كثيرا ما تتكرر ، ولذلك كانت السفن العربية التجارية نادرا ما تقف فى ميناء الديبل .

وكانت الدولة الاموية تشكو دائما الى الحكومة السندية من القراصنة الذين يعتدون على السفن التجارية العربية فى المحيط الهندى ، ونجح العرب فى فتح بلاد السند بقيادة القائد العربى محمد بن القاسم الثقفى سنة ٩٢ هـ ، ثم وجه الدعوة الى الامراء والحكام والوزراء والاعيان وعامة الشعب للدخول فى الاسلام ، وقد نجح فى ادخال جماعات كبيرة من اهل بلاد السند ولاسيما البوذيين منهم فى الاسلام ، وذلك عن عقيدة راسخة لأنهم وجدوا فى الاسلام وفى أعمال العرب ما قربهم الى هذا الدين الحنيف وقارن هؤلاء البوذيون تعاليم الاسلام بتعاليم دينهم القديم فى النواحي الاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية ، مما شجعهم على قبول الاسلام من تلقاء أنفسهم .

عاشت أغلبية الشعب السندى فى المدن والاقاليم الواسعة مثل الديبل والنيرون وسيوستان وراور وغيرها ، ولم يقم الذين اعتنقوا الاسلام منهم بحركات معادية ضد العرب الفاتحين الا فى حالات قليلة سواء أولئك الذين دخلوا الاسلام فى عهد محمد بن القاسم أو فى العهود التالية للولاة العرب وخاصة البوذيون الذين رحبوا بالعرب ، وساعدهم فى القضاء على سلطة البراهمة ، وكانت اغلبية الشعب السندى من البوذيين رغم كون الحكومة من البراهمة خلال فترة الفتح العربى ، ويفسر هذا فى نظر بعض



المؤرخين<sup>(١)</sup> المحدثين بأن أغلبية الشعب السندى قد دخلوا الاسلام فى عهد العرب الذى استمر أكثر من ثلاثة قرون من الزمن ، وقد حدث شىء شبيه بهذا من قبل حين تقرب البوذىون من العرب المسلمين ببلاد فارس وتركستان وأفغانستان ودخلوا الاسلام فى سنوات قليلة بعد فتح تلك البلاد مباشرة ، مما شجع سكان بلاد السند البوذيين فيما بعد على مثل الاسلام والاندماج فى العرب ، وتأسيسا على ذلك يمكن القول بأنه كان من الصعب استمرار العرب فى الحكم لقرون عديدة لولا كون البوذيين هم أغلبية الشعب السندى حيث الظروف البيئية المتغيرة سياسيا واجتماعيا وقبليا<sup>(٢)</sup> .

ومن الأرجح أن الديانة البوذية فى عهد العرب قد مرت بمرحلة دقيقة حتى أن علماءها نظروا الى عقيدتهم بارتياح نظرا لعوامل سياسية ونفسية واجتماعية ، واخذت الديانة البوذية تضمحل بالتدريج نتيجة لاضطهاد البراهمة للبوذيين ، فى حين أن الاغلبية من البوذيين الذين كانوا يقيمون فى مناطق الحكم العرب قد دخلوا الاسلام لاقتناعهم بتعاليمه وللخلاص من

---

(١) دكتور عبد اله مبشر الطرازى ، موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، الجزء الاول

ص ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٥١ .

(١) لا تعرف الديانة البرهمنية بالتحديد في العقيدة ولا المذهب ولا القانون ولا العادات ، ولكثرة الاختلافات في طرق العبادة وكثرة عدد المعبودين من الاصنام فلا يوجد طريق واضح مستقيم يرضى به جميع اتباع هذا الدين ، وتشارك الفرق البرهمنية المختلفة في فكرة التناسخ والحلول ، ووضع البراهمة نظام الطبقات لتوزيع الاعمال على الناس واخذت الفواصل الاجتماعية تسع بالتدرج بين الناس واخذت الفواصل الاجتماعية تسع بالتدرج بين الناس وهي : طبقة الكهان وهم الاهلى درجة ، ثم الطبقة الحاكمة والحاربة وهم المسئولون عسكريا وامينا ثم طبقة التجار والزراع والصناع الذين يوفرن وسائل المعيشة ثم السكان الاصليون وهم أسفل الطبقات وأحقهم ويخدمون الطبقات الثلاثة ، والهدف من نظام الطبقات الجائر هذا هو خوف البراهمة من اختلاط بنى قومهم « الآرين » بناصر الهند والسند « للنبوفين » من وجهة نظرهم والذين يجب بقاؤهم في قعر وجهل وحرمان حتى يضمن البراهمة استمرار حكمهم للبلاد (\*) راجع :

Dunbv, G.A : Histozy of India from the earliest times to the present day London 1943 - Vd. I. pp. 14 - 16 .

أما البوذية فهي إحدى الديانات القديمة المعروفة التي ظهرت في بلاد الهند وبلاد السند قبل أكثر من خمسمائة سنة قبل الميلاد ، ثم انتقلت الى البلاد المجاورة كميلاان وبورما حتى أصبحت هذه البلاد هي المواطن الحقيقي لازدهار البوذية في الوقت الحاضر بعد أن تضائل شأنها في منبعها الاصلى ببلاد الهند ، ويقدر معتنوها بنحو خمسمائة مليون نسمة وقد ولد بوذا مؤسس الديانة البوذية في سنة ٥٥٧ ق . م من أسرة غنية ولفت نظره التفاوت الاجتماعي بين طبقات مجتمعه وكان يلزم شجرة يجلس تحتها ويفكر ، وقد صارت هذه الشجرة ذات مكانة مقدسة ، بوذا سابق على عيسى عليه السلام بأكثر من خمسمائة سنة وقد تسربت البوذية الى اوروبا من الهند بعد غزو الاسكندر الاكبر لبلاد الهند والسند في سنة ٣٢٧ ق . م . وتوجد أوجه تشابه - كما يقول جوستاف لوبون - بين حياة بوذا وبعض أقاصيص الانجيل بشأن عيسى ، فالبوذية تدعو الى أن يكظم الانسان غضبه ويعفو ، ويزيل الشر والكراهية بالحب ، وابتدع البوذيون الرهبانية وارندى رجالها زيا خاصا بهم ، وحملوا المسايح واعتكفوا بالاديرة .

لم تبحث البوذية في أمر الاله مثل البرهمية ، فالهدف الاول لبوذا هو تطهير النفس من شهواتها ، تخليتها بالاخلاق في معاملاتها مع الناس ، وتنظيم الامور الاجتماعية والقضاء على نظام الطبقات ، ولم تحتفل البوذية الاصلية بالطقوس التي سادت فيما بعد بشأن الاغتسال في = =

## فترة الدعوة الثانية :

انتشر الاسلام أكثر فى فترة الدعوة الثانية وهى دعوة الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز الاموى ، واستجابة لهذه الجهود فقد اعتنق الاسلام عدد كبير من الامراء والحكام فى بلاد السند وخارجها ، وكان معظمهم من البوذية والاقلية من البرهمية ومن بينهم الامير جيسيه بن داهر ولى عهد بلاد السند الذى كان يحكم منطقة برهمنا باد التى خرجت من أيدي العرب منذ الاضطرابات السياسية التى قامت بعد مقتل القائد محمد بن القاسم بالعراق سنة ٩٦ هـ ، وقد تبع اغلب شعب السند حاكمه فى دخول الاسلام سواء كان أفراد هذا الشعب من البوذيين أو البراهمة .

وفى سنة ١٥٨ هـ حين تولى الخلافة المهدي العباسى جاءت الدعوة الثالثة للإسلام ، وكتب رسائل رقيقة الى كثير من حكام وملوك وأمراء العالم ، وبعث اليهم وفوده من العلماء ليدعوهم الى الاسلام ، وكان من

---

== الانهار المقدسة وتقليد الرهبان فى خلق الرموس ، وتذكر البوذية وجود خالق للعالم ، وأن الموجودات كلها ليست سوى وهما ، وظواهر فانية ، وأن الحديث عن الكون والروح ماهر الاسطورة وخرافة ، واتكر بوذا القضاء والقدر ، وقال بأن مصير كل حى منوط بسلوكه الذى قد يفوقه الى السعادة أو الى الشقاء ، فلا يوجد الاخرة ، ولا الجنة ولا النعيم ولا الجحيم والحميم ، واتكر بوذا فكرة التناسخ والحلول وأن القوانين والادعية ماهى الا من ابتكار الكهنوت . كانت البوذية فى أول امرها مذهباً خلقياً هدفه تركية النفس وتحررها من الشهوات ، ومذهب اجتماعى يدعو للحب والتسامح والعمل للتخفيف من الام الانسان والى المساواة والعدل بين الناس جميعا .

وقد ظهرت البوذية فى الوقت الذى كان الناس يعيشون تحت ظلم الديانة البرهمية التى قسمت الناس الى طبقات غير عادلة فى بلاد الهند والسند ، فلما جاء العرب المسلمون فقد ساندتهم البوذيين ورحبوا بهم حتى تزول الدولة البرهمية ويتخلص البوذيون من ظلمها .

نمار هذه الجهود أن لبي خمسة عشر ملكا وأميرا<sup>(١)</sup> من بلاد السند وعلى حدود بلاد الهند ودخلوا الاسلام الذى أخذ ينتشر وتتسع دائرته بعد أن ساءت العلاقات الطيبة بين العرب المسلمين واهالى السند غير المسلمين وكذلك بسبب حفلات التزاوج بين العرب وأهل السند . وتذكر المصادر<sup>(٢)</sup> ان ملكا هنديا برهمى المذهب لم يشعر بالارتياح والاطمئنان لمذهبه قد دخل الاسلام وكانت مملكته تقع فى البنجاب على الحدود مع بلاد الهند ولم يكن يتبع حكومة العرب فى الملتان السابق الاشارة اليها .

وفى سنة ٣٧٠هـ طلب ملك سندی مجاور لمدينة المنصورية عاصمة الدولة العربية الهبارية من أميرها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الهبارى أن يعث إليه بتعاليم الاسلام ، ثم أعلن الملك اسلامه ، والامثلة السابقة وغيرها كثيرة توضح رغبة حكام السند والملتان والبنجاب دخول الدين الاسلامى .

وقد زاد انتشار الاسلام فى مناطق السند والبنجاب الواسعة ( باكستان حاليا) بسبب عملية المزج بين العرب والسكان السنديين والبنجابيين التى نتجت من الاختلاط فى السكنى والعمل والابناء العرب الذين كانوا يأتون الى الوجود عن طريق الاماء وكانوا كثيرى العدد يتبعون آباءهم فى الدين الاسلامى ، وهم من تطلق عليهم المصادر الجيل الثانى لعهد الفتح ، ثم اشترك الجميع عربا وأهل السند والبنجاب فى الحركة الاقتصادية والاجتماعية .

وتجدر الاشارة الى جهود محمد بن القاسم الذى خلال ثلاث سنوات

---

(١) اليمقوبى ، تاريخ اليمقوبى ، الجزء الثانى ص ٤٧٩

(٢) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤٤٥ - ٤٤٧

سنوات متتالية لفتح الاقاليم الشاسعة من بلاد السند أنه كان يهتم باقامة المساجد فى كل مدينة كبيرة يفتحها ويسكنها عدد كبير من العرب ، وقام بتعيين الائمة والعلماء والقضاة لآداء الفرائض الدينية وشعائرها ، وهو مايدل على اهتمامه الشديد بالامور الدينية رغم العقبات التى واجهته مثل سوء المناخ ، وقلة المواد الغذائية ، ومخاطر القبائل السندية مثل الزط والميد ، غير أن ذلك لم يقلل من عزيمته ، بل أن عدد المسلمين قد زاد حين دخل الاسلام قوم « جنة » أيضا بأكملهم ، ويعتبر قوم جنة <sup>(١)</sup> أول جماعة كبيرة من البوذيين يدخلون الاسلام فى بلاد السند .

اقام الولاة العزب فى العصر الاموى مساجد كثيرة من المدن المختلفة ولاسيما المدن التى أنشأها العرب أنفسهم ، وكذلك الحال فى العصر العباسى الاول سواء بالنسبة للمساجد أو العلماء العرب الذين زادت اعدادهم ، كما ظهر علماء مسلمون من أهل السند فى المنصورة والديبل والمثلثان وانعكس ذلك عل تعميم تدريس العلوم الاسلامية كالفقه وحديث والتفسير وكذلك اللغة العربية ، ومع استمرار الحكم العربى حتى سنة ٤١٦هـ فى بلاد السند كان للمساجد دورها فى ميدان التبليغ للاسلام لكونها مراكز دينية اسلامية ، وقامت هذه المساجد بتخريج مئات من علماء

---

(١) وهم يلمنون بالدين الجينى أحد الديانات المنتشرة فى بلاد السند والهند قديما ، والجينيون يعتبرون دينهم دينا مستقلا بذاته كالبوذية ولايعترفون بالبرهمية ، غير أن بعض المؤرخين يعتبرون الجينية مشتقة من البرهمية الهندوسية ، ومؤسس الجينية هو « مها ديوا » الذى ولد سنة ٥٩٩م وهم يتخذون الاصنام للعبادة فى معادهم والجينية تعنى عقيدة قهر النفس وان على المرء أن يتخلص من الحياة ولعنتها بنعمة الانتحار البطيء جوعا ليبلغ سر الوجود ، وطريق الخلاص يعنى أيضا الامتناع عن ايلناء أى كائن حى ، ولاتعترف الجينية بمسألة تعدد الولادة التى يقول بها البراهمة نتيجة لفكرة التجانس ، وان الانسان يستطيع أن يتحرر من دورة الولادة بتعطيل حياته بالانتحار حتى سميت بالانتحارية .

السند الذين شاركوا أخوانهم العلماء العرب فى نشر العلوم الاسلامية وامتد نشاطهم الى البلاد العربية ودار الخلافة العباسية ذاتها ووصل عدد كبير من علماء السند الى مناصب عالية فى الدولة .

بروز محمد على جناح ودوره :

شهدت فترة التاريخ الحديث ، وخاصة بعد الاستعمار البريطانى لشبه القارة الهندية ، تكوين بعض المؤسسات التمثيلية الانتخابية التى أوجدتها بريطانيا لامتصاص الطاقات التحررية الوطنية ، وكان أهمها المجلس التشريعى منذ عام ١٨٨٥م على أن يتبادل رئاسته مسلم وهندوسى ، ومن هذه المؤسسات تكون الزعيمان الهندى غاندى والباكستانى ( فيما بعد ) محمد على جناح . وقد سبقت الإشارة أن الحركة التحررية فى شبه القارة الهندية قد اختلطت فيها صراعات الاديان والمذاهب : المسلمون والهندوس ، السنة والشيعة ، البراهمة والبوذيون ، كما تشابكت عناصر الحركة التحررية ذاتها فالمسلمون وقفوا مع الهندوس فى مواجهة الانجليز المستعمرين .

فى هذه البيئة المتشابكة برز زعيم رائع هو محمد على جناح ، وكان لدى مسلمى شبه القارة الهندية مفكر وفيلسوف ذائع الصيت هو « اقبال » الذى كان بارزا فى فكره ، ومع ذلك فقد كان من المستحيل استئصال التعصب من نفوس القادة الوطنيين الهندوس والمسلمين ، وابتداء من العقد الاول فى القرن العشرين قاد المؤتمر الهندى حركة تحرر الهند من برائن الاستعمار البريطانى ، وبذلت الزعامات الاسلامية جهودا كبيرة فى تأييد الزعامات الهندية ضد الوجود الاستعمارى البريطانى بالرغم من وجود خلافات بين الزعامات الاسلامية والهندوسية حول مصير شبه القارة الهندية بعد اخراج الانجليز منها . وقد بدأت الخلافات الطائفية بين المسلمين والهندوس فى اعقاب قيام لورد كيرزون Curzon بتقسيم اقليم البنغال بين

المسلمين والهندوس ، غير أن الرأي العام الهندوسى قاوم هذا الاجزاء ، وكانت وجهة نظر الزعماء الهندوس هى أن الهند وحدة واحدة ، وأمة واحدة ، وشعب واحد ، وجهة واحدة فى مواجهة الاستعمار البريطانى ولا يجب تقسيم الهند أو أجزاء منها الى اقسام طائفية .

رأى الهندوس فى تقسيم اقليم البنغال ان المسلمين سيأخذون حقوقا لا يجب أن تعطى لهم وانما يجب عليهم أن يعيشوا تحت سيطرة الهندوس مثلما عاش الهندوس من قبل تحت سيطرة المغول ، وكان طبيعيا أن تحدث ردود فعل من جانب المسلمين تمثلت فى ظهور حركة تضامن اسلامية قوية رأت فى حزب المؤتمر الهندى تسلطا من جانب الهندوس على المسلمين ، وأن على المسلمين تأسيس هيئة أو تنظيم للدفاع عن حقوقهم فى مواجهة كل من حزب المؤتمر الهندى والاستعمار البريطانى على السواء فنشأت الرابطة الاسلامية سنة ١٩٠٦ ثم الجامعة الاسلامية فى « دكا » مما أثار غضب الزعماء الهندوس وخاصة بعد أن انضم محمد على جناح - عضو المؤتمر الهندى - الى الرابطة الاسلامية فى سنة ١٩١٣ .

نشط المسلمون الهنود عقب الحرب العالمية فى تحرير الهند من الاستعمار البريطانى شأنهم شأن الهندوس واتجهت الحركة الوطنية بزعامة غاندى الى الضغط على بريطانيا ، وكان لدى مسلمى الهند دافع آخر هو انقاذ الخلافة العثمانية الاسلامية من برائن بريطانيا ، وألهب محمد على جناح الاتجاهات العاطفية لدى مسلمى الهند ، غير أنه رأى أن عهد الخلافة قد ذهب وان على المسلمين تحديد أهدافهم بشكل واقعى وخلافا لوجهة نظر غاندى فى <sup>(١)</sup> الساتيا جراها - العصيان المدنى السلبى - فقد رأى محمد على جناح

---

(١) دكتور محمد نصر مهنا ، دكتور عبد الرحمن الصالحى ، علم السياسة بين التنظير والمعاصر ، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٨٥ ص ٣٢٠ - ٣٢٧ .

أن المقاطعة السلبية تضر بالشعب الفقير أكثر مما تضر بالانجليز ، وأن على الهنود انشاء المصانع للوقوف بقوة أمام الصناعة البريطانية وفي هذه الحالة فإن مقاطعة السلع البريطانية - باعتبارها نوعا من الساتيا جراثا - كما انتقد محمد على جناح الزعيم الهندي غاندى عندما لقب بالمهاتما باعتبار أن غاندى يسير فى طريق هندوكى واضح مما يشكل خطورة على عقيدة المسلمين وارواحهم من التعصب الهندوكى بعد استقلال الهند .

غير أن قمة الاحتجاج على سياسة غاندى وحزب المؤتمر قد ظهرت لدى ارتباط محمد على جناح بالرابطة الاسلامية ثم مبادئه الاربعة عشرة التى وضعها أمام المسئولين الذين وضع أمامهم أحد خيارين ، أما قبولها وبالتالى اشتراكه والرابطة الاسلامية فى حركة وطنية واحدة ضد الانجليز والا فانه - وهو الخيار الثانى - سيطالب بانفصال المسلمين عن الهندوكيين فى كافة المجالات . وتلخصت مبادئ محمد على جناح فى مس دستور أساسى للهند يخول لكل مقاطعة الصلاحية التامة فى الحكم المباشر ، ومساواة جميع المقاطعات فى الحقوق والامتيازات ومراعاة حقوق الاقليات فى سائر المقاطعات وتخويلهم حق التمثيل النيابى فى سائر المجالس النيابية والتشريعية وحماية حقوقهم ضد ضغط الاكثرية وان يكون ربع المقاعد لمثلى المسلمين فى المجلس النيابى الذى سيؤسس بموجب الدستور وأن ينتخب الاعضاء الممثلون للفرق والطوائف انتخابا مستقلا مع تمتعهم بالصلاحية التى ينص عليها الدستور .

وفيما يتعلق بحقوق المسلمين فقد تضمنت مبادئ محمد على جناح صراحة أن لا يكون فى تغيير النظم التى ستجرى فى سائر المقاطعات ما يمس الحقوق والمزايا التى تتمتع بها الاكثرية المسلمة الموجودة فى مقاطعات البنجاب والبنغال والحدود الشمالية ، ومراعاة حقوق المسلمين فى سائر



الامارات المستقلة بما يتفق والحرية الدينية التامة والعدالة الكاملة فى سائر الحقوق والوظائف ، وان يضمن الدستور الهندى الجديد الحرية التامة للمسلمين فى اقامة شعائرهم الدينية وصيانة حقوقهم ومقدساتهم وأماكن معتقداتهم والمحافظة على ثقافتهم الدينية فى التعليم والتبليغ واللغة فى سائر المقاطعات والولايات المستقلة وأن تخصص كل آيالة منحة مالية تصرف سنويا على الشؤون الاسلامية ، وعدم تأليف وزارة من الوزارات أو حكومة من الحكومات فى المقاطعات الهندية مالم يمثل فيها المسلمون بنسبة الثلث ، وان يضمن الدستور الهندى الجديد الحرية التامة المطلقة لجميع الملك والمذاهب من اقامة الشعائر والتعليم وغير ذلك .

وفيما يتعلق بتنظيم المقاطعات أو الاقاليم الهندية ومجالسها التشريعية فى الدستور فقد تضمنت مبادئ محمد على جناح فصل مقاطعة السند عن بومباى فصلا تاما بغير قيد أو شرط وتنظيم مقاطعتى الحدود وبلوخستان تنظيميا يتواءم مع الحالة التى عليها سائر المقاطعات الاخرى ، وعدم تنفيذ أى قانون أو أية لائحة فى مجلس من المجالس التشريعية أو النيابية فى أية مقاطعة من المقاطعات ويكون ذلك القانون أو تلك اللائحة تمس قوما من الاقوام أو طائفة من الطوائف مالم يوافق على ذلك ثلاثة أرباع الاعضاء من ممثلى تلك الطائفة ، كما ركز محمد على جناح فى مبادئه على عدم قبول أو تعديل أو تغيير فى الدستور الهندى الاساسى بعد تشريعه الا بعد أخذ رأى وموافقة سائر المقاطعات .

أصر زعماء حزب المؤتمر مواصلة الحركة الوطنية بدون مشاركة محمد على جناح والرابطة الاسلامية ، وشجعهم على ذلك ان عددا ليس بالقليل من الزعماء المسلمين قد تعاونوا مع حزب المؤتمر الهندى لاقتناعهم بضرورة استقلال الهند ، ومن ناحية أخرى فقد فشلت الاتصالات الهندوكية

البريطانية بسبب عدم موافقة الرابطة الاسلامية ، وربما يفسر هذا محاولات السلطات البريطانية اجراء اتصالات مباشرة مع الرابطة الاسلامية سنة ١٩٣١م ، وهو ما ذكى انصراعات الطائفية بين المسلمين والهنداكة ، وأصبحت السيطرة على الامن باهظة التكاليف ، مما اضطر الانجليز الى اصدار دستور ١٩٣٥ تمهيدا لخطرة استقلال الهند ، غير أن مشكلة خطيرة برزت عن هذا الدستور وتمثلت فى نوعية الانتخابات النيابية المقبلة هل ستكون عامة أم على أسس طائفية ؟

أعلن غاندى ونهرو أن تكون الانتخابات عامة بما يعنيه ذلك من أن المسلمين كأقلية لن يمثلوا فى المجلس التشريعى ، وبرر الزعيمان الهنديان ذلك بعدم وجود طوائف أو شعوب فى الهند التى لا يوجد فيها سوى شعب هندي واحد له أديان مختلفة وان انفصال المسلمين عن الهند يشكل أضعافا لسلطة الدولة المركزية مستقبلا .

وفى شمال الهند ظهر اتجاه قوى بضرورة تواجد دولة اسلامية تشارك الدول الاسلامية الاخرى امالها وأمانها مثل افغانستان وايران ، وقال محمد على جناح عبارته الشهيرة موضحا أسس الخلاف بين المسلمين والهندوس : « نحن من الجنس الآرى وهم درافدا .. ونحن من أهل الكتاب وهم وثنيون يعبدون البقرة ويقصدون الحيوانات وستظل الى آخر الدهر نذبح هذا المعبود ونأكله ، وسيظلون هم الى آخر الدهر يقصدونه ويعبدونه ، وهم يتكلمون الهند وستانية ولا يريدون عنها بديلا ، أبطال تاريخنا اعداؤهم لانهم دحروهم وهزموهم ، وابطال تاريخهم اعداؤنا لانهم دحرونا وهزمونا ، ويوم يحتفل أحد الفريقيين بذكرى أبطاله يبكى آخر حزنا وحسرة ، ولا يمكن أن تزول الخلافات بيننا وبينهم ، ولم تثق فى دعوتهم فقد حاولنا دأبنا وميننا أكثر من مرة . »

وأضاف محمد على جناح قائلا : « .. ان فظائع حكومة المؤتمر منا شاهد على صدق قولى ، ولن نقبل بعد الان أن يحكمنا الهندوس وهم كثرة ونحن قلة .. واذا حكمنا الهندوس يكون فناؤنا النهائى وقرصتنا الوحيدة .. باكستان .. وسنريق دماءنا الى آخر نقطة فى سبيل تحقيقها ، فالمناطق الاسلامية يجب أن يحكمها المسلمون ، والمناطق الهندوسية يحكمها هندوس . وستبقى اقلياتنا عندهم واقلياتهم عندنا فيحفظ التوازن ويطمئن الطرفان الى العدالة والمساواة » .

وقد استمرت معاملة الهندوس للمسلمين باعتبارهم منبوذين مما جعل المسلمين يضغطون لطلب التقسيم ، وبعث محمد على جناح الى غاندى برسالة مؤيدا دعرة التقسيم قائلا : « انتى أرى فى ضوء التعريف للامة أننا نحن المسلمين أمة مكونة من مائة مليون نسمة ، لنا ثقافتنا الخاصة وحضارتنا ولغتنا وأدبنا وفننا وشريعتنا ودستورنا الاخلاقى ، وعاداتنا ، وتاريخنا ، وراثتنا ، وماضينا ، وميولنا وطموحنا .. وبمعنى آخر - كما يضيف محمد على جناح قائلا : ان لنا اسلوبنا الواضح فى الحياة ، ورأينا فيها ، وكل هذه الاسباب التى يدعمها القانون الدولى تؤكد حقنا فى أن نكون أمة » .

### الحرب العالمية الثانية وما بعدها :

شهدت فترة الحرب العالمية الثانية أحداثا حرجية على صعيد الصراع الطائفى بين الهندوس والمسلمين الذين تمسكوا بانشاء دولة خاصة بهم اطلقوا عليها « باكستان » ، تحقيقا لأمل الفيلسوف والمفكر الاسلامى محمد اقبال ، وتمثلت مظاهر الصراع الطائفى فى فكرتين : توحيد الهند أو تقسيمها واستخدم خصوم محمد على جناح كافة الوسائل من أرباب دمرى الى ضغوط دبلوماسية الى العمل على اضغاثه من خلال تحريض بعض طوائف الشيعة والاسماعيلية ضده غير أنه تمكن من مواجهة هذه

مؤامرات وتغلب عليها واكتسب الى جانبها الغالبية العظمى من مسلمي  
هم ، ورغم محاولات فرض الهندوس الدولة « المرجوة » من خلال المذابح  
ضد المسلمين الا أن التقسيم أصبح الهدف الوحيد لمسلمي الهند الذين  
تحققت امالهم بانفصالهم عن الهند وتقسيمها عام ١٩٤٧ لتظهر الى الوجود  
دولة الباكستان في منتصف اغسطس ١٩٤٧ والذي كان محمد علي جناح  
أول رئيس لها وضمت قسمين كبيرين : القسم الغربي وشمل اقليم الحدود  
الشماية الغربية و اقليم بلوخرستان و اقليم السند و اقليم البنجاب في حين شمل  
القسم الشرقي البنغال وغالبتهم العظمى المسلمين واصرت الرابطة الاسلامية  
على اعلان اسلام الدولة وتم ذلك سنة ١٩٤٩ ، وقد واجهت باكستان  
العديد من المؤامرات الاستعمارية ضد الاسلام ، فكانت حرب ١٩٦٥ بشأن  
مسألة كشمير على نحو ما سيتم التعرض له تفصيلا في موضع لاحق من  
هذه الدراسة ، ثم كانت مؤامرة انفصال قسمها الشرقي سنة ١٩٧٠ باسم  
دولة بنجلاديش .

## الفصل الثالث

### مشكلة كشمير

- بعض الملاحظات الجيوبوليتيكية

- ما بعد سنة ١٩٤٧ .



## بعض الاوضاع الجيودليتيكية :

تقع كشمير فى الشمال الشرقى من باكستان التى تحيط بها فى جزء من شمالها الغربى ، ومن غربها ، وفى جزء من جنوبها الغربى ، وتحدها الصين الشعبية فى جزء كبير من شمالها وشرقها ، فى حين تحدها الهند فى جزء من جنوبها .

يبلغ عدد سكان كشمير حوالى ثمانية ملايين نسمة يعتنق حوالى ٨٠٪ الدين الاسلامى ، ويتكون المسلمون من قبائل السيخ والسند والمغول والباتان ، ويعيش حوالى خمسة ملايين نسمة من المسلمين فى القطاع الهندى فى حين يعيش الباتون فى القطاع الباكستانى .

ومن المتعذر تحديد بداية وصرر الاسلام الى كشمير ، وقد سبقت الاشارة الى أن الاسلام قد وصل « كاشغر » فى جنوب الصين - وهى قرية من كشمير - فى نهاية القرن الاول الهجرى كما وصل الى جنوبها فى منطقة حوض السند والبنجاب فى نفس الفترة تقريبا وبالمثل وصل الاسلام الى جنوب الهند ، وتأسيسا على ذلك فقد تأثرت كشمير بوجود الاسلام فى جنوبها وشمالها ، وتذكر المصادر التاريخية ان اسلام ملك كشمير كان فى مستهل القرن الثامن الهجرى من خلال أحد الدعاة المسلمين ، ولقب - ملك كشمير نفسه باسم حيدر الدين ، وتوالى وصول الدعاة المسلمين اليها حيث وصلها أكثر من سبعمائة داعية فى بداية القرن الثامن الهجرى .

خضعت كشمير بعد استقرار الاسلام فيها لحكم أباطرة المغول المسلمين الذين حكموا بلاد الهند ، وصارت جزءا من الامبراطورية المغولية الاسلامية فى شبه القارة الهندية ، ثم سيطر السيخ من الهنود على كشمير فى القرن الثامن عشر الهجرى ، فغزاه المهرابا « راجيت سنك » سنة ١٢٢٤هـ عندما بدأ النفوذ البريطانى فى الهند ، ثم حكمها المهرابا « كولاب سنك »

حيث استمرت أسرته من بعده تحكم كشمير ، ولهذا تعرض المسلمون لقيود فى ممارسة فرائضهم ، وتم تكوين حزين اسلاميين للنضال ضد الهندوس هما حزب المؤتمر الاسلامى وحزب المؤتمر الوطنى .

ظل المسلمون فى كشمير يخضعون لحكم الهندوس طيلة قرن كامل حرموا خلاله من حقوق ادارة أمورهم بأنفسهم أو التعبير عن اراذتهم وصولا الى تطور مشكلاتهم على نمو خطير منذ عام ١٩٤٧ م .

مابعد سنة ١٩٤٧ م :

منذ أن ظهرت دولة الهند - كدولة مستقلة - فى أعقاب تقسيم الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ ، فقد ظهرت أطماعهم فى الاستيلاء على جاراتها من الامارات ، وبالفعل استولت على اماره كبور تهله مع ان ٦٣٪ من سكانها مسلمون ثم اماره جونا كده مع أن اميرها مسلم ثم ولاية حيدر آباد التى كانت امبراطورية لها امراؤها التابعين لها وبلغ سكانها عند التقسيم أكثر من ٢٠ مليون نسمة وكانت شبه مستقلة وأميرها مسلم وان كانت اغلبية شعبها من الهندوس ، ورفضت الهند بقيادة نهرو قبول استفتاء شعب حيدر آباد قائلا : « ليس أمام حيدر اباد سوى الحرب أو الانضمام الى الهند » ، واعلن أمير حيدر آباد ازاء تهديد الهند سحب شكواه من مجلس الامن لتدخل حيدر آباد تحت حكم الهند .

أما أماره كشمير ، فهى الاخرى كانت من امارات الهند خلال الاستعمار البريطانى ، وكان فى الهند كثير من الامارات امراؤها مسلمون فى حين أن أكثر سكانها من الهندوس ، كما وجدت امارات امراؤها هندوس وأكثريه سكانها مسلمين . كشمير ولاية اسلامية ، المسلمون بها أغلبية يصلون الى أكثر من ٨٠٪ كما سبقت الاشارة عن ان استيلاء الهند على الجزء الاكبر



من أرض كشمير جعل المسلمين يتحولون الى اقلية .

برزت مشكلة كشمير<sup>(١)</sup> فى اعقاب استقلال كل من الهند وباكستان وانفصالهما عن بريطانيا سنة ١٩٤٧ ، وكان أمير كشمير وحاكمها أحد الهندوس هو هرى سنج ، وترتبط مشكلة كشمير بتطور الاحداث بين الهند وباكستان وتدخل بريطانيا على النحو التالى :

أولا :

عندما زارت لجنة<sup>(٢)</sup> الام المتحدة الهند وباكستان فى شهر يوليو ١٩٤٨ لبذل مساعيها الحميدة تجاه وقف الاعتداءات المتصاعدة على الباكستان ، فقد أصدرت قراراتين فى ١٣ أغسطس ١٩٤٨ ، ٥ يناير ١٩٤٩ يقضيان بوقف القتال وانسحاب رجال القبائل الباكستانيين والجيش الباكستاني وأيضا

---

(١) الواقع أن كشمير كانت بلادا اسلامية تماما ، حكمها امراء مسلمون فى معظم الاحيان وخاصة فى الفترة ١٣١٠-١٨١٩ م ، حيث تبعت المغول ، وقبل العهد المغولي الذى دام فى كشمير أكثر من قرنين تولى اماره كشمير شخص اسمه زين العابدين وكان حاكما صالحا ، واستمرت فترة حكمه اثنتين وخمسين سنة براها المؤرخون بمشاة العصر الذهبى لكشمير ، وهو الذى اهتم بصناعة الحرير حيث لا تزال كشمير تتمتع بصناعة « الشال » الكشميرى ، أما المغول فقد أظهروا ايضا عناية خاصة بكشمير من خلال المباني الفاخرة والاهتمام بالمرافق العامة ، فلما ضعفت الدولة المغولية ظهر فى افغانستان أمير قرى هو أحمد شاه أخذ ينازع المغول سلطتهم فى الشمال ، واشتبك معهم بالفعل غير انه هزم . وباستيلاء بريطانيا على دلهى ، أحدثت تغيرا فى حكام هذه المناطق ، وشهدت الفترة التالية تعرض المسلمين للاضطهاد والتشريد والقتل ، وعمل امراء كشمير الهندوس فى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر على افقار مسلمى كشمير ، وكان المسلمون هم الضحية بين الاستعمار والهندوس على السواء وذلك فى فترة حكم هرى سنج .

(٢) وطلق عليها :

Unined Nations Commission for India and Pakistan , ( Uncip ) .

انسحاب القوات الهندية الى ماوراء الخطوط المعنية لكل من الفريقين ، واستلزم ذلك ايضاحات على صعيد مشكلة كشمير منها تسريح قوات كشمير الحرة وتجريدها من السلاح حتى يجرى استفتاء بين سكانها وفي نفس الوقت سحب كل من الجيشين الهندي والباكستاني مع عدم المساس بسيادة الامارة ووحدتها وعدم السماح بدخول عسكريين أو مدنيين تابعين لحكومة الهند ، ويستمد المشرف على الاستفتاء في كشمير صلاحياته من السلطات المعنية على جانبي خط الهندية .

### ثانيا :

أظهرت باكستان حسن نيتها باقناع رجال القبائل والرعايا والباكستانيين بالانسحاب ، غير أن الهند رأت أن تجريد قوات كشمير الحرة من السلاح وتسريحهم مما يهدد مصالحها ، وأصبح من العسير والحال كذلك اجراء استفتاء في ظل مناخ يتسم بعدم الاستقرار الامنى ، واثيرت القضية في مؤتمر الكومنولث سنة ١٩٥١ وبذلك جهود لاجتماع رئيس وزراء الهند وباكستان ، وفشلت كافة جهود التوفيق بين الطرفين ، وأخذت حكومة كشمير - تحت ضغط الهند - في الدعوة لجمعية تأسيسية للامارة تضيف على تجزئة كشمير أو ضمها لبريطانيا صفة الشرعية . كما فشلت مهمة الجمعية العامة للامم المتحدة الذي عينه مجلس الامن سنة ١٩٥١ وهو الدكتور جراهام الذي غادر شبه القارة الهندية

### ثالثا :

غير أن مقترحات جراهام بشأن مشكلة كشمير كانت قد أخذت طريقها للتنفيذ بشأن حسم النزاع وفقا لامانى شعب كشمير بطريقة الاستفتاء وانشاء لجان من الخبراء للنظر فى المسائل التمهيدية لذلك وصولا لعام ١٩٥٧ حيث تمسكت الهند بوجهة نظرها ازاء ايقاف كافة الجهود الرامية

لاجراء الاستفتاء ، واعتبرت كشمير جزءا منها لايجوز البحث فيه ، وتم عرض الموضوع ثانية على مجلس الامن الذى اقره ووافقت باكستان ، وعملا بهذا القرار زار الوسيط الدولى الدكتور يارنج كلا من الهند وباكستان فى ١٤ مارس ١٩٥٧ وأجرى محادثات بين الحكومتين ، غير أن الحكومة الهندية استمرت على موقفها والصقت بباكستان تهما جديدة ، واقترح يارنج احوالة الامور المتنازع عليها الى لجنة تحكيم قبلت باكستان الاقتراح ورفضته الهند بحجة أنه لايتفق وسيادة امارة كشمير ، وبررت ذلك أيضا بأن قبول هذا الاقتراح يعنى اعترافا لباكستان بحقوقها فى القضية .

#### رابعاً :

عادت القضية الى مجلس الامن ، وبذل كريشنامون جهودا كبيرة متهما باكستان بتهما غير واقعية ، وان الهند هى ورثة بريطانيا فى الهند ، ورد ممثل باكستان فيروزخان نون نافيا أن تكون الهند وحدها هى ورثة الامبراطورية البريطانية ، وادعى كريشنامون ان كشمير قد انضمت الى الاتحاد الهندى واصبحت جزءا من الهند وان المسألة داخلية لايجوز البحث فيها على الصعيد الدولى .

وذهبت جميع المحاولات التى بذلتها باكستان سدى ، فلم تكن الهند (١) لترضى بأى حل تعلم انه سيخرجها من كشمير وفرضت نفسها بالقوة على شعب كشمير .

---

(١) تجدر الإشارة الى أن الاتحاد السوفيتى قد اتخذ موقفا مؤيدا للهند ازاء كشمير على طول الخط ، واستخدم مندوب السوفيتى فى مجلس الامن حق الفيتو تجاه جميع القرارات التى كانت تحاول حل المشكلة بالوسائل السلمية واستفتاء سكان كشمير حول تقرير المصير ، واعتبر ممثل الاتحاد السوفيتى ان كشمير قررت مصيرها بانضمامها الى الهند على لسان اميرها ، وانه لاجدرى من بحث الموضوع .

#### خامسا :

وتجدر الإشارة الى أنه فى شهر ابريل ١٩٥٦ كان نهرو رئيس وزراء الهند قد القى اتفاقية الاستفتاء على كشمير باعلانه ان عضوية باكستان فى حلف « السيتو » قد قضت على أسس الاستفتاء وقال نهرو : « حتى ولو لم تنضم كشمير الى الهند ، لكان من واجبنا أن ندافع عنها ، فالهند يوصفها وحدة متصلة فكل من لا يخرج منها يبقى هنديا » .

وأعقب ذلك أضفاء نوعا من الشرعية بوصفهما مايسمى بالمجلس التأسيسى القائم على كشمير لمسودة دستور اعتبر بموجبها امارة كشمير الحرة جزءا لا يتجزأ من الاتحاد الهندى ، وفى ١٩ يوليو ١٩٦١ أعلن نهرو بأنه ليس ثمة مجال للبحث بأى استفتاء فى كشمير سواء فى الحاضر أو المستقبل .

#### سادسا :

وفيما يتعلق برود فعل هذه الاحداث على الصعيد الاقليمى والعالمى تجاه مشكلة كشمير ، فقد رفضت الهند باصرار قبول تدخل خارجى بهدف تسوية النزاع ، وعلى سبيل المثال فقد عرضت مصر - وهى معروفة بصداقتها للهند - بذل المساعى الحميدة بشأن مشكلة كشمير فى عامى ١٩٥٥ ، ١٩٦٠ غير أن الهند رفضت ذلك العرض ، وفى يناير ١٩٦٢ عرض الرئيس كيندى المساعى الحميدة للولايات المتحدة الامريكية من خلال جهود دوجين بلاك رئيس البنك الدولى وبمشاركة بريطانيا ، وبالفعل تم عقد سلسلة من الاجتماعات بين الهند وباكستان ، غير أن جميع هذه المحاولات قد أحبطت لتمسك الهند بموقفها وصولا الى المواجهة المسلحة بين الهند وباكستان سنة ١٩٦٥ .

## سابعاً :

قاومت باكستان هجوم الهند بعقيدة قتالية اسلامية تتسم بشعار النصر أو الفوز بالشهادة ، وتمكن الباكستانيون من الدفاع عن بلادهم بشجاعة ، وفشل الهنود فى الاستيلاء على مدينة لاهور ، قلب البنجاب المسلم وعندما اشتدت الحرب تم عقد جلسة طارئة لمجلس الامن الذى طلب الى الفريقين أن يكفيا عن القتال ويسحبا قواتهما الى قواعدهما ، وعندئذ طلبت باكستان حل مشكلة كشمير باعتبارها أساس النزاع ، ووعد مجلس الامن باتخاذ اجراءات لتسوية المشكلات السياسية بين البلدين دون أن يذكر القضية الكشميرية ، وتذكر المصادر أن الهند كفت عن القتال بعد سبعة عشر يوماً ، وانها لم تستطع هزيمة الباكستان .

## ثامناً :

تعرض سكان كشمير لحرب ابادة من جانب القوات الهندية ، واستمرت وجهة نظر باكستان تؤيد بقوة الدفاع عن شعب كشمير ، ورأى الاتحاد السوفيتى الفرصة سانحة للتدخل فى شبه القارة الهندية فدعا كل من الهند وباكستان للاجتماع فى طشقند فى محاولة لتسوية النزاع بين البلدين ، وكانت باكستان قد استجابت لنداء الامم المتحدة بشأن ايقاف اطلاق النار ، وتوجه الرئيس محمد ايوب خان الى طاشقند فى يناير ١٩٦٦ واجتمع هناك مع لال بهادر شاسترى رئيس وزراء الهند وتم الاتفاق بينهما ان يذلل الطرفان قصارى جهدهما لاحلال علاقات حسن الجوار بين باكستان والهند وفقاً لميثاق الامم المتحدة ، وتمت الموافقة على انسحاب جميع القوات المسلحة التابعة للبلدين الى المواقع التى كانت عليها فى ٤ أغسطس ١٩٦٥ ، وذلك بالاضافة الى عدم التدخل فى الشؤون الداخلية لكل من البلدين ، ووقعت هذه الاتفاقية فى ١٠ يناير ١٩٦٩ .

## تاسعا :

اشار الرئيس الباكستاني محمد ايوب خان - عقب توقيع اتفاقية طشقند - الى قضية كشمير قائلا : « لقد أوضحنا دائما ان السبب الرئيسى للنزاع هو الخلاف حول كشمير ، وهناك قرار مجلس الامن بشأن هذه القضية ، ووفقا للحق التاريخي ، فان لسكان كشمير الحق فى تقرير ما اذا كانوا يريدون الانضمام الى باكستان أو الهند .. » .

وأضاف الرئيس ايوب خان قائلا : « .. حاولنا طوال ثمانية عشر عاما أن نمنح الهند بتنفيذ التزاماتها .. ومن سوء الحظ أن الهند لم تفعل شيئا للوفاء بعهدها مما أدى الى خروج شعب كشمير فى ثورة ، وعندما شنت القوات الهندية هجمات متكررة على اراضى كشمير الحرة ، لم يجد الجيش الباكستاني مفرأ من التدخل لتأييد شعب كشمير ، وأن نتائج القتال أوضحت انه لن يكون هناك سلام بين البلدين ما لم تحل قضية كشمير أولا » .

وفى مناسبة أخرى قال الرئيس ايوب خان : « لقد أراد رئيس وزراء الهند «الراحل » ان توقع ميثاق عدم حرب ، ولكننا أوضحنا له أننا لانستطيع ذلك ما لم تسو قضية كشمير نسوية عادلة .. وأن السلام لن يكون سلاما دائما الا اذا حلت قضية كشمير حلا سلميا .. وأن باكستان ليست مستعدة لاعتبار كشمير جزءا من الهند » .

## عاشرا :

فى ١٥ يناير ١٩٦٦ أدلى وزير خارجية باكستان ذوالفقار على بهوتو ببيان أكد فيه تأييد بلاده لحق شعب كشمير فى تقرير مصيره ... وان السلام والعدالة لا ينفصلان فى العقيدة الاسلامية .. وان باكستان نفسها قد أنشئت على مبدأ حق تقرير المصير .. ، وعلى صعيد ردود فعل العالم

الاسلامى على احداث كشمير فلعل اقواها الدعوة التى قدمتها رابطة العالم الاسلامى فى مذكرتها لمؤتمر القمة الاسلامى الثالث بمكة المكرمة الى الملوك ورؤساء المسلمين لبذل مساعيهم فى الامم المتحدة لتنفيذ قراراتها الخاصة بمشكلة كشمير ، على ان يقرر شعب كشمير نفسه مصيره باجراء استفتاء حر باعتباره شعب مسلم يبلغ تعدادة حوالى ثمانية ملايين نسمة وتمسك بتعاليم الدين الاسلامى الحنيف .

وعموما فان مشكلة كشمير لاتزال تثير فى الوقت الحاضر مزيدا من التوتر فى العلاقات الباكستانية الهندية .





## الفصل الرابع الصين الشيوعية

- مقدمة .

- مراحل انتشار الاسلام فى الصين .

المرحلة الاولى : عهد اسرتى تانج وسونج ٣١-٦٧٦ هـ .

المرحلة الثانية : عهد اسرة يوان المغولية ٦٧٦-٨٦٩ هـ .

المرحلة الثالثة : عهد أسرة منج ٧٧٠ - ١٠٥٨ هـ .

المرحلة الرابعة : عهد مانشو ١٠٥٤ - ١٣٢٩ هـ .

- ثورات المسلمين فى مواجهة الاضطهاد .

أولا : ثورات المسلمين فى سنكيانج والداخل .

ثانيا : ثورة جهانكير ١٨٢٠ م .

ثالثا : ثورات المسلمين فى شمال الصين الغربى .

- التركستان الشرقية الصينية .

- كفاح المسلمين فى الصين فى ظل الجمهورية (١٩١١م) .

- الاقلية المسلمة فى ظل الحكم الشيوعى .



ترجع علاقة العرب ببلاد الصين الى ما قبل الاسلام ، وقد وصل الاسلام للصين من جهتي الشرق والغرب . ويتمثل المحور الاول من جهة الشرق في المحور البحرى ، ففي نهاية عصر الخلفاء الراشدين ، وصل مبعوث مسلم الى الصين سنة ٣١ هـ فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم توالى البعثات الاسلامية على الصين حتى بلغ عددها ٢٨ بعثة فى الفترة من سنة ٣١ الى ١٨٤ هـ ، وتوالى على الصين عبر هذا المحور البعثات التجارية والدبلوماسية ، وأخذ الدين الاسلامى الحنيف ينتشر عبر الصين من مراكز ساحلية نحو الداخل .

أما المحور الثانى لوصول الاسلام الى بلاد الصين فهو محور يرى من جهة الغرب ، ويتمثل فى فتح التركستان الشرقية فى منطقة كاشغر حيث وصلت فتوحات القائد الاسلامى قتيبة بن مسلم الباهلى الى الحدود الغربية لبلاد الصين فى أواخر القرن الاول الهجرى .

وعلى الرغم من عدم توغل الفتوحات الاسلامية فى أرض الصين ، الا أن طريق القوافل بين غرب آسيا والصين كان له تأثيره فى انتشار الاسلام عن طريق التجار فى غربى الصين ، وقد عرف هذا بطريق الحرير ، وانتشرت الدعوة الاسلامية فى غربى الصين نتيجة مجاورة الاسلام (١) فى منطقة التركستان بوسط آسيا للحدود الغربية للصين .

#### مراحل انتشار الاسلام فى الصين :

مر انتشار الاسلام فى بلاد الصين بمراحل تاريخية ترتبط بالامر الحاكم الصينية من حيث اسلوب تعاملها مع المسلمين وأوضاع المسلمين الصينيين

---

(١) راجع تفصيلا : بدر الدين د . ل . جى ، تاريخ المسلمين فى الصين ، دار الانشاء للطباعة والنشر ، طرابلس ، لبنان ١٣٩٤ هـ .

أنفسهم .

## المرحلة الاولى :

عهد اسرتى تاغ وسونج ٣١ - ٦٧٦ هـ

شهدت هذه الفترة فى التاريخ الاسلامى العصر الاموى وصولا الى نهاية العصر العباسى . وقد استقرت بعض الجماعات المسلمة من العلماء والتجار والدعاة المسلمين على ساحل الصين الجنوبي فى منطقة « خانفو » كما سماها العرب - منطقة كانتون حاليا - .

وتذكر المصادر الصينية ان العرب قدموا لأغراض تجارية ( سليمان التاجر وأبو زيد من أهل البصرة ) ونشطت التجارة العربية مع الصين فى القرنين الثانى والثالث الهجرى ، وقد استوطن عدد كبير من تجار العرب هذه المنطقة ، والدعاة المسلمون كانوا يذلون نشاطا ملموسا فى نشر الدعوة الاسلامية واقامة الشعائر الدينية - والصلاة بالمسلمين ، وكان يتم الاحتفال فى أيام الجمع وشهر رمضان المبارك والاعياد .

وكانت الجاليات المسلمة تعيش حياة منظمة دينية واجتماعية ويتولى امرهم أحد القضاة المسلمين ، واتخذ المسلمون غرب مدينة « خانفو » مقرا لهم وسميت هذه المنطقة بسوق الاجانب ، وكان شيخهم يتم اختياره من بينهم ، ويتولى الامور باسم الملك ، وكان من مهام وظائفه النظر فى أمور التجار المسلمين العرب خاصة وان على التجار الاجانب دفع الخراج والأتاوات للسلطة الصينية ، ومن المباني التاريخية مسجد قديم فى « خانفو » لا يزال باقيا فى مدينة « كانتون » - من القرن الثانى الهجرى - ومعروف باسم مسجد الذكرى للنبي صلى الله عليه وسلم والذى أعيد بناؤه فى الفترة ١٣٦٨ - ١٦٤٢ م .

وقد توالى الجاليات الاسلامية على المدن الصينية على النحو الآتى :

#### ١- الجالية الاسلامية فى تشوان تشو :

وهى مكونة من العرب الذين كثر استيطانهم فيما بعد فيها . وفيها مسجد قديم اسمه الجامع الطاهر وانشئ سنة ١٩٢١م وقد زاره الرحالة المغربى الشهير ابن بطوطة فى جولاته . بان القرن الرابع عشر الميلادى ولقى عدد كبير من علماء الاسلام وبينهم القاضى وشيخ الاسلام وكبار التجار العرب .

#### ٢- الجالية الاسلامية فى هانج تشو :

يذكر كتاب عصر المغول ( ١٢٧٧ - ١٣٦٧م ) ان المسلمين استوطنوا هذه المدينة حيث ازدهرت أوضاعهم الاجتماعية فبنوا المساجد والمدارس ، وجماعات المصالح كانت لها نفوذها فى المجتمع الصينى وقتئذ وقد اثنى عليها الرحالة ابن بطوطة قائلا : « ومديتهم جميلة ، لهم فيها اسواق مرتبة مثل جميع اسواق البلدان الاسلامية ولهم الامام والمؤذن وقد سمعنا صلاة الظهر حين كنت زائرا لأحد التجار العرب فى السوق ... » ، وكان للمسلمين تأثيرهم الثقافى أيضا من خلال الادب العربى .

#### ٣- الجالية الاسلامية فى يانج تشو :

تذكر المصادر الصينية ان الجيوش الصينية حينما اغارت على مدينة يانج تشو سنة ٧٦٠م - أى القرن الثانى الهجرى - انزلوا بالاهالى التشريد والتقتيل وكان منهم آلاف من التجار العرب ، غير أن العرب كانوا قد كونوا جالية قوية فى هذا الميناء .

#### ٤- الجالية الاسلامية فى تشانج أن :

يذكر التاريخ الصينى انه فى سنة ٧٥٦م بعث الامبراطور رسولا الى الولاة

العرب الذين كانوا يتولون الامور نيابة عن الخليفة فى آسيا الوسطى التى كانت ضمن اقليم « ولاية » فراسان ليمدوه بالمعونة العسكرية فأرسلوا اليه أربعة آلاف جندى مسلم من الاتراك والايرائيين لقمع الحركة العصيانية ضد الامبراطور فى شمال الصين ، وان الامبراطور اذن لهم بالبقاء فى تشانج آن .

#### - نشاط المسلمين التجارى فى الموانئ الصينية :

سيطر التجار المسلمون ومعظمهم من العرب على جانب كبير من التجارة البحرية فى الفترة من القرن الاول حتى القرن الثالث الهجرى بين الموانئ الصينية والخليج العربى ، وكسب المسلمون العرب أموالا طائلة من وراء التجارة ، وكان أشهر التجار العرب شخص اسمه ابو على ابراهيم الذى ورد ذكره فى كتاب معجم البلدان لياقوت والذى أصبح مديرا لادارة المراقبة على الملاحة والتجارة البحرية .

وكانت السلع التى اشتغل فيها العرب بالتجارة مع الصين تشمل ٨٠ نوعا من التوابل ، ٤٠ نوعا من العقاقير والنباتان الطبية والصمغ العربى والايرائى بالاضافة الى الاحجار الكريمة واللالىء والعاج والاصداف والمطرزات الحريرية والاقمشة .

واستورد العرب من الصين ٣٣ نوعا من السلع وكان الطريق الهجرى يصل الى سواحل البحر الاحمر والخليج العربى ومن الاسكندرية والبصرة وبغداد وزنجبار الى الصين .

وتأسست فى « كانتون » ادارة المراقبة على الملاحة والتجارة البحرية ثم امتدت الى المدن الاخرى فى الموانئ الصينية وكانت وظيفتها هى التفتيش على السفن القادمة والمذابة وتحصل « جباية » الرسوم على البضائع بنسبة بين ١٠ - ٢٥ ٪ حسب الاصناف وقيمة البضائع ، وكان يتولى هذه الوظيفة رجل مسلم من العرب له معرفة باوضاع التجارة البحرية وعلى صلة

## وثيقة بالتجارة العرب

ونج عن النشاط التجارى العربى فى الصين ان زادت الايرادات الجمركية لخزانة الدولة الصينية ، وتم تأسيس مكتب بهدف بيع البضائع لحساب التجار العرب الى الجماهير مما رفع أكثر من الايرادات وأرباح التجار المسلمين .

وهناك نتيجة أخرى هامة هى استخدام بعض المشتقات العربية والايرانية فى الطب الصينى الذى كان يعتمد على الادوية النباتية ، وقد أخذ الاطباء الصينيون عن الاطباء المسلمين انواع الادوية ووسائل العلاج للمرضى وكانت هناك - صيدلية - خيرية تشرف عليها الحكومة تستخدم النباتات والاعشاب الطبية التى استوردها العرب وغيرهم من التجار فى تحضير الادوية لعلاج الامراض المختلفة .

## المرحلة الثانية :

عهد اسرة يوان المغولية ٦٧٦ - ٧٦٩ هـ / ١٢٧٧ - ١٣٦٧ م

سبقت الاشارة الى الاوضاع الممتازة التى تمتع بها المسلمون العرب الجاليات فى المراتىء الصينية ، والواقع أن المسلمين قد نهضوا فى عهد المغول ، وزاد نفوذهم وشغلوا مناصب مختلفة فى الدولة .

أخذ المسلمون ينهضون بسرعة مع فتوحات المغول وتكوين أسرة ( يوان ) منذ سنة ١٢٧٧ م ، وأخذ نفوذهم ينتشر ، بل أن موجات جديدة من العرب قد توافدت على الصين خلال حكم المغول .

ومن الاسباب التى ساعدت على تصاعد نفوذ المسلمين فى الصين أن كثيرا من ابناء المسلمين من أصل عربى وإيرانى قد هاجروا الى آسيا الوسطى والتركستان وتدرجوا من جنود فى خدمة جيش المغول الى كبار الضباط والقادة تحت أوامر جنكيز خان وخلفائه ، وحارب هؤلاء المسلمون مع جيش

المغول ثم بقوا فى الصين كموظفين فى الحكومة المغولية ولما أظهروا كفاءة فقد ارتقوا الى مناصب رؤساء دواوين فى الولايات التابعة للإمبراطورية المغولية الإسلامية - فيما بعد - والتي تأسست سنة ١٢٧٧م وكان ذلك فى عهد قبلای خان أول إمبراطور للمغول على الصين والنسب لقسب بد « یوان مى تسو » .

ومن العرب المسلمين الذين شغلوا مناصب هامة السيد الاجل شمس الدين عمر ، ومسقط رأسه مدينة بخارى فى آسيا الوسطى ، ودخل فى خدمة أوفتای خان (١٢٢٩-١٢٥٠م) فامتاز فى الخدمة كضابط فى الجيش ثم عین حاكما عاما على مدينة بنينغ - بكين العوم - وأدخل اصلاحات واسعة فى الحياة الاجتماعية والاخلاق والسلوك ، وكتب المستشرق الفرنسى « ويسير » فصلا فى كتابه : « دراسة عن المسلمين فى الصين » عن السيد الاجل وانجازاته وأوضح انه شيد معبدا لاتباع « كونفوشيوس » وبنى المدارس وشجع نشر الثقافة ، وبقي فى حكم الولاية ست سنوات وترك خمسة أبناء تولوا مناصب هامة فى الامبراطورية المغولية فى الصين .

شغل المسلمون مناصب هامة فى حكومة الامبراطورية ووزاراتها والجيش حيث عملوا كقادة .. وكان القائد يتولى قيادة عشرة آلاف جندى ، كما عملوا فى البلاط الامبراطورى واجنحته المختلفة وادارات التفتيش كمفتشين وفى مراكز الشرطة كمديرين ، وفى كتابه « جامع التواريخ » يذكر المؤرخ المسلم فضل الله الذى توفى سنة ١٣١٨م أن الامبراطورية المغولية بقيادة قبلای خان قد انقسمت اثنا عشرة ولاية ، وتولى المسلمون حكم ثمانية ولايات منها .

ومن الشخصيات الإسلامية التى تولت مناصب هامة أيضا حسن یو جينج



حيث شغل نائب رئيس وزراء ، شاه يوجينج النائب الثانى لرئيس الوزراء ثم بدر الدين يوجينج الذى شغل منصب نائب ثان لرئيس الوزراء .

وبالرغم أن مدة حكم المغول فى الصين كانت قصيرة - ١٠٠ عام فان تصاعد نفوذ المسلمين كان سريعا وملموسا فى انحاء هذه الامبراطورية وكذلك برعوا فى علوم الطب والفلك وهندسة العمارة والجيش - المدفعية خاصة - بالاضافة الى بروزهم فى الامور الدينية الاسلامية ، ويوضح ذلك كيفية وصول الانسان المسلم الى تلك المرتبة العالية وان اقاليم شمال الصين الغربى مثل قانسو ، وتسفاى ، ونينج هشيا قد شهدت جاليات اسلامية عربية بالاضافة الى الموانئ الساحلية وحول العواصم القديمة والحديثة من بكين ، وتانكين ، وسى - آن ، ولو يانج ، وپورتان .

#### المرحلة الثالثة :

عهد أسرة منج ٧٧٠ - ١٠٥٨ هـ / ١٣٦٨ - ١٦٤٢ م

تمكن المسلمون فى المرحلتين السابقتين من الاندماج فى المجتمع الصينى ولكنهم حافظوا على تقاليدهم وعاداتهم الاسلامية ، رغم القدر الذى تعرضوا له من جيرانهم الصينيين الذين كانوا ينظرون الى الحياة بعين مختلفة ، وتمثلت هذه السخرية من عقائد المسلمين وشعائهم الدينية وحياتهم الخاصة فى الادب الروائى فى آخر ايام حكم المغول ، حيث النظر الى الدين الاسلامى الذى انتشر بسرعة ولقى احتراما وتقديرا - قد تغيرت ، ونظر الصينيون بحسد أو ربما بحقد الى المسلمين بعد أن تغيرت نظم الحكم وأساليبه ، وصار على المسلمين أن يقلدوا الصينيين فى عاداتهم وادابهم السائدة وصولا الى اختيار اسماء عائلية صينية لهم فضلا عن تغيير عاداتهم الاجتماعية حتى يستطيعوا « التقرب » فكريا ونفسيا ومنذ سنة ١٣٦٨ م والفترة التالية تغيرت بالفعل معيشة المسلمين .

قبل عصر اسرة منج - كان المسلمون من العرب محتفظين بلغتهم الخاصة ، واسماؤهم الاسلامية كانت كما هي سواء فى وظائفهم أو أعمالهم الخاصة ، حتى الملابس الصينية لم يتعدوا عليها ، ومع الاسرة الحاكمة الجديدة كان المسلمون من المهاجرين العرب وابنائهم المولودين فى الصين قد كثروا وازدادوا وانتشروا فى كثير من المدن الكبيرة فى شمال الصين وغربها ووسطها وجنوبها وفى وادى نهر البانتس وحققوا ازدهار اقتصاديا .

غير أن تغير الاوضاع السياسية جعل المسلمين يخطون خطوات أخرى تتسم بالحذر الذى انعكس على اختيار اسماء العائلات الصينية ، وسموا عائلاتهم باسماء ( ما ) اختصارا من مسعود ، أ ، محمد و ( حا ) اختصارا من حسن وغيره ، و ( نا ) اختصارا من نصر الدين أو نصير وغيرهما ، ( باى ) من بدر الدين أو بهاء الدين ...

أيضا اتخذ المسلمون خطوات عملية لتوثيق العلاقات مع العائلات الصينية بصلات الزواج مثل ( انج ) و ( تاى ) و ( لى ) و ( تشانج ) واخذوا يرتدون الزى الصينى ، وكسبوا بذلك اتباعا جددا للاسلام ، ثم درسوا اللغة الصينية وفهموا الثقافة الصينية ، فتصبنوا ( أى أصبحوا صينيين بمرور الزمن ) ، وشمل هذا التصبن ، بمرور الزمن الاداب الصينية والمعيشية اليومية ومظاهر الحياة وعاداتها باستثناء العقيدة والعبادات الاسلامية التى تمسكوا بها وحافظوا عليها فكانوا لا يأكلون لحم الخنزير ، ولا يشربون الخمر .

شهد عصر منج - رغم السلبات السابقة - ارتفاع مكانة المسلمين حيث صلاتهم - علاقاتهم - مع الاسرة الحاكمة كان مبنيا على الاحترام المتبادل ، وكانت علاقاتهم بالفئات الاخرى الصينية تتسم بالتودد والصداقة والتفاهم ، ولم نورد المصادر وقوع أى حوادث أو اصطدام مع الصينيين بسبب

اختلاف العقيدة والشعائر الدينية .

ويرجع لك الى السمعة الطيبة منذ العصور السابقة فضلا عن اصطباغ المسلمين بعادات الحياة الصينية ، اجتماعيا ، وثقافيا ، ثم العلاقات التي توطدت بين أسرة منج وبين الاقاليم الاسلامية بآسيا الوسطى مما ساعد على تقوية المسلمين ومركزهم فى الصين مثال ذلك آل تيمور فى سمرقند ، وشاهرخ فى عرات بالاضافة الى العلاقات الحسنة بين ملوك اسرة منج والامراء المسلمين الذين كان لهم امارات مستقلة بين ملوك أسرة منج والامراء المسلمين الذين كان لهم امارات مستقلة بسواحل الهند الممتدة حتى الخليج العربى .

وفى عهد هذه الاسرة - اسرة منج - اكتسب الاسلام " رغم السلبات السابق الاشارة اليها - اتباعا جددا بمصاهرة الاسر الصينية للمسلمين من اصل عربى ومغولى وإيرانى ، وبرزت شخصيات بارزة اخرى مثل القائد « تشانج يو » ثم « الحاج جنهو » الذى يفتخر به تاريخ الصين ، وقاد عدة رحلات الى ساحل الجزيرة العربية ، وبلاد الفرس ، وشرق افريقيا فى سنة ٨٣٧هـ وزار جزيرة سيلان ، وجزيرة هرمز ، وعدن ، ومكة المكرمة حيث ادى فريضة الحج ولقب بالحاج جهان .

وقد اتبع اسرة منج نفس سياسة اباطرة المغول فى تشجيع نشر علم الفلك الذى بقيت ادارته تحت اشراف العلماء المسلمين مثل الشيخ خضر وعبد الله ، وقسمت ادارة الفلك فى سنة ١٣٧٠م الى أربع شعب هى شعبة

(١) راجع فى تفصيل ذلك :

AHmed Ali, Muslim China, karachi, 1949 .

وقد قدم كبحث عن لوضاع المسلمين فى الصين لمعهد الشؤون الدولية فى كراتشى ، باكستان سنة ١٩٤٩م .

الفلك وشعبة التقويم العام والساعة المائية وشعبة التقويم الاسلامى وتولى رئاسة هذه الشعب العلماء المسلمون الذين كان لهم احترام عظيم لمكانتهم كما نبغ المسلمون فى ابراز الفنون الاسلامية على البرنز الصينى والزخارف المنزلية التى كتب عليها العبارات العربية والادعية الاسلامية ، وظهر ابداع الفنون الاسلامية فى الفن المعمارى الصينى .

### المرحلة الرابعة :

عهد مانشو ١٠٥٤ - ١٣٢٩ هـ / ١٦٤٤ - ١٩١١ م

### اضطهاد المسلمين :

انقسم المسلمون فى بداية عهد مانشو الى قسمين ، الاول ويضم جميع المسلمين فى الصين الداخلية ، أما القسم الثانى فيشمل المسلمين فى ولاية سنكيانج المعروفة فى العالم الاسلامى باسم « تركستان الصينية » .

كان المسلمون فى الداخل - بما فيها الولايات الساحلية - اما ابناء العرب أو الايرانيين الذين استوطنوا مختلف المدن والموانئ بالاضافة الى الصينيين الذين اعتنقوا الاسلام بمرور الزمن وقد سبقت الاشارة الى تكيفهم جميعا فى اطار المجتمع الصينى مع احتفاظهم بعقيدة اسلامية ثابتة وراسخة فى قلوبهم ، وكانوا يضطرون الى ابقاء بعض الميزات فى حياتهم الاجتماعية والمعيشية والدينية مثل اجتناب أكل لحم الخنزير وشرب المسكرات والتعود على تكرار الوضوء والتطهر والامتناع عن الاطعمة التى أعدت بوسائل غير اسلامية ، وكانت عادات الزواج وتشيع الجنازات تتم طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية واتبعوا التقويم الهجرى وأخذوا يصرمون شهر رمضان ويفرمون باحيائه بالصلاة فى المساجد وقراءة القرآن الكريم بالعربية والانصات الى الاثمة المسلمين وتعلم اللغة العربية .

أثارت هذه العادات والتقاليد الدينية نفوس موظفى الحكومة المنشورية ، ووضعت فى أذهانهم الظنون والشكوك لأن المنشوريين كانوا دخلاء فى نظر الصينيين الاصلاء ، وكانت عبادة المنشوريين هى عبادة الارواح والاسلاف وهى عقيدة شبيهة من عبادة الاسلاف .

وهناك عوامل سياسية واقتصادية أيضا بالاضافة الى العوامل الدينية ، وكلها ساعدت فى نشوب احتكاكات مسلحة عنيفة بين موظفى الحكومة والمسلمين فى انحاء الصين الداخلية وسنكيانج دامت مدة طويلة كان المسلمون دائما مضطهدين خلالها ، وانعكست مظاهر هذا الاضطهاد على حرمان المسلمين الاكفاء من الوظائف المرموقة كان الوضع فى الماضى .

كانت تقارير موظفى الحكومة المنشورية تجاه المسلمين مملوءة بالحقد والكراهية ومنسوق العديد من الوقائع المستمدة من المصادر (١) التاريخية الصينية :

فى السنة الثانية لجلوس الامبراطور « يوج تسننج » سنة ١٧٢٤م بعث المفتش العام لولاية « شانتونج » الى القصر الامبراطورى قائلا : « ... يجب أن تمنع بتاتا بحكم القانون مزاوله الاعمال المعروجة التى تشوه أذهان الناس ومنها ماتزاوله جماعة ( هوى هوى ) - أى المسلمون - ان هؤلاء لا يعبدون السماء والارض ، ويأبون أن يقدموا النذور الى ارواح الاسلاف الصالحين . لقد أسسوا فرقة دينية خاصة بهم ، يستخدمون تقويما غير التقويم الصينى ، فكثرت عدد هذه الجماعة بزيادة الاعضاء فيها ، وقاموا بدعوة الناس الى اعمال

---

(1) Fu Theng hsien, Chirese Muslim History, Chansha, 1940 .

ويحتوى الكتاب على احوال المسلمين خلال فترة الحكم الجمهورى حتى سنة

١٩٣٩ م .

النشر افسادا لنفوسهم وعقولهم . وعليه التمس من مقام القصر العالى اصدار  
أمر امبراطورى بشأن اخراج هؤلاء المسلمين من عقائدهم وتخریب  
مساجدهم من الاساس ... » .

وهناك وثيقة أخرى نسوقها كمثال لتوضيح الاضطهاد الذى عانى منه  
مسلمو الصين فى هذه الفترة ، فقد قدم رئيس شرطة ولاية « آنهوى » تقريرا  
الى الامبراطور يورنج تسننج سنة ١٧٣٨ م قائلا : « ... ان المسلمين داخل  
البلاد يسكنون فى كل مكان وحيث يشاءون ، ويمارسون جميع أنواع  
الاعمال الحرة ... لكنهم لا يتبعون نظام تقويما .. أنهم يستعملون تقويما  
خاصا ويحتفلون برأس السنة الجديدة حسب تقويمهم فيقيمون فيه حفلات  
ويتبادلون التهاني والتبريكات ... » ، ثم انهم يلبسون فوق رءوسهم  
كوفيات بيضاء صباحا ومساء ، اذ كانوا يجتمعون فى المعابد التى يسمونها  
« تسنج جنج تزي » - أى المساجد ، ولا أحد يعرف ماهى الارواح التى  
يعبدونها ، وهم اقاموا نظاما للصوم عليهم أن يراعوا نظام موحدًا ويلبسون  
الألبسة المألوفة فى البلاد ، ... ولا ينبغي أن يلبسوا الكوفيات البيضاء .... ،  
وبناء عليه أُرسل الى جلالتهكم اصدار مرسوم خاص بغلق مساجدهم .. أما  
الاشخاص من أهالى البلاد فاذا أظهروا عطفهم على المسلمين أو اعطائهم  
ملجأ فى بيوتهم فيجب محاكمتهم ... » .

وقد تكررت التماسات المنشورين ضد المسلمين المقيمين فى الصين لدى  
الامبراطور ليعطل مساجدهم بأغلاقها أو تخریبها واخراجهم من دينهم ... » .

غير أن الامبراطور جيان لورنج كان مثقفا ، متور الذهن ، دراسا للثقافة  
الصينية ، ومتعمقا فيها فتعامل مع المسلمين على اساس من العدالة والتسامح  
قائلا : « أن المسلمين أخذوا يقيمون فى الصين منذ قرون ، وانتشروا فى  
كل مكان ، أنكم لا تستطيعون أن تقتلوهم كلهم ، أنهم ليسوا مجرمين

بسبب عقيدتهم أو تقاليدهم الدينية ، وهم من رعايا هذه الامبراطورية ولا ينبغي أن يعاقبوا الا اذا عملوا شيئا مخلا بالقوانين أو أصبحوا عصاة فى البلاد ... ١ .

### العوامل السياسية :

أثرت العوامل السياسية فى موقف الموظفين الحكوميين ضد المسلمين تأثيرا مباشرا على النحو الآتى :

١ - وقف القائدان المسلمان ( تنج كوتونج ) ، (ميرا اين ) الى جانب آخر أمراء أسرة منج وساعدها لاستعادة عرش أسرته الزائل ، وانتهت الاسرة الحاكمة الجديدة وهى أسرة « تسنج » وهاجمت جيش القائدين المسلمين اللذين قتلا على أيدي الجيش المانشورى الذى كان يتفوق عليهما فى السلاح والعتاد ، فهلك معهم خمسة آلاف من المسلمين فى هذه المعركة (١) .

٢ - استتبع تلك الاحداث عدم الثقة التى استقرت فى اذهان الموظفين المانشوريين ، وهو ما يفسر تقديم توصياتهم على النحو السابق الاشارة اليه ضد المسلمين .

٣ - بالاضافة الى هذه العوامل السياسية كانت هناك عوامل دينية ساعدت على زيادة الشكوك فى نفوس المسؤولين بالنسبة لوفاء المسلمين وأخلاصهم لمبراطورية المانشوريين ، وتكونت هذه العوامل من عناصر ترتبط بالحركات الدينية فى عصر « تسنج » وخاصة فى الفترة (١٧٣٦-١٨١٩م) .

٤ - ظهرت الجمعيات السرية مثل « طائفة النيولوفر البيضاء » وهى

---

(1) Shiao Yi Shan, General Hcitory of the Ching Dynasty, Shanghai, 1927, Vo II- 11, pp 273 - 302 .

متفرعة من البوذية كستار محرقة سياسية تهدف الى اعادة السلطة الى ايدى الصينيين الاصلاء ، وبمرور الزمن انتصرت هذه الحركة فى انحاء الصين وحدث الكثير من الاضطرابات التى انعكست على مزيد من الاضطهاد تجاه المسلمين .

٥- ارتبطت حركة سرية أخرى اطلق عليها « طائفة تيان لى جيو » بطائفة « النيو لوفر البيضاء » ، وكان أسمها يعنى « دين المنطق السماوى » وكسبت نفوذا كبيرا فى الولايات الصينية ، رغم أنها أقمعت على ايدى العسكريين المانشوريين الا أنها كانت قد سببت مزيدا من القمع تجاه المسلمين .

٦- وجدت المسيحية أرضا خصبة فى الصين للتصير ، والغريب ان بعثات التصير قد تحققت بحرية ومعاملة حسنة من أسرة « تسنج » كما لاقت تأييدا من الموظفين المانشوريين ، غير أنه فى اوائل القرن الثامن عشر تغيرت معاملة الموظفين المانشوريين تجاه المنصرين حيث صدر مرسوم بابوى سنة ١٧١٨م الى القائمين بأمر التصير لمنع الصينيين الداخلين فى المسيحية حديثا من عبادة أرواح أسلافهم ، وكان هذا مخالفا لتقاليد الصين وكرامتها فغضب المواطنون المانشوريون .

٧- جاء تدخل المفكرين فى أمور الصين الداخلية من خلال إعطاء الحصانة لمن اعتنقوا الدين المسيحى وحمايتهم - جاء ذلك ليسبب مرارة فى نفوس الموظفين المانشوريين ، وبالتالي رفعوا الالتماسات للمسؤولين تطالب الحكومة بمنع المنصرين من مباشرة أعمالهم وإبعاد الاجانب ، ومن الطبيعى أن ينعكس ذلك على المسلمين الذين عانوا من اضطهاد هؤلاء المنصرين .

٨- كان الموظفون المانشوريون قد ورثوا عن أسلافهم عدم الايمان بأى



دين ماعدا العقيدة المتمثلة في احترام أرواح الاسلاف ، ومن الطبيعي عدم فهمهم لقواعد الدين الاسلامي الحنيف ، وبالتالي اضطادهم للمسلمين .

- ثورات المسلمين في مواجهة الاضطهاد :

يمكن القول أن المسلمين في الصين قد اضطهدوا اضطهادا بالغاً في عصر أسرة « تسنج » حيث لا قوا أسوأ معاملة على أيدي حكامها مما دفعهم - أي المسلمين - الى الثورة في الداخل وفي شمال غرب الصين على النحو الآتي :

أولا - ثورات المسلمين في سنكيانج والداخل

١- وضع شمال سنكيانج وجنوبها :

في الفترة ١٧٣٦-١٧٨٤ ضمت الصين الى أراضيها تركستان الشرقية (مقابل تركستان الغربية في روسيا) وكان عدد سكانها ثلاثة ملايين نسمة تقريبا ومن الناحية الجغرافية فقد كانت تقع بين روسيا وأفغانستان غربا ، وكشمير والهند جنوبا ، وقانصو بداخل الصين شرقا ، ومنغوليا وسيبيريا شمالا - وسميت بسنكيانج بمعنى الايالة الجديدة بعد استيلاء الحكام المانشوريين عليها .

أنقسمت هذه الولاية الى قسمين ، قسم شمالي وقسم جنوبي يعرف باسم « هوى كيانج » أي أرض المسلمين ، وكان هذا القسم مملكة أو امارة أسسها امراء المغول وكانت مدينة كاشغر عاصمتها ، وقد تم اجبار المسلمين على الاستسلام للسلطات المانشورية وقام أحد زعماء المسلمين - عبد الرشيد - وابنه محمود بمواجهتهم - أي السلطات المانشورية - لانهم أغتصبوا مملكة اسلافه « الكاشغرية » غير أن السلطات المانشورية قبضت عليهما .

## ٢- ثورة الخروجات :

كان لمحمود بن عبد الرشيد ولدان لقب أحدهما بالخوجة الكبير ، والاخر بالخوجة الصغير اللذين اشرفا على المزارعين المسلمين باعتبارهما رئيسين للقبائل هناك وكونا جيشا قويا من المسلمين لطرد الجليين - وهم من المسلمين أيضا من أصل إيراني وأصل عربي - وتمكنا من الاستيلاء على معظم المناطق ، وحاول الاخ الاصغر الاستقلال ، في حين فضل الاخ الاكبر البقاء مواليا للسلطة المانشورية .

استطاع الاخ الاصغر فرض ارادته من خلال جيشه القوي لكن السلطات المانشورية تمكنت من الاخوين معا في سنكيانج ، وهذه القصة عن ثورة الاخوين تكاد لا تذكر في المصادر التاريخية الاسلامية رغم أنها تضع علامات يضاء في ثورات المسلمين في الصين تجاه المانشوريين

## ٣- مابعد الخروجات :

عقب القضاء على الاخوين أخذ الحكام المانشوريون يضعون نظاما جديدا لحكم « كاشغر » من خلال السلطة المركزية في بكين حيث تأسست ادارة المندوب السامي في كاشغر بسلطاته الواسعة على المدن ، وكانت هناك « مدينة للمسلمين وعددا من « القصبات » ، وجعلت الحكومة المانشورية أحد المسلمين يتولى أمورهم وهو أعظم بك الذي أدى يمين الولاء للامبراطور وأجرى اصلاحات اقتصادية في هذه المدن وخفض تكاليف المعيشة ، وتم تحريم الزواج المختلط بين المسلمين وغير المسلمين ، وأماكن لسكنهم ، وعاش المسلمون في فترة حكم أعظم بك - ومن تبعه من البكوات - في أمن وسلام حوالى ستون عاما ازدهرت خلالها أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية .

## ثانيا : ثورة جهانكير (١٨٢٠م)

- نظام سياسى جديد :

وضع الامبراطور المانشورى نظاما سياسيا جديدا لولاية الكاشغرية بشأن فرض رقابة شديدة على حركات المسلمين مع اعطائهم نوعا من الحكم الذاتى الممثل فى شخص « الاعظم بيك » باعتباره حاكما على المسلمين ، وليس وكىلا سياسيا .

كان اختيار الموظفين للمناصب الحساسة فى المدن الاسلامية بسنكيانج لايجرى على أساس الكفاءة ، ودخلت المحسوبية فى اجراءات الاختيار وأصبح اشخاص غير اكفاء فى مراكز المسئولية الامر الذى أوجد الفساد فى الادارات وأرهاب السكان المسلمين بالضرائب والرسوم ، وأصبح « أعظم بيك » فى بعض المدن الاسلامية فى « سنكيانج » العوبة فى ايدى الوكيل السياسى الذى كانت مهمته مراقبة سلوك « الاعظم بيك » والاشراف على سير اعماله ، وقام « الاعظم بيك » بدور الوسيط فى تنفيذ سياسة الموظفين المانشوريين الفاسدين .

وكانت الاوامر التى يصدر « لاعظم بيك » من الوكلاء السياسيين لها وزنها ، ولايمكنه رفضها أو عدم تنفيذها ، ومن جهة أخرى كان « أعظم بك » نفسه مراعىا لمصالحه الشخصية ، وانعكس الفساد على توزيع المبالغ التى يجمعها من السكان المسلمين على كبار الموظفين فى البلديات دون القيام بأى اصلاحات الامر الذى كان فتىلا لاشعال الثورة من جانب المسلمين .

كان جهانكير حفيدا للخوجه الكبير - الذى وردت الاشارة اليه ، واشتهر اسمه بين القبائل فى أطراف « خوقند » حيث هرب اليها عدد كبير من المسلمين بسبب اضطهاد الموظفين المانشوريين لهم ، كما تطلع مسلمو مدينة

بوردت الى جهانكير وزعامته للانتقام من المانشوريين بسبب سوء معاملتهم ،  
وقام جهانكير بغارات متواصلة على الحدود الكاشفريه حيث اقترب جهانكير  
من مدينة كاشفر سنة ١٨٢٦م وزار قبره جده الخوجه الكبير وقرأ الفاتحة  
على روحه ، ثم جمع حوله حشدا من المسلمين ونظم جيشا بلغ عشرة  
آلاف جندي اضافة الى ثلاثة آلاف آخرين من « خوقند » وتمكن من  
الاستيلاء على كاشفر في ٢٠ أغسطس ١٨٢٦ وسقطت مدن بانف  
حصار ، ويارقند ، وختن .

غير أن قوات الامبراطور المانشوري هاجمت جهانكير عند « نهر الخون »  
وسميت بمعركة نهر الخون وتسبب التكتيك العسكري ووسائل الحديثة في  
حدوث خلل في جيش جهانكير فخسر المعركة ، واستردت القوات  
المانشورية مدينة « كانفر » في مارس ١٨٢٧ ثم سقطت المدن الثلاثة يارقند ،  
وبانف حصار ، وختن في الشهور التالية .

عبر جهانكير الحدود الى خوقند ، وتم القبض عليه غدرا من خصومه  
الجبليين الذين استدرجوه ثم قبض عليه المانشوريون حيث ستموه ، فمات .

### ثالثا : ثورات المسلمين في شمال الصين الغربى

خلال حكم أسرة « تسنج » أى الامبراطورية المانشورية - ظهرت ثورات  
عديدة قام بها المسلمون في شمال الصين الغربى لاسباب عديدة .

#### ١- ثورة « لانتشو » ١٧٨١م :

سبقت الاشارة الى ظهور فرقتين دينيتين عند ثورة الخوجات وهما فرقة  
الجبليين السود ، وكانت الفرقتان متنافستين ، وفي شمال الصين الغربى -  
ولايات قانصو ونيشيا وتسفاى - كان لفرقة الجبليين السود مقر فى سنيخ  
- وهى عاصمة ولاية نيشيا الحالية - وكان لهذه الفرقة ارشادات خاصة فى

تلاوة القرآن الكريم صامتا ، وحدث خلاف مذهبي بين المسلمين عندما عاد عالم اسلامي كبير اسمه : محمد أمين ( ما من شين ) من زيارة لمدن في آسيا الوسطى زاهرة بالعلوم ، وقد لاحظ محمد أمين ان المسلمين في سمرقند ، وبخارى ، وفرغانة يقرأون القرآن الكريم بصوت جهورى وليس صامت ، فلما عاد الى ولاية قانصو دعا الناس لتلاوة القرآن الكريم بصوت جهورى ، فحدث انشقاق بين زعماء المسلمين في مدينة « سينينج » ، وظهرت فرقتان ، الاولى ( خفية ) ، والثانية ( جهرية ) فيما يتعلق بقراءة القرآن الكريم وتساعد الخلاف المذهبي وأدى الى اصطدام دموى فى سنة ١٧٨١م ..

اعتقل محمد أمين زعيم الفرقة الحديثة وألقى به فى السجن ، فقام اتباعه بتطويق المدينة مطالبين باطلاق سراحه ، غير أن الوكيل السياسى خدع المسلمين وأعدمه ، وسبق الثوار المسلمون الى أحد الجبال حيث أنشأوا حصنا جنوب مدينة « لانتشو » وطوقته القوات الحكومية المانشورية ، فى حين تحصن المسلمون داخل المساجد وماتوا دون تسليم أنفسهم بالقاء أنفسهم فى النار وقد انتهت الثورة بسقوط جبل لين هوا فى أيدي الحكومة .

## ٢- حادث « شيفانباو » :

بانتهاى اضطرابات « لانتشو » ، فقد عامل المسئولون الفرقة الحديثة فى تلاوة القرآن الكريم معاملة قاسية مما أحدث تذمرا فى نفوس المسلمين .

كان زعيم الفرقة الحديثة « تيان أو آخون » الذى ورث من استاذة محمد أمين مركز الزعامة ، واستمر فى دعوته لفرقة فى مدينة تسمى ( شيفانباو ) ، واستخدم المسجد كمركز روحى لدعوته ، وطبيعى أن يتعرض المسلمون لاضطهاد المانشوريين الذين واجههم « تيان أو آخون » حتى استشهد ، وأصدر القائد المانشورى أمرا بالتنكيل بالمسلمين مما تسبب فى قتل آلاف

منهم وخاصة من النساء المسلمات والاطفال .

تجمع المسلمون الصينيون صفاء واحدا في مواجهة هذا الظلم وسيطروا على مدينة « تهوى نوى » غير أنهم انسحبوا الى « شيقانباو » لوصول التفريزات المانشورية ، وحالوا أحداث فجوة بالقوة في صفوف المانشوريين ، فسقطت الضحايا ودخلت القوات المانشورية المدينة وقتلت نحو خمسة آلاف من النساء والاطفال دون رحمة ، وسقوط « شيقانباو » ، والقضاء على أغلبية اتباع الفرقة الحديثة صدر مرسوم امبراطورى ينص على منع المسلمين من أن يتجادلوا في مزور الفرق المذهبية الدينية اطلاقا .

### ٣- ثورات المسلمين في شانس وقانصو ( ١٨٦٢ - ١٨٧٠ م ) :

استخدم رئيس شرطة ولاية ( هاورنان ) ستمائة شاب مسلم كمجندين للحراسة والمحافظة على نظام وأمن الولاية ، ثم تم تسريحهم ، غير أنهم كانوا في حاجة لحماية أنفسهم فصنعوا أرماحا .

وفي هذه الفترة ١٨٥١ - ١٨٦١ حث ثورة « البوكسر » .

وانتشرت العصابات التى اضطرت السكان لتكوين متطوعين للدفاع عنهم وحمايتهم واصطدم هؤلاء بالشبان المسلمين المسرحين من شرطة ولاية ( هان - نان ) خلال عودتهم لاهليهم وتوفى عدد من الشبان المسلم نتيجة للتصادمات حيث كان السكان يكرهون المسلمين .

كما انتشرت الشائعات بأن القوات المانشورية ستقضى تماما على المسلمين ، وبرز أحد المسلمين الشجعان بمدينة « وايتان » وجمع حوله الشباب المسلم المدرب وواجهوا الجيش المانشورى واستشهرت جماعة كبيرة من المسلمين .

#### ٤- قمع الجنرال تسوتسويج للمسلمين وبروز يعقوب بيك :

الجنرال تسوتسويج هو قائد العمليات العسكرية ضد الثوار المسلمين في شمال الصين الغربي ، وذاعت شهرته في قمع ثورات « البوكسر » ، وقد تعاون مع جنرال آخر اسمه « ليو سون شان » واستوليا على حصون المسلمين وقتلا بجيشيهما ثمانية آلاف مسلم ، غير أن قائدين مسلمين تصدوا للمانشوريين ولم تكن معارك متكافئة وحسر المسلمون خمسة آلاف آخرين ونم الاستيلاء على حصون المسلمين الواحد تلو الآخر .

غير أن المسلمين دافعوا عن أنفسهم ، واضطروا للهجرة الى اقليم آخر « بينج ليانج » ، ولما أعدم قائدهم المسلم « ما تسن فار » هدأت الاوضاع لكن ذلك لم يمنع مطالبة المسلمين بالاستقلال في الفترة ١٨٦٥ - ١٨٧٧ م حيث وصل الاضطرابات الى تهديد الروس لهم ، وكان هناك قائد اسمه « يعقوب بيك » قاوم بشدة استيلاء الروس على مناطق المسلمين ، وتم توقيع اتفاقية يونيو ١٨٧٢ م اعترف الروس بها بسيادة يعقوب بيك على الكاشغرية وتحسنت العلاقات التجارية بينهما ، ثم بعث يعقوب بيك الى نائب الملك البريطاني في الهدى في الفترة (١٨٦٤ - ١٨٦٦) للتفاوض معه بشأن عقد اتفاقية عسكرية ضد الروس والمانشوريين معا ، وتمكن بالفعل من تأسيس مملكة مستقلة بين روسيا والهند البريطانية واعترفت بريطانيا والدولة العثمانية بسيادته على الكاشغرية بل أن الدولة العثمانية أنعمت عليه بالخلافة العثمانية ولفسته بـ « أمير الكاشغرية » .

غير أن الفتن استمرت فيما بعد (١٨٧٧ م) وحاربت مدينة كاشغر نفسها ( كاشغر القديمة وكاشغر الحديثة ) وضعفت مقاومة المسلمين للجيش المانشوري ثم سقطت في يده ، وسقط معها يعقوب بيك الذي حكم كاشغر نحو ١٣ سنة وكان وعائلته من المسلمين الاقرباء الذين وقفوا

ضد حركة القمع المانشورية .

## ٥- ثورة المسلمين فى ولاية يوننان :

كان السيد الاجل - كما سبقت الاشارة - قد عين خاكما عاما على ولاية يوننان فى العهد المغولى (١٢٧٧ - ١٣٦٧م) حيث أنشأ المدارس والمعاهد الدينية وأقام المساجد ، وبمرور الزمن تزوج المسلمون بالصينيات وصولا الى القرن التاسع عشر حيث تكاثر السكان المسلمون وشهدت هذه الفترة ثورة البوكسر التى قادها هونغ شيوتشوان (١٨٣٧ - ١٨٦٤م) ضد حكم الاسرة المانشورية فى الصين والتى كثر فسادها واستفحل ، وتأثر المسلمون أيضا بالاضاع السيئة فكانت ثورتهم فى ولاية يوننان نتيجة للظلم السياسى وكرهية مشولى الحكومة المانشوريين للمسلمين بوجه عام والذين قتلوا ثلاثمائة عائلة مسلمة ورغم جهود حكماء المسلمين فى تسوية المنازعات سلميا الا أن الفترة التالية شهدت مجازر رهيبة ضد المسلمين ، وبالطبع أدت المنافسة بين الزعماء المسلمين أنفسهم - رغم قوة المسلمين - الى فشل الحركة الاسلامية فى يوننان ، بل أن الاف الالف من السيدات المسلمات انتحرن بالقاء أنفسهن فى الآبار ، فضلا عن أن أكثر من ثلاثين ألف مسلم من الرجال لاقوا حتفهم بوحشية على ايدى القوات المانشورية .

## التركستان الشرقية « الصينية » :

تقع التركستان الشرقية فى شرقى قارة آسيا ، وتحدها الصين فى الشرق والجنوب الشرقى ، ومنغوليا فى الشمال الشرقى ، ومنغوليا فى الشمال الشرقى ، والاتحاد السوفيتى فى الغرب ، وتبت وكشمير فى الجنوب ، وقد استولت الصين الشيوعية عليها جزءا جزءا ، وسيطرت على أعنة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ١٢ مليون



نسمة ، منهم ٧٠٪ من المسلمين ، وكانت هذه النسبة قبل الاحتلال الصيني حوالي ٩٠٪ وعاصمتها « تيهوا » ، ولايتسمى السكان الى جنس واحد فان موقعها التجارى جعلها مكانا لمرور اجناس متعددة استقرت بعضها هناك وأهمها « الاويجور » وشكلون ٨٠٪ والقازاق ويشكلون ٩٪ والمغول ٢٪ والصينيون ٥٪ أما « الهوى » فهم من أصل عربى ينتسبون الى العرب المسلمين الفاتحين الذين قدموا مع القائد الاسلامى قتيبة بن مسلم الباهلى فى أواخر القرن الاول الهجرى ، وهناك نسبة قليلة من « الاوزبك » الذين قدموا من تركستان الغربية الروسية .

ومن الأهمية بمكان استعراض تطور احوال المسلمين هناك من خلال عرض الاحداث التاريخية التى انتهت بوقوع التركستان الشرقية نهائيا فى قبضة الصين . فقد قامت الثورات ضد الحكم الصينى واستمرت نحو مائة عام حتى سنة ١٨٧٢م حيث سقط الالوف من الشهداء دفاعا عن الدين الاسلامى ، وفى سنة ١٨٧٤م استولت حكومة الصين على سلطنة « كاشغر » ، غير أن المسلمين ثاروا فى مواجهة الحكم الصينى بعد أن إيقنوا أن كيانهم مهدد بالزوال وفقدوا أكثر من ربع عددهم فى ميدان الجهاد .

واذا ما انتقلنا الى أحداث عام ١٩٤٩م ، فان الثورة الشيوعية الصينية اعلنت أن التركستان الشرقية دولة تتمتع بالاستقلال الذاتى ولكنها تحت حماية الصين ، وفى سنة ١٩٥٣م أصبح السيد « سيف الدين رئيسا للدولة ، وعرضت البلاد منذ تلك الفترة باسم « سينكيا غج بدلا من التركستان الشرقية .

## تطور انتشار الاسلام :

انتشر الاسلام بين سكان تركستان الشرقية بواسطة قتيبة بن مسلم الباهلي - كما سبقت الاشارة - بعد أن فتح المسلمون بلاد فارس واستمر تقدمهم شرقا الى بلاد بخارى وسمرقند حيث نشروا الدين الاسلامي في هذه البقاع النائية بعد فتحها ، ثم عبروا وسط آسيا حتى غربي تركستان الشرقية وتمكنوا من فتح « كاشغر » ، وفي العصرين الاموي والعباسي زاد اعتناق السكان للاسلام وصولا الى سنة ٢٣٢ هـ حيث اسلم حاكم البلاد وهو الخاقان ستوف بوجرا وابناؤه وكبار رجال الدولة . وهكذا عم الاسلام تركستان الشرقية وأصبح الدين الرسمي للبلاد ، وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، وبرز علماء مسلمون اثروا التراث الاسلامي ومنهم « سديد الدين كاشغري » (١) و « محمود الكاشغري » وعاش المسلمون فترة من الاستقرار حتى جاء الغزو المغولي في القرن السابع الهجري ، ودخل خوافين المغول الاسلام ، وظلت تركستان دولة اسلامية مستقلة .

بدأ حكم المانشوريين في الصين سنة ١٦٤٤ م وبدأت معه متاعب تركستان الشرقية باستيلاء الصينيين عليها وتقسيمها الى مقاطعتين : مقاطعة شمالية هي « جونجاريا » ، ومقاطعة جنوبية هي « كاشغر » التي اطلق عليها « سنكيانج » - أي المقاطعة الجديدة .

وبمجيء العهد الجمهوري - كما سيرد تفصيل ذلك - في سنة

---

(١) بشأن تطور انتشار الاسلام في هذه الدول الآسيوية عموما .

راجع تفصيلا : الدكتور عبد الله مبشر الطريزي ، الاسلام والمسلمون في العالم ، انتشار الاسلام في العالم ، الجزء الاول ، عالم المعرفة ، جدة ١٩٨٥ م .

١٩١١ فقد تعاون الصينيون والروس على تمزيق هذه الوحدة الاسلامية لشعب تركستان الشرقية ، غير أن الشعب أعلن تأسيس جمهوريته الى أن قضى عليها الغزو الصينى الشيوعى كما سبقت الاشارة تفصيلا .

كفاح المسلمين فى الصين فى ظل الجمهورية (١٩١١م) :

تنفس المسلمون الصعداء بسقوط الامبراطورية المانشورية واعلان الحكم الجمهورى برئاسة الدكتور « صون يات صن » الذى اعتبر المسلمين عنصرا من عناصر الأمة الصينية الخمسة وهم العنصر الصينى ( أكبر العناصر فى الأمة الصينية ) ، العنصر المانشورى - العنصر المغولى - العنصر التبتى ثم العنصر الاسلامى .

وتكون العلم الصينى الوطنى من خمسة ألوان ، كان اللون الابيض يشير الى العنصر الاسلامى فى الامة الصينية ، وقد أيد المسلمون فى أرجاء الصين بما فيها ولاية سنكيانج الحكم الجمهورى منذ تكوينه .

كان عدد المسلمين وقتئذ حوالى عشرة ملايين نسمة وان كانت بعض المصادر قد قدرته بنحو ٢٤ مليون نسمة ، وأخرى بثلاثين مليون ، ومصادر رابعة بحوالى ١٥ مليون أما فى سنة ١٩٤٨ فقد ذكرت المصادر أن عدد المسلمين بلغ ثمانية وأربعين مليون نسمة لهم حوالى ٤٥ ألف مسجد فى جميع أنحاء الصين وهذا الرقم يسكن أغلبه فى ولايات شمال الصين الغربى مثل قانسو ، ونينغ هشيا ، وتسينفاى ، وسنكيانج ، وهناك عدد كبير فى ولاية يوننان فى الجنوب ، أما فى الولايات الاخرى ففيها اقلية مسلمة .

أما احوال المسلمين فيمكن ايجازها فى أن أغلبهم كانوا أميين قبل الاربعينات ، ولم تكن لهم مكانة مرموقة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية واحتفظوا بأعمال أجدادهم فى تجارة الاحجار الكريمة والعقيق وتركيب المحوهرات وتصنيعها ، وانتشرت مقولة مضمونها « أن المسلمين هم الخبراء

فى احجار الفيروز ، بالاضافة الى الاوانى الخزفية والفخارية .

كما اعتاد المسلمون على بيع لحوم البقر والضأن بصفة خاصة حيث غيرهم من الصينيين لا يرغبون فى أكلها ، ويفضلون لحم الخنزير ، وربما يفسر هذا ان المسلمين مازالوا يعيشون عيشة الرعاة فى ولايات شمال الصين الغربى موطن الثروات الحيوانية حيث المراعى فى سنكيا نج ، ومنغوليا ، وقانصر ، ونينج هشيا ، وتسينجاي ، والتبت .

وارتبط ذلك بنوع آخر من التجارة هى تجارة الاصداف والفرو ، والسجاجيد التى احتكرها المسلمون ، كما عمل المسلمون فى المطاعم فى الاغذية المتعلقة بلحوم الضأن والبقر ، والخضروات المجففة والشاى ، وانواع من الصناعات كالمعادن . واكتسب المسلمون ارزاقهم بالجد والتعب ، واقتفوا بها وكانوا يفضلون العيش فى وئام مع الصينيين دون جرح مشاعرهم الدينية حيث تعرضوا - أى المسلمين فى الفترة من ١٩٣٨ - ١٩٣٦ لأهانات من بعض الكتاب تمس مشاعرهم الانسانية ومنها السخرية منهم لعدم تناولهم لحم الخنزير .

ومن الايجابيات اعادة تنظيم المساجد ، فشر التعليم الحديث والندوات للتشاور فى أمور الدين الاسلامى ، ومواجهة تحدى المنصرين بالجدال فى المسائل الدينية والمذاهب العقائدية .

ومن الجمعيات الاسلامية التى حازت مكانة مرموقة فى النواحي التعليمية والاجتماعية : -

#### ١- جمعية التقدم للمسلمين :

وتأسست سنة ١٩١٢ على يد زعيم مسلم من بكين هو « وانج هاززين wang Haa-Zen الذى زار تركيا ومصر والدول الاسلامية الاخرى ، وقام

بتوحيد المسلمين وتنفيذ برنامج تعليمي حديث للأطفال المسلمين بأموال صندوق خاص بذلك ، وأصبحت هذه الجمعية فيما بعد بمثابة أم الجمعيات التي أخذت طابعا سياسيا .

## ٢- جمعية الادب الاسلامى :

وقد أسسها الحاج هلال الدين فى سنة ١٩٢٥ وكان عالما اسلاميا تلقى تعليمه فى مصر وزار تركيا والهند ويتكلم العربية والاردية وتوفى سنة ١٩٤٨ ، وكان هدف الجمعية تبسيط العقيدة الاسلامية ومبادئها والنهوض بالتعليم الاسلامى وتوثيق العلاقات الودية بين مسلمى الصين والمسلمين فى الدول الاسلامية الاخرى ، وعملت الجمعية على ترجمة القرآن الكريم باللغة الصينية واصدار مجلة اسلامية شهرية وانشاء مدارس ومعاهد لتخريج المعلمين المسلمين وانشاء مراكز تعليمية اسلامية فى المدن الاخرى وهو ماتم فعلا فى الفترة من ١٩٢٥ - ١٩٤٠ ومنها كلية النبى صلى الله عليه وسلم فى بكين .

## ٣- دار المعلمين الاسلامية :

وتم تأسيسها فى ولاية شانتونج سنة ١٩٢٥ وكان الشيخ عبد الرحيم ماسونج تونج هو أنشط معلميها تقام برنامجها التعليمى على دراسة أدب الصين وتاريخها وجغرافيتها والرياضيات والطبيعة والدراسات الاسلامية والتربية والعلوم السياسية والاقتصادية . وعندما احتلت اليابان شمال الصين فقد انتقلت المدرسة الى بكين ثم عادت بعد انتصار الصين سنة ١٩٤٥ ، لكنها انتقلت ثانية الى بكين عندما استولى الشيوعيون على الحكم فى شمال الصين ، وفى سنة ١٩٥٠ تم تطهير الشيوعيين لهذه الجهود الاسلامية الرائدة وروادها . .

#### ٤ - المنظمات شبه السياسية :

وهذه المنظمات لها صلة بجمعية التقدم الاسلامى فى الصين - كما سبقت الاشارة - ومكان مركزها فى بكين ولها ثلاثة آلاف فرع : وقد توجس المسئولون الصينيون خيفة من هذه الجمعية ، حيث ساندت الحكومة جماعة أخرى من المسلمين فى تأسيس « الاتحاد المسلمين » فى اكتوبر ١٩٢٩ وجعل مركزه الرئيسى فى شنغهاى بهدف تشكيل جبهة موحدة بين المسلمين لتأييد الثورة الوطنية للدكتور صن يات سين أبو الجمهورية الصينية .

#### ٥ - الجمعية الاتحادية الاسلامية :

انشئت سنة ١٩٣٨ لمقاومة العدوان اليابانى حيث أوجد العسكريون اليابانيون ما يسمى بالاتحاد المسلمين الصينيين ، وقد كان رئيس الجمعية الاتحادية الاسلامية . الجنرال عمر باى تشونج - وزير الدفاع الوطنى وقتئذ - وقد وثق العلاقات مع الدول الاسلامية ، وحاربت هذه الجمعية الدعاية اليابانية ضد الصين .

#### الاقلية المسلمة فى ظل الحكم الشيوعى :

##### ١ - العلاقات بين الشيوعيين والمسلمين ( ١٩٣٧ - ١٩٣٨ ) :

تنافست اطراف ثلاثة فى استقطاب المسلمين الى جانبهم ، فحكومة الصين الوطنية استهدفت ولاء المسلمين الى جانبها ضد اليابان ، وادعت اليابان أن المسلمين يؤيدونها فى أعمالها الحربية فى الصين ، وفى نفس الوقت قام الشيوعيون بتسجيل تأييد المسلمين لحركاتهم لتقوية مراكزهم على طول حدود الولايات هاوية - شنس - قانصو .

أغرى الشيوعيون المسلمين كى يؤيدوهم فى الحركة الشيوعية وقدموا لهم

وعودا براءة مثل إلغاء الرسوم غير المباشرة ، ومساعدتهم فى تشكيل الحكومات الذاتية الاسلامية وتحريم التجنيد ، والمحافظة على التقاليد الاسلامية ، وحرية العقيدة ، وممارسة الشعائر الدينية ، ومساعدة مسلمى الصين لتوحيد صفوفهم مع مسلمى الاتحاد السوفيتى .

كون الشيوعيون جيشا من المسلمين اشترك مع الجيش الشعبى الصينى ، وتذكر المصادر ان أحد العلماء المسلمين قد ذكر عند عودته لقرينته أن الشيوعيين يعاملون المسلمين معاملة حسنة ويكونون لهم المودة وكانت الحكومة الصينية الوطنية سنة ١٩٣٨ مشغولة بمقاومة اليابانيين ولم تلتفت الى تحركات الشيوعيين بين المسلمين ، ووقف اغلبية المسلمين وخاصة فى ولايات شمال الصين الغربى - وكانت تحت سيطرة المسلمين - وقفوا بعيدين عن الحركة الشيوعية .

وعند سيطرة الجيش الشيوعى على ولاية شنشى بعث قائد الجيش يطلب الاجتماع مع قيادات المسلمين للتباحث فى تشكيل حكومة اسلامية تتمتع بالحكم الذاتى حيث يوجد عشرة آلاف جندى مسلم فى هذا الجيش ، غير أن المسلمين رفضوا مفضلين التعامل تشانج كاي تشيك باعتباره الزعيم الوطنى الاكبر ، ونتيجة لهذا تعرضت مدينة المسلمين « واى تشو » لهجمات الشيوعيين وتم انقاذ المدينة من خلال الحاكم المسلم عماد الدين .

## ٢- اكتساح الشيوعيين شمال الصين الغربى وسنكيانج :

أمام التقدم اليابانى الزاحف الى الجنوب ، لم تخسر السيطرة على الولايات الشمالية - بمعنى أن اليابان لم تستطيع السيطرة التامة على المناطق الشمالية الواسعة وتركتها فى أيدي القادة المسلمين الذى ينتمون الى عائلة « ما » الشهيرة ، وكان المسلمون متمسكين بالعقيدة الاسلامية فقارموا النفوذ الشيوعى الصينى بكافة الوسائل .

غير أن النفوذ الشيوعي كان قد انتشر في سنكيانج - أى النفوذ الروسى -  
مما مكن الشيوعيين الصينيين من السيطرة على جميع الولايات الشمالية فى  
شتاء ١٩٤٩ م ، وسقطت سنكيانج وسكانها حوالى ٩٥ ٪ من المسلمين الامر  
الذى يعد بمثابة ضربة قاصمة للمسلمين هناك والذين كانوا على صلة  
وثيقة باخوانهم فى اواسط آسيا وما وراء النهر .

وأى شايخ تشونج سوء الاوضاع ، وتحالف قائد القوة انصينية فى سنكيانج  
مع السيد يرهان الدين خان الحاكم العام فى شرقى تركستان ومقره مدينة  
ايلى على حدود روسيا ، وكان الموقف حرجا ، فقام الجنرال ما تشنج هيانج  
ابن أخ الجنرال حسين ما بو فانج وكان مسلما غيوراً بالتشاور مع المسؤولين  
المسلمين فى سنكيانج بشأن هجوم الشيوعيين المرتقب عليهم ، وانهار الخط  
الدفاعى للجيش الاسلامى فى أغسطس ١٩٤٩ حيث مات عشرون الف  
جندى ، وقعت سنكيانج فى أيدي الشيوعيين تماما ، وفر حوالى الف  
شخص مشول الى الهند عبر مضائق الهملايا وطلبوا اللجوء السياسى وكانوا  
من الزعماء السياسيين والعسكريين .

### ٣- معاناة المسلمين فى ظل الحكم الشيوعى :

اضطر المسلمون للبقاء فى الصين تحت الحكم الشيوعى ، وانتقل عدد  
من المسؤولين المسلمين للاضمام الى الجنرال تشانج كاي تشيك فى تايوان ،  
استقر آخرون فى هونغ كونج ، وهرب فريق ثالث الى القاهرة ثم المملكة  
العربية السعودية بعد اعتراف مصر بالصين الشيوعية ولجأ آخرون الى الهند  
والباكستان .

لاقى الكثير من المسلمين حتفهم فكانوا مخلصين للاسلام وعقيدته  
السامية ، فى حين اضطر عشرات الملايين الى التوافق مع النظام الجديد  
ونشر كتاب سنة ١٩٥٣ تحت عنوان المسلمون فى الصين من الجمعية



الصينية الاسلامية فى الصين من الجمعية الصينية الاسلامية وبشأن الاقليات  
ورد فيه :

#### المادة الخامسة :

« ان الشعب فى جمهورية الصين الشعبية له حرية التفكير والقول والنشر  
والاجتماع والعقيدة الدينية » .

#### المادة التاسعة :

« ان جميع القوميات - أى الجماعات السلافية - لها حقوق وواجبات  
متساوية داخل جمهورية الصين الشعبية » .

#### المادة الحادية واخمسعين :

« الحكم الذاتى سيكون نافذ المغول فى المناطق التى تتجمع فيها اقليات  
القوميات ... ولها تشكيلاتها السياسية المحلية » .

#### المادة الثالثة واخمسعين :

« لكل اقلية من القوميات ، الحرية فى تطوير لهجتها ولغتها ، والمحافظة  
على تقاليدھا الخاصة ، وعاداتها وعقائدها الدينية » .

#### ٤- الواقع الفعلى للاقلية المسلمة فى الصين الشيوعية :

تم استيلاء الشيوعيين على الصين فى أواخر سنة ١٩٤٩م وقام الزعماء  
الشيوعيون برئاسة ماوتس تونج بعقد مؤتمر فى بكين اقروا فيه بنوع من  
سياسة التسامح تجاه الاقلية المسلمة .

طلب الشيوعيون تشكيل جمعية اسلامية شعبية يرأسها الزعماء المسلمون  
ومن بينهم برهان الدين الشهيدى حاكم سنكيانج ، وسيف الدين الذى زيد  
الحركة الشيوعية وغيرهما ، وقد تشكلت الجمعية بتوجيهات السلطات

الشيوعية التى طلبت تأييد المسلمين للشيوعية سياسيا وثقافيا ودينيا .

امتد نشاط الجمعية ليشمل التواحي التعليمية والاجتماعية وقاموا بتأليف الكتب عن الاسلام وترجمة القرآن الكريم ولكن طبقا للتوجيهات الشيوعية الخبيثة بهدف أن يعمل المسلمون وفقا لتفسير النظريات الشيوعية الهدامة مثال ذلك : الاية الكريمة : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم تعنى من وجهة النظر الشيوعية فرض الشيوعيين على المسلمين اطاعة اوامره - فهم اولو الامر لأنهم الحكام الشيوعيون ، وتحريف اخر يشوه التفسير الصحيح لهذه الاية الكريمة .. معنى « اطيعوا الرسول » أى طاعة من جاء بالرسالة الشيوعية رحمة لطبقة الكادحين .. وليس أدل من هذا المعنى المحرف والمشوه لمعنى الاية الكريمة .. معنى : اطيعوا الله تعنى من وجهة النظر الشيوعية الهدامة : الخضوع الكامل لمن يستحق العبادة من كبار الزعماء الشيوعيين أى « ماوتسى تونج » ومن الغريب ان المسلمين الذين رفضوا هذا التفسير - وهم على حق - قد حرمهم الشيوعيون من وسائل المعيشة ثم قضوا عليهم فماتوا شهداء فى سبيل العقيدة الاسلامية الغراء .

بعثت هذه الجمعية المشبوهة والتى لم يؤيدها المسلمون الصينيون - بعثت بنفر من المخدوعين الى بعض البلدان الاسلامية مثل ليروجوا لمبادئها قائلين : « ان المسلمين فى الصين الشيوعية لهم حرية كاملة فى ممارسة الشعائر الدينية ، بالاضافة الى وجود عدد كبير من المساجد والمراكز الاسلامية فى انحاء الصين وبالامكان مشاهدة المعالم الاسلامية من جميع الزايرين ... » .

والواقع أن المساجد كانت قديمة ، ولم تبذل السلطات الشيوعية أى جهد لتجديدها ، ولم تقم مراكز اسلامية الا لتضليل كبار الزوار المسلمين فى

العالم الاسلامى ، والغريب أن شيوخوا مسلمين زائرين وقعوا فى هذا الفخ الذى ضللهم ، بل وأنهم ذكروا بعد عودتهم لبلادهم الاسلامية ان الشيوعيين يمنحون قدرا كبيرا من الحرية فى العقيدة والعبادات وممارسة الشعائر للمسلمين الصينيين .

أمرت السلطات الشيوعية هذه الجمعية بطبع مجموعة من الكتب باللغات العربية والانجليزية والصينية تبرز نشاط المسلمين فى النواحي المختلفة لاطلاع مسلمى العالم الاسلامى على « الحرية » المزعومة لمسلمى الصين فى الشئون الدينية ، وأنهم وجدوا تشجيعا لتحسين زوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وأنهم تحرروا سياسيا ، وفكريا وثقافيا بحصولهم على الحكم الذاتى .

غير أن هذه « الحرية » المزعومة سرعان ما كشفت عن زيفها وأصبحت - ما قاتلا ، فالحكم الذاتى - على سبيل المثال - كان فى حقيقة تقييدا على الجماعات الاسلامية ، وعزل المسلمين فى أماكن متفرقة متباعدة شتت شملهم ، وبعثرتهم فى جميع أنحاء الصين حسب صلاتهم السلالية والدموية التى وصلت الى عشرة ، فضلا ان الحكم الذاتى نفسه شمل أربعة وعشرين منطقة فى ولايات الصين المختلفة .

وسارت السياسة الشيوعية على تخفيض اعداد المسلمين حيث قدرتهم المصادر باربعين مليون نسمة قبل الحكم الشيوعى ، انخفض الى عشرة ملايين الامر الذى قلل أهميتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل قامت السلطات الصينية بفرض تعليمات وقيود على الاقلية المسلمة منها اباحة وتشجيع الزواج المختلط بين

المسلمين والشيوعيين لتوليد جيل جديد ينسى عاداته وتقاليدته الإسلامية العريقة ، وأن يستخدم المسلمون لحم الخنزير في طعامهم بحجة تقاربهم مع بقية السكان ، وعدم استعمال القماش الأبيض في لف موتاهم لغرض الدوس بحجة ضياع أقمشة يمكن استخدامها للكساء .

ومن أبشع القبيح نظام الكومبيونات الذي يفرض على المسلمين المعيشة الجماعية في معسكرات يأكلون فيها مع بعضهم البعض وينامون معا ، لا أملاك خاصة لأى منهم محرومون من الملكية الخاصة أيا كان نوعها .

أما أماكن العبادة التي كانت مخصصة للمسلمين كالمساجد والتعليم كمدارس تعليم القرآن الكريم فقد استغلها الشيوعيون لأصلاح الأراضي ، وذهبت أموال اوقاف المسلمين لخدمة أهداف الشيوعية ، وتفرق العاملون المسلمون في المساجد والمدارس مثل الأئمة والمعلمين والطلاب الى أماكن مجهولة للبحث عن وسيلة للعيش ، فأصبحت المساجد مهجورة ولكنها بقيت فقط كواجهة يشاهدها الزوار المسلمون من أماكن العالم الإسلامي بشرط أن يرافقتهم المراقبون الشيوعيون .

تقوض الإسلام في الصين بتشتيت المسلمين ، وضرب الحصار الاقتصادي حولهم فضلا - وهذه هي أقسى ما يواجهه المسلمون في الصين في الوقت الحاضر - عن تشجيع الشبان الشيوعيين في المعسكرات وحشهم على العيش مع البنات والسيدات المسلمات ، وعند مقاومة المسلمين في كاشغر لهذه الاعمال الاجرامية استشهد ما يقرب من أربعة آلاف شاب مسلم في سبيل العرض والكرامة .

غير أن المقاومة الإسلامية لاتزال قائمة ضد الحكم الشيوعي نتيجة لمظاهر الاضطهاد التي سبقت الإشارة إليها ولمواجهة ما يتعرض له المسلمون هناك نتيجة ممارسة الشعائر الدينية في الصلاة والصيام ومراسم الزواج ودفن الموتى ، والشئ المحزن أن أركان الاسلام الخمسة قد أدخلت هي الاخرى في قائمة التحريم وعقاب القائمين عليها بلا رحمة فلا عجب ان تزداد حركات المقاومة والعصيان ضد السلطات الشيوعية ، ولا يزال المسلمون <sup>(١)</sup> متمسكين بأداب الدين الاسلامي .

---

(١) يبلغ عدد المسلمين في الصين الشيوعية في الوقت الحاضر حوالي مائة وخمسة مليون نسمة أى أكثر من ٢١٠ من السكان ، في حين يبلغ عددهم في تركستان الشرقية الصينية حوالي تسعة ملايين نسمة أى حوالي ٢٧٥ من السكان ، وتقع تركستان الشرقية في شرقي قارة آسيا وتحدها الصين في الشرق الجنوبي ، ومنغوليا في الشمال الشرقي ، والاتحاد السوفيتي في الغرب ، والتبت وكشمير وأفغانستان في الجنوب .



## الفصل الخامس

### «الاتحاد السوفيتي السابق»

- دخول الاسلام وانتشاره .
- من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر .
- الحرب العالمية الاولى وما بعدها .
- جمهورية روسيا الاتحادية .
- القوقاز .
- اذربيجان .
- جورجيا .
- أرمينية .
- أوزبكستان .
- خاتمة .





## دخول الاسلام وانتشاره :

يشكل مسلمو الاتحاد السوفيتي نحو خمس السكان <sup>(١)</sup> حيث يبلغ تعداد مجموع السكان هناك حوالى ثلاثمائة مليون نسمة ويعيش ثلاثة أرباع المسلمين فى آسيا الوسطى أو ما يعرف بالتركستان الغرية التى تتكون خمس جمهوريات هى أوزبكستان ، وقازاقستان ، كازاخستان ، وتركمستان ، وطاد جكستان - تاد جكستان - وقير غيزيا قيرقيزيا .

وقد سبقت الإشارة أن الاسلام قد دخل جمهورية اذربيجان السوفيتية التى فتحها المسلمون لأول مرة فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب على يد الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان سنة ١٨هـ / ٦٣٨م ثم على يد قائده عتبة بن فرقد السلمى الذى أعطى لأهل اذربيجان عهدا قال فيه : « هذا ما أعطاه عتبة بن فرقد عال عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل اذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وستارها وأهل مللها كلهم الامان على أنفسهم واموالهم ومللهم وشرائعهم على ان يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ... » .

وبدل هذا العهد على عدل الاسلام وسماحته مع الشعوب التى فتح بلادها ، وقد انتشر المسلمون فى مناطق كثيرة أخرى من القفقاس والمجرى الأوسط لنهر الفولجا وجبال الاورال وسيبيريا وروسيا الوسطى وروسيا البيضاء وليتوانيا ، وبمعنى أبسط فلا توجد منطقة فى الاتحاد السوفيتى ليس فيها مسلمون .

---

(١) تعارض المصادر فى ذكر عدد المسلمين ، وتذكر احداها انهم يملفون ٤٣ مليون نسمة حسب احصاء سنة ١٩٧٩ .

راجع : محمد صفوت السقا ، المسلمون فى الاتحاد السوفيتى . بدون مكان وتاريخ اصدار

شهدت فترة خلافة عمر بن الخطاب ( ١٨ - ٢٤ هـ ) دخول الاسلام الى اذربيجان وأرمينية وجورجيا ( جنوب جبال القوقاز وغرب بحر قزوين ) ، كما دخل الاسلام الى خراسان (١) على يد الاصف بن قيس ، كذلك فتحت اراضى الديلم وطبرستان . ثم توطدت هذه الفتوح فشملت افغانستان فى فترة خلافة عثمان بن عفان وفى عهد معاوية بن ابى سفيان ثم فتح بلاد الصفانيان (٢) - ونهر جيحون سنة ٥٠هـ / ٧٦٠م على يد الصحابى الحكم بن عمرو النفرى الذى كان أول من عبر نهر جيحون ( موداريا ) ، وتوالت الفتوح بعد ذلك ففتح عبيد الله بن زياد بلاد بخارى ، ويكيند سنة ٥٥هـ / ٦٧٤هـ ، ثم جاء سعيد بن عثمان ففتح سمرقند .

وتذكر المصادر ان موسى بن عبد الله بن خازم قد فتح ترمذ (٣) سنة ٧٠هـ / ٦٨٩م ، ويعتبر قتيبة بن مسلم الباهلى اول فاتح لبلاد ما وراء النهر حين توسع انتشار الاسلام فى الفترة (٨٨-٩٦هـ) / (٧٠٦-٧١٤م) ، ووصلت جيوشه الى حدود الصين وبعث له امبراطورها بالجزية ، كما وطد اركان الدولة الاسلامية فى تركستان الغربية أى اوزبكستان وتركمنستان وطادجكستان وقيرغيزيا ، وفى القرن الرابع الهجرى انتشر الاسلام على طول نهر الفولجا والذى عرف بطريق الفراء لأنه كان الطريق الذى تتم فيه تجارة الفراء ، وانتشر الاسلام ايضا من البحر الاسود غربا حتى الصين شرقا وهو ما عرف بطريق الحرير .

(١) منطقة خراسان مقسمة الى الوقت الحاضر بين تركستان السوفيتية وايران وافغانستان .

(٢) وتقع فى جمهورية اوزبكستان الوقت الحاضر .

(٣) موطن الامام ابو عيسى الترمذى .

وقد أسلم سكان بلغار الفولجا سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م وطلبوا من الخليفة العباسي أن يرسل لهم مجموعة من العلماء لتعليمهم ومجموعة من المحاربين والفنيين العرب لبناء قلاع عسكرية لأنهم مهددون بأمة هجمية تدعى « الروس » يتسمون بالوحشية ، وقد سجل العالم المسلم والمؤرخ الذائع الصيت ابن فضلان وثيقة خط فيها رحلته التي قام بها بأمر الخليفة العباسي المقتدر سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م بدءا من بغداد ومرورا بإيران ثم بخاخرى وخوارزم وكيف عبر شمالا فى اتجاه نهر الفولجا وصولا الى ملك البلغار المسلم المش بن يلطوار ، ووصف <sup>(١)</sup> الامة الهمجية التي تدعى روسيا « ومعناها الامة الشقراء » وان عددها لايتجاوز مائة الف .

كما سبقت الاشارة الى انتشار الاسلام من خلال جهود القبيلة الذهبية التي أسسها جوجى بن جنكيز خان والتي اسلم أميرها بركة خان (٦٥٤-٦٦٥هـ) (١٢٥٦-١٢٦٧م) واصبح نهر الفولجا بأكمله نهرا اسلاميا ، وكانت قازان واستراخان والكفایل وشبه جزيرة القرم كلها اسلامية ، حيث عرف سكان تلك المناطق باسم التتار وهم فى الواقع من القبيلة الذهبية المغولية ، حيث حكم سلاطين التتار نهر الفولجا بأكمله ابتداء من قازان القرية من موسكو الى استراخان الواقعة بالقرب من بحر قزوين ، وقاموا بنشر الاسلام هناك ، ومع انتهاء القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى) كانت هذه المنطقة قد أصبحت فى معظمها مسلمة . ومن خلال

---

(١) كما وصفهم أيضا فيما بعد ابن رسته والمسعودى وابن بطوطه بأنهم أنش خلق الله مستهترون يشربون الخمر ليلا ونهارا ، وانهم شجعان لا يعرفون الهزيمة ولكنهم اقلر خلق الله كأنهم الحمير الضالة ، وقد اعتمدنا فى هذا الجزء من الدراسة على التحليل للقيم للدكتور محمد على البار المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ ، جزآن ، دار الشروق ، جدة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

جهود التجار العرب المسلمين وصل الاسلام الى بلاد الكازاخ (كازاخستان)  
شمال نهر سرداريا (سيحون) ومنها الى سينكيانج (تركستان الصينية) .

من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر :

وفي منتصف القرن العاشر الهجرى ( السادس عشر الميلادى ) زحف  
الروس الى سهول كازاخستان ومناطق التركستان كما احتل ايفان الرابع  
( المعروف بالرهيب ) خانية ( دولة ) قازان الاسلامية التتية ، وتوالى سقوط  
الدويلات الاسلامية فى غضون سنوات قليلة ، فسقطت استراخان سنة  
٩٦٥هـ / ١٥٥٧م ثم نهر الفولجا برمته ، وبحلول سنة ١٥٨٧ كانت  
القوات الروسية قد اخترقت جبال الاورال واحتلت مناطق البشكير وصولا الى  
شواطىء بحر قزوين واتجهت شرقا الى سيبيريا حيث احتلتها فى العام التالى ،  
وهكذا توالى هزائم المسلمين بدءا بسيطرة الروس على موسكو حيث  
حكمها التتار المسلمون نحو مائتين وأربعين عاما ، واستمر ايفان الابن ثم  
ايفان الحفيد فى اقتلاع المسلمين بناء على تعليمات البابا وكان المسلمون  
يدعون بالمحمديين ، وكانت الخلافات والصراع على السلطة بين خانات  
قزان واستراخان والقرم سببا فى سقوطهم جميعا بيد الروس ، وعومل الدين  
الاسلامى بكل قسوة وهدمت المساجد وطرد العلماء وصودرت الاوقاف  
الاسلامية ، واستمرت سياسة ايفان فى عهد خلفائه من أسرة رومانوف  
١٠٢٢-١٣٣٦هـ / ١٦١٣ - ١٩١٧م فى قهر المسلمين واضطهادهم  
الذى تمثل فى مصادرة أراضيهم وطردهم منها .

شهد القرن التاسع عشر احتلال روسيا لاماكن ولادة ونشأة فقهاء  
المسلمين وعلمائهم مثل البخارى ، والترمذى ، والخوارزمى ، والفارابى ،  
وابن سينا ، وفى عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م احتلت الجيوش الروسية طشقند  
عاصمة اقليم الشاش مقر الامام ابنى بكر محمد بن على القفال ، كما

احتلت سمرقند عاصمة تيمور لنك ، وبالمثل كانت مدينة خوقند « فرغانة »  
قد تم احتلالها وابادة سكانها بعد اغتصاب نساها المسلمين كما سقطت  
مدينة مرو عاصمة اقليم خراسان التي اخرجت آلاف العلماء (١) من  
المسلمين ، وسقطت نسا ، وسرخس ، ويهق في الحرب التركمانية التي  
امتدت في الفترة ١٢٩٠ - ١٣٠٢ هـ / ١٨٧٣ - ١٨٨٤ م .

كما حانت الفرصة لروسيا بالاستيلاء على مصب نهر الدانوب وضمت  
لأراضيها ، وميناء باطوم على البحر الاسود عندما حدثت فتنة البوسنة  
والهرسك - في يوغوسلافيا - حاليا - والتي كانت خاضعة للخلافة  
العثمانية وكانت روسيا باعلان الحرب عليها - أى على تركيا - سنة  
١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م وهزمتها ، ثم كانت معاهدة سان استيفانو  
١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م والتي بموجبها انفصلت رومانيا عن املاك الدولة  
العثمانية ، واعلن استقلال الصرب ، وعندما نظرت الدول الغربية الأوروبية  
بحسد الى انجازات روسيا القيصرية فقد تم عقد مؤتمر برلين حيث تنازلت  
عن بعض غنائمها للاروبيين ، ولكنها من ناحية أخرى استولت على  
مقاطعتي مرف وبنده في افغانستان سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٥ م .

انتعشت آمال المسلمين الى حد ما بهزيمة روسيا أمام دولة اسبوية هي  
اليابان سنة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م وظهرت حركة قوية لدى تزار الفولجا  
والبشكير والقرم وعمت روسيا بأكملها مطالبة بقيام دولة اسلامية مستقلة  
ذاتيا ، غير أن الدول الأوروبية قد انزعجت لهزيمة روسيا وحدث تحالف  
حقيقى بين فرنسا وبريطانيا مع روسيا ، واتفق قيصر روسيا نيقولا الثانى مع  
بريطانيا على عدم مد نفوذه من آسيا الوسطى عبر افغانستان الى الهند التي  
كانت درة التاج البريطانى - كما سبقت الاشارة ، فى حين تم اقتسام النفوذ

---

(١) ومنهم على سبيل المثال النساى والسرخسى والبيهقى .

فى ايران حيث هيمنت روسيا على شمال ايران واذربيجان ، فى حين سيطرت بريطانيا<sup>(١)</sup> على جنوب ايران ، وقد انزعجت المانيا من التحالف الروسى الفرنسى الانجليزى وحاولت التقليل من خطورته بالتحالف مع روسيا سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م حيث عقدت اتفاقية سرية مع روسيا تسمح لها بانشاء خط حديد يمتد من استانبول حتى بغداد ثم الى خانقين وان تقوم روسيا بايصال هذا الخط من خانقين الى طهران .

### الحرب العالمية الاولى وما بعدها :

غير أن ظروف الحرب العالمية الاولى قد جعلت روسيا تفضل التعامل مع بريطانيا وفرنسا حيث اتفق الحلفاء فى نهايتها على اقتسام مابقى من دولة الخلافة العثمانية وتصفيتا بتوقيع اتفاقية سرية فى ١٠ ابريل ١٩١٥ وأعيد تأكيدها باتفاقية سايكس بيكو الشهيرة التى عقدت فى ماير ١٩١٦م وأعطيت روسيا بموجبها السيطرة على مضائق البوسفور والدردنيل وبحر مرمره ، ووافقت فرنسا وبريطانيا على استيلاء روسيا على استانبول « القسطنطينية » وجعلها عاصمة للكنيسة الارثوذكسية وتحويل مسجد أياصوفيا الى كنيسة كما كانت قبل احتلال محمد الفاتح لها سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م .

وتذكر المصادر أن نحو مليون وخمسمائة الف جندى مسلم فى روسيا القيصرية قد أجبروا على قتال اخوانهم الاتراك فى الحرب العالمية الاولى ، وبالمثل كان فى جيوش بريطانيا وفرنسا مئات الالوف من المجندين المسلمين ،

---

(١) وقد ترب على ذلك أن اعطيت روسيا فقط باكر فى حين اعطيت بريطانيا فقط عبدان والكرلوك والليمانية .

(2) Spector Ivar. The Soviet Union and the Moslem world  
(1917- 1958 washington Nniv perss, pp. 337-340 .

وفى مارس ١٩١٧ قام الدوما - البرلمان بالشورى ضد استبداد قيصر روسيا ،  
وبمجيء لينين ، فقد فضل الاستعانة بالمسلمين الذين يشكلون أكبر اقلية  
- ٣٥ مليون مسلم - لقتال القوات المناهضة للشورى ، وتوجه لينين بنداءات  
متكررة للمسلمين يعدهم فيها بالاستقلال التام واحترام الدين الاسلامى  
كما وجه نداءات الى المسلمين خارج روسيا فى نوفمبر ١٩١٧ قائلا : «  
يا مسلمى روسيا والشرق ... ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريةكم فى  
العبادة .. انا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم .. وان عاداتكم  
وتقاليدكم حرة لا يمكن المساس بها ... » .

وأعلن لينين بطلان الاتفاقيات السرية المعقودة بين روسيا وبريطانيا وفرنسا  
لاقتسام العالم الاسلامى ، وقام بتسليم مصحف عثمان بن عفان الذى كان  
فى حوزة القياصرة الى ممثلى روسيا كما سلمهم مجموعة كبيرة من الوثائق  
التاريخية ، ووصلت الدعاية الشيوعية الى حد ايهام المسلمين قد ارتابوا فى  
وعوده وحشوا المسلمين على القتال لتكوين الدولة الاسلامية المستقلة ،  
وبالفعل تكونت الدولة فى خوقند وامتدت لتشمل معظم اراضى التركستان  
باستثناء طشقند ، ودك الروس المدينة على سكانها المسلمين وأبادوهم ،  
وظهرت ان اعماءات لينين باطلة وخاصة بعد مذبحة القرم حيث انتشرت  
المجاعة واكل المسلمون موتاهم .

قام الاتحاد السوفيتى على سنة عشر جمهورية اتحادية « فيدرالية »  
ومجموعة من الجمهوريات المحكومة ذاتيا الى جانب مقاطعات لها شبه حكم  
ذاتى ، أما الجمهوريات الاسلامية فعددها ستة وهى من الجمهوريات الاتحادية  
« الفيدرالية » ، وأعلن سكانها من المسلمين وهى اذربيجان ، قازاقستان «  
كازاخستان » ، أوزبكستان ، طاجيكستان ، تركمنستان وقرغيزيا وتشكل  
الجمهوريات الخمس الاخيرة ما يعرف باسم تركستان الغريبة ، وبالإضافة

الى ذلك يوجد ثمان جمهوريات اشتراكية اسلامية غير فيدرالية كما يوجد مسلمون اعدادهم كبيرة نسبيا ليس لهم وحدات ادارية خاصة بهم مثل المسلمون فى سيبيريا ومنغوليا والقرم ، وقبل أن تعالج تطور الاوضاع فى الجمهوريات الست الاولى فسوف نعرض لتطور أوضاع المسلمين فى جمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية .

### جمهورية روسيا الاتحادية

تعتبر جمهورية روسيا أكبر الجمهوريات الاتحادية السوفيتية وتبلغ مساحتها ثلاثة أرباع الاتحاد السوفيتى وعدد سكانها نحو مائة وخمسون مليون نسمة وهى مقسمة الى اثنتى عشر جمهورية واهم مقاطعاتها سيبيريا وعاصمتها موسكو التى كانت تشكل قلب الدولة الروسية وعرفت فى التاريخ باسم الدولة المسكوبية حيث ابتدأت كامارة صغيرة خاضعة لسلطان قازان منذ دخول فلاديمير فى الارثوذكسية المسيحية فى نهاية القرن العاشر الميلادى ، ثم أخذت شكلها الاستعمارى فى عهد ايفان الرهيب فى القرن السادس عشر الميلادى عندما استولى على قازان سنة ٩٦٠هـ / ١٥٥٢م ثم على استراخان ( الحاج طرخان ) سنة ٩٦٥/١٥٥٧م ، ومنذ ذلك العهد تعظم شأن موسكو .

ارتبطت موسكو بسيبيريا منذ ذلك الحين فيما يتعلق بالوجود الاسلامى خاصة ، فقد اجتازت القوات الروسية سنة ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م جبال الاورال ، وهدمت ثالث دولة تنارية وهى خانية سيبيريا ، واستولت الروس على جميع الاراضى الخصبة على طول نهر الفولجا وطردها المسلمون الذين تحولوا الى أقلية ، ودمجت الامارات المسلمة بالملكة المسكوبية ببعضها البعض وعومل المسلمون كرعايا من الدرجة الثانية ولم تكن لهم حقوق المسيحيين ، وخير قادة المسلمين بين قبل مبدأ تعيينهم فى الرطائف بشرط ارتدادهم الى



المسيحية أو تعرض المسلمين للاضطهاد الاقتصادي . كما عومل الدين الاسلامى بقسوة ، وهدمت المساجد وصودرت الاوقاف وتم طرد علماء المسلمين ( الملا ) من المدن ، واخضعت الجماهير المسلمة « للعهد » الدينى المسيحى والغيث الكتابة بالحروف العربية وحولت الى الحروف الروسية . وتحول بذلك اكثر من مائة الف تاتارى مسلم الى المسيحية فى عهد ايفان الرهيب ، وبنفس الطريقة تحول أكثر من ثلاثمائة الف فى عهود خلفائه فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ففى عهد الامبراطورية حنة ( ١١٥١ - ١١٦٩ هـ ) ( ١٧٣٨ - ١٧٥٥ م ) تمت مصادرة أوقاف المسلمين واغلقت مساجدهم واثقلوا بالضرائب الفادحة ومنعوا من ممارسة شعائهم الدينية وأدخل ابناؤهم الى المدارس التنصيرية وكان يحكم بالاعدام على أى مسلم يدعو للاسلام بين اخوانه . وفى عهد كاترين استولى الروس على مناطق اسلامية فى القرم ، رغم أن عهدها يعتبر العهد الذهبى للمسلمين فى تاريخ الامبراطورية الروسية بالنسبة لمن سبقوها حيث منع التنصير بالقوة وسمح للمسلمين بفتح المساجد ، كما انتشر التتار المسلمون الذين كانوا قد طردوا من ديارهم وعملوا كتجار وسطاء بين سكان موسكو وسكان آسيا الوسطى غير ان أخصب أراضى المسلمين قد تم الاستيلاء عليها ومصادرتها فى عهدها لصالح النبلاء الروس .

وتجدر الاشارة انه نتيجة للاضطهادات المستمرة التى تعرض لها المسلمون فقد أصبح الاسلام مرادفا للقومية والدفاع عن الدين الاسلامى أضحي بحثابة الدفاع عن هوية الامة وذاتيتها ، وفى القرن الثامن عشر امتزج لدى التتار مفهوم الدين الاسلامى بمفهوم القومية « الملة » ، وكان احساسهم بالخطر الشديد ضد دينهم حافزا لربط هويتهم القومية بالاسلام وكان زعماء حركة

القومية الاسلامية ومؤسسيها في القرن التاسع عشر من تيار الفولجا ثم امتدت هذه الحركة الى الاقاليم الاسلامية الاخرى وكانت تهدف الى تحقيق المساواة في الحقوق مع الروس بشأن الحرية الدينية والحكم الذاتي السياسى وصولا الى الاستقلال الكامل .

تمثلت الحركة القومية بمفهومها الاسلامى عند تيار الفولجا فى الاصلاح الدينى على أساس فتح باب الاجتهاد لحل المشكلات العصرية والعودة مباشرة الى القرآن الكريم والسنة المطهرة وكان من رواد هذه الحركة شهاب الدين مردجاني ١٢٣٤ - ١٣١٧ هـ / ١٨١٨ - ١٨٩٩ م وعبد القيوم ناجرى ١٢٤١ - ١٣٢٠ هـ / ١٨٢٥ - ١٩٠٢ م وموسى جاد الله ١٢٩٢ - ١٣٦٩ هـ / ١٨٧٥ - ١٩٤٩ م وجميعهم من التيار . أما الاصلاح الثقافى بالمفهوم الاسلامى فقد تمثل فى الحركة القومية من خلال جهود تمجيد الاعمال الادبية التتارية والازرية والكازاخية منذ عام ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م وأطلق المفكر السياسى التتارى اسماعيل غسبر الى سنة ١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠ م شعار ( كونوا متحدين بلغتكم وأفكارهم واعمالكم ) وكانت محصلة هذه الحركة افتتاح جامعة اسلامية تضم سبعة آلاف طالب مع بداية القرن العشرين والصحوة الثقافية الاسلامية . أما الاصلاح السياسى فقد تمثل فى المطالبة بحقوق سياسية والمساواة فى الحقوق الشخصية مع الروس حيث رفع المسلمون شعار العدالة والمساواة وصولا الى ما كرهه لينين فى خطابه .

كانت ثلاثة أحزاب ثورية اسلامية قد تكونت فى بداية القرن العشرين هى حزب الوحدة ( برك ) الذى أسس فى قازان سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م وقادة علماء الدين الاسلامى المعروفون باسم الملا ، ودعا الحزب الى قيام دولة اسلامية مستقلة مع برنامج ديمقراطى اشتراكى ، ثم حزب محاربو

نجمة الصباح ( تاج تشيلار ) الذى تأسس فى السنة ذاتها وفى قازان أيضا ورزكر اهتماماته على مشاكل الفلاحين المسلمين وأخيرا حزب محاربو الاورال الذى تأسس فى ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م فى مدينة أورنبيرج متنبيا الايديولوجية الماركسية مع تمجيد الدين الاسلامى .

تحمس مسلمو الامبراطورية الروسية لسقوط الملكية وتفاءلوا بقدوم عهد جديد تستعيد فيه الأمة الاسلامية فى روسيا وحدتها ومقوماتها ، وعقد مؤتمر اسلامى كبير فى موسكو فى أول مايو ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م حضره تسعمائة مندوب من كل الاقاليم الاسلامية فى الامبراطورية القيصرية وكان من نتائج المؤتمر محاولات التوفيق بين الاسلام والاشتراكية والتشديد بقوة على الملة الاسلامية فى روسيا ، وانقسم الحاضرون الى فريقين أحدهما ينادى بالاستقلال التام للأمة الاسلامية وايجاد دولة مستقلة وناصر هذا الفريق مسلمو تركستان واذرييجان فى حين ناصر التتار الفريق الاخر الذى نادى بتكوين اتحاد فيدرالى للمناطق الاسلامية مع روسيا ، غير أنه تم اتفاق الفريقين على انشاء ادارة مركزية لتنسيق شئون الملة الاسلامية بالاضافة الى مجلس شورى ولجنة تنفيذية اسلامية .

عقد مؤتمر آخر فى قازان ، فى ١٣٢٦هـ / يوليو ١٩١٧م وظهر فيه اتجاه لأقامة دولة اسلامية فيدرالية بشكل أقوى من مؤتمر موسكو وانشاء ادارة ملية لتقرير مستقبل الامة الاسلامية فى روسيا ، ورغم تشدد هذه القرارات بالنسبة للبلاشفة الا ان لينين أظهر تأييدا مؤقتا لكسب المسلمين الى صفه ضد نتائج ثورة فبراير ١٩١٧ التى قادها الليبراليون الروس ضد القيصر نيقولا ، واستطاع لينين بمساعدة الاقليات - وأكبر هذه الاقليات هم المسلمون ان يستولى على روسيا فى ١٧ أكتوبر ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م وانضم أكثر المسلمين وعلمائهم الى صفوف لينين الذى مالبث أن غدر بهم على نحو ما سبقت

الاشارة اليه تفصيلا حيث هدم الشيوعيون الروس مئات المساجد وآلاف المدارس الاسلامية وعانى المسلمون كثيرا من أنواع الاضطهاد فى الجمهوريات الستة عشر الثانية لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية وأهمها جمهورية تاريا ، وجمهورية بشكيريا ذات الاستقلال الذاتى الاسمى ، وجمهورية الجوفاش ، وجمهورية موردوف وجمهورية ادمورت ، وجمهورية مارى<sup>(١)</sup> ثم شبه جزيرة القرم التى تقع شمال البحر الاسود حيث توالى استقرار المسلمين فيها منذ عهد السلطان أوزبك ٧١٣ - ٧٤١ هـ / ١٣١٣ - ١٣٤٠م وصارت جزيرة القرم اسلامية خالصة بنهاية القرن الرابع عشر حتى اجتاحتها قوات لينين لتهدم أكثر من ألف وخمسمائة مسجد . ثم سيبيريا وهى الاراضى التى تقع شمال تركستان والصين الى المحيط المتجمد الشمالى حيث تشكل الصحارى الثلجية مساحة واسعة منها ومع ذلك فان الدعاة المسلمين لم يتركوا قبائل سيبيريا وخرجوا اليهم يدعونهم الى الاسلام من خوارزم وبخارى وطشقند حيث دخلت سيبيريا تحت الحكم الاسلامى عندما تمكن كوتشمن خان أحد أمراء القبيلة الذهبية التى أسسها احد حفداء جنكيز خان من الاستيلاء عليها وصولا الى اعتناق سكانها الاسلام فى عهد بركة خان ٦٥٤-٦٦٥ هـ / ١٢٥٦-١٢٦٧م .

---

(١) يشكل المسلمون ٢٥٩ فى الجمهوريات والاقاليم الواقعة فى حوض نهر الفولجا ، وعددهم نحو تسعة ملايين نسمة على النحو الاى نحو ٢,٥ مليون فى جمهورية بشكيريا ، نحو ٢,٥ مليون فى جمهورية تاريا ، نحو مليون نسمة فى جمهورية حرقاشى ، نحو سبعمائة الف نسمة فى جمهورية المودوف ، نحو سبعمائة وخمسون الف نسمة فى جمهورية الادمورت ، نحو مليون نسمة فى القيم أو رنبرج ، أما فى جمهورية قارى فيبلغ عدد المسلمين نحو أربعمائة الف نسمة راجع : دكتور عادل طه ، المسلمون فى العالم ( اضرء على مشاكلهم وتوزيعهم ) ، دار البحوث العلمية الكويت بدون تاريخ إصدار

نولى كوتشم خان سيبريا<sup>(١)</sup> زمام الامور فى عام ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م أى فى نفس الوقت الذى كان فيه ايفان الرهيب يقضى على عروش خانات المسلمين من التار فى قازان واستراخان واوفا ويمد سلطانه فيه عبر نهر الفولجا ونهر الاورال ويشيد بذلك امبراطورية روسية ارثوذكسية شديدة التعصب ضد المسلمين ومع ذلك فقد تمكن كوتشم خان من نشر الاسلام فى انحاء سيبريا ، ولبى دعاة المسلمين نداءه وحضروا من بخارى ، وسمرقند ، وخوارزم .

### القوقاز :

تعد جبال القوقاز الحد الفاصل بين آسيا وأوروبا ويقع قسمها فى أقصى الغرب من قارة آسيا وتضم وقوقاز شعوبا متباينة ذو عناصر عرقية مختلفة مثل التتار والعرب والأتراك ، وقد خضعت معظم مناطق القوقاز لسيطرة الدولة البيزنطية ماعدا بعض المناطق الجنوبية الشرقية فقد خضعت للدولة الساسانية الفارسية ، وعندما ظهر الاسلام وانتصر المسلمون فى معركة القادسية وهماوند على الدولة الساسانية ، وفى معارك الشام واليرموك على الدولة البيزنطية وذلك فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب حيث غزت الجيوش الاسلامية القوقاز الشرقى الجنوبى ، وقد سبقت الاشارة الى جهود عياض بن غنم سنة ١٩هـ / ٦٣٩م لفتح مناطق أرمينية وجورجيا ( بلاد الكرج ) بتكليف من

---

(١) عرفت البلاد التى تقع شرقى جبال الاورال باسم سيبريا على اسم مدينة سيبير والنسبة استولت عليها القوات الروسية القيصرية فى عام ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م حيث رفض السلطان كوتشم الاسلام قائلا : لا أقبل عيش الأمير ، ولا موت الذليل ، رست أحزن لفقد املاكى ، وانما حزين من أجل اولئك النساء الذين وقعوا تحت الاستعباد الروسى ، ثم قاتل حتى استشهد .  
راجع : الشيخ محمد الغزالى ، الاسلام فى وجه الزحف الاحمر ، فى : المختار الاسلامى ، القاهرة (اعداد) .

ال خليفة عمر بن الخطاب ، ولم يأت عام ٢٤هـ / ٦٤٤م الا وقد خضعت مناطق واسعة من القوقاز للحكم الاسلامى ودفعت الجزية ، ورغم أحداث التمرد التى شهدتها هذه المناطق ضد الحكم الاسلامى الا أن السياسة الحكيمة للدولة الاموية تجاه السكان هناك قد أدت الى وقوف المسيحيين فى صف المسلمين لمواجهة الامبراطورية البيزنطية المسيحية الارثوذكسية .

حكمت الاسرة البكراتية الكرجية <sup>(١)</sup> معظم مناطق أرمينية وكرجستان . أما الداغستان فتقع فى شمال اذربيجان على طول الساحل الغربى بحر الخزر فى الشمال الشرقى للقوقاز وقد تحولت داغستان الى الاسلام واختلط سكانها بالقبائل العربية ، ومدفون فيها كثير من الصحابة حيث فتحت فى اواخر عهد الخليفة عمر بن الخطاب ثم فى عهد الخليفة عثمان بن عفان ، ثم واصل مسلمة بن عبد الملك بن مروان فتوحاته فيها سنة ١٠٥هـ / ٧٢٣م ، وخضعت القوقاز بأكملها للخلافة الاموية ثم الخلافة العباسية حتى عام ٢٧٧هـ / ٨٩٠م ، وفى سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٤م استطاع القائد السلجوقى الب أرسلان أن يعيد كرجستان الى السيطرة الاسلامية بعد احتلال النصارى والبيزنطيين لها نحو مائتى عام ، وصل المغول المسلمون اليها وقامت لها خانيات وكانوا يعرفون باسم الايلخان ، ثم استولى تيمورلنك على تلك المناطق وتعاون معه التركمان ثم قامت الدولة التركمانية وصولا الى فترة حكم ايفان الرهيب الذى قضى على الخانيات التتارية الاسلامية الموجودة فى قازان واستراخان كما سبقت الاشارة ، ثم امتداد نفوذ الامبراطورية الروسية - فى عهد بطرس الملقب بالعظيم وفى عهد كاترين - حتى وصل الى القرم والقوقاز .

---

(١) وهى جمهورية جورجيا الحالية وتبعتها أرمينيا الجبلية والجازيا وآجاربيا .

أعلنت روسيا نفسها حامية لمسيحي كرجستان ثم ضمتها إليها سنة ١١٩٨ هـ / ١٧٨٣ م بعد حروب ضارية ضد الدولتين العثمانية والصفوية على السواء وبحلول عام ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م كانت روسيا قد سيطرت على كرجستان والداغستان والشاشان ، وقامت ثورة الشيخ شامل فى الداغستان والتي استمرت نحو خمسة وثلاثين عاما حيث تم أسره سنة ١٣٧٦ هـ / ١٨٥١ م ونفى الى تركيا ومنها ذهب الى المدينة المنورة ليدفن فى بقيعها .

وتجدر الإشارة ان أهالى الداغستان عند دخولهم الاسلام كانوا وثنيين أو يهود ونصارى ، ثم انتشر الاسلام على ايدي قبائل الداغستان ، وعندما غزاهم تيمور لك عام ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ م كان أكثر السكان مسلمين وفى سنة ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م استولى عليها الاتراك العثمانيون الذين لم تظل مدتهم بها ، وفى سنة ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م تكونت امارة مستقلة جنوب الداغستان تولى امرها الامير حسن خان ، وكانت الدولتان العثمانية و صفوية تتنافسان النفوذ على مناطق القوقاز ، وفى حين خضعت اذربيجان دولة الصفوية ، فقد خضعت المناطق الواقعة على البحر الاسود للدولة العثمانية ، وقربها منها ، وخضع أمراء الداغستان للخلافة العثمانية فترة ، ثم انحازوا الى الدولة الصفوية خلال فترة حكم الشاه عباس الذى وسع رقعة دولته فشملت ايران وخراسان وافغانستان واذربيجان كما شمل نفوذه كرجستان وداغستان ، ويموت الشاه عباس الصفوى وضعف الدولة الصفوية ، فقد بعث امراء الداغستان الى الخليفة العثمانى يعرضون عليه ولاؤهم ، غير أن الخلافة العثمانية كانت مشغولة بحروبها فى وسط اوربا حيث انتهز بطرس الملقب بالمعظم الفرصة وهجم على الداغستان سنة ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م .

غير أن الدولة الصفوية - ن قد قرى شأنها فى عهد نادر شاه الذى زحف سنة ١١٤٨ هـ / ١٧٣٥ م وخلص جميع هذه المناطق من الحكم الروسى ،

وبحلل الضعف فى الدولة الصفوية ، فقد انتهز الروس هذه الفرصة وتوسعوا فى احتلال مناطق القوقاز ، فقد انتهز الروس هذه الفرصة وتوسعوا فى احتلال مناطق القوقاز فى الفترة ١١٩١ - ١١٩٩ هـ / ١٧٧٥ - ١٧٨٤ م ، واستمرت المناوشات بين الدولة الصفوية الايرانية وبين قوات القياصرة حتى سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م عندما انهزمت القوات الصفوية وتنازلت عن الداغستان للامبراطورية الروسية حيث عانى المسلمون هناك من أشد انواع الاضطهاد وصولا الى جهاد الشيخ محمد شامل نحو خمسة وثلاثين عاما على نحو ما سبقت الاشارة اليه ، ولم تتوقف ثورات المسلمين ضد الروس الذين استطاعوا فى عام ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م من اخضاع ثورة المريدين من الطريقة النقشبندية ، وصولا الى الثورة الشيعية فى أكتوبر ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م حيث ساندوا المسلمون وصدقوا وعود لينين لهم بالاستقلال والحرية الدينية وهو الأمل الذى لم يتحقق مستقبلا .

### اذريجان :

بداية يجب ايضاح ان اذريجان من الناحية الجغرافية تنقسم الى قسمين : قسم فى شمال ايران وعاصمته تبريز ، وقسم فى الاتحاد السوفيتى وتعرف بجمهورية اذريجان الاشتراكية السوفيتية وعاصمته باكو ويفصل نهر الرس أراكس ( الرس ) بين القسمين ، وقد فتح الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقليم اذريجان سنة ١٨ هـ / ٦٣٨ م ، ولما تولى الخليفة عمر بن الخطاب فقد عهد الى عتبة بن فرقد السلمى بمواصلة الفترحات الاسلامية فى هذه المناطق حيث وصل الى اقليم اران - جمهورية اذريجان حاليا - ودخل العاصمة اردبيل واعطى عهدا لأهلها قائلا :

« هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل



اذريجان سهلها وجبلها وحواشيها وشعارها وأهل مللها كلهم الامان على  
أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قد طاعتهم ...  
- كتبه جندب وشهد بكير في ثمانى عشرة ، أى سنة ١٨ هـ / ٦٣٨ م .

غير أن أهل اذريجان نقضوا العهد سنة ٢٥ هـ في أول عهد عثمان بن  
عفان الذى أمر الوليد بن عتبة زاليه فى الكوفة بأن يسير اليها ففتحها ،  
وطلب أهل كور اذريجان الصلح فصالحهم مثل صلح حذيفة وعتبة ، ثم  
تولى سعيد بن العاص الاموى أمر اذريجان وتمردت عليه فوجه عثمان بن  
عفان اليها جرير بن عبد الله البجلي فأخضعها ، فلما تولى الامام على بن  
أبى طالب الخلافة بعث الاشعث بن قيس الكندى الى اذريجان حيث وجد  
أهلها قد أسلموا وقرأوا القرآن وتعلموا تعاليم الدين الاسلامى .

اندمج العرب فى أهل اذريجان اندماجا تاما بالتزاوج والمصاهرة فى حين  
تراخت قبضة الخلافة عنها بعد فتنة بابك الخرمى المجورسى كما سبقت  
الاشارة ، وظهر بعده ديسم الخارجى وهو أحد الخوارج المشهورين من أصل  
عربى وأمة كردية فحكم اذريجان فترة من الزمن ، وفى مطلع القرن الخامس  
الهجرى احتل الغز - وهم من بدو الترك - اذريجان وذلك خلال فترة  
الحكم السلجوقى التركى ، وأصبح أكثر سكان اذريجان اتراكا واختلطت  
العناصر التركية بالفارسية والعربية والكردية وكان الاسلام هو الرابطة التى  
جمعت هذه العناصر فزادت قوتها وصولا الى حكم خوارزم شاه جلال الدين  
ثم مجيء المغول فى اعقابهم وتدميرهم خوارزم ، واجتاح هولاءكو اذريجان فى  
طريقة الى بغداد حيث سقطت .

تشابكت العلاقات السياسية الاسلامية فى هذه الحقبة وما تلاها ، فمن  
ناحية أعاد الاتراك التركمان تبريز الى الحكم الاسلامى بعد احتلال  
الامبراطورية البيزنطية لها ، ومن ناحية أخرى كان الاتراك السلاجقة قد

حكموا اذربيجان لمدة قرنين من الزمن فى الوقت الذى احكموا فيه سيطرتهم على الخلافة العباسية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلادى حيث استمر حكم الاتراك التركمان من ٧٨٠هـ الى ٩٠٨هـ / ١٣٧٨-١٥٠٢م ، وجاء الصفويون بعدهم ، وجعلوا من اذربيجان أهم بلاد ما وراء النهر وخراسان ، ونافس الصفويون الخلافة العثمانية ودارت حروب مدمرة بينهما أضعفتها معا ، وكان هذا بمثابة فرصة أمام الروس الذين أغاروا على مناطق واسعة من الاراضى الاسلامية التى كانت خاضعة أما للخلافة العثمانية أو للدولة الصفوية على السواء ، وكانت تبريز هى ميدان القتال بين العثمانيين والصفويين وتم تدميرها مرارا (١). ثم حاول الروس احتلال شحاص فى شمال اذربيجان عام ١١٣٦هـ / ١٧٢٣م ثم فى عام ١١٨٥هـ / ١٧٧١م ثم ١٢١١هـ / ١٧٩٦م والواقع أن الدولة العثمانية قد ساعدت سكان اذربيجان فى صد الروس عنها .

وبحلول عام ١٢١٦هـ / ١٨٠١م كانت اذربيجان الشمالية ( اران ) قد تحولت الى عدة خانيات ومنها كنجة وباكو ، وكوبا ، وشكى ، وشماص ، وقارايج وبحلول عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م كانت هذه الخانات قد سقطت فى ايدي الروس الذين اقاموا نظاما اقطاعيا جائرا تولى فيه نبلاؤهم حكم هذه الاراضى الاسلامية التى اعتبروها غنيمة لهم . وفى عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م قدم الروس الى تبريز بالاتفاق مع بريطانيا العظمى بدعوى حماية الجاليات الاجنبية ، غير أن الخلاف مالبث أن احتدم بينهما وصولا الى قيام

---

(١) احتل العثمانيون تبريز من سنة ٩٢٠ - ١٠١٢هـ / ١٥١٤ - ١٦٠٣م ثم احتلها مرة اخرى من سنة ١١٣٥ - ١١٤٢هـ / ١٧٣٢ - ١٧٢٨م .

راجع : الدكتور محمد على البار ، المسلمون فى الاتحاد السوفيتى عبر التاريخ ، الجزء الاول ، مرجع سابق ص ١٧٥ - ١٨٠ .

قيام الثورة البلشفية سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م حيث اضطرت روسيا للانسحاب بقرايتها لانشغالها بالاحداث الداخلية ، فى حين دخل الاتراك العثمانيون اليها عشية نهاية الخلافة العثمانية . ومن جهة أخرى فقد ساعد الانجليز ضابطا ايرانيا هو رضا بهلوى فاستولى على اذربيجان وعينوه فيما بعد شاها لايرلان ، وبمجيء الحرب العالمية الثانية فقد ضاق بهم الشاه وتعاون مع الالمان ، وبانتهاء الحرب وضع الانجليز ابنه محمد رضا (١) شاه .

كانت روسيا قد احتلت اذربيجان سنة ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م بايعاز من الحلفاء ( بريطانيا وفرنسا وامريكا ) ، وقد حاول ستالين أن يضم اذربيجان الجنوبية بعد ضمه اذربيجان الشمالية غير أن دول الحلفاء اضطرت له الى الانسحاب فى مايو ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م وعادت اذربيجان الجنوبية الى ايران .

واذا ما انتقلنا الى اوضاع المسلمين ، فانه يمكن ملاحظة أن العنصر التركى - وأغلبه من المسلمين - يقيم هناك ، ويشكل الشيعة نحو ٢٧٥٪ من سكان اذربيجان المسلمين ويعتبر سكان ناخيتشيفان التابعة لاذربيجان من الشيعة الحبقرية الامامية ولا يوجد بينهم غير نسبة ضئيلة من السنة الذين يختلطون بالشيعة ويتزاجون منهم على خلاف ما يحدث فى المناطق الاخرى من العالم الاسلامى ، ويشرف على المسلمين هناك ادارة رسمية روحية مركزها باكو وتشعر السلطات الروسية بالقلق من تزايد الاتجاهات الدينية لدى الشباب المسلم فى اذربيجان بسبب انتشار أماكن العبادة السرية واقبال الشباب على الصلاة وتعلم القرآن الكريم على أيدي الشيوخ ، ويأتى شعور السلطات الروسية بالقلق أيضا نتيجة لما تظهره الادارة الروحية للمسلمين السنة من ولائها

---

(١) حيث تمت الاطاحة به فيما بعد .

الظاهرى - غير الحقيقى - لهذه السلطات فضلا عن التعاون الحقيقى بين الشيعة والسنة لمواجهة الدعاية الشيوعية الالحادية .

### جورجيا : ( كرجستان أو بلاد الكرج ) :

تشمل جورجيا السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز ومساحتها نحو سبعين الف كيلو متر مربع ونظرا لمناخها المعتدل تكثر فيها دور النقاها السوفيتية ويسكنها أكثر من خمسة ملايين نسمة ، وعدد المسلمين فيهم نحو المليون .

وقد تم فتح مدينة تفليس عاصمة جورجيا فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٩هـ / ٦٣٩م عندما أرسل عياض بن غنم لفتح أرمينية ، واستطاع جيش المسلمين من اخضاع هذه المناطق التى كانت تابعة للامبراطورية البيزنطية ، وبرز حبيب بن مسلمة كأحد أمراء القادة المسلمين فى محاربة الروم حيث انتصر عليهم فى أرضروم - شرق تركيا - وبعد ان تم له فتح خلاط وأرجيش فى زرمينية فقد فتح تفليس ، وكانت بلاد الكرج أو جورجيا هذه تتبع حكام أرمينية من الاسرة البكراتية الذين أظهروا الولاء للخلافة الاموية ثم العباسية ، وكانوا يدفعون الجزية بانتظام ويقاتلون فى صف المسلمين ضد اخوانهم فى الدين من جنود الامبراطورية البيزنطية المعروفة باسم امبراطورية الرومان الشرقية ، ودخل الاسلام فى قلوب هؤلاء المسيحيين تدريجيا وكانت أسرة بنى ساج من آل شيبان من الاسر المرموقة فى هذه المناطق والتى تولت امارتها لعدة قرون ، ثم تلاهم السلاجقة فالمغول المسلمون ، وجاء بعدهم تيمور لثك ثم ظهر التركمان الذين نافسوا الخلافة العثمانية التى مالبت أن فرضت سيطرتها .

احتلت روسيا القيصرية جورجيا سنة ١٢١٦هـ / ١٨٠١م وضمت اماراتها الاسلامية وخاصة بعد ضعف شأن الدولة العثمانية نتيجة للحروب

الدمرة التي قامت بينها وبين الدولة الصفوية الشيعية لعدة قرون مما أضعف الدولتين معا ، ومع ذلك فقد بقيت مدينة باطوم تابعة للخلافة العثمانية حتى معاهدة سان استيفانو سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م ومعاهدة برلين في نفس العام حيث أعطيت مدينة باطوم - اجاريا - لروسيا .

### أرمينية :

هي بلاد جبلية تحدها غربا اسيا الصغرى ، وشرقا هضبة اذربيجان والشاطئء الجنوبي لبحر الخزر ، وتحدها بلاد القوقاز من الشمال والشمال الغربي ، وتنبع من جبال ارمينية أنهار " دجلة والفرات .

فتح المسلمون أرمينية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب حيث استمرت الغزوات حتى عام ٢٤هـ / ٦٤٤م في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وكان حبيب بن مسلمة هو القائد المسلم البارز في هذه الفتوحات حيث توجه بحيرة خلاط - وان واخضع اميرها ، كما اخضع أمير أرجيش ، وتجدر الاشارة ان أرمينية كانت خاضعة قبل الاسلام لحكم الامبراطورية البيزنطية ماعدا حدودها الشرقية التي كانت خاضعة لحكم الامبراطورية الساسانية .

رحب أهالي أرمينية بالحكم الاسلامي مفضلين اياه على الحكم البيزنطي من خلال الامبراطور قسطنطين الذي حاول استعادة أرمينية فهاجمها في عهد معاوية بن أبي سفيان حيث هزمه جيش المسلمين فوقع معاهدة مالمث ان نقضها فهجم عليه جيش المسلمين وهزموه ، وقام معاوية بتولية تيودور أميرا على أرض أرمينية جزاء له على قتاله مع المسلمين ، وحاول الروم استعادة

---

(١) حيث يتكون نهر الفرات من اتحاد نهرين صغيرين هما قره صو الغربي ومراد صو الشرقي ، في حين ينبع نهر دجلة من جنوب أرمينية في جبال طوروس .

ارمنية مرات عديدة غير أنهم فشلوا الا فى فترة محدودة عندما شب القتال بين الخليفة على بن ابى طالب ومعاوية بن ابى سفيان حيث استطاع الروم الاستيلاء عليها ، وعندما استقرت الامور لمعاوية سنة ٤١هـ / ٦٦١م قام بتذكير أهل أرمينية بمعهودهم فقاموا مع المسلمين ليصدوا الروم ويترددوهم من ارمينية .

أسند خلفاء بنى أمية شئون الحكم الداخلية الى امراء مسيحيين من أرمينية طالما كانوا يؤدون الجزية ، واستمر الخلفاء العباسيون فى استخدام هؤلاء الامراء المحليين وكان آخرهم اشوط البكراتى الذى نصبه الخليفة العباسى المعتمد لقب ملك سنة ٢٧٣هـ / ٨٦١م ، وقد منحه الخليفة العباسى المعتمد لقب ملك سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م وصولا الى نهاية حكم الاسرة البكراتية وحكم الروم أيضا على يد السلطان ألب ارسلان السلجوقى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م .

استطاع السلاجقة بعد احتلالهم أرمينية أن يحتلوا أجزاء واسعة من الامبراطورية البيزنطية ذاتها بقيادة ألب ارسلان الذى واجه الروم بشجاعة فائقة قائلا : « انى اقاتل محتسبا صابرا ، فان سلمت فتنة من الله ، وان كانت الشهادة فان ابنى ملك شاه يتولى الامر من بعدى » . وقد كان النصر حليف ألب ارسلان وسقطت بذلك للامبراطورية البيزنطية والفرية وجميع البلاد التى كانت عماد قوة الامبراطورية البيزنطية ايدانا بانتهائها ، والتى أجهز عليها فيما بعد الاتراك العثمانيون حيث قام محمد الفاتح باحتلال القسطنطينية .

وتجدر الاشارة أن دولة ارمينية صغيرة كانت قد قامت فى أيام السلاجقة سنة ١٠٨٠م واستمرت ثلاثة قرون تناصب الامبراطورية البيزنطية العداء ، وقد تحول كثير من سكانها الى الاسلام عن اقتناع واختلطوا بالأتراك السلاجقة ثم بالمغول الذين عرف امراؤهم بالايخان وصولا الى المعارك

الطاحنة مع دولة المماليك حيث انزل السلطان بيبرس والسلطان قطز بالمغول الهزيمة فى معركة عين جالوت وبذلك تم ايقاف التيار المغولى المدمر الذى قاده جنكيز خان وهولاكو ، واستولى المماليك على حصون ارمينية فى عهد السلطان الاشرف سنة ٧٧٧هـ . ١٣٧٥م وتحولت ارمينية الى مجموعة من الامارات الصغيرة شبه المستقلة وصولا الى اقتسامها بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية حتى استولت روسيا على ارمينية وكثير من المناطق الاسلامية .

احتلت روسيا القيصرية معظم مدن ارمينية فى الفترة ١٨٠٤-١٨١٣ حتى تم صلح كلستان مع انجلترا الذى تعينت بموجبه الحدود الفاصلة بين القوقاز التى سيطر عليها الروس وبلاد فارس وبالرغم من هذا الصلح الا أن حربا جديدة نشبت سنة ١٨٢٦ بين بلاد فارس وروسيا القيصرية وانتهت الحرب باستعادة الشاه عباس ميرزا معظم اراضى القوقاز غير أن الروس استطاعوا فى العام التالى أن يعيدوا القوقاز الى سيطرتهم واعتبر نهر الرس " فاصلا بين روسيا وايران ، وما كاد الروس يتنهون من اقرار الحدود الجديدة مع الفرس حتى اعلنوا الحرب على تركيا وحصلوا بمقتضى معاهدة ادرنة على اجزاء من ارمينية كانت تابعة للدولة العثمانية ، ثم تدخل الروس والانجليز لكسب مزيد من النفوذ ووقعت معاهدة ارضروم سنة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م تم بمقتضاها تكليف مندوبو روسيا وبريطانيا بوضع الحدود التركية الفارسية ، وعندما رفض الاتراك هذه الحدود فقد تم اجبارهم على الموافقة فى مؤتمر برلين سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م على هذه الحدود الجديدة حيث تخلت عن اردهان وقارص وباطوم وتنازل الروس للترك فى وادى الشكرى ووادى بايزيد

---

(١) لا يزال هذا النهر يفصل بين اذربيجان الايرانية واذريجان السوفيتية ، وتفصل سلسلة جبال ارارات الكبرى بين روسيا وايران وتركيا .

وكان الروس قد احتلوهما فى صلح سان استيفانو

نشبت حرب القرم فى الفترة ١٢٧٠ - ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٣ - ١٨٥٦م وذلك عندما قامت روسيا بتوسيع رقعتها واحتلال المزيد من اراضى القرم الاسلامية وصولا الى الثورة البلشفية والتي أدت الى قيام عدة جمهوريات فى القوقاز ومن بينها جمهورية أريخان المستقلة التى تحولت الى جمهورية أرمينية المستقلة فى ٢٨ مايو ١٩١٨ ثم جمهورية أرمينية الاشتراكية السوفيتية بعد أن استتب الامر للينين فى سنة ١٩٢٠ .

### أوزبكستان ( تركستان الغربية ) :

تقع التركستان الغربية وهى احدى جمهورياتها الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، حيث تقع فى وسط قارة آسيا ، وتحيط بها الجمهوريات الاسلامية بالاتحاد السوفيتى وعاصمتها « طشقند » ، ويتسمى سكانها الى مجموعة العناصر التركية أبرزها شعب « الاوزبك » وهم يشكلون أغلبية السكان ( ٧٠٪ ) وجميعهم من المسلمين فى حين أتت الحكومة السوفيتية بنسبة ١٣٪ من السكان لادارة شئون هذه الجمهورية ومناصبها الكبيرة وبلغ مجموع سكانها المسلمين فى الوقت الحاضر حوالى ثمانية عشر مليون نسمة فى جمهورية اوزبكستان وحدها ، فى حين أن مجموع المسلمين فى الجمهوريات الاسلامية لتركستان الغربية يصل الى حوالى ستين مليون مسلم .

### تطور انتشار الاسلام :

بعد أن تم فتح بلاد فارس ، فكر المسلمون فى فتح بلاد التركستان الغربية ، وسار جيش المسلمين بقيادة الأخنف بن قيس الى اعالى نهر جيحون فى سنة ٣٠ هـ وكانت تحت امره عبد الله بن عامر فى عهد خلافة عثمان بن عفان وحاول فتح بعض المناطق المجاورة للنهر . وعندما تولى زياد



ابن سفيان حكم اقليم خراسان - في العصر الاموى - فقد غزا المنطقة الجنوبية من بلاد التركستان ، ثم اجتاز نهر جيحون في جنوبي أوزبكستان في ولاية سعيد بن عثمان ، فكان أول من اجتاز ذلك النهر الكبير بقوات اسلامية الى داخل بلاد التركستان ، وفتح مدينة « بيكند » بين بخارى ونهر جيحون - ، ثم فتح بخارى وغزا سمرقند ، وكان بين المجاهدين في فتح هذه المناطق مسلم بن زياد بن ابي سفيان والمهلب بن أبي صفرة ، وابنه يزيد بن المهلب .

تولى القائد العربى قتيبة بن مسلم الباهلى حكم اقليم خراسان سنة ٨٨هـ بعد استقرار أحوال الفتح في بلاد التركستان ، وتذكر المصادر<sup>(١)</sup> أن فتوحات بلاد ما وراء النهر - تركستان الغربية - مرت في عهده بأربعة مراحل ، ففي المرحلة الاولى استعاد قتيبة المناطق التى نقضت عهدها معه مثل طخارستان ، وفي المرحلة الثانية أعاد قتيبة فتح بخارى سنة ٩٠هـ وكانت هى الأخرى قد نقضت العهد مما استلزم تكرار غزوها ، أما المرحلة الثالثة فهى مرحلة تثبيت الفتوحات فى حوض نهر جيحون وبسط نفوذ المسلمين على بلاد الصفد ، وشهدت المرحلة الرابعة وصول قتيبة بفتوحاته حتى فرغانة فى سنة ٩٦هـ وصولا الى اتمام فتح اوزبكستان وتدعيم انتشار الدعوة الاسلامية فى هذه البقاع النائية ، فضلا عن بناء أول مسجد فى بخارى .

دخل عدد كبير من ملوك وحكام بلاد ما وراء النهر طواعية فى الدين الاسلامى ، وتبعهم شعوبهم وذلك فى عهد الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز فى الفترة من ٩٩ - ١٠١هـ ، كما اعتنق عدد كبير من قبائل التركستان الاسلام فى عهد الخليفة المعتصم فى اوائل القرن الثالث الهجرى ،

(١) نقل عن الدكتور / عبد الله مبشر الطرزي مر ٢٥٧ .

أما فى القرن الرابع الهجرى فقد نقل الاتراك السامانيون الدعوة الاسلامية الى آفاق جديدة فى بلاد التركستان الغربية ، بل أن أحد الحكام قان بنشر الدعوة الاسلامية حتى حدود بلاد الصين وبقدوم القرن الخامس الهجرى كان الاتراك السلاجقة قد نشروا الاسلام فى مناطق جديدة من بلاد التركستان .

تبع ذلك سيطرة المغول على بلاد التركستان الغربية برمتها منذ القرن السابع الهجرى ، وكان لدخول خانات المغول فى الدين الاسلامى تأثير كبير فى انتشار الاسلام وتكوين امبراطورية اسلامية فى عهد الأمير بركة خان سنة ٨٣٠هـ / ١٤٢٢م ، وعندما ضعفت امبراطورية المغول ، انقسمت الى دويلات ، ومنها دولة خانات الأوزبك الأمر الذى سهل على الروس غزوها ثم ابتلاع هذه الدويلات الاسلامية ثم الاستيلاء على خانية قازان سنة ٩٦٤هـ / ١٥٥٦م ، ثم كانت معظم البلاد تحت السيطرة الروسية تماما فى سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م .

وعموما فانه حينما توطدت الشيوعية فى روسيا ، صدرت الأوامر فى سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٨ بالاستيلاء على جميع البلاد الاسلامية فى التركستان الغربية وكان الاستيلاء على بخارى سنة ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م ، والتي أصبحت جمهورية اتحادية فيما بعد ، وقد واجه المسلمون فى أوزبكستان مزيدا من الاضطهاد الذى انعكس على اغلاق مساجدهم ومدارسهم والغاء المحاكم الشرعية وتحريم التعليم الدينى الاسلامى ، والقضاء على اللغة العربية التى كانت قد قدمت فى الماضى قدرا هائلا من التراث الاسلامى فى بخارى وطشقند على ايدى علماء مسلمين كبار مثل الامام البخارى ، والخوارزمى ، والبيرونى ، والنسفى وغيرهم ، وقتلت الحكومة الروسية عشرات الالاف من المسلمين ، ونفت الالاف آخرين الى سيبيريا والمناطق غير الاسلامية ، وبالرغم

من مظاهر الاضطهاد هذه فان سكان أوزبكستان لايزالون محافظين على دينهم الاسلامى القويم .

خاتمة :

### الشعوب الاسلامية وتشابك العلاقات فى دول الكومنولث

عندما تفاقمت المشكلات الاقتصادية والسياسية داخل الاتحاد السوفيتى - السابق - استحال الوصول الى حل لها فى اطار الدولة الواحدة بل استحالت المحافظة على كيان الدولة ذاتها ووجدتها فكان الانهيار العاجل والتفكك السريع .. وكانت الإمبراطورية الاشتراكية السوفيتية أسرع امبراطورية فى تاريخ العالم من حيث النشوء والانهيار على حد سواء . بالرغم من أن روسيا ستبقى بعد كل ماحدث دولة كبرى وقوة اقليمية وعالمية ذات وزن كبير وتأثير عميق فى أى حسابات أو موازين للقوى ...

وبالرغم من أن الحكومات المتعاقبة فى الاتحاد السوفيتى - السابق - قد جعلت الوحدة الايديولوجية بديلا للقومية والدين لى وقت واحد .. الا أن التجربة أثبتت فشلا كاملا وخاصة فيما يتعلق بالدين الاسلامى الذى حافظ دائما على اشراقته .

والدليل على هذا أنه عندما أتيحت لهذه البلاد الفرصة للتعبير عن نفسها ونالت حق تقرير مصيرها كان قرارها مع الاستقلال والسيادة ، وان كانت الظروف الجغرافية / السياسية / الاقتصادية قد فرضت على القيادات السياسية

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك :

السيد عبد الرؤوف ، الشعون الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى السابق - ندوة احرار الشيشان والدب الروس ، القيادة السلطانية الاسلامية العالمية ، القاهرة ١٩٩٥/١/٦ من ص

١٤٣-١٣٤

فى هذه البلاد - أن تختار صيغة « رابطة الكومنولث » للتعامل . وهذه الرابطة لاتنضم كل جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابقة بل أن هناك دولا اختارت منذ البداية الاستقلال الكامل وهى جورجيا ولاتفيا واستونيا وليتوانيا وأذربيجان والأخيرة دولة اسلامية يشكل المسلمون تسعون بالمائة من سكانها البالغ عددهم سبعة ملايين نسمة .

فقد اثبت التجربة « الشيوعية » ان الدين ليس « افيون الشعوب » وهو ما يحتاج الى تفصيل غير قليل . فمئذ تم الاستيلاء على الجمهوريات الاسلامية المستقلة تباعا فى الفترة ما بين عامى ١٩١٨ ، ١٩٢٠ بدأت حملة لمحو الدين خاصة الاسلامى وإزالة رموزه وقيمه من نفوس وعقول وقلوب مواطنى هذه البلاد امتدادا من الأورال وشمال القوقاز ووصولا الى شبه جزيرة القرم .. ومنع تعليم الدين وحجبت اقامة الشعائر الدينية وجرى تغيير الأسماء وحجبت الوظائف العامة والمناصب الرفيعة عمن يثبت انتماءه الدينى .. واضطر الناس تحت ضغط الخوف والحاجة الى انكار تدينهم .. وعلى مدى سبعين عاما جاءت اجيال أقل ارتباطا بالدين وأقل معرفة به .. ومع ذلك ظلت الجذوة مشتعلة والمقاومة مستمرة مما اضطر السلطات لغض الطرف عن تعليم الدين داخل الاسرة الواحدة والابقاء على شكل سياسى يتمثل فى وجود مفت للمسلمين الذين يبلغ عددهم نحو سبعين مليوناً كنوع من الدعاية السياسية وامتصاص المشاعر المعادية .. وبقي علماء الدين الاسلامى يقومون بتعليم الدين سرا وبقيت الحركات الدينية مشتعلة تحت الرماد وفكرها وثروتها الثقافية التى دمرت بنيتها الاساسية بأكملها على مدى سبعين عاما .

حدثت التغييرات فى الاتحاد السوفيتى السابق بما يشبه الانهيارات الجليدية التى تحتاج كل شىء فى طريقها أو ما يشبه الانفجارات والانشطارات الكبرى

التي لا تبقى شيئاً على حاله . فهي لم تقف عند حد اعادة البناء والمكاشفة كما بدأ ميخائيل جورباتشوف بل احتاجت النظام كله بمن فيه الرجل صاحب النظرية وحامل لواء التطبيق ووصلت الى تفكك الدولة الاتحادية الكبرى والقطب العالى والقوة العظمى الثانية .. وكانت هذه التغيرات فرصة تاريخية لنحو سبعين مليون مسلم للحصول على استقلالهم والإعلان عن هويتهم القومية وانتمائهم الدينى اللذين لم تنجح سياسات القهر أو التلقين العقائدى الاجبارى أو عمليات الحو المنظم على مدى ثلاثة ارباع قرن من طمسها .

ويضاف الى كل هذا بالنسبة للجمهوريات الاسلامية استعادة دينها الاسلامى وفكرها وثروتها الثقافية التي دمرت بنيتها الأساسية بأكملها على مدى سبعين عاما .

حدثت التغيرات فى الاتحاد السوفيتى السابق بما يشبه الانهيارات الجليدية التي تحتاج كل شىء فى طريقها أو ما يشبه الانفجارات والانشارات الكبرى التي لا تبقى شيئاً على حاله . فهي لم تقف عند حد اعادة البناء والمكاشفة كما بدأ ميخائيل جورباتشوف بل اجتاحت المظام كله بمن فيه الرجل صاحب النظرية وحامل لواء التطبيق ووصلت الى تفكك الدولة الاتحادية الكبرى والقطب العالمى والقوة العظمى الثانية .. وكانت هذه التغيرات فرصة تاريخية لنحو سبعين مسلم للحصول على استقلالهم والاعلان عن هويتهم القومية وانتمائهم الدينى اللذين لم تنجح سياسات القهر أو التلقين العقائدى الاجبارى أو عمليات الحو المنظم على مدى ثلاثة أرباع قرن فى طمسها .

ومن منظور تاريخ العلاقات الاقليمية كانت الاراضى ذات الاصل الاسلامى كانت تمثل نحو تسعة اعشار مساحة الاتحاد السوفيتى السابق .. وتعيش على هذه الارض الفسيحة ذات الامكانات الهائلة عدة قوميات موزعة

بين آسيا الوسطى ( الازبك والقرغيز والكازاخ أو القازاق والتركمان والطاجيك ) وحرز الفولجا ( القشر والباشكير ) وما وراء القوقاز ( الاذريجانيون ) والقوقاز الشمالى ( الداغستانيون ) .. وتراوح أوضاع هؤلاء المسلمين ما بين جمهوريات مستقلة مثل كازاخستان وأوزبكستان وقرغيزستان وطاجيكستان وتركمانستان وأذربيجان وجمهوريات صغيرة داخل روسيا الاتحادية نفسها مثل داغستان وتاتارستان وباشكيريا وجمهوريات صغيرة تسمى للاستقلال مثل شعب انجاريا الذى يسعى للاستقلال عن جورجيا . وفى المجموع فهناك أكثر من ٥٠ قومية كبيرة وصغيرة .

وقد دخل الاسلام منطقة القوقاز فى اواسط القرن السابع الميلادى ( الاول الهجرى ) ودخل آسيا الوسطى فى القرن التالى .. وتابع الخلفاء الأمويون نشر الاسلام واللغة العربية فى منطقة آسيا الوسطى ( بلاد ما وراء النهر فى هذا الوقت ) حتى وصلت قوات عبد الملك بن مروان الى حدود الصين وأرست قواعد الحكم الاسلامى فى كل انحاء المنطقة . وتتابع الزحف الاسلامى على منطقة الفولجا بواسطة القبائل التركية الغازية التى اعتنقت الاسلام وتم انشاء دولة تركية اسلامية كبرى .. ثم توقفت الحملات العثمانية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر من النفوذ الفارسى فى تعزيز الاسلام فى جنوب السهول الروسية وشمال القوقاز .. وكانت سيريا نفسها فى اقصى الشمال جزءا من الدولة المغولية الكبرى التى أسسها الامبراطور باطور ابن جنكيز خان .

واعتنق المغول الاسلام كما سبقت الاشارة فى موضع سابق ودان الأمراء الروس لسيطرتهم أكثر من قرنين ( من ١٢٤٠ الى ١٤٨٠ م ) وهو الأمر الذى أدى فيما بعد الى تكوين نوع من الكراهية التاريخية بين الفئتين .

ومع الضعف الذى اصاب الدولة الاسلامية نجحت روسيا فى انهاء سيطرة

المسلمين فى اواخر القرن الخامس عشر .. واستغل ايفان الرهيب تفكك  
الامبراطورية الاسلامية نتيجة تزايد المطامع الدولية المرتبطة بحساسية موقعها  
الجغرافى وتصارع الدول الأوروبية والفرس لتحقيق السيطرة الروسية فى اوائل  
القرن السادس عشر بعد حروب دامت ٥٦ عاما . ثم الاستيلاء على معظم  
الاراضى القوقازية خلال القرن التاسع عشر فى اعقاب مقاومة استمرت قرنين  
وكانت ميبا فى اعاقا الجيش الروسى عن التقدم لاحتلال الشرق كله . وقد  
أسفرت هزيمة الفرس امام الروس حيثذ عن استكمال احتلال المناطق الواقعة  
غرب بحر قزوين ( اذربيجان ) والجنوب الشرقى منه فى القسم  
المسمى ( بانجودبامير ) وهى المنطقة التى تؤلف شمال شرق آسيا (آسيا  
الوسطى ) وصولا الى منطقة وادى فرغانة الخاضعة للمصين حتى سنة ١٨٣٥  
والتي دخلت ضمن الممتلكات الروسية لتصبح امارا خوقند ولتصبح الحدود  
الروسية متاخمة لايران وافغانستان بعد ان كانت فى الماضى البعيد تقع فى  
الركن الشمالى الشرقى من اوربا فصارت دولة اسير أوروية كبرى .

وبقيام الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ اعتقد المسلمون بإمكانية استثمارها  
لتحقيق استقلالهم بينما عمل البلاشفة على تأمين النجاح لثورتهم وتجميع  
كافة الشعوب المضطهدة لصالح اتمام انهيار الحكم القيصرى نتيجة التردد  
المبدئى للشعب الروسى فى مواجهة الثوريين الذين فشلت دعوتهم فى اغراء  
الطبقات العاملة فى غرب أوروبا وخاصة ايطاليا وفرنسا بينما واتجهت شعوب  
روسيا البيضاء الى مقاومة الثورة الا مستعمرات روسيا القيصرية . وهكذا وبعد  
شهر واحد من قيامها الثورة وجه مجلس قوميسيرى الشعب البلشفى نداء الى  
شعوب روسيا من المسلمين بالتخلص من الحكم القيصرى واعلان استقلالها  
. وهكذا تكونت عدة جمهوريات مستقلة على امتداد المساحة من سيبيريا الى  
القرم واعترفت بها الدول المجاورة لها وعقدت معها المعاهدات .

ارمنية .. وتوافق اذربيجان على منحهم نوعا من الحكم الذاتى فى اطار الدولة  
الاذرية . يتما تطالب ارمينيا بضم الأقلية لها وايجاد طريق برى لها وهذا النزاع  
كان قائما بينهما كجمهوريتين فى اطار الاتحاد السوفيتى السابق ولكنه ازداد  
اشتعالا بعد الاستقلال .. وتحول الصراع حول هذا الاقليم الى نموذج من  
نماذج الاستقطاب الاقليمى .. فروسيا تساعد ارمينيا حتى تظل حدا فاصلا  
بين الجمهوريات الاسلامية المستقلة وبين القوميات المسلمة داخل روسيا  
نفسها .. وايران تساعد ارمينيا حتى تظل اذربيجان مشغولة عن المطالبة بضم  
اذربيجان الجنوبية لها .. فأذربيجان الحالية هى الجزء الشمالى الذى كان فى  
يد روسيا لما الجزء الجنوبى فيقع فى يد ايران .. وتساعد تركيا اذربيجان .

### الشيخان :

تقع جمهورية الشيخان فى وسط شمال القوقاز وكانت تسمى مع  
جمهورية الانجوش حتى عام ١٩٩١ بجمهورية الشيخان والانجوش ذات  
الحكم القاتى . إن الشيخان والانجوش هما شعب واحد وأمة واحدة ولهما  
لغة واحدة وذلك لأنهما من أصل عرقى واحد . أما محاولة اظهارهم على  
أنهم شعبان مختلفان فهذا من قبيل الاساليب الاستعمارية المعروفة . ولهذا  
فلاتوجد بينهم فروق أو حدود فعلية ومازال الشيخان والانجوش يسمرون  
باسمهم القديم « الفاي ناخيون » . ويعتقون الدين الاسلامى القويم .

ولم يخلل الاسلام فى الشيخان عن طريق الحرب وانما تقبله الشيخان  
طواعية حيث داخل الاسلام الى داغستان ( الجمهورية تجاور الشيخان فى

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك :

سلفيروك اسلان بك ، لهات من تاريخ الشيخان فى : احرار الشيخان والذب الروسى ، م . س .

ذ . ص من ٥٥ - ٥٨ .



ولم يكن ذلك الاستقلال الا مرحليا فقد بدأت القوات الروسية زحفها من جديد على البلاد الاسلامية واستولت فى نهاية ١٩١٨ على جمهوريات الاورال وشمال القوقاز وامارة خوقند فى تركستان ثم سائر جمهوريات آسيا الوسطى فى سنة ١٩١٩ وجمهوريات اذربيجان .. وتأخر الاستيلاء على شبه جزيرة القرم حتى سنة ١٩٣٠ بسبب عنف المقاومة .. وبعدها دخلت البلاد والشعوب الاسلامية مرحلة جديدة .

ويمكن القول ببساطة شديدة إن الأوضاع فى هذه الجمهوريات شديدة التعقيد . وإن استقلالها ليس نهاية لمشكلاتها بل هو بداية لمشكلات مختلفة فى نوعها وفى درجتها .. وفى مواجهة طموحات ثلاث قوى اقليمية كبرى هى روسيا وتركيا وايران وأن تحافظ فى نفس الوقت على علاقات مع هذه القوى الاقليمية تضمن لها الحد الأدنى من التعاون والعيش فى سلام .

حيث أنها بحاجة الى نظام للأمن الاقليمى يحميها من الطموحات الاقليمية بينما يؤكد الاذربيجانيون أن ثمة متطوعين أرمن من دول عربية يحاربون فى صفوف الجيش الأرمينى بينما هنالك آلاف الروس يحاربون فى صفوف الجيش الاذربيجانى باعتبارهم مواطنين اذربيجانيين عاشوا فى هذا الوطن جيلا بعد جيل ويدنون له بالولاء .

وهكذا تبدو الصورة شديدة التشابك والتعقيد ومجالا للاستقطاب للقوى المختلفة ، ويسوق فريق من الباحثين امثلة على ذلك فكل من تركيا وايران له طموحاته الاقليمية ومشروعاته القومية ومشروعاته القومية التى لها امتدادها فى هذه البلاد .. وكثير من المسئولين فى بلد اوزبكستان يرون أن الاضطرابات التى جرت فى طاجيكستان تنغذى بالسلاح من أفغانستان وبالفكر من ايران .. هذا مثال .. وهناك مثال آخر فى الصراع الدائر بين اذربيجان وأرمينيا حول اقليم ناجورنو كاراباخ الذى يقع فى قلب اراضى اذربيجان وتقيم فيه اغلبية

الجنوب والشرق ) أولا عن طريق الفتح لهذه المناطق ثم بدأت الدعوة الى العشائر الشيشانية عن طريق الدعاة الذين اجتمعوا بمجلس كبار القوم وشرحو لهم الاسلام وقواعده ومناسبته لحياة الشعوب الجبلية لمافيه من بساطة واستقامة فتقبله الشيشانيون لأنه يتفق تماما مع طبيعتهم وتقاليدهم وعاداتهم ، وذلك قبيل القرن الخامس عشر الميلادى ولهذا ظل الاسلام قويا فى نفوس وعقول الشيشانيين لأنه لم يكن مجرد دين وانما اسلوب للحياة .

وتجدد الاشارة أن روسيا ومنذ نشأة الدولة المركزية فيها فى القرن السادس عشر وحاولت مرات كثيرة الاستيلاء على شمال القوقاز بمن فيه الشيشان عن طريق القضاء على سكانه وتشييدهم . وفى النصف الأول من القرن الثامن عشر قام بطرس الأكبر بإرسال حملة ضخمة الى القوقاز ، ولكن فى المعارك فى الشيشان وداغستان اضطر الى التراجع . وفى أيام القيصرة كاترين الثانية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر قامت بمحاولة جديدة لاحتلال القوقاز . فى سنة ١٧٨٥م قام الشيخ منصور ( أو شرما شعباز ) الزعيم الشيشانى بآثارة شمال القوقاز ضد الاحتلال الروسى تحت لواء الاسلام وقام بالقضاء على مراكز تجمعات الجيش الروسى هناك ، وفى سنة ١٧٩١م تم اسر الشيخ منصور ومات فى السجن القيصرى فى ييتروجراد ( ليننجراد ) .

وفى بداية القرن التاسع عشر قامت روسيا بمحاولات جديدة لاحتلال شمال القوقاز ولكن بطرق أكثر وحشة وغنفا . ولقد قام الجنرال القيصرى يرمولوف بحرق أكثر من نصف عدد القرى الشيشانية ، ولكن الشيشان رفضوا الخضوع وتابعوا كفاحهم ضد المحتلين بزعامة تيمى ييبولات وزعماء آخرين . وفى داغستان كان هناك غازى محمد وحمزة بك .

فى عام ١٨٣٤ وفى مناطق الشيشان وداغستان قام الامام شامل ( من

داغستان ) بإنشاء دولة اسلامية سميت باسم « إمامة شامل » وقادت الحروب ضد روسيا بلا هوادة لمدة ثلاثين سنة حتى سقوط آخر مقاطعة فى هذه الامامة فى عام ١٨٦٤ م . وبعد أسر شامل فى ١٨٥٩ م فى القرية الجبلية جونيب تم ارساله الى روسيا ثم سمحوا له بالذهاب الى مكة للحج وهناك مات فى ١٨٧١ م ودفن فى المدينة المنورة .

ولقد تابع الكفاح بعد الإمام شامل « ييصنخور » خليفته فى الشيشان حتى ١٨٦١ م حيث تم القضاء على انتفاضته وتم شنقه . فى عام ١٨٧٧ م اندلعت مرة اخرى نيران الانتفاضة ضد الاحتلال الروسى بزعامة على بك حاجى ولكن فى خلال عام واحد قمعت انتفاضته وقضى عليها . ومنذ عام ١٨٥٩ وحتى ١٩٦٣ تم طرد وتشريد كثيرين حتى نزح حوالى مليون من شمال القوقاز فى عام ١٨٦٦ م فى اتجاه تركيا <sup>(١)</sup> .

بعد وصول البلاشفة الى الحكم فى روسيا فى عام ١٩١٧ م قام الشيشان والكثير من شعوب شمال القوقاز بتأسيس جمهورية شمال القوقاز المستقلة فى عام ١٩١٨ م . فى عام ١٩٢٠ م قام البلاشفة بالاستيلاء على شمال القوقاز وأنشأوا هناك فى عام ١٩٢١ م الجمهورية الجبلية السوفيتية وهى تابعة لروسيا التى يدخل فى عدادها الشيشان والانجوش وداغستان وأوسيتيا وكبلرديا وبلكاريا وكراشاي ، ولكى يمكن السيطرة على هذه الشعوب بشكل أكبر تم تقسيم هذه المناطق الى مقاطعات ذات حكم ذاتى . وفى عام ١٩٣٦ عاد الشيشان والانجوش ليتحدا فى جمهورية واحدة .

وقد سبقت الاشارة انه تم اعدام كثير من الشيوخ والأئمة واغلاق المساجد تحت الحكم السوفيتى السابق ولكن أعظم المصائب حلت بالشيشان

---

(١) هم من يطلق عليهم فى العالم العربى « بالشراكسة »

عندما جرى اتهامهم ظلما بالخيانة والتعاون مع الألمان ، وذلك فى عام ١٩٤٤ حتى يجد الروس مبررا لطرد شعب بأكمله الى سهول كازاخستان . وفى عملية غير عادية حاصر الروس كل المناطق الشيشانية وأمهلوهم عشرون دقيقة فقط لتجميع حاجياتهم وبعدها قاموا بشحنهم بالنقلات الى المنفى وظل الشعب الشيشانى بالمنفى فى كازاخستان حتى ١٩٥٧م حيث رد لهم اعتبارهم ولكن هذه المحنة لم تمنح من ذاكرة الشعب الشيشانى الذى فقد نصف الشعب أكثر من ثلاثمائة الف فى السنة الاولى لنتيجه بسبب الأمراض والأوبئة والجوع والبرد .

وبعد تفكك جمهوريات الاتحاد السوفيتى وظهور النزاعات القومية لدى الشعوب السوفيتية جسد الشعب الشيشانى حلمه القديم فى الاستقلال عن روسيا وأعلن استقلاله فى عام ١٩٩١ دون اعتراف روسيا بذلك . غير أن روسيا فى دستورها الجديد أعلنت من جانبها أن الشيشان جزء لا يتجزأ من روسيا الاتحادية وقامت بإرسال قواتها العسكرية الى هناك لإنهاء استقلال الشيشان بالقوة وذلك منذ ١١ ديسمبر ١٩٩٤م حيث يمثل كفاح شعب الشيشان المسلم نموذجا يحتذى به فى تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر .

### سيناريو الحاضر والمستقبل :

ولقد واجهت روسيا داخل حدودها الجديدة السكان المسلمين الوطنيين الذين يطالبون بحماس بمزيد من الصلاحيات ، وفى بعض الحالات بالاستقلال التام . وبدلا من أن يكون لروسيا سيطرة خاصة على وسط آسيا ، فان عليها موسكو أن تتكيف مع ظهور البلدان المستقلة فى المنطقة . وعلى صناع السياسة الروسية أن يقبلوا الواقع ، وهو أن حالة القوة العظمى قد قطعت كثير من أطرافها .

ويجب أن تظهر سياسة أكثر حيوية ونشاطا ، تعطى اهتماما أكبر لمسلمي الجنوب ، وصار على روسيا أن تلتزم بدور أكبر فيما يتعلق باستقرار اقليم وسط آسيا ، وفعلا اقامت روسيا علاقات ثنائية وثيقة مع جمهوريتي أوزبكستان وكازاخستان بشكل خاص باعتبارهما الجمهوريتين الأكثر انتقادا .

ومن ناحية ثانية ، فإن أهمية سياسة أكثر حزما لا ينبغي أن يبالغ فيه . فالواقع المفهوم ضمينا هو أن روسيا ستبقى ضعيفة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، مع مشاكل داخلية صعبة . أما دول وسط اسيا ، فعلى الرغم من اعتمادها على روسيا بشكل شامل ، فانها تضاعف من استقلالها السياسي والاقتصادي عن روسيا بشكل تدريجي ، وسوف تتخلص من تحكم روسيا في النهاية .

إن التحدي الذي تواجهه روسيا ليس هو الكيفية التي تستطيع بها إعادة تأكيد قوتها . بل كيف تستطيع أن تدير عملية الانسحاب من الامبراطورية دون أن تتعرض لتكاليف باهظة ، وفي نفس الوقت تحمي أكثر ماتستطيع حمايته من مصالحها الاستراتيجية بقدر الامكان ولقد أخذت النخبة الحاكمة الروسية تدرك صعوبة هذا الواجب بشكل تدريجي وما أظهرته الأحداث في طاجيكستان . وضع أن الحل العسكري يمكن أن يكون مؤقتا فقط ، وإن السلام الطويل الذي يجب التوصل اليه من خلال المفاوضات السياسية البطيئة وأصبح واضحا كذلك ، انه حتى اذا كانت جمهوريات وسط آسيا راغبة في تطوير علاقات ثنائية وثيقة مع روسيا ، فانها ترى في ذلك مزايا من جانب

---

راجع في تفصيل ذلك : رونالد دان روث ، روسيا ، وسط آسيا ، في مستقبل العالم الاسلامي - السنة الخامسة - العدد ١٤ - ١٩٩٥ م ص ١٥٥-١٩٢ نقلا عن مجلة Survival<sup>††</sup> المجلد ٣٥ اعداد ٤ .

واحد ينبغي الحصول عليها من هذه العلاقات والتكاليف بالنسبة الى روسيا  
فى أى تحالف وثيق يمكن أن تكون باهظة . ففى الجانب الاقتصادى يمكن  
أن تتحمل الأعباء المالية لاقتصاديات بلدان وسط آسيا . وفى المجال العسكرى  
، يتوقع الزعماء المحافظون لبلدان وسط اسيا ضمانات روسية أمنية ، تتضمن  
الدفاع عنهم ضد التهديدات الداخلية والخارجية على حد سواء . وفى  
الجانب السياسى هناك تكاليف مرتبطة بالدفاع عن نظم غير ديمقراطية ، مع  
سجل سىء فى مجال حقوق الانسان . والدول المستقلة ( فى وسط اسيا )  
يمكن ان تكون متقلبة فى تحالفها : وعلى روسيا ان تتأكد من عدم  
تضحيتها بالعلاقة الودية على المدى البعيد من خلال تدخلات تطفلية أو غير  
حساسة فى المدى القريب . وكل هذه الاعتبارات تعتبر جديدة بالنسبة الى  
المؤسسة الروسية . ففى الماضى كانت السياسة تصدر اما بقدر امبراطورى أو  
بمقتضيات الحرب الباردة . والمشكلة هى ان كثيراً من صناعات السياسة  
الروسية لا يزالون يفكرون من خلال القالب السوفيتى الامبراطورى ، وما  
يزالون بحاجة الى التكيف نفسياً مع محدودية القوة فى فترة ما بعد  
الامبراطورية .

## الفصل السادس

### تطور مشكلة افغانستان «دراسة وثائقية»

- بعض الملاحظات الجيوبوليتيكية .
- من الدولة الغزنوية الى الغوريين .
- دور بريطانيا .
- دور الاتحاد السوفيتي .
- مقاومة المجاهدين للتدخل السوفيتي .
- ملحق وثائقي .





## بعض الملاحظات الجيوليتيكية :

تقع افغانستان فى جنوب غرب قارة آسيا فى منطقة بعيدة عن البحار ويجاورها شمالا وغربا الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، وغربا ايران ، وجنوبا باكستان ، ويصل عدد السكان فيها الى ٢٢ مليون نسمة ، ومعظم سطحها مرتفعات وتكثر الوديان بين جبالها وتعيش القبائل على الرعى ، وتفصلها سلسلة من الجبال عن باكستان وايران ، وسهول افغانستان تمتد شمالا لتضيق قرب مجرى نهر جيحون الذى يشكل الحدود بين افغانستان وتركستان الغربية الخاضعة للاتحاد السوفيتى . وقد سبقت الاشارة ان افغانستان منطقة داخلية بعيدة عن البحار ، ومناخها قارى .

هاجر الآريون الى افغانستان منذ القدم وانتقلوا من حياة الرعى الى حياة الزراعة والاستقرار ، وعرفت هذه البلاد باسم « آريانا » نسبة الى الآريين ، واطلق على القسم الشمالى منها اسم « خراسان » وهى منطقة مجاورة لبلاد تركستان . وقد غزا الاسكندر المقدونى بلاد الافغان عام ٣٣٠ ق . م ، وأقام مدينتى قندهار وهرات ، واستمر حكم اليونان لها نحو مائتى عام ، وانتشرت الديانة البوذية فى افغانستان بعد خروج اليونان منها ، وبقيت الديانة البوذية هى السائدة حتى الفتح الاسلامى ، وفى الفترة التى سبقت هذا الفتح كانت قد تدفقت جموع من قبيلة الكوشان من تركستان الشرقية الى افغانستان واقاموا بها الامبراطورية الكوشانية ، فلما قويت الدولة الساسانية فى بلاد فارس تقلصت قوة الكوشان الى امارات محلية صغيرة وصولا الى الفتوحات الاسلامية .

ونظرا لوقوع افغانستان فى وسط قارة آسيا فقد تلاقى على ارضها اجناس متعددة ، فالباتان يشكلون ٦٠ ٪ من السكان وهم خليط من العناصر الفارسية والافغانية ويشكل التاجيك حوالى ٣٠ من السكان ويتركزون فى العاصمة

كابل وحولها ، في حين يشكل الاثراك ٥ ٪ من السكان وهم امتداد السكان تركستان الغربية من التركمان الذين اقاموا على الضفة الجنوبية لنهر جيحون ، أما الهزارة فيشكلون نحو ٣ ٪ من السكان ، في حين يشكل البلوج ١ ٪ و يقيمون في الجنوب ، ويقال انهم من أصل عربي وأكثرهم من اقليم بلوخستان في باكستان ويشكل الكافير ١ ٪ ويعرفون باسم النوريين وتوجد اقلية هندية وصينية لاتعدى ١ ٪ من مجموع السكان .

واللغة الرسمية لافغانستان هي البشتو وتليها الفارسية وتحتل اللغة العربية مركزا مرموقا في الدراسة في المدارس والجامعة باعتبارها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه الاسلامي ، وكانت تحكم باسم حكام الفرس حتى الفتح الاسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب كما سبقت الاشارة ، وقاد عاصم بن عمرو التميمي جيوش المسلمين الى هذه البلاد فسار نحو سجستان وأهم مدنها « قندهار » و « زرنج » والتقى بأهل سجستان الذين تسحبوا الى « زرنج » فحاصروهم المسلمون فيها حتى طلبوا الصلح سنة ٢٣هـ الا ان سجستان نقضت العهد في ايام الخليفة عثمان بن عفان الذي أعاد فتحها .

قاد الأحنف بن قيس الجيش الثاني للمسلمين في هذه المنطقة بين افغانستان وايران وتركستان ، ونجح في فتح مدينة هرات ومنها سار الى بلخ وفتحها ثم صخارستان وفي عام ٨٠هـ أغار القائد العربي عبد الرحمن الكندي على مدينة كابل في عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ، وفي عام ٨٦هـ قام القائد الاسلامي قتيبة بن مسلم الباهلي باعادة فتح كابل حيث كان سكانها قد نقضوا عهدهم مع العرب ، واستقر حكم الاسلام فيها ، وبحلول منتصف القرن الثاني للهجرة ، أصبحت افغانستان كلها منطقة اسلامية بعد أن اعتنق جميع السكان - تقريبا الدين الاسلامي

الحنيف .

ونتيجة لاستقرار بعض القبائل العربية فى هذه المناطق انتشر الاسلام ، وتولدت طائفة من ابناء البلاد المفتوحة تتكلم اللغة العربية وتشتغل بعلوم اللغة والقرآن والحديث ، بل أن ابناء البلاد المفتوحة تحولوا شيئا فشيئا عن لغاتهم التى كانوا يتكلمون بها الى اللغة العربية ، وكانت أوامر الخلفاء العباسيين وغيرهم معاقبة كل من يتعرض لاءاء الديانات الاخرى مثل البوذية أو الزرادشتية أو المجوس ، حتى أن الخليفة المعتصم بالله عاقب نفرا من المسلمين تعرضوا لمعبد من معابد المجوس .

### من الدولة الغزنوية الى الغوريين :

تجدر الاشارة الى ظهور الدويلات المستقلة فى شرق الدولة الاسلامية مثل الطاهريين والصفاريين الذين بطروا على كابل وهرات وطبرستان ثم السامانيين الذين ضموا الى ملكهم أراضى كثيرة فى بلاد ما وراء النهر ، وكان من بين عمال الدولة السامانية أمير يدعى سيكتكين حكم ولاية غزنة الافغانية فى القرن الرابع الهجرى وتجمع فى توحيد الاتراك والافغان فى امارته حيث قامت اول دولة افغانية اسلامية هى الدولة الغزنوية التى قامت بدور بارز فى التاريخ الاسلامى حيث امتدت دولة سيكتكين حتى البنجاب وخراسان وبلاد ما وراء النهر .

تولى محمود الغزنوى الحكم بعد ابيه وكان من اعظم سلاطين المسلمين فى عصره وضم أكثر الدويلات المستقلة الى حكمه ونشر الاسلام فى بلاد الافغان وبلاد الهند التى خرج اليها غازيا مجاهدا سبع عشرة مرة فى مدى سبع وعشرين عاما ابتداء من آخر القرن الرابع الهجرى .

جاء الغوريون بعد الغزنويين وانتشر الاسلام على نطاق واسع بفضل جهودهم ، وظلت الحكومة الاسلامية بأيدى السلاطين الافغان حتى اوائل

القرن العاشر الهجرى حين انتقلت مقاليد الحكم الى الدولة المغولية التى اقامها  
ظهير الدين ، وتعرضت افغانستان شأنها شأن الاقاليم الاخرى لتخريب  
المغول وخضعت لانباء جنكيز خان الذين حكموا فارس باسم الايلخانيين  
حتى ظهور تيمور لنگ ، وامتد نفوذ الدولة التيمورية ( المغولية ) - نسبة الى  
تيمور لنگ - من خراسان ومن كابل وغزنة وظلت تحكم الهند أكثر من  
ثلاثة قرون حتى مجيء الاستعمار البريطانى .

وتجدر الاشارة أن افغانستان ظلت جزءا من الدولة التيمورية - المغولية -  
بالهند ، ورأى فيها سكانها موطن ابيهم الاكبر ( ظهير الدين بابر ) ، وفى  
النصف الاول من القرن الثانى عشر الهجرى ( القرن الثامن عشر الميلادى )  
استولى نادر شاه على تقاليد الحكم فى فارس واجتاح افغانستان وصولا الى  
الهند ، ضم نادر شاه الى جيشه فرقا من الافغانيين ومنهم فتى طموح وصل  
الى قيادة فرقة الابداليين الافغان بالجيش الفارسى ، والتى عادت الى افغانستان  
بعد مقتل نادر شاه ، وهناك تولى قائد فرقة الابداليين أحمد شاه اماره  
افغانستان التى عرفت فيما بعد باسم « الدولة الافغانية » ، وخاض احمد شاه  
عدة حروب مع الهنادة لتأمين حدود الدولة الاسلامية ، ويصف الكاتب  
الهندي بانبيكار فى كتابه « آسيا النفوذ العربى » ، الطلائع التى قدمت الى قارة  
آسيا فى القرن الخامس عشر بأنها كانت بمثابة حرب صليبية أراد بها الغرب  
ايقاف المد الاسلامى فى آسيا الذى انطلق وقتئذ من خراسان .

#### - دور بريطانيا :

استمرت محاولات القوى المختلفة الرامية للسيطرة على افغانستان وكان  
لسيطرة بريطانيا على شبه القارة الهندية تأثيره على افغانستان القرية منها ،  
ومنذ ان ضعفت الحكومات الاسلامية الافغانية ، وبريطانيا تتدخل لتحقيق  
مصلحتها تارة بارسال جيوشها أو للوقوف فى وجه الروس الذين ارادوا توسعه

نفوذهم بضم مناطق واسعة على حدود افغانستان ، ومعنى لك ان النفوذ الروس قد أتى فى المرتبة الثانية بعد النفوذ البريطانى وصولا الى مطلع القرن التاسع عشر حيث كان يحكم الامير دوست محمد حيث ساند الانجليز منافسة شاه شجاع وأمدوه بأسلحة حديثة خاض بها عدة معارك لكنها انتهت بانتصار دوست محمد الذى دفع عن افغانستان خطر الفرس بتحريض من الروس ودعمهم ، وبعد موته خلفه ابنه شير سنة ١٨٦٢ وفى عهده اشتد التنافس البريطانى الروسى على اواسط آسيا ورغبة بريطانيا فى تأمين حدود الهند الشمالية ، ونتج عن تدخل بريطانيا تنصيب الامير عبد الرحمن خان الموالى لهم ، وبوقاته سنة ١٩٠١م خلفه ابنه حبيب الله خان الذى هادن البريطانيين ، وبقتله سنة ١٩١٩ فقد خلفه ابنه امان الله خان الذى حقق لافغانستان استقلالها الكامل واسترد جميع الاراضى التى كان البريطانيون قد انتزعوها ورائت بريطانيا على انشاء منطقة حرام بين حدود افغانستان وحدود الهند ، وفى عهده صارت افغانستان مملكة سنة ١٩٢٦ ووثقت علاقاتها مع الدول الاخرى وخاصة روسيا<sup>(١)</sup> وتركيا وايران .

اعترض رؤساء البائل والعلماء على مظاهر التحديث الغربية التى ادخلها امان الله على افغانستان التى شهدت حربا اهلية فر على اثرها امان الله ،

---

(١) تجدر الاشارة ان افغانستان كانت واقعة بين الامبراطورية القيصريّة الروسية والاحتواء البريطانى فى اواخر القرن التاسع عشر ، وفى اتفاق لارندون - نورتشيكوف فى عام ١٨٧٣ رضيت روسيا القيصريّة بافغانستان على انها واقعة خارج دائرة نفوذها ، وبعد عدة نزاعات خططت افغانستان وروسيا حدودهما فى الفترة ١٨٩٥-١٨٩٦ .

راجع دكتور محمد نصر مهنا ، صبر من المشكلات السياسية فى العالم المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٨١ ص ٣٢٥ - ٣٦٤ .

وجاء محمد نادر شاه لانهاء البلاد واعادة الاستقرار فيها فى ديسمبر ١٩٢٨ ، وقد انتهج سياسة معتدلة ولكنه اغتيل فى سنة ١٩٣٣ فخلفه ابنه محمد ظاهر شاه الذى استمر فى حركة الاصلاح ودعم السلطة المركزية وبدأ فى التعاون مع الاتحاد السوفيتى الذى نصحه فى الحد من ازدياد النفوذ الاسلامى ، ومنذ ذلك الحين زاد نفوذ الشيوعيين فى افغانستان ، وعندما واجهه علماء المسلمين بمعارضتهم للحد الشيوعى فقد سارع بايداعهم السجن .

وتجدر الاشارة الى أنه عندما قامت الثورة البلشفية ، فقد منى الشيوعيون السكان المسلمين باعطائهم حقوقهم لكنهم سرعان ما نقضوا عهدهم ، وكانت أكثر هذه المناطق النائرة اسلامية ، وأكبر ما حدث من انتفاضات<sup>(١)</sup> كان على حدود افغانستان ، وكان الافغانيون مدركين لما يلاقىه المسلمون وراء حدودهم من اضطهاد ، بل أن قسما من الافغانيين كانوا يتمنون الى القبائل خلف الحدود ، ومع ذلك كانت العلاقات ودية بين الاتحاد السوفيتى وافغانستان ، ولكنها غير وثيقة ، وقد سويت مشاكل الحدود بالمنطقة باتفاقية عام ١٩٢٦ ووقفت افغانستان الحريصة على استقلالها موقفا ضاررا فى الشؤون الخارجية .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٣٥٩هـ / ١٩٣٩م كان الروس والانجليز على وفاق ولم يحدث تنافس بينهم على أرض افغانستان ، ثم احتدم التنافس بين المعسكرين الغربى والشرقى عقب الحرب ، وكان الروس قد قتلوا كثيرا من سكان القرم المسلمين وهو ما ساءخدمه الانجليز ضد الروس لمصلحتهم ، وادرك المسلمون أن الخلاف بين الشيوعية والرأسمالية هو خلاف سياسى ، وأن المصلحة هى التى تحدد الاتفاق بين الاطراف .

---

(١) حيث جاء انور بانسا الى المنطقة وفاد الثورة ضد الاستعمار الروسى حتى استشهد سنة

١٣٤١هـ / ١٩٢٢م .

بعد الحرب العالمية الثانية وخصوصا بعد تقسيم الهند ، لجأت حكومة افغانستان الى الاتحاد السوفيتى لمساعدتها فى المجال العسكرى والتنمية الاقتصادية ، وكانت حكومة افغانستان قد عجزت عن الحصول على مساعدة عسكرية غربية واسعة النطاق ، وخشيت الولايات المتحدة أن تستخدم مثل هذه المساعدة لملاحقة مطالب افغانستان فى الاقليم الشمالى الغربى من باكستان حاليا وعاصمته ييشاور Peshawar والذى طالبت به افغانستان منذ فترة .

وفى يوليو ١٩٥٠ وقعت افغانستان والاتحاد السوفيتى اتفاقية تجارية وبمرور الوقت أصبحت افغانستان اكثر اعتمادا على الاتحاد السوفيتى للحصول على سلع كثيرة كانت تتباعها سابقا من مصادر اخرى ، وتولى السوفيت مسئولية التنقيب عن النفط فى شمال افغانستان .

#### - دور الاتحاد السوفيتى :

ازداد التعاون الودى بين الاتحاد السوفيتى وافغانستان فى فترة حكم خروشوف الذى لاحظ الاهمية الجيوليتيكية لافغانستان وهو ما استدعى وقفة لتفسير هذه الاهمية . فافغانستان دولة داخلية ، وليست لها منافذ أو حدود بحرية ، وقد سبقت الاشارة ان الاتحاد السوفيتى يحدها من الشمال ، والصين فى قطاع محدود من الشرق ، فى حين تشترك باكستان فى حدود طويلة معها من الشرق والجنوب ، وتعتبر ايران الجار الغربى لافغانستان ، وتشكل الطبيعة الجبلية الوعرة والصحراوية حوالى ٨٠٪ من مساحة افغانستان ، وقبائلها متعددة ولغاتها أيضا ، والتخلف الشديد بمظاهره الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هو السمة السائدة ، وافغانستان واحدة من افقر خمس دول فى العالم ، ولا يتعدى دخل الفرد فيها ١٦٠ دولارا سنويا ، وكان لنسبة الامية فيها (٧٩٠٪) اثره هو الاخر على التخلف الشديد للسكان ،

ويشكل المسلمون في افغانستان بالاضافة الى مسلمى باكستان وايران - رغم اختلاف مذاهبهم - اكبر تجمع اسلامى فى قارة آسيا .

شهدت فترة حكم خروشوف للاتحاد السوفيتى مزيدا من ادراك اهمية افغانستان الجيوليتيكية حيث قريبا من الجنوب يسهل على الاتحاد السوفيتى التدخل لكسب نفوذ فى الصراع الدائر بين الهند وباكستان بهدف نمو الشيوعية فى هاتين الدولتين الفقيرتين واتى التوافق بين الدولتين الشيوعيين الكبيرتين روسيا والصين - فى هذه الفترة - بمثابة مؤشر جديد لمد النفوذ الشيوعى الى افغانستان وقدمت كلا الدولتين مساعدتهما العسكرية لافغانستان ، وأظهر رئيس وزراء الافغان انذاك محمد داود تماطفا مع الروس .

بلغت نسبة المساعدات الروسية لافغانستان فى الخطة الخمسية ١٩٦٢ - ١٩٦٧ ما قيمته ٢٦٥ - ٦٣٢ مليون دولار - فى حين شكلت المعونة الامريكية ٢٢٪ فقط من تلك المساعدات التى استمرت روسيا ببعثها متدفقة على افغانستان ، فأنشأ الروس مطار كابول ، وسلحوا القوات الافغانية خاصة القوات الجوية ، وقدموا ما قيمته ٧٥٠ مليون دولار لتحسين طرق المواصلات للاستفادة منها اثناء التحركات العسكرية .

من ناحية أخرى نشطت السياسة الامريكية فى افغانستان من خلال مؤسسات التنصير حيث يشكل المسلمون أكثر من ٩٩٪ من سكان افغانستان، ودخلت مؤسسات امريكية باسم « الانسانية » فى التعليم والرعاية الصحية ، ولم يكن علماء المسلمين الافغان غافلين عن هذا النشاط المستتر ومكافحة كل من العملاء الامريكيين والخلايا الشيوعية على السواء التى جرى التمدد معها بعد ان قويتا ، وانعكس هذا على المؤسسات التعليمية وعلى قمعتها جامعة كابول ، وفى انتخابات الاتحادات الطلاب سنة ١٩٧٣



حصل المسلمون على ٤٤<sup>(١)</sup> مقعداً من أصل ٥٤ مقعداً مما زاد من نفمة الشيوعيين على الاتجاهات الاسلامية ونموها المتصاعد .

اعلنت افغانستان فى ١٧ يوليو ١٩٧٣ م الغاء النظام الملكى ، وقيام الجمهورية برئاسة محمد داود ابن عم الملك السابق محمد ظاهر شاه حيث زاد التعاون مع الاتحاد السوفيتى ، وعانى علماء الدين الاسلامى واتباعهم من الاضطهاد ، وامتلات السجون بهم نتيجة لتعاظم نفوذ اليسار الذى جعل محمد داود ينقلب على اليسار ، وما لبث السوفيت ان دفعوا بعميلهم نور الدين تاراكى الذى فتك بمحمد داود واسرته فى ١٨ ابريل ١٩٧٨ واعلن قيام جمهورية افغانستان الديمقراطية التى اعترف بها الاتحاد السوفيتى بعد ساعات قليلة .

#### - مقاومة المجاهدين للتدخل السوفيتى :

سواء تعلق الامر بحكومة داود أو بحكومة تاراكى فان النظامين قد اتبعا سياسات دولية يتعذر تمييزها عن سياسات الاتحاد السوفيتى ونظر اليهما الشعب الافغانى فى صورة متنامية على انهما معاديان للاسلام وخاضعان للسيطرة السوفيتية وزاد السوفيت وجودهم ونفوذهم ، وبحلول شهر يوليو ١٩٧٨ وقع نظام تاراكى نحو ٦٠ عقداً مع الاتحاد السوفيتى بلغت قيمتها نحو مائتى مليون دولار ، كما وقعت الدولتان فى نفس الشهر اتفاقية مساعدة عسكرية قيمتها ٢٥٠ مليون دولار ، كما وقع نظام تاراكى اتفاقيات متعددة مع دول اوربا الشرقية .

---

(١) كانت الجمعيات الاسلامية تشمل جميع الشباب المسلم وجمعية العلماء المحمدية وجمعية خدام الفرقان وهو ما جعل النظام الملكى رقتد يقف فى وجه الحركة الاسلامية باعتبارها حائلاً دون امتداد النفوذ الشيوعى .

ازداد تاراكي الماركسي ضعفا فلجأ الى مزيد من الاعتقالات لسحق حركة التمرد والثورة التي قام بها المجتمع المسلم ، وقد اعلنت مؤسسة العفو الدولية في سبتمبر ١٩٧٩ أن حكومة تاراكي زجت بأكثر من ستة عشر الفا في سجون كابل ، وفي ١٤ سبتمبر قاد أمين حركة ضد تاراكي الذي قتل ، غير أن وفاته لم تعلن قبل ٩ أكتوبر .

زحف الثوار المسلمون في ديسمبر ١٩٧٩ على العاصمة كابل وبدأوا حملة اغتياالات ضد النظام الشيوعي ، وتدهورت الاوضاع بسرعة حيث بدأ السوفيت في حشد جنود المشاة والمظليين في المناطق القريبة من الحدود الافغانية ، وفي ٢٧ ديسمبر قاد الجنود المظليون السوفيت هجوما على قصر دار الامان ومحطة اذاعة كابل ، وقتل أمين ، وحاول السوفيت تبرير غزوهم بادعائهم ان الحكومة الافغانية طلبت مساعدتهم ، وبعث ليونيد بريجنيف برسالة تهشة الى بابر اك'كارمال على « انتخابه » رئيسا جديدا لافغانستان .

بحلول يناير ١٩٨٠ كان أكثر من أربعين ألف جندي سوفيتي مقاتل قد وصلوا الى افغانستان وتركزت استراتيجيتهم العسكرية على الوديان الواقعة على امتداد الحدود مع باكستان بهدف اغلاق الحدود عن طريق ايجاد منطقة عازلة بالقرب من بيشاور - عاصمة الاقليم الشمالي الغربي في باكستان - وحل الدمار بالمجاهدين المسلمين من خلال الغاز الذي يلتصق باجسادهم نظرا لرفضهم تأييد النظام الماركسي ورددوا هتافات اسلامية وتم اعتقال مئات الالاف من المجاهدين الافغان وتعذيبهم بأبشع الوسائل الهمجية وتصفية عدد كبير منهم وتم دفن الاف الحث ، واحراق المحاصيل الزراعية وقتل المراسي وذبح الاطفال الصغار أمام ابائهم وتشريد ملايين المهاجرين في باكستان وايران .

قضى الاحتلال السوفيتي لافغانستان على التراث الثقافي ونظام التعليم وأوقفت جميع المشروعات لصيانة المعالم التاريخية وتمت تصفية واعتقال المفكرين ، وقد سبقت الإشارة الى سياسة الابداء الجماعية بهدف القضاء على القبائل التي تقطن المقاطعات الوسطى فى أفغانستان ، واجمالا فانه قد انتهكت شروط ميثاق الام المتحدة وأبسط حقوق الانسان فى حق الحياة وحرية وسلامة الفرد ومورست كافة وسائل التعذيب القاسية واغزوية .

استمرت مقاومة المجاهدين الافغان للاحتلال السوفيتى فى افغانستان وتصاعدت ردود أفعال المعارضة للسوفيت من المجتمع الدولى بأكمله تقريبا ، وفرضت المصالح الدولية نفسها لاستعادة استقلال افغانستان حفاظا على الامن والسلم والدولى ، ومن الناحية الاقتصادية فان دولا صناعية ودولا نامية تهددت مصالحها الحيوية من جراء عدم تدفق النفط بصورة منتظمة ، فضلا عن ان المحافظة على الوفاق الدولى قد تهددت ، وكان الرد العالمى الحازم على الاحتلال السوفيتى لافغانستان قد بدأت بوادره تثمر بتوقيع اتفاقيات (١) جنيف فى ١٤ ابريل ١٩٨٨ سواء من قبل الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية أو من قبل افغانستان وباكستان وشهدت عليها الدولتان الضامتان العظميان مع ملاحظة عدم اشراك المجاهدين الافغان فى هذه الاتفاقيات .

وفى خطابه امام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٩٨٨/١٢/٧ أعلن ميخائيل جورباتشوف خطة سوفيتية لانهاء الحرب فى افغانستان تتضمن النقاط التالية :

---

(١) راجع نصوص هذه الاتفاقيات وغيرها من الوثائق فى الملحق الوثائقى .

- ١- وقف اطلاق النار ابتداءً من ١٩٨٩/١/١ .
- ٢- بقاء الاطراف المتحاربة فى الاماكن التى تسيطر عليها .
- ٣- تكوين حكومة ذات قاعدة عريضة .
- ٤- ارسال قوة من الامم المتحدة الى كابول وبعض المراكز الاستراتيجية .
- ٥- عقد مؤتمر بواسطة الامم المتحدة حول حيل افغانستان ونزع السلاح فيها .
- ٦- تساهم روسيا فى ضماد جراح الحرب مع الامم المتحدة والدول الاخرى ..
- ٧- انشاء قوة سلام دولية تكونها الامم المتحدة من اجل اعادة بناء افغانستان .

وكان الاتحاد السوفيتى قد أعلن انه سيسحب قواته من افغانستان وجاء الرد الفعل الدولى على هذه الخطة السوفيتية من جانب الولايات المتحدة الامريكية بالدرجة الاولى التى أدركت ان السوفيت ليسوا فى موقف يجعلهم يملكون شروطهم لانهاء الحرب ، وسارع الرئيس الامريكى السابق رونالد ريجان قائلاً انه لايمكن وقف السلاح فجأة من المجاهدين حتى لايقفوا تحت رحمة نظام كابول المدعوم من السوفيت ، وان هناك شك فى أن الامم المتحدة تستطيع تكوين حكومة عريضة فى افغانستان ، واضاف الرئيس الامريكى قائلاً : «اذا اردنا تكوين حكومة تمثل الافغان فلا بد من ذهاب حكومة نجيب الله اولاً ، فليس هناك مجال للمساومة لبقائهم فى السلطة مع الاخرين ، ولندع الافغان يداؤن حكومتهم من الصفر» .

وصرح السوفيت من جهتهم انهم سيكملون انسحابهم فى ١٥ فبراير ١٩٨٩ حسب اتفاقيات جنيف السابق الاشارة اليها ، وكان السوفيت يبنون

الى عدم رضائهم عن أى حكومة اسلامية اصولية وان الامريكيين بمقدورهم الضغط على المجاهدين الافغان من خلال ايقاف امداد السلاح والمساعدات المالية ، « وتحريض » الدول الصديقة لامريكا للضغط على المجاهدين .

أما المجاهدون الافغان فجاءت ردود افعالهم موحدة فى رفض خطة جورباتشيف ، وصرح ذلك عدد من قادة المجاهدين ومنهم صيغة الله مجددى ويونس خالص ، وقلب الدين حكمت يار ، وعبد الريول سياف ، وأيد هذا الموقف ما ذكره ممثل الحكومة الباكستانية فى الامم المتحدة من ان خطة جورباتشيف ليست واقعية ، ولا تمكس الموقف العسكرى داخل افغانستان ، وأن المجاهدين يتمتعون فى الوقت الحاضر بأحسن وضع لهم منذ بداية الجهاد حيث يسيطرون على حوالى ٩٠٪ من الارض والطرق فى حين لاتسيطر الحكومة العميلة الا على كابول وعدد من عواصم المحافظات ، وأن المجاهدين قد حازوا التأييد العالمى لجهادهم ضد الغزو السوفيتى وبامكانهم مهاجمة الروس والحقاق الضرر بهم وربما القيام بعمليات عسكرية داخل الاراضى السوفيتية ، فضلا عن قدرتهم على افشال أى حل لأنهاء النزاع فى افغانستان لايرضون عنه .

واستمرت الاهداف الواضحة للمجاهدين فى ضرورة انسحاب السوفيت من جميع الاراضى الافغانية واسقاط الحكومة العميلة فى كابول وحل جميع مؤسساتها العسكرية والامنية والمدنية ، وتكوين حكومة اسلامية غير منحازة للشرق أو للغرب تمثل الشعب الافغانى المسلم اصدق تمثيل .

كذلك تركزت استراتيجية المجاهدين على كونهم الطرف الاصيل الذى يمثل الشعب الافغانى المسلم ، وان كل من الولايات المتحدة الامريكية وباكستان لديهما القناعة انه لا يوجد حل لانهاء النزاع دون مشاركة المجاهدين ورضاهم ، وتأسيسا على ذلك فان المجاهدين قد اعلنوا انهم لن

يسامروا على تحقيق هدفهم النهائي وفي نفس الوقت فانهم لن يتحرضوا بأى طرف من الاطراف الكبرى بقصد استعراض القوى أو من أجل قضية جانبية ، وانفقت الاحزاب السياسية الاسلامية للمجاهدين فى باكستان على خطة عملية لتحقيق السلام تعلن للعالم كله ردا على خطة جورباتشيف وترددت الافكار الاتية حول الخطة الجديدة للمجاهدين :

١- انسحاب الجيش السوفيتى من كل حدود افغانستان الدولية وازالة الالغام<sup>(١)</sup> التى غرست واذا تم ذلك بالاتفاق مع المجاهدين فلن يتعرض لهم أحد .

٢- ذهاب حكومة نجيب الله العميلة وحل الجيش والمخابرات واقالة رؤساء الادارات .

٣- وقف اطلاق النار فور حل الحكومة العميلة .

٤- تكوين ادارات مدنية فى المدن التى كانت تسيطر عليها الحكومة العميلة يرضى القواد العسكريين الذين يحاصرون تلك المدن واستمرار الادارات المحلية التى كونها المجاهدون فى المناطق المحررة .

٥- تكوين لجنة من منظمة المؤتمر الاسلامى وممثل الامم المتحدة تشرف على وقف اطلاق النار وتكوين الادارات المدنية وعقد الشورى التى تكون الحكومة المؤقتة .

٦- تكوين شورى من تنظيمات المجاهدين والمهاجرين ومن القواد بالداخل ورؤساء القبائل والعلماء والمثقفين تحت اشراف لجنة منظمة المؤتمر الاسلامى من اجل اختيار حكومة مؤقتة لمدة عام تقوم بالمهام التالية :

---

(١) زرع السرفيت عشية مغادرتهم افغانستان فى ١ فبراير ١٩٨٩ نحو عشرين مليون لغم فى الاراضى الافغانية « الباحث » .

أ- تكوين جيش نظامى من عناصر المجاهدين والعناصر المستقلة المؤهلة فى حدود امكانيات البلاد .

ب - تنظيم الادارة المدنية والمحلية ورعاية وخدمات الضرورية : الامن والصحة والتعليم والمواد التموينية .

ج - استقرار العالم من أجل دعم استقبال المهاجرين واعادة بناء افغانستان .

د- اجراء انتخابات من اجل تكوين شورى تأسيسية تضع دستور البلاد وتنبثق عنها حكومة تنفيذية تتولى الحكم وفقا للدستور المجاز .

هـ - تأكيد حياد افغانستان واتباع سياسة حسن الجوار وعدم التدخل فى شئون الغير .

شهدت الفترة اللاحقة على انسحاب السوفيت فى ١٥ فبراير ١٩٨٩ مزيدا من تصعيد هجوم المجاهدين الافغان على المدن الافغانية والمواقع الاستراتيجية ولاسيما مدينة اباد القرية من الحدود الباكستانية وعلى الصعيد التنظيمى اعادت الاحزاب السياسية الاسلامية تنظيم نفسها فى اطار مجلس شورى جديد تم انتخابه وتعيين حكومة جديدة يرأسها الشيخ عبد الرب سياف واسندت رئاسة الدولة للدكتور ذبيح الله مجددى ، ولم تشترك الاحزاب السياسية الاسلامية الافغانية فى ايران فى هذه الحكومة .

ورغم التفاف المهاجرين الافغان فى باكستان حوله حكومته الانتقالية التى ترمع اجراء انتخابات جديدة لمجلس الشورى تمهيدا لتنفيذ بنود ما تردد انه بمثابة الخطة المقترحة لخطة جورباتشيف ، فان النقاش لايزال دائرا بين تنظيمات المجاهدين لبناء الدولة الافغانية الاسلامية القادمة ، وبالتالى فان اتفاق زعماء الاحزاب الاسلامية للمجاهدين فى باكستان هو أمر جوهرى وأساس

## تحرّكهم في المستقبل

وسواء تعلق الامر بالتجمع السكاني الاسلامي الافغاني في باكستان أو في ايران أو حتى في افغانستان نفسها فإن هذا التجمع قد عكس تأثيراته ، فعلماء الدين الاسلامي قد قاوموا الاتجاهات الماركسية باعتبارها خروجاً على الدين الاسلامي وتعاليمه ، في حين أن تصاعد الاجنحة الماركسية - نظراً لشدة الفقر<sup>(١)</sup> قد أدى من ناحية أخرى الى انعاش المعارضة الاسلامية وظهور اتجاهات ثورية اسلامية يتسع نشاطها وتهدف الى اسقاط النظام الماركسي واستبداله بنظام حكم يعيد الى افغانستان شخصيتها الاسلامية ويحررها من السيطرة السوفيتية ، غير أن العقبات قد حالت دون ذلك بسبب ما تعانيه قبائل المجاهدين الافغانية في التسليح والتنظيم وقلة الامدادات وهو ما جعلها لاتمكن من الاحتفاظ بالسيطرة على المناطق الهامة والاستراتيجية الا لبعض الوقت ، وبالإضافة الى ذلك فإن تعدد فصائل المقاومة وعدم وجود تنسيق كبير بينها واقتارها الى القيادة القوية الموحدة ، كل هذه العوامل قد أضعفت فاعلية المجاهدين الافغان رغم الطبيعة الجغرافية لافغانستان التي تساعد هؤلاء المجاهدين في تحقيق اهدافهم القتالية المشروعة ، لكن تأثير العوامل الخارجية في البيئة الدولية والاقليمية المحيطة بفصائل المجاهدين الافغان في باكستان وايران تعكس تأثيراتها بالطبع على ايجاد حل عادل للمشكلة الافغانية في الوقت الراهن .

---

(١) وهو مالمه الباحث بنفسه من المعاناة الشديدة للمجاهدين الافغان وتردى أوضاعه الاقتصادية وانتشار الامراض نتيجة للفقر المدقع .



الوثيقة الاولى

معاهدة صداقة وحسن جوار وتعاون بين اتحاد الجمهوريات السوفيتية  
الاشتراكية وجمهورية افغانستان الديمقراطية

( وقعت في ٥ ديسمبر ١٩٧٨ )

أن اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وجمهورية افغانستان الديمقراطية اذ يعيدان تأكيد التزامهما بمقاصد ومبادئ المعاهدتين السوفيتين - الافغانييتين لعامي ١٩٢١ و ١٩٣١ . اللتين وضعتا الاساس لعلاقات صداقة وحسن جوار بين الشعبين السوفيتي والافغاني واللتين تلبيان مصالحهما الوطنية الاساسية .

واذ يرغبان في أن يعززوا بكل طريقة الصداقة والتعاون الشامل بين البلدين .

واذ يصحمان على تطوير الانجازات الاجتماعية والاقتصادية للشعبين السوفيتي والافغاني وصيانة أمنهما واستقلالهما والعمل بتصميم من أجل تلاحم جميع القوى المحاربة من أجل السلام والاستقلال الوطني والديمقراطي والتقدم الاجتماعي .

واذ يعربان عن تصميمهما الراسخ على تسهيل تقوية السلام والامن في آسيا والعالم أجمع ومساهمتهما في تطوير علاقات بين الدول وتقوية التعاون المثمر والنافع بصورة متبادلة في آسيا . معلقين أهمية عظمى على زيادة تماسك الاساس التعاقدى القانوني لعلاقتهما .

واذ يعيدان تأكيد تفانيهما بمقاصد ومبادئ ميثاق الامم المتحدة ، قررا عقد معاهدة الصداقة وحسن الجوار والتعاون الحالية واتفقا على مايلي :

## مادة ( ١ )

يعلن الفريقان المتعاقدان الساميان بجدية قصوى تصميمهما على تقوية وتعميق الصداقة المتينة القائمة بين البلدين وتطوير تعاون شامل بينهما على أساس المساواة واحترام السيادة الوطنية والسلامة الإقليمية وعدم تدخل الراحدة منهما فى الشئون الداخلية للآخرى .

## مادة ( ٢ )

يذل الفريقان المتعاقدان الساميان جهودا لتقوية وتوسيع التعاون الاقتصادى والعلمى والتقنى والمقيد لهما بصورة متبادلة . وتوخيا لهذه المقاصد سينميان ويعمقان التعاون فى ميادين الصناعة والنقل والاتصالات والزراعة واستخدام الموارد الوطنية وتطوير الصناعة المولدة للطاقة وفروع الاقتصاد الاخرى ويقدمان المساعدة فى تدريب موظفين وطنيين وفى تخطيط تنمية الاقتصاد القومى . وسيوسع الجانبان التجارة على اساس مبادئ المساواة والمنفعة المتبادلة ومعاملة الدولة الاكثر رعاية .

## مادة ( ٣ )

سيعزز الفريقان المتعاقدان الساميان تنمية التعاون وتبادل الخبرة فى حقول العلم والثقافة والفن والادب والتعليم والخدمات الصحية والصحافة والراديو والتليفزيون والسينما والسياحة والرياضة والحقول الاخرى .

وسيسهل الجانبان توسيع التعاون بين أجهزة سلطة الدولة والمنظمات العامة والهيئات التجارية والمؤسسات الثقافية والعلمية بغية التعرف بصورة أعمق على حياة شعبى البلدين وخبرتهما فى العمل وانجازاتها .

## مادة ( ٤ )

ان الطرفين المتعاقدين الساميين عملا منهما بروح تقاليد الصداقة

وحسن الجوار فضلا عن ميثاق الام المتحدة ، سيتشيران بعضهما ويتخذان بمواقفة الجانبين اجراءات مناسبة لضمان أمن واستقلال البلدين وسلامة اراضيهما .

وفى مصلحة تقوية القدرة الدفاعية للفريقين المتعاقدين الساميين سيستمران فى تطوير التعاون فى الحقل العسكرى على أساس اتفاقات ملائمة معقودة بينهما .

#### مادة ( ٥ )

يحترم اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية سياسة عدم الانحياز التى تتبعها جمهورية أفغانستان الديمقراطية والتى هى عامل مهم للحفاظ على السلام والامن الدوليين .

وتحترم جمهورية افغانستان الديمقراطية سياسة السلام التى تتبعها اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وتستهدف تقوية الصداقة والتعاون مع جميع الدول والشعوب .

#### مادة ( ٦ )

يعلن كل واحد من الفريقين المتعاقدين الساميين بجدية قصوى انه لن ينضم الى احلاف عسكرية أو سواها أو يشترك فى أية تكتلات من الدول أو فى أية اعمال أو اجراءات موجهة ضد الفريق المتعاقد السامى الآخر .

#### مادة ( ٧ )

سيستمر الفريقان المتعاقدان الساميان فى بذل كل جهد للدفاع عن سلام الشعوب وأمنها وتعميق عملية تخفيف حدة التوتر الدولى ونشرها فى جميع انحاء العالم بما فى ذلك آسيا وترجمتها الى اشكال متماسكة من التعاون المفيد بصورة متبادلة بين الدول وتسوية القضايا الدولية موضع النزاع بالوسائل

## السلمية

وسيعمل الجانبان بنشاط من أجل تحقيق نزع شامل وكامل للسلاح بما في ذلك نزع السلاح النووي تحت رقابة دولية فعالة .

### مادة ( ٨ )

يسهل الفريقان المتعاقدان الساميان تنمية التعاون بين الدول الآسيوية وانشاء علاقات سلام وحسن جوار وثقة متبادلة بينهما وخلق نظام أمنى فعال فى آسيا على اساس جهود مشتركة تبذلها جميع دول القارة .

### مادة ( ٩ )

يواصل الفريقان المتعاقدان الساميان كفاحهما الثابت ضد كيد قوى العدوان من أجل القضاء نهائيا على الاستعمار والعنصرية بجميع اشكالها ومظاهرها .

وسيتعاون الجانبان مع بعضهما ومع دول اخرى محبة للسلام فى تقييد الكفاح العادل للشعوب من اجل حريتها واستقلالها وسيادتها وتقدمها الاجتماعى .

### مادة ( ١٠ )

يتشاور الفريقان المتعاقدان الساميان مع بعضهما حول جميع القضايا الدولية الكبرى التى تؤثر على مصالح البلدين

### مادة ( ١١ )

يعلن الفريقان المتعاقدان الساميان التزامهما بموجب المعاهدات الدولية القائمة بالا يناقضا أحكام المعاهدة الحالية ويتعهدان ألا يعقدا أية اتفاقات

دولية لاتتفق معها .

#### مادة ( ١٢ )

تسوى المسائل التي يمكن أن تنجم بين الفريقين المتعاقدين الساميين حول تفسير أو تطبيق أى نص من نصوص المعاهدة الحالية ثنائيا بروح الصداقة والتفاهم والاحترام المتبادلين .

#### مادة ( ١٣ )

تبقى المعاهدة الحالية سارية المفعول لمدة عشرين سنة اعتبارا من اليوم الذي تصبح فيه نافذة . وما لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الساميين قبل انتهاء هذه المدة بستة أشهر رغبته فى إنهاء المعاهدة ، فانها تبقى سارية المفعول للسنوات الخمس التالية وهكذا دواليك الى أن يعطى أحد الفريقين المتعاقدين الساميين اشعارا خطيا قبل انقضاء المدة الخمسية الراهنة بعزمه على إنهاء المعاهدة .

#### مادة ( ١٤ )

إذا أعرب أحد الفريقين المتعاقدين الساميين عن رغبته فى سياق العشرين عاما من سريان المعاهدة بأنها قبل انقضاء مدتها فانه سيشرح خطيا الفريق المتعاقد الآخر قبل ستة أشهر من التاريخ المثوى لانهاء المعاهدة . برغبته فى إنهاء المعاهدة قبل انتهاء مدتها ويجوز له اعتبار المعاهدة منتهية اعتبارا من التاريخ المحدد بذلك الشكل .

#### مادة ( ١٥ )

تبرم المعاهدة الحالية وتصبح سارية المفعول فى يوم تبادل وثائق الابرام الذى سيتم فى كابول .

جعلت المعاهدة الحالية في نسختين كل منهما باللغتين الروسية والدارية و  
النسختان موثقتان بصورة متماثلة

أُنجزت في موسكو بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩٧٨ .

عن جمهورية

عن اتحاد الجمهوريات

افغانستان الديمقراطية

السوفيتية الاشتراكية

محمد تاراكي

ليونيد بريجنيف

## الوثيقة الثانية

الادانة العالمية للتدخل السوفيتى فى افغانستان - نص مشروع قرار  
مجلس الامن حول افغانستان ( الذى جرى نقضه من قبل الاتحاد  
السوفيتى فى ٧ يناير ١٩٨٠ ) :

الام المتحدة - فيما يلى نص قرار مجلس الامن الدولى حول افغانستان  
الداعى الى انسحاب القوات الاجنبية والذى نقضه الاتحاد السوفيتى بتاريخ  
السابع من يناير ١٩٨٠ .

أن مجلس الامن

بعد أن نظر فى الرسالة المؤرخة الثالث من يناير ١٩٨٠ الموجهة الى رئيس  
مجلس الامن ( ص / ١٣٧٢٤ والاضافتين ١ ، ٢ ) .

واذ يشعر بقلق شديد ازاء التطورات الاخيرة فى افغانستان وتأثيرها على  
السلام والامن الدوليين .

واذ يعيد تأكيد حق الشعوب بتقرير مستقبلها بصورة متحررة من التدخل  
الخارجى . بما فى ذلك الحق باختيار شكل الحكم الخاص بها .

واذ يعي التزامات الدول الاعضاء بالامتناع فى علاقاتها الدولية عن  
التهديد بالقوة واستخدامها ضد السلامة الاقليمية والاستقلال السياسى لأية  
دولة .. أو فى أية صورة اخرى لا تتماشى مع غايات الامم المتحدة .

١ - يعيد مجددا تأكيد قناعته بأن صيانة سيادة كل دولة وسلامة اراضيها  
واستقلالها السياسى هو مبدأ أساسى من مبادئ ميثاق الامم المتحدة الذى  
سيكون ، أى انتهاك له لأى عذر كان مناقضا لغاياته واهدافه .

٢ - يتأسى بشدة للتدخل المسلح الاخير فى افغانستان الذى لا يتماشى مع

ذلك المبدأ .

٣- يؤكد أن سيادة أفغانستان وسلامة أراضيها واستقلالها السياسي ووضعها كدولة غير منحازة يجب أن تحترم احتراما كاملا .

٤ - يدعو الى الانسحاب العاجل وغير المشروط لجميع القوات الاجنبية من افغانستان لتمكين شعبها من تقرير شكل الحكم الخاص به واختيار انظمته الاقتصادية والاجتماعية وهو متحرر من التدخل أو الاكراه والتقييدات الخارجية من أى نوع كان .

٥- يطلب من الامين العام أن يقدم تقريراً عن التقدم نحو تنفيذ هذا في غضون اسبوعين .

٦- يقرر البقاء في حالة متابعة لهذه القضية .



### الوثيقة الثالثة

نص قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة بتاريخ ١٤ يناير ١٩٨٠ :

أن الجمعية العمومية :

اذ تحيط علما بقرار الامن ٤٦٢ ( ١٩٨٠ ) المؤرخ فى ٩ يناير ١٩٨٠ الذى يدعو الى عقد دورة استثنائية طارئة للجمعية العامة لبحث المسألة الواردة فى الوثيقة .

واذ يساورها شديد القلق ازاء التطورات الاخيرة فى افغانستان وما يترتب عليها من آثار على السلم والامن الدوليين .

واذ تؤكد من جديد حق جميع الشعوب غير القابل للتصرف فيه بتقرير مستقبلها واختيار شكل حكمها دون تدخل خارجى .

واذ تضع فى اعتبارها التزام جميع الدول بالامتناع فى علاقاتها الدولية عن التهديد بالقوة أو استعمالها ضد سيادة أى دولة وسلامتها الاقليمية واستقلالها السياسى أو بأى طريقة أخرى لاتتفق مع مقاصد ومبادئ ميثاق الامم المتحدة .

واذ تدرك الحاجة الملحة الى الانهاء الفورى للتدخل الاجنبى المسلح فى افغانستان حتى يتسنى لشعبها أن يقرر مصيره دون تدخل أو قصر خارجيين .

واذ تلاحظ مع بالغ القلق تدفق اللاجئين الكبير من افغانستان .

واذ تشير الى قراراتها بشأن تعزيز الامن الدولى . وعدم جواز التدخل فى الشؤون الداخلية للدول وحماية استقلالها وسيادتها . وبشأن مبادئ القانون الدولى فيما يتعلق ويتصل بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول وفقا لميثاق الامم المتحدة .

واذ تعرب عن بالغ قلقها ازاء التصاعد الخطير فى التوتر واشتداد التنافس ،  
وزيادة اللجوء الى التدخل العسكرى والتدخل فى الشئون الداخلية للدول .  
مما يضر بمصالح جميع الدول ، ولا سيما بلدان عدم الانحياز .

واذ تضع فى اعتبارها مقاصد ومبادئ الميثاق والمسئولية الملقاة على عاتق  
الجمعية العامة بموجب الاحكام ذات الصلة بالميثاق وبقرار الجمعية العامة  
٣٧٧ الف ( د - ٥ ) الموافق ٣ نوفمبر ١٩٥٠ .

١- تؤكد من جديد ان احترام سيادة كل دولة وسلامتها الاقليمية  
واستقلالها السياسى هو مبدأ أساسى من مبادئ ميثاق الامم المتحدة يتنافى أى  
انتهاك له ، بأية ذريعة على الاطلاق مع أهداف الميثاق ومقاصده .

٢- تشجب بقوة التدخل المسلح الذى حدث مؤخرا فى افغانستان والذى  
يتنافى مع ذلك المبدأ .

٣- تناشد جميع الدول ان تحترم سيادة افغانستان وسلامتها الاقليمية  
واستقلالها السياسى وطابع عدم الانحياز الذى تتصف به ، وأن تمتنع عن أى  
تدخل فى الشئون الداخلية لذلك البلد .

٤- تدعو الى الانسحاب الفورى غير المشروط والكامل للقوات الاجنبية  
من افغانستان من أجل تمكين شعبها من تقرير شكل حكمه واختيار نظمه  
الاقتصادية والسياسية والاجتماعية دون أى تدخل أو تخريب أو قصر أو ضغط  
خارجى من أى نوع من الانواع .

٥- تحث جميع الاطراف المعنية على ان تسهم بسرعة ووفقا لمقاصد  
ومبادئ الميثاق . فى تهيئة الظروف اللازمة لعودة اللاجئين الافغان طوعا الى  
ديارهم .

٦- تناشد جميع الدول والمنظمات الوطنية والدولية ان تقدم مساعدات

الاغائة الانسانية بغية التخفيف من محنة اللاجئين الافغان ، وذلك بالتنسيق مع مفوض الامم المتحدة السامى لشئون اللاجئين .

٧- ترجو الامين العام أن يبقى الدول الاعضاء ومجلس الامن على علم ، بصورة فورية متزامنة ، بالتقدم المحرز صوب تنفيذ هذا القرار .

٨- تطلب الى مجلس الامن ان ينظر فى الطرق والوسائل التى يمكن أن تساعد فى تنفيذ هذا القرار .

التصويت على القرار ١٤ يناير ١٩٨٠ :

من أصل ١٥٢ دولة عضو فى الأمم المتحدة ، اشتركت ١٤٠ دولة فى التصويت الذى جرى فى الدورة الخاصة على مشروع قرار الجمعية العمومية بتاريخ ١٤ يناير على النحو التالى :

تأييد ( ١٠٤ ) :

البانيا ، اوجتينا ، استراليا ، النمسا ، باهاماس ، البحرين ، بانجلاديش ، باريدوس ، بلجيكا ، بوليفيا ، بوتسوانا ، البرازيل ، بورما ، الكمرون ، كندا ، تشيلى ، الصين ، كولومبيا ، كوستاريكا ، الدانمارك ، جيبوتى ، جمهورية الدومنيكان ، ايكوادور ، مصر ، السلفادور ، فيجى ، فرنسا ، جابون ، جامبيا ، جمهورية المانيا الفيدرالية ، غانا ، اليونان ، غواتيمالا ، غيانا ، هايتى ، هنوراس ، ايسلنده ، اندونيسيا ، ايران ، العراق ، ايلنده ، اسرائيل ، ايطاليا ، ساحل العاج ، جامايكا ، اليابان ، الاردن ، كامبوتشيا ، كينيا ، الكويت ، لبنان ، ليمتو ، ليبيريا ، لوكسمبورج ، ملاوى ، ماليزيا ، مالديفز ، مالطة ، موريتانيا ، موريتيوس ، المكسيك ، المغرب ، نيبال ، هولنده ، نيوزيلند ، نيجر ، تنجيريا ، النرويج ، عمان ، باكستان ، بناما ، بابوا ، غينيا الجديدة ، باراغواى ، بيرو ، الفلبين ، البرتغال ، قطر ، رواندا ،

سانت لوسا ، سامو ، العربية السعودية ، السنغال ، سيراليون ، سنغافورة ،  
الصومال ، اسبانيا ، سيرى لانكا ، سورينام ، سوازيلاند ، السويد ، تانزانيا ،  
تايلاند ، توغو ، ترينيداد وتوباغو ، تونس ، تركيا ، الامارات العربية المتحدة ،  
الولايات المتحدة ، فولتا العليا ، أوروغواى : فنزويلا ، يوغسلافيا ، زائير .

#### معارضة ( ١٨ ) :

افغانستان ، انجولا ، بلغاريا ، روسيا البيضاء ، كوبا ، تشيكوسلوفاكيا ،  
اثيوبيا ، جمهورية المانيا الديمقراطية ، غرينادا ، منفاريا ، لاوس ، مونغوليا ،  
موزامبيق ، بولنده ، اوكرانيا ، الاتحاد السوفيتى ، فيتنام ، اليمن الجنوبية .

#### امتناع عن التصويت ( ١٨ ) :

الجزائر ، بنين ، بوروندى ، الكونغو ، قبرص ، غينيا الاستوائية وفنلنده ،  
غينيا ، غينيا بيساو ، الهند ، مدغشقر ، مالى ، نيكاراغوا ، ساوتومى  
وبرينسيب ، سوريا ، اوغندا ، اليمن الشمالية ، زامبيا .

#### تغيب ( ١٢ ) :

بھوتان ، كاب فيردى ، جمهورية افريقيا الوسطى ، تشاد ، كوموروس ،  
دومنيكا ، ليبيا ، رومانيا ، سيشل ، جزر سليمان ، جنوب افريقيا ، السودان .

## الوثيقة الرابعة

تصريح وزراء دول المجتمع الاوروى بتاريخ ١٥ يناير ١٩٨٠ :

ركزت الدول التسع الأعضاء فى المجتمع الاوروى اهتمامها على الازمة الافغانية وفى ضوء تطورها الدراماتيكي والمناقشة التى جرت فى مجلس الامن والقرار الذى اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة ، أعاد الوزراء التسعة تأكيد قلقهم الشديد بالنسبة الى الازمة التى أوجدها تدخل الاتحاد السوفيتى العسكرى فى افغانستان والذى يشكل انتهاكا خطيرا لمبدأ العلاقات الدولية المصانة حرمة فى ميثاق الامم المتحدة ، وقد شددوا على أن التفسير الذى أعطاه الاتحاد السوفيتى لتبرير تدخله هو غير مقبول . وهم يرون أن التدخل السوفيتى يشكل تدخلاً صارخاً فى الشؤون الداخلية لدولة غير منحازة تنتمى الى العالم الاسلامى ويشكل كذلك تهديدا للسلام والأمن والاستقرار فى المنطقة بما فى ذلك شبه القارة الهندية والشرق الاوسط والعالم العربى . وقد كان فى قلق بالغ أن لاحظ وزراء خارجية دول المجتمع الاوروى التسع انه على الرغم الاحتجاج العالمى تقريبا على التدخل العسكرى السوفيتى فان الاتحاد السوفيتى قد نقض قراراً حول الازمة الافغانية تبنته دول عدم الانحياز وأبدته أغلبية كبيرة من الدول الاعضاء فى مجلس الأمن .

وهم يحثون الاتحاد السوفيتى على العمل بصورة تنسجم مع القرار الخاص بالازمة الافغانية الذى اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية ساحقة والذى يدعو الى الانسحاب الفورى غير المشروط لجميع القوات الاجنبية من افغانستان وقد كرست دول المجتمع الاوروى التسع جهوداً متواصلة لقضية الوفاق وهى لاتزال مقتنعة بأن هذه العملية هى فى مصلحة جميع أعضاء المجتمع الدولى ، وهى مقتنعة على أى حال . بأن الوفاق لا يتجزأ وله بعد عالمى . وهى لذلك تحت الاتحاد السوفيتى بصورة تنسجم مع مقاييس ومبادئ

ميثاق الامم المتحدة على السماح للشعب الافغانى بأن يقرر مستقبله بدون تدخل أجنبى .

وان وزراء خارجية الدول الاعضاء فى المجتمع الاوروبى لدى تحديدهم لموقفهم من هذه القضية المهمة يدركون ادراكا عميقا أيضا العذاب الذى قاساه الشعب الافغانى بوجه عام نتيجة الازمة بمن فيهم اولئك الافغانيون الذين أجبروا على مغادرة بلادهم .

## الوثيقة الخامسة

نص القرار الاجماعى الذى اتخذه المؤتمر الاسلامى لوزراء الخارجية

فى اسلام آباد باكستان فى ٢٩ يناير ١٩٨٠

فيما يلى نص القرار الذى اتخذه مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية في اسلام آباد في ٢٩ يناير والذى ادان الغزو السوفيتي لافغانستان وحث جميع الحكومات الاخرى على ادانته كما طلب بالانسحاب الفوري غير المشروط للسوفيت من افغانستان .

ان مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد في دورته الاولى الاستثنائية في اسلام آباد من السابع من ربيع الاول حتى التاسع منه الموافق السابع والعشرين حتى التاسع والعشرين من يناير ١٩٨٠ .

تمشيا مع مبادئ وأهداف منظمة المؤتمر الاسلامى واحكام القرارات التى اتخذها مؤتمر القمة الاسلامى وتأكيدا للاهداف المشتركة لشعوب الامة الاسلامية ومصيرها المشترك .

واذ يعيد الى الذاكرة على الاخص المبادئ الاساسية لحركة عدم الانحياز رافغانستان عضو مؤسس فيها .

واذ يعرب عن قلقه الشديد ازاء التصاعد الخطير للتوتر واشتداد التنافس واللجوء المتزايد الى التدخل العسكرى والتدخل فى الشؤون الداخلية لدول اخرى وعلى الاخص الدول الاسلامية .

واذ يعرب عن تصميم حكومات وشعوب الدول الاعضاء على رفض جميع انواع واشكال الاحتلال والتوسع الاجنبى والسباق فى سبيل مناطق النفوذ . مقوية بذلك سيادة الشعوب واستقلال الدول .

واذ يشعر بقلق شديد من جراء التدخل السوفيتى المسلح فى افغانستان

ويؤثر هذا التدخل على ارادة شعب افغانستان المسلم فى ممارسة حقه فى تقرير  
مستقبله السياسى .

وإذ يعتبر ان استمرار وجود القوات السوفيتية فى افغانستان ومحاولتها فرض  
الامر الواقع والعمليات العسكرية التى تقوم بها هذه القوات ضد الشعب  
الافغانى بأنها نهزأ من الموائيق والاعراف الدولية وتنتهك حقوق الانسان بصورة  
فاصلة

وإذ يعيد تأكيد تصميم الدول الاسلامية على اتباع سياسة غير منحازة  
بالنسبة الى الدولتين العظميين وحماية الشعب المسلم من التأثير السئ  
للحرب الباردة بين هاتين الدولتين .

إذ يدرك ادراكا تاما العبء المالى الضخم الذى تتحمله دول مجاورة  
لافغانستان وعلى الاخص جمهورية باكستان الاسلامية . نتيجة للملجأ الذى  
نوفره لمئات الألوف من الشعب الافغانى من شيوخ ونساء واطفال نزحوا  
بفعل الاحتلال العسكرى السوفيتى .

وإذ يؤكد ان الاحتلال السوفيتى لافغانستان هو انتهاك لاستقلالها واعتداء  
على حرية شعبها وخرق فاضح لجميع الموائيق والاعراف الدولية كما أنه  
تهديد خطير للسلام والامن فى المنطقة وفى جميع انحاء العالم .

فهو :

١ - يدين العدوان العسكرى السوفيتى الافغانى ويشجبه ويتأسف له بشدة  
كونه خرقا فاضحا للقوانين والموائيق والاعراف الدولية وبالدرجة الاولى ميثاق  
الامم المتحدة التى دانت هذا العدوان فى قرارها رقم ٢١٦٠ الصادر فى  
١٤ يناير ١٩٨٠ وميثاق منطقة المؤتمر الاسلامى ويدعو جميع الشعوب  
والحكومات فى جميع انحاء العالم الى مواصلة ادانتها لهذا العدوان وشجبه



كونه عدوانا على حقوق الانسان وانتهاكا لحرريات الشعوب لايمكن تجاهله .

٢- يطلب بالانسحاب العاجل وغير المشروط لجميع القوات السوفيتية المتمركزة فوق اراضى افغانية ويكرر موقفه من أن على القوات السوفيتية ان تمنع من القيام بأعمال الظلم والظغيان ضد الشعب الافغانى وابنائيه المناضلين حتى رحيل آخر جندى سوفيتى عن اراضى افغانستان . ويحث جميع الدول والشعوب على تأمين الانسحاب السوفيتى بجميع الوسائل الممكنة .

٣- يدعو الدول الاعضاء الى عدم الاعتراف بالنظام الافغانى غير الشرعى وإلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع تلك البلاد الى أن يتم الانسحاب التام للقوات السوفيتية من افغانستان .

٤- يدعو جميع الدول الاعضاء الى وقف جميع المعونات وجميع اشكال المساعدة الممنوحة للنظام الافغانى الحالى من قبل الدول الاعضاء .

٥- يحث جميع الدول والشعوب فى جميع انحاء العالم على دعم الشعب الافغانى وتقديم المعونة له واسعاف اللاجئين الذين أبعدهم العدوان عن بيوتهم .

٦- يوصى جميع الدول الاعضاء بأن تؤكد تضامنها مع الشعب الافغانى فى نضاله العادل من أجل صون دينه واستقلاله الوطنى وسلامة اراضيه واستعادة حقه فى تقرير مصيره .

٧- يعلن بجدية تضامنه التام مع الدول الاسلامية المجاورة لافغانستان ضد أى تهديد لأمنها ورفاهيتها ويدعو دول المؤتمر الاسلامى الى أن تدعم بصورة حازمة وتقدم كل تعاون ممكن لهذه الدول فى جهودها الرامية الى صون سيادتها واستقلالها الوطنى وسلامة اراضيتها صيانة كاملة .

٨- يفوض الأمين بتسليم تبرعات للسلطات من الدول الاعضاء والمنظمات والافراد ودفع الاموال للسلطات المعنية بناء على توصية لجنة من ثلاث من الدول الاعضاء يشكلها هو نفسه بالتشاور مع الدول المعنية .

٩- يدعو الدول الاعضاء الى أن تدرى عن طريق الهيئات المناسبة عدم الاشتراك فى الالعاب الاولمبية التى ستجرى فى موسكو فى يوليو ١٩٨٠ حتى يذعن الاتحاد السوفيتى لدعوة الجمعية العمومية للامم المتحدة وكذلك ( دعوة ) المؤتمر الاسلامى ويسحب جميع قواته فوراً من افغانستان .

١٠- يفوض الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى بأن يتابع تنفيذ هذه القرارات وأن يرفع تقريراً حول ذلك الى الدورة الحادية عشرة لمؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية .

## الوثيقة السادسة

نص قرار لجنة حقوق الانسان التابعة للأمم المتحدة حول افغانستان

بتاريخ ١٤ فبراير ١٩٨٠ :

جنيف - اتخذت لجنة حقوق الانسان التابعة للأمم المتحدة بـ ٢٧ صوتا مقابل ٨ أصوات وامتناع ستة أعضاء عن التصويت ، قرارا يدين الاعتداء السوفيتي العسكري على افغانستان باعتباره « انتهاكا فاضحا لجميع القوانين والمواثيق والاعراف الدولية » .

ويطالب القرار ، المتخذ في ١٤ فبراير ، ١٩٨٠ بـ « الانسحاب العاجل وغير المشروط لجميع القوات السوفيتية المتمركزة فوق الاراضى الافغانية » .

وفيما يلي نص القرار :

ان اللجنة ....

اذ تعيد الى الذاكرة ان إحدى الغايات الاساسية فى ميثاق الامم المتحدة هى « تطوير علاقات ودية بين الدول تركز على احترام لمبدأ الحقوق المتساوية وتقرير مصير للشعوب » .

واذ تكرر تصميم الدول الاعضاء على رفض جميع اشكال واتواع الاحتلال والتوسع الاجنبى والسباق فى سبيل مناطق نفوذ . مقوية بذلك سيادة واستقلال الدول وممارسة الشعوب لحقها بتقرير المصير .

واذ تعرب عن قلقها العميق للتصاعد الخطر فى التوتر واشتداد التنافس واللجوء المتزايد الى التدخل العسكرى والتدخل فى الشؤون الداخلية للدول مما يضر بمصالح جميع الدول .

واذ تشعر بقلق خطير ازاء التدخل السوفيتي العسكري فى افغانستان وتأثير

هذا التدخل على حق شعب افغانستان المسلم فى ممارسة حقه بتقرير مستقبله السياسى .

واذ تؤكد ان الاحتلال السوفيتى لافغانستان يشكل انتهاكا لاستقلال تلك البلاد واعتداء على حرية شعبها وانتهاكا فاضحا لجميع القوانين والمواثيق والاعراف الدولية . فضلا عن كونه تهديدا خطيرا للسلام والامن فى المنطقة وفى جميع انحاء العالم .

واذ تعتبر ان استمرار وجود قوات الاتحاد السوفيتى فى افغانستان ومحاولتها فرض الامر الواقع والعمليات العسكرية التى تقوم بها هذه القوات ضد الشعب الافغانى يهزأ من المواثيق والاعراف الدولية ويتهك حقوق الانسان بصورة قاضحة .

واذ ندرك ادراكا تاما العبء المالى الضخم الذى تتحمله دول مجاورة لافغانستان . وعلى الاخص جمهورية باكستان الاسلامية التى قدمت ملجأ لمئات الالوف من الشعب الافغانى من كهول ونساء واطفال نزحوا بفعل الاحتلال العسكرى السوفيتى .

واذ تعيد الى الذاكرة القرار رقم س - ٢/٦ الصادر فى ١٤ يناير ، ١٩٨٠ عن الجلسة الطارئة الخاصة السادسة للجمعية العمومية التى اعربت عن أسفها البالغ للتدخل العسكرى فى افغانستان ودعت الى انسحاب القوات الاجنبية من تلك البلاد .

واذ تشير الى القرا الذى اتخذته الجلسة الاستثنائية الاولى للمؤتمر الاسلامى لوزراء الخارجية حول التدخل السوفيتى العسكرى فى افغانستان :

١- تدن العدوان العسكرى السوفيتى على الشعب الافغانى وتشجيه وتأسف له بشدة كونه خرقا فاضحا للقوانين والمواثيق والاعراف الدولية

وبالدرجة الاولى ميثاق الامم المتحدة وتدعو جميع الشعوب والحكومات فى جميع انحاء العالم الى مواصلة ادانتها لهذا العدوان وشجيه كونه عدوانا على حقوق الانسان وانتهاكا لحقوق الشعوب .

٢- تطالب بالانسحاب العاجل وغير المشروط لجمع القوات السوفيتية المتمركزة فوق اراض افغانية .

٣- تكرر القول بأن على القوات السوفيتية أن تمتنع عن القيام بأعمال الظلم والطغيان ضد الشعب الافغانى حتى يتم الرحيل التام للقوات السوفيتية عن اراضى افغانستان .

٤- تدعو جميع الدول الاعضاء الى الامتناع عن تقديم أية مساعدة الى النظام الافغانى الحالى المفروض فرضا .

٥- تحث جميع الدول والشعوب فى جميع انحاء العالم على تقديم مساعدة سخية وعون الى اللاجئين من افغانستان الذين أقصوا عن بيوتهم .

٦- توصى بأن تؤكد جميع الدول الاعضاء تضامنها مع الشعب الافغانى فى نضاله العادل من أجل ديمته واستقلاله الوطنى وسلامة اراضيه واستعادة حقه فى تقرير مصيره وان تقدم كل مساعدة ممكنة له من أجل هذه الغاية .

٧- تعلن بجدية تضامنها التام مع الدول المجاورة لافغانستان ضد أى تهديد لأمنها ورفاهيتها وتدعو جميع الدول بقوة لتأييد هذه الدول وتقديم كل تعاون ممكن معها فى جهودها الرامية الى صون سيادتها واستقلالها سلامة اراضيهما صيانة كاملة .

## الرثيقة السابعة

مقتطفات من البيان المشترك للمجتمع الاوروبى ورابطة دول جنوب شرق آسيا - حول قضايا سياسية بتاريخ ٨ مارس ١٩٨٠ :

١- بمناسبة الاجتماع الوزارى الثانى للمجتمع الاوروبى ورابطة دول جنوب شرق آسيا فى كوالا لامپور فى ٧ و ٨ مارس ١٩٨٠، عقد وزراء خارجية الدول الاعضاء فى رابطة دول جنوب شرق آسيا ووزراء خارجية الدول الاعضاء فى المجتمع الاوروبى اجتماعات رسمية أجريا خلالها تبديلا مكثفا فى وجهات النظر حول المشاكل الاقليمية والدولية والتطورات التى حصلت منذ اجتماعهم فى بروكسل فى تشرين الثانى / نوفمبر ١٩٧٨ وقد أعادوا تأكيد التزامهم بالعمل بنجاح سلام عالمى وتعاون وتفاهم دوليين ونمو اقتصادى وعدالة اجتماعية وحقوق الانسان . وشددوا أيضا على الحاجة لأن تعيد جميع الدول تقيدا كليا بالمبادئ التالية :

احترام سيادة واستقلال وسلامة اراضى جميع الدول وعدم اللجوء على القوة أو التهديد باستعمال القوة وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الاخرى . واتفقوا على أن هذه المبادئ هى ذات أهمية حيوية للعلاقات بين الدول . وقد جرت المناقشات فى روح من الود البالغ والصداقة المتبادلة .

٢- أن وزراء خارجية الدول الاعضاء فى رابطة دول جنوب شرق اسيا ووزراء خارجية الدول الاعضاء فى المجتمع الاوروبى . بعد أن حللوا التطورات الدولية الراهنة أعربوا عن قلقهم البالغ لنشوء مصادر جديدة وخطرة للتوتر فى وقت لم يتم فيه ايجاد حلول لمصاعب اخرى خطيرة تؤلف مشاكل بالغة الصعوبة . وقد لاحظوا ان التوتر والصعوبات كامنة فى صورة رئيسية فى مناطق العالم الثالث حيث توفر مناخ من السلام والتعاون الدولى هو أمر لا مفر منه لانجازات التقدم فى الميادين الاقتصادية وامينها العام على العمل بنشاط من

أجل حل المشاكل بمقتضى مبادئ ميثاق الأمم المتحدة .

٣- أعرب وزراء خارجية الدول الاعضاء فى رابطة دول جنوب شرقى آسيا ، ووزراء خارجية الدول الاعضاء فى المجتمع الاوروبى عن قلق بالغ لتدخلين مسلحين سافرين من قبل دولتين اجنبيتين ضد دولتين من دول عدم الانحياز فى آسيا هما التدخل الفيتنامى المستمر فى كامبوتشيا والتدخل السوفيتى المسلح فى افغانستان . وقد تأسوا بشدة للتدخلين المسلحين ضد هذين البلدين وكان القاسم المشترك بين التدخلين فرض الارادة على دولتين صغيرتين مستقلتين من قبل دولتين اجنبيتين عن طريق استخدام القوة فى انتهاك سافر للقانون الدولى مهددتين بذلك الامن والسلام الدوليين . وقد دعيا الى تنفيذ مبكر لقرارى الجمعية العامة للامم المتحدة رقمى ٢٤/٢٢ وأى أس ٦/٢ الصادرين فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٩ و ١٤ يناير ١٩٨٠ على التوالى بما فى ذلك الانسحاب التام للقوات الاجنبية من كامبوتشيا وافغانستان .

٤- اعرب وزراء خارجية الدول الاعضاء فى رابطة دول جنوب شرق آسيا ووزراء خارجية الدول الاعضاء فى المجتمع الاوروبى عن أسفهم البالغ لحجب تقرير المصير عن شعبى كامبوتشيا وافغانستان الذين يجب أن يسمح لهما بتقرير مستقبلهما السياسى دون تدخل اجنبى أو اكراه أو اخافة . واعربوا أيضا عن قلقهم البالغ لمعاناة شعبى كامبوتشيا وافغانستان اللذين اجبروا على ترك بلديهما بسبب اعتداء خارجى واللذين تعتبر المساعدة المادية الآن ضرورية لكليهما .

٥- ان وزراء خارجية الدول الاعضاء فى رابطة دول جنوب شرق آسيا ووزراء خارجية الاعضاء فى المجتمع الاوروبى اذ اخذوا بعين الاعتبار نتائج اجتماع الدول التسع فى روما فى ١٩ فبراير ١٩٨٠ والمؤتمر الاسلامى

لوزراء الخارجية في اسلام آباد من ٢٧ الى ٢٩ يناير ١٩٨٠ ، ناشدوا جميع الدول أن تحترم سيادة افغانستان واستقلالها السياسى وسلامة اراضيها وطابع عدم الانحياز الذى تتصف به . وفى هذا السياق اتخذوا وجهة النظر القائلة ان الازمة يمكن التغلب عليها بصورة بناءة عن طريق بروز افغانستان محايدة وغير منحازة خارج نطاق المنافسة بين الدول .



## الوثيقة الثامنة

نص اتفاقيات جنيف بتاريخ ١٤ ابريل ١٩٨٨

### الاتفاقية الاولى

« اتفاقية بين افغانستان وباكستان حول مبادئ العلاقات المتبادلة ، وخاصة عدم التدخل . »

ان كلا من جمهورية باكستان الاسلامية وجمهورية افغانستان - ويطلق عليهما من الآن فصاعدا : طرفا الاتفاق - رغبة منهما في تطبيع العلاقات وتعزيز حسن الجوار والتعاون وكذلك تقوية السلام العالمى والامن فى المنطقة .

مراعاة لكون مبدأ عدم تدخل الدول فى شئون بعضها الداخلية والخارجية ، له أهمية قصوى فى الحفاظ على السلام والامن العالمى ، وتحقيق أهداف ومبادئ ميثاق الامم المتحدة .

وتأكيدا من جانبهما على حق الدول المشروع فى التعيين الحر لنظامها السياسى والاقتصادى والثقافى والاجتماعى الخاص وفقا لارادة شعوبها دون أى تدخل خارجى أو تشويش وايداء أو اعتداء أو اكراه أو تهديد أيا كان شكله ونوعه .

وإدراكا منهما لمبادئ ميثاق الامم المتحدة وقراراتها الخاصة بمبدأ عدم التدخل . وخاصة ما نص عليه القانون الدولى حول العلاقات الودية والتعاون بين الدول طبقا لميثاق الامم المتحدة فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٠ . وكذلك بيان رفض جميع أنواع التدخل فى الشئون الداخلية للدول فى ٩ ديسمبر ١٩٨١ .

قد اتفقتا على مايلى :

المادة ١ : تقوم الروابط بين طرفى الاتفاق على اساس الالتزام التام بمبدأ عدم التدخل من قبل الدول فى شؤون بعضها البعض .

مادة ٢ : لاجل تنفيذ مبدأ عدم التدخل يتعهد كل من الطرفين بالالتزام بما يلى :

١- احترام سيادة الطرف الاخر واستقلاله السياسى ووحدة اراضيه ووحدة الوطنية وأمته وعدم انحيازه بالاضافة لاحترام هويته القومية وتراث شعبه الثقافى .

٢- احترام حق الطرف الآخر المطلق والمشروع فى أن يعين ويقرر بحرية تامة نظامه السياسى والاقتصادى والثقافى والاجتماعى الخاص ، وان يطور علاقاته الدولية ويمارس سيادته الدائمة على مصادره الطبيعية طبقا لارادة شعبه ، دون أى تدخل أو اعتداء أو اكراه أو تهديد خارجى ، أيا كان شكله ونوعه.

٣- الامتناع عن التهديد أو استخدام القوة زيا كانت ، وبالتالي عدم انتهاك حدود الطرف الاخر وعدم الاخلال بنظامه السياسى والاجتماعى والاقتصادى أو تغييره أو الاطاحة به أو بحكومته ، أو ايجاد التوتر بين طرفى الاتفاق .

٤- ضمان عدم استخدام اراضيه بنحو يؤدي لانتهاك سيادة الطرف الآخر أو استقلاله السياسى أو وحدة اراضيه أو وحدته الوطنية ، أو الاخلال باستقراره السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى .

٥- الامتناع عن التدخل المسلح أو الاعتداء أو الاحتلال العسكرى أو أى شكل من اشكال التدخل المعلن أو الخفى ضد الطرف الآخر ، بما يشمل اعمال الانتقام التى تشتمل على استخدام القوة .

٦- الامتناع عن أى عمل أو محاولة - ايا كان شكلها وتحت أى حجة أو ذريعة كانت - لازالة أو اضعاف استقرار الطرف الآخر أو أى من مؤسساته .

٧- الامتناع عن تقوية أو تشجيع أو دعم النشاطات التمردية أو الانفصالية ضد الطرف الآخر ، بطريق مباشر أو غير مباشر تحت أى حجة أو ذريعة كانت ، أو أى عمل آخر يهدف لتمزيق وحدة النظام السياسى للطرف الآخر أو اضعافه وتخريبه .

٨- منع تدريب وتجهيز وتمويل وتجنيد المرتزقة ضمن اراضيه ايا كانوا والذين يهدفون للقيام بنشاطات عدائية ضد الطرف الآخر أو ارسال مثل هؤلاء المرتزقة الى اراضى الطرف الآخر ، وكذلك حرمان هؤلاء المرتزقة من جميع التسهيلات متضمنة التمويل للتدريب أو التجهيز أو العبور .

٩- الامتناع عن عقد أى اتفاقية مع الدول الاخرى بهدف التدخل فى الشؤون الداخلية أو الخارجية للطرف الآخر .

١٠- الامتناع عن الحرب الاعلامية أو الدعاية المضادة أو المشوهة لسمعة الطرف الآخر بهدف التدخل فى شؤونه الداخلية .

١١- الامتناع عن تقديم أى مساعدة أو تسهيلات لأية عناصر ارايية أو تخريبية تستهدف الطرف الآخر .

١٢- منع تواجد أو ايواء - سواء فى قواعد أو مخيمات أو غيرهما - على ارضه أو تنظيم أو تدريب أو تمويل أو تجهيز أو تسليح أى افراد أو مجموعات سياسية أو عرقية أو غيرها تهدف الى القيام بأعمال التخريب فى اراضى الطرف الآخر أو الاخلال بنظامه ومنع هؤلاء الافراد أو المجموعات من استخدام وسائل الاعلام أو نقل الاسلحة والذخائر والمعدات .

١٣- عدم اللجوء الى وعدم السماح بأى عمل يمكن أن يعتبر تدخلا  
فى شئون الطرف الآخر .

المادة ٣ : يبدأ تنفيذ هذه الاتفاقية اعتبارا من ١٥ مايو ١٩٨٨ .

المادة ٤ : أى خطوات يحتاج اليها لأجل تمكين طرفى الاتفاق من  
الاستجابة للفقرات الشرطية للمادة رقم ٢ من هذه الاتفاقية سوف يتم  
اتخاذها فى اليوم الذى يبدأ فيه تنفيذ الاتفاقية .

المادة رقم ٥ : هذه الاتفاقية كتبت باللغات الانجليزية والبشتو والاردية ،  
وكل النصوص متطابقة ، وفى حالة وجود اختلاف فى تفسيرها يعول على  
النص الانجليزى .

كتبت فى خمس نسخ أصلية فى جنيف فى ١٤ ابريل ١٩٨٨ .  
( وقع عليها من قبل افغانستان وباكستان ) .

### بيان حول الضمانات الدولية :

ان حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والولايات المتحدة  
الامريكية ، تعبيرا عن تأييدها لتوصل جمهورية افغانستان وجمهورية باكستان  
الاسلامية الى تسوية واتفاقية سياسية تم التفاوض بشأنها ، بهدف تطبيع  
العلاقات بينهما وتعزيز علاقات حسن الجوار بين قطريهما وتقوية السلام  
الدولى والامن فى المنطقة .

ورغبة منهما فى المشاركة فى تحقيق الاهداف التى وضعتها كل من  
الجمهورية الافغانية وجمهورية باكستان الاسلامية أمام أنفسهما ، وبهدف  
احترام سيادة واستقلال ووحدة وسلامة اراضى كل منهما وعدم انحيازه .

تتعهدان بالامتناع التام عن أى شكل من اشكال التدخل فى الشئون  
الداخلية لجمهورية افغانستان وجمهورية باكستان الاسلامية ، وباحترام

الالتزامات المذكورة فى الاتفاقية الثانية بين هاتين الدولتين ، طبقا لمبادئ العلاقات المتبادلة خاصة عدم التدخل ، وتحثان جميع الدول أن نسلك نفس الطريقة .

يبدأ تنفيذ هذه الوثيقة اعتبارا من ١٥ مايو ١٩٨٨ .

تم فى جنيف فى ١٤ ابريل ١٩٨٨ من خمس نسخ أصلية كل منها باللغتين الانجليزية والروسية ، وكلا النصين متطابقان تماما .

( وقع عليها من قبل الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية ) .

### الاتفاقية الثانية

ان جمهورية افغانستان وجمهورية باكستان الاسلامية وسيشار اليهما من الآن فصاعدا بطرفى الاتفاقية .

رغبة منهما فى تطبيع علاقاتهما وتعزيز علاقات حسن الجوار والتعاون وكذلك تقوية السلام العالمى والامن فى المنطقة .

واقترعا منهما بأن العودة الاختيارية الى الوطن تشكل افضل حل مناسب لمشكلة اللاجئين الافغان الموجودين فى جمهورية باكستان الاسلامية .

وبالتحقق من أن اتفاقيات عودة اللاجئين الافغان وضية لهم ، اتفقتا على مايلى :

المادة ١ : يمنع جميع اللاجئين الافغان الموجودين بشكل مؤقت على ارض جمهورية باكستان الاسلامية الفرصة للعودة الاختيارية لوطنهم طبقا للترتيبات والشروط المذكورة فى هذه الاتفاقية .

المادة ٢ : تتخذ حكومة جمهورية افغانستان كل الاجراءات الضرورية لضمان الظروف التالية للعودة الاختيارية للاجئين الافغان الى وطنهم .

١ - السماح لجميع اللاجئين بالعودة الى وطنهم فى حرية .

ب - يتمتع جميع العائدين بحرية اختيار مسكنهم وحرية الحركة داخل جمهورية افغانستان .

ج - يكفل لكل العائدين حق العمل وظروف مناسبة للعيش والمشاركة فى ازدهار الدولة .

د - يتمتع جميع العائدين بحق المشاركة على أسس متساوية فى الاعمال المدنية لجمهورية افغانستان . وسوف تضمن لهم الاستفادة بدرجة متساوية فى حل مشكلة الارض على اساس الاصلاح المالى والزراعى .

٥ - يتمتع جميع العائدين بنفس الحقوق والامتيازات بما فيها حرية الدين وعليهم نفس الواجبات والمسؤوليات التى على سائر مواطنى جمهورية افغانستان بدون أى تمييز .

تتعهد حكومة جمهورية افغانستان بتنفيذ هذه الاجراءات وتقديم كل العون اللازم - فى حدود امكانياتها - لاعادة اللاجئين الى وطنهم .

المادة ٣ : تسهل حكومة جمهورية باكستان الاسلامية العودة الطوعية ، المنظمة والسلمية لجميع اللاجئين الافغان الموجودين فى أرضها وتتعهد بتأمين المساعدة اللازمة - ضمن حدود امكانياتها - لعودتهم للوطن .

المادة ٤ : من أجل تنظيم وتنسيق والاشراف على العمليات التى ستؤمن عودة اللاجئين الافغان الطوعية والمنظمة والسلمية الى وطنهم تؤسس لجان مختلفة وفقا للعرف الدولى الرسمى .

ويمنح اعضاء اللجان وهيئاتها لأجل انجاز وظائفهم التسهيلات اللازمة وحرية الوصول للمناطق المناسبة ، فى اراضى الطرفين المتعاقدين .

المادة ٥ : لأجل تنظيم عودة اللاجئين تعين اللجان نقاط حدودية للعبور

وتؤسس مراكز العبور اللازمة . وسوف توضع ايضا الشكليات الاخرى للعودة  
المرحلية للاجئين بما يتضمن تسجيل وابلاغ الدولة التي سيعود اليها  
اللاجئون بأسماء من يرغبون فى العودة .

المادة ٦ طبقا لطلب الحكومتين المعنيتين ، فان المفوضية العليا لشؤون  
اللاجئين التابعة للامم المتحدة سوف تتعاون واعدة فى اعادة اللاجئين وفقا  
للاتفاقية الحالية .

المادة ٦ : طبقا لطلب الحكومتين المعنيتين ، فان المفوضية العليا لشؤون  
اللاجئين التابعة للامم المتحدة سوف تتعاون وتؤمن المساعدة فى اعادة  
اللاجئين وفقا للاتفاقية الحالية . وقد تعقد اتفاقيات خاصة لهذه الغاية بين  
المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للامم المتحدة وبين الطرفين المتعاقدين .

المادة ٧ : يبدأ تنفيذ هذه الاتفاقية اعتبارا من ١٥ مايو ١٩٨٨ وفى ذلك  
التاريخ تؤسس اللجان المختلطة المذكورة فى المادة رقم ٤ وتبدأ عمليات ترتيب  
العودة الطوعية للاجئين تحت هذه الاتفاقية . والترتيبات المذكورة فى المادة ٤ ،  
٥ أعلاه سوف تبقى نافذة المفعول لمدة ١٨ شهرا وبعد هذه المدة ، يراجع  
طرفا الاتفاق نتائج عودة اللاجئين لوطنهم ، ولهم اتخاذ أى ترتيبات جديدة  
قد يحتاج اليها حسب ما تقتضيه الضرورة .

المادة ٨ : هذه الاتفاقية كتبت باللغات الانجليزية والفرنسية والبشتو والاردية ،  
والنصوص الثلاثة متطابقة تماما ، وفى حالة وجود أى اختلاف فى التفسير  
فان النص الانجليزى هو الذى يعول عليه .

كتبت فى خمس نسخ أصلية فى جنيف فى ١٤ ابريل ١٩٨٨ .  
( وقع عليها من قبل افغانستان وباكستان ) .

## الاتفاقية الثالثة

« حول العلاقات المتبادلة لأجل تسوية الوضع المتعلق بأفغانستان »

١- انتهت بنجاح الجهود الدبلوماسية التي بدأها الأمين العام للأمم المتحدة والرامية لتحقيق تسوية سياسية - عبر المفاوضات - للوضع المتعلق بأفغانستان وذلك بدعم وتأييد من جميع الحكومات المعنية .

٢- أن حكومتى جمهورية أفغانستان وجمهورية باكستان الإسلامية بعد أن وافقتا على العمل لأجل تسوية شاملة بهدف حل مختلف القضايا المتعلقة بها فى مفاوضات بوساطة الممثل الشخصى للأمين العام فى جنيف بدءا من ١٦ الى ٢٤ يونيو ١٩٨٢ . وعلى أثر مشاورات جرت من قبل الممثل الشخصى فى اسلام آباد وكابل وطهران من ٢١ يناير الى ٧ فبراير عام ١٩٨٣ ، استمرت المفاوضات فى جنيف من ١١ الى ٢٢ ابريل ومن ١٢ الى ٢٤ يونيو عام ١٩٨٣ .

ثم زار الممثل الشخصى المنطقة ثانية لأجراء مناقشات على مستوى عال من ٣ الى ١٥ ابرل ١٩٨٤ . وعندها تم الاتفاق على تفسير شكل المفاوضات ، وتعقيبا على ذلك ، عقدت محادثات التقارب عبر وساطة الممثل الشخصى بزيادة أخرى أيضا للمنطقة من ٢٥ الى ٣١ مايو ١٩٨٥ ، أعقبتها دورة أخرى من محادثات التقارب فى جنيف من ٢٠ الى ٣٠ أغسطس من ٨ الى ١٨ مارس ١٩٨٦ لأجل الاستشارة .

وبدأت الدورة النهائية لمفاوضات التقارب فى جنيف فى ٥ مايو ١٩٨٦ ولكنها أرجئت فى ٢٣ مايو ١٩٨٦ ثم استؤنفت من ٣١ يوليو الى ٨ أغسطس ١٩٨٦ . ثم زار الممثل الشخصى المنطقة من ٢٠ نوفمبر الى ٣ ديسمبر ١٩٨٦ لأجل مزيد من التشاور واستؤنفت محادثات جنيف ثانية من ٢٥ فبراير الى ٩ مارس ١٩٨٧ ومن ٧ الى ١١ سبتمبر ١٩٨٧ ، وزار



الممثل الشخصي بعد ذلك المنطقة ثانية من ١٨ يناير الى ٩ فبراير ١٩٨٨ واستؤنفت بعدها المحادثات فى جنيف من ٢ مارس الى ١٨ ابريل ١٩٨٨ . وتغير شكل المفاوضات فى ١٤ ابريل ١٩٨٨ ، عندما أنهى أمر الاتفاقيات التى تشتمل على التسوية ، ووفقا لذلك جرت المحادثات المباشرة فى هذه المرحلة .

ولقد كانت حكومة الجمهورية الاسلامية الايرانية تطلع بشكل متتابع حول تطور المفاوضات عبر القنوات الدبلوماسية .

٣- لقد اشتركت حكومتا جمهورية افغانستان وجمهورية باكستان الاسلامية فى المفاوضات معبرتين عن قناعتهما بأنهما يعملان وفقا لحقوقهما ولواجباتهما المقررة فى ميثاق الامم المتحدة ، ووفقا على أن التسوية السياسية يجب أن تبنى على المبادئ التالية للقانون الدولى :

\* مبدأ أن الحكومات يجب أن تمتنع فى علاقاتها الدولية عن التهديد أو استخدام القوة ضد سلامة اراضى الدول الاخرى واستقلالها السياسى .

\* مبدأ أن الحكومات عليها ان تحل نزاعاتها الدولية بالوسائل السلمية وينحوا لايهدد السلام والامن والعدل الدولى .

\* واجب عدم التدخل فى القضايا الداخلية لأى دولة وفقا لميثاق الامم المتحدة .

\* مبدأ تساوى الشعوب فى حقها فى تقرير المصير .

\* مبدأ اخلاص الدول فى قيامها بواجباتها ومسؤولياتها وفقا لميثاق الامم المتحدة .

وقد أكدت الحكومتان علاوة على ذلك ، على حق اللاجئيين الافغان بالعودة لوطنهم على نحو طوعى واختيارى دون اعاقة .

- ٤- تم التوصل الى الاتفاقيات التالية كأجزاء اساسية للتسوية السياسية .
- اتفاقية ثنائية بين جمهورية افغانستان وجمهورية باكستان الاسلامية حول مبدأ العلاقات المتبادلة خاصة عدم التدخل .
- بيان الضمانات الدولية من قبل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والولايات المتحدة الامريكية .
- اتفاقية بين جمهورية افغانستان وجمهورية باكستان الاسلامية حول عودة اللاجئين الاختيارية لوطنهم .
- الاتفاقية الحالية حول العلاقات المتبادلة لأجل تسوية الوضع المتعلق بأفغانستان .

٥- الاتفاقية الثنائية حول مبادئ العلاقات المتبادلة ، وخاصة عدم التدخل ، بيان الضمانات الدولية ، الاتفاقية الثنائية لعودة اللاجئين الاختيارية، والاتفاقية الحالية حول العلاقات المتبادلة لأجل تسوية الوضع المتعلق بأفغانستان سوف تصبح نافذة المفعول بدءا من ١٥ مايو ١٩٨٨ .

وطبقا للجدول الزمني المتفق عليه بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وجمهورية افغانستان ، سيتم انسحاب مرحلي للقوات الاجنبية اعتبارا من تاريخ بدء سريان الاتفاقية المذكور أعلاه على أن يتم سحب نصف القوات حتى ١٥ أغسطس ١٩٨٨ في حين يتم سحب جميع القوات في خلال تسعة أشهر .

٦- العلاقات المتبادلة في الفقرة ٥ أعلاه اتفق عليها من أجل تحقيق التسوية السياسية خاصة أنه بدءا من ١٥ مايو لن يكون هناك أى تدخل بأى شكل من الاشكال في شئون الطرفين . وسوف تبدأ الضمانات الدولية وتبدأ العودة الطوعية للاجئين الى وطنهم وتنتهي خلال الجدول الزمني المعين في

اتفاقية العودة الطوعية للاجئين . كما سيبدأ الانسحاب المرحلي للقوات  
الاجنبية وينتهي خلال والجدول الزمني المذكور في الفقرة ٥ .

وبناء عليه فانه من الضروري الوفاء بجميع الراجبات المستقاة من  
الاتفاقيات المبرمة كأجزاء أساسية للتسوية ، وأن يتم اكمال جميع الخطوات  
المطلوبة لضمان الالتزام الكامل بجميع شروط الاتفاقيات .

٧- لأجل التحقيق في الانتهاكات المدعاة ولأجل الایجاد الفوری  
والمبادل للحلول المرضية للمسائل التي قد تنشأ عند تنفيذ الاتفاقيات الخاصة  
بالتسوية ، يلتقى ممثلو جمهورية افغانستان وجمهورية باكستان الاسلامية  
ببعضهم البعض كلما احتاج الأمر .

وسوف يقدم ، مبعوث الامين العام للأمم المتحدة ، مساعيه الحميدة  
للطرفين وفي هذا الاطار سوف يساعد على تنظيم لقاءات ويشارك فيها  
بنفسه .

وقد يقدم للطرفين اقتراحات وتوصيات لينظروا فيها ويوافقوا عليها من  
أجل الرعاية الفورية والمخلصة والكاملة لشروط الاتفاقيات .

ولأجل تمكينه من انجاز مهمته ، فان الممثل سوف يساعد بشخصيات  
تحت سلطته حسبما يتطلب الوضع وسوف يحقق الممثل - أما بمبادرته  
الخاصة أو بناء على طلب من أحد الطرفين - في الانتهاكات المحتملة لأي  
من شروط الاتفاقيات ، ويقوم بتحضير تقرير عنها .

ولأجل هذا الغرض ، على الطرفين التعاون مع مندوب الامم المتحدة  
ومعاونيه بما في ذلك تسهيل حرية الحركة داخل اراضيها التي قد يتطلبها  
التحقيق النعال والمؤثر . وأى تقرير يقدمه المندوب للحكومتين ، ينظر فيه في  
لقاء بينهما في غضون فترة لا تزيد عن ٤٨ ساعة بعد تسليم التقرير .

جميع الشكليات والترتيبات المتعلقة بنقل الجنود واثرائهم ، اللازمة لعمل المندوب ومساعديه من الموظفين الذين تحت سلطته ، ستوضح حسبما تم عليه الاتفاق من الطرفين ، فى مذكرة التفاهم التى ستلحق بالاتفاقية وستكون جزءا منها .

٨- تسجل هذه الاتفاقية من قبل الامين العام للامم المتحدة وقد تم فحصها من قبل ممثلى الطرفين لأجل الاتفاق الثائى ، وكذلك من قبل الدول الضامنة ، التى وافقت على شروطها .

وقع أدناه ممثلا الطرفين المفوضان قانونيا من قبل حكومتها وذلك فى حضور الامين العام للامم المتحدة .

تم فى جنيف فى تاريخ ١٤ ابريل ١٩٨٨ ، فى خمس نسخ أصلية كل منها باللغات الانجليزية والبشتو والروسية والاردية . وكلها متطابقة تماما . وفى حالة وجود أى نزاع حول تفسير النص يعول على النص الانجليزى .  
( وقع من قبل افغانستان وباكستان ) .

وشهد عليه ممثلا الدولتين الضامتين : الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية .

### مذكرة تفاهم

#### ١- متطلبات أساسية :

أ - يتعاون الطرفان مع ممثل الامين العام ( للامم المتحدة ) وجميع الموظفين المعينين لمساعدته .

ب - تقدم لممثل الامين العام وموظفيه المساعدين كل التسهيلات والمساعدات الفورية والمؤثرة بما يشمل حرية الحركة والاتصالات ووسائل الراحة والنقل وسائر التسهيلات التى قد تلزم لانجاز مهمتهم ، وتتعهد

افغانستان وباكستان بمنح الممثل وهيئته المرافقة كل الامتيازات المناسبة والحصانات الممنوحة في اتفاقية الامم المتحدة الخاصة بالامتيازات والحصانات .

ج- تتحمل افغانستان وباكستان مسؤولية سلامة ممثل الامين العام وموظفيه أثناء انجازهم لمهمتهم .

د- يعمل ممثل الامين العام والهيئة المرافقة - أثناء اداء مهمتهم - بدون أى تحيز . ويجب ألا يتدخل ممثل الامين العام وهيئته المرافقة فى الشؤون الداخلية لافغانستان وباكستان ، وهم فى هذا الخصوص لا يتمتعون بالميزات الامنية من قبل الدولتين المعنيتين .

## ٢- تفويض :

يستمد منح التفويض لأجل تنفيذ تربيّات المساعدة المذكورة فى الفقرة السابقة من الاتفاقية التى تشتمل على التسوية .

ويطلع اعضاء الهيئة المساعدة لممثل الامين العام بدقة على الشروط المتعلقة بذلك الموضوع فى الاتفاقية وفى الاجراءات التى ستستخدم وذلك للتحقق من الانتهاكات المتعلقة .

## ٣- طريقة العمل وتنظيم هيئة الموظفين :

يعين الامين العام ( للامم المتحدة ) ضابطا عسكريا رفيع الدرجة كممثل له ، على أن يقيم هذا الضابط فى المنطقة كرئيس لمركزى قيادة صغيرين أحدهما فى كابل والاخر فى اسلام اباد ، وكل واحد يشتمل على خمسة ضباط عسكريين ، من قوات الامم المتحدة ، وكذلك هيئة مساعدة صغيرة من المدنيين .

يعمل نائب ممثل الامين العام للممثل ويكون على اتصال بالاطراف المعنية عبر ضابط الاتصال الذى يعنيه كل طرف لهذا الغرض .

يتم تنظيم مركزي القيادة على شكل فريقى تفتيش وذلك للتحقق الميدانى من أى انتهاك للاتفاقيات الخاصة بالتسوية .

وإذا رأى ممثل الامين العام ونائبه ، ضرورة ذلك ، يمكن توزيع عدد آخر من الضباط بالتشاور مع الطرفين .

وإذا لزم الأمر فلممثل الامين العام ، الذى سيزور المنطقة بشكل دورى للتشاور مع الاطراف والمراجعة ماتم من عمل هيئة الموظفين - أن يعين فى المنطقة اعضاء من مكتبه الخاص وموظفين مدنيين آخرين من سكرتارية الامم المتحدة حسبما يحتاجه الامر .

ويتحرك نائبه بين مركزي القيادة ، ويقى كل الوقت على اتصال وثيق ومباشر معهم .

#### ٤- الاجراءات :

##### أ- التحقيق بناء على طلب الفريقين :

١- أى شكوى يقدمها أحد الطرفين تتعلق بانتهاك بند من بنود اتفاقيات التسوية ، يجب أن تسلم كتوية باللغة الانجليزية ، لمركز القيادة الخاص بالدولة الشاكية ، ويجب أن تشير الشكوى لكل التفاصيل والمعلومات المتعلقة بالموضوع .

٢- على أثر استلامه للشكوى يقوم نائب الامين العام فوراً بإبلاغ الطرف الآخر بها ، ويأخذ على عاتقه التحقق وذلك بالقيام بعمليات تفتيش ميدانى ، ويجمع الشواهد واستخدام أى اجراء آخر تدعو اليه الضرورة لأجل التحقق من الانتهاك المدعى . ويتم هذا التفتيش باستخدام هيئة مراكز القيادة كما ذكر اعلاه . الا اذا ارتأى نائب ممثل الامين العام الحاجة الى فرق اضافية . عندئذ على الطرفين أن يسمحا - طبقاً لمبدأ حرية الحركة - بحرية

وصول الموظفين الاضافيين للاراضى الخاصة بكل منهما .

٣- تكتب تقارير التحقيق من قبل نائب ممثل الامين العام باللغة الانجليزية وتسلم للحكومتين وفق قواعد سرية خاصة وتنقل بنفس الوقت نسخة ثالثة من التقرير ، بنحو سرى ، الى مركز الامم المتحدة الرئيسى فى نيويورك وذلك لأجل اطلاع الامين العام وممثله فقط .

وفقا للفقرة ٧ ينظر فى تقرير التحقيق من قبل الطرفين ، قبل مضى ٤٨ ساعة من وقت تسليمه ، ويقدم نائب ممثل الامين العام - فى حال غياب الممثل - مساعيه الحميدة للطرفين وفى هذا المضمار يساعد فى عقد لقاءات بينهما ويشارك هو فيها . فى اطار هذه اللقاءات قد يسلم نائب ممثل الامين العام ، الطرفين ، اقتراحات وتوصيات لأجل المراعاة الفورية والصادقة والكاملة لشروط الاتفاقيات ، وذلك ليدرسها الطرفان ويوافقا عليها ( مثل هذه الاقتراحات والتوصيات تتم بالتشاور مع ممثل الامين العام ) .

ب - التحقيق الذى يتم بناء على مبادرة نائب ممثل الامين العام :

بالاضافة الى التحقيق الذى يتم بناء على طلب الطرفين فان نائب ممثل الامين العام قد يقوم بناء على مبادرته الخاصة وبالتشاور مع الممثل بتحقيق يقتضى تقييم للطرفين اتبع نفس الطريقة المقررة لتسليم التقارير الخاصة بالتحقيق بناء على طلب الطرفين .

مستوى المشاركة فى اللقاءات :

كما أشير اليه أعلاه فان نائب ممثل الامين العام سوف يشارك فى اللقاءات بين الطرفين التى تعقد لأجل النظر فى تقارير الانتهاكات . واذا قرر الطرفان أن يلتقيا لأجل الهدف المشار اليه فى الفقرة ٧ على مستوى سياسى عال ، فان ممثل الامين العام سوف يحضر شخصيا مثل هذه اللقاءات .

- المدة :

يقيم نائب ممثل الامين العام وهيئة الموظفين المساعدين ، فى المنطقة فى تاريخ لايتأخر عن عشرين يوما قبل بدء تنفيذ الاتفاقيات . وتنتهى جميع الترتيبات بعد شهرين من انتهاء الجدول الزمنى لمعين لتنفيذ الاتفاقيات .

٦- التمويل :

تتحمل حكومتا الطرفين نفقات جميع التسهيلات والخدمات المؤمنة من قبلهما فى حين تتحمل الامم المتحدة مرتبات الموظفين ونفقات سفرهم ، من والى المنطقة ، وكذلك تكاليف مسكن الموظفين المعينين فى وحدات مراكز القيادة .



## الفصل السابع

### دول آسيوية أخرى

- سرى لانكا .
- التبت .
- نيبال .
- برما .
- مالديف .
- سلطنة بروني .
- سنغافورة .
- كمبوديا .
- كوريا الجنوبية .
- هونغ كونج .
- الصين الوطنية .
- اندونيسيا .
- الفلبين .
- اليابان .



## الفصل السابع

### دول اسبوية اخرى

#### سرى لانكا :

سرى لانكا جزيرة تقع جنوب الهند ، ويبلغ عدد سكانها نحو أربعة عشر مليون نسمة ، منهم حوالى مليونين من المسلمين . وتختلف المصادر التاريخية حول الزمن الذى دخل فيه الاسلام سرى لانكا ، ومن الأرجح أن القرن الاول الهجرى هو الوقت الذى بدأ الاسلام يدخل هذه الجزيرة نظرا لوقوعها بالقرب من بلاد الهند والسند التى انتشر فيها الاسلام فى الفترة ذاتها .

وتشير المصادر التاريخية الاسلامية<sup>(١)</sup> أن بعض الجاليات الغربية قد أقامت فى سرى لانكا بسبب اشتغال العرب بالتجارة وان هذه الجزيرة كانت تسمى جزيرة الياقوت ، ويذكر الرحالة ابن بطوطة أن العديد من العرب قد تولوا مناصب هامة فى الجزيرة . والمسلمون هناك يقيم معظمهم فى المنطقة الشرقية واغلبهم من أصل عربى ، كما أن بعضهم ينتمى أصلا الى بلاد فارس أو جاوة أو الهند ، وكان المسلمون يعيشون بمعزل عن الهندوس فى الجزيرة بسبب اختلاف العقيدة والعادات والتقاليد ، ويمرور الزمن اندمج المسلمون مع الهندوس من خلال التزاوج ودخولهم الاسلام .

وتوجد العديد من الجمعيات الاسلامية أهمها رابطة مسلمى سرى لانكا ، والرابطة الملاوية وهما تتبعان الحزب الوطنى الموحد منذ عام ١٩٤٦ وتشرف الجمعيات الاسلامية على تدريس العلوم الاسلامية لآبناء المسلمين وشرح تعاليم الدين الاسلامى لمن يريد معرفتهما وهو ما جعل

---

(١) راجع : البلاذرى ، فتوح البلدان - ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ البيهقى ، تاريخ البيهقى .

الكثير يعتنقون الاسلام

### التبت :

التبت هضبة تقع فى منطقة منعزلة تخاصرها الجبال فى وسط قارة آسيا ، وتحدها الصين من المشرق ، والتركستان الشرقية من الشمال ، وكشمير من الغرب ، والهند من الجنوب ، وتحيطها جبال الهملايا العالية من الجنوب ، وقد أطلق الجغرافيون العرب عليها اسم التبت ولقبوا حكامها بالخواقين ، وقد ذكر ذلك ياقوت الحموى فى معجم البلدان ، فى حين اطلق الجغرافيون الاروبيون عليها : « قلب آسيا الميت » - نظرا للغموض الذى احاط بها فترة طويلة . وقد خضعت التبت لحكم الصين ثم انفصلت عنها بعد الحرب العالمية الاولى ، ثم اعادتها الصين لحكمها منذ عام ١٩٥١ فهى ولاية صينية .

وقد وصل الاسلام الى التبت من خلال التركستان الشرقية فى الصين الشيوعية - سنكيانغ الان - حيث وصل الاسلام الى « كاشغر » فى الصين ثم الى التبت التى لاتبعد عنها كثيرا . وتذكر المصادر أن أهل التبت أرسلوا وفدا الى الجراح بن عبد الله والى خراسان فى عهد الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز يلتمسون منه أن يعث اليهم من يفهمهم فى الدين الاسلامى فاستجاب لهم وبعث لهم بلسيط بن عبد الله الحنفى ، كما تتحدث المصادر عن وجود صلات طيبة بين الخليفة المهدي العباسى وملك التبت وأن أحد ملوك التبت قد أسلم فى عهد الخليفة المأمون العباسى .

وكانت كشمير بمثابة المحور الثانى الذى وصل الاسلام من خلاله الى التبت بعد خضوع شمال الهند لحكم المسلمين ، وأن أول غارة شنها حاكم مسلم على بلاد التبت كانت فى نهاية القرن السادس الهجرى عندما غزاها محمد بختيار الخلجى حاكم ولاية البنغال .

وقد غزا الحكام المسلمون بلاد التبت أكثر من مرة عندما قوى الاسلام فى آسيا ، ففزاها القائد ميرميريد فى عهد الأمير سعيد خان فى عام ٩٣٠هـ ، ثم الملك حيدر مرزا فى عام ٩٥٥هـ ، وتوغل فى منطقتى لداخ وبلتستان عندما كان ملكا على كشمير حتى أصبح الاسلام منذ القرن العاشر الهجرى قوة سياسية لها ثقلها . وكانت هاتان المنطقتان أكثر مناطق التبت تأثرا بالاسلام حيث وصلهما الدعاة المسلمون من كشمير وخراسان ووسط اسيا ، وظل الاسلام ينتشر حتى القرن التاسع عشر الميلادى عندما خضعت الهند لسيطرة الاحتلال البريطانى وقضت على الحكم الاسلامى ببلاد الهند مما شجع على ظهور الوثنية من جديد فى بلاد التبت .

وانتشر الاسلام أيضا بالتزاوج بين التجار المسلمين ونساء التبت بعد اقناعهن بالاسلام ، وكذلك فعل الجيل المولد كما فعل آباؤهم وكونوا أسرا مسلمة ، بل وعملوا لنشر الاسلام . ولم يخضع المسلمون بسهولة للحكم الشيوعى الصينى حيث ظهرت اضطرابات عنيفة استشهد فيها الالوف من المسلمين ، غير أن اضطهاد الشيوعيين للاديان عموما قد شمل الدين الاسلامى أيضا مما جعل المسلمين هناك يعانون من الاضطهاد حيث بلغ عددهم نحو ربع مليون نسمة .

### نيبال :

نيبال دولة ملكية أسيوية صغيرة تقع فى شبه القارة الهندية ، وتحاورها التبت من الشمال ، والهند من الشرق والجنوب والغرب ، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٥ مليون نسمة ، منهم حوالى مليون نسمة من المسلمين وهى دولة داخلية لا سواحل لها وتقع بين ثنايا جبال الهملايا الوعرة ، ونتيجة لموقعها المنعزل فقد ظلت مملكة مستقلة منذ عدة قرون .

يتنمى سكان نيبال الى اصول عرقية مختلفة أهمها الهندية والمغولية

والكشميرية . وقد وصل الاسلام اليها عبر محورين : محور غربى جاء اليها من كشمير ، ومحور جنوبى جاء اليها عن طريق شبه القارة الهندية وكان أول غزو اسلامى لنيبال فى القرن الثامن الهجرى ( الرابع عشر الميلادى ) عندما هاجم السلطان شمس الدين حاكم البنغال منطقة وسط نيبال ، وزادت صلة المسلمين بنيبال فى عهد الامبراطور المغولى المسلم أكبر الذى أرسل البعثات الاسلامية الى نيبال وبذلك انتشرت الدعوة الاسلامية ، وزاد انتشارها أيضا من خلال التجار المسلمين من العرب الذين استوطنوا مناطق عديدة من نيبال .

ويمارس المسلمون شعائرهم الدينية دون تحديات تذكر ولهم مساجدهم ومدارسهم ، ومنذ عام ١٩٤٠م سمح لابناء المسلمين بالالتحاق بالمدارس الحكومية ، غير أن الجمهور الذاتية للمسلمين هى التى ساهمت فى انتشار المدارس الاسلامية الابتدائية وتعلم اللغة الاردية وتخفيف القرآن الكريم ، كما نشطت الهيئات الاسلامية - رغم صنف امكانياتها المالية - بواجبها الاسلامى هناك .

### بورما :

هى جزء من شبه جزيرة الصين الهندية ، وتقع الصين الشعبية فى شرقها فى حين تقع بنجلاديش والهند فى غربها ، وفى جنوبها الشرقى تقع تايلاند ، وتطل بورما بساحل طويل فى جنوبها وغربها على خليج البنغال وعاصمتها رانجون .

ومعظم سكان بورما ينتمون الى المنفل الذين جاءوا من الصين ، ومن هضبة التبت ومن هضاب وسط آسيا ، ويبلغ عدد سكانها نحو ٢٤ مليون نسمة ، والديانة السائدة هى البردية التى لاتعترف بنظام الطبقات فى المجتمع ويعتنقها حوالى ٨٥٪ من السكان فى حين يعتنق ٤٪ المسيحية والباقي

مسلمون وعددهم يزيد على مليونين ونصف المليون نسمة .

وكما انتشر الاسلام فى معظم أواسط آسيا من خلال التجار العرب ،  
فكذلك الحال فى بورما منذ القرن السادس الهجرى ، غير أن سكان بورما  
ممن يرجع أصلهم الى الهنود والصينيين وتوجد العديد من المساجد فى  
العاصمة والمدن الكبرى بالإضافة الى المدارس الاسلامية الابتدائية والعالية التى  
تكونت بالجهود الذاتية .

### مالديف :

هى سلسلة من الجزر المرجانية الواقعة فى المحيط الهندى وتقع جنوب  
غرب كل من الهند وسيرلانكا حيث تشمل أكثر من الف جزيرة . وينتمى  
شعبها الى الجنس الآرى حيث نزحت جماعات منه من شمال الهند  
وسيرلانكا وقد اختلط المانديفيون بالعنصر الافريقى الشرقى والعنصر العربى  
وسكانها حوالى ربع مليون نسمة هم جميعا مسلمون ولغتهم تسمى  
الدينبيهية . وقد شهدت مالديف فترات استعمارية ثلاثة منذ مطلع التاريخ  
الحديث . الاولى فترة الاستعمار البرتغالى من سنة ١٥٥٨ الى سنة ١٥٧٤  
وكانت تابعة للحاكم البرتغالى فى جوا بالهند حيث تصدى شعبها بقيادة  
محمد تاكوردفان للمستعمرين وقاموا بطردهم ، أما الفترة الثانية فهى فترة  
الاستعمار المالا بارى وهم غزاه قدموا من جنوب الهند واحتلوا العاصمة ،  
غير أن الشعب تمكن من دحر هؤلاء المستعمرين بقيادة « حسن فانيكوفان  
، الذى أصبح ملكا يعرف باسم السلطان حسن عز الدين ، ومنذ عام  
١٨٨٧ حتى عام ١٩٦٥ شهدت مالديف الفترة الاستعمارية الثالثة كمحبة  
تابعة لبريطانيا ثم تم توقيع اتفاقية الاستقلال مع بريطانيا وبمقتضاها أصبحت  
دولة مستقلة ذات سيادة .

وكان الشعب المالديفى - فى الاصل - يعتنق البوذية ، ثم اعتنق الدين

الاسلامى الحنيف فى منتصف القرن الخامس الهجرى من خلال جهود الداعية الاسلامى أبو البركات يوسف البربرى الذى قدم من شمال افريقيا ، ومذهبهم هو المذهب الشافعى ، والاسلام دين الدولة الرسمى ولا تمنح الجنسية الا للمسلمين وقد استأثرت مالديف باهتمام رابطة العالم الاسلامى فى مكة المكرمة حيث قدمت مساعدات لها لخدمة الاسلام ونشر العلوم الاسلامية .

### سلطنة برونى :

تقع سلطنة برونى فى جنوب شرقى آسيا وتجاورها كل من ماليزيا واندونيسيا وتايلاند وسنغافورة وسكانها جميعا مسلمون ، وقد حصلت على استقلالها من بريطانيا عام ١٩٨٤ حيث كانت محمية بريطانية قبل ذلك وسلطانها من أصل عربى من نسل الدعاة المسلمين الذين قدموا اليها قبل عدة قرون واستقروا فيها وقاموا بدعوة أهلها الى اعتناق الدين الاسلامى ويعتبر البترول المصدر الرئيسى للدخل ، ويصل متوسط دخل الفرد فيها حوالى ٢٢ الف دولار امريكى فى العام ، وبذلك تعتبر ثانى دولة فى العالم من حيث رفاهية السكان بعد اليابان ، ويمتاز شعبها بالصفات الاسلامية الكريمة .

ومن الارجح ان الاسلام دخل الى هذه البلاد خلال القرون الاربعة الاولى للهجرة واتسع عن طريق التجارة بواسطة العرب الذين استقروا ونشروا الدعوة الاسلامية ، ومساجدها كثيرة وكذلك المدارس الاسلامية ، وهناك جمعيات اسلامية تشرف على الشؤون الدينية وهى على اتصال مستمر بالهيئات الاسلامية فى العالم مثل رابطة العالم الاسلامى فى مكة المكرمة .

### سنغافورة :

تقع سنغافورة فى جنوب شرق القارة الآسيوية، عند الطرف الجنوبي من شبه جزيرة الملايو ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ٢,٥ مليون نسمة ، وعدد



السكان المسلمون حوالى نصف مليون نسمة وسكانها خليط من عدة عناصر بشرية ففيهم ٧٥٪ من عناصر صينية ، ١٤٪ من عناصر ماليزية ، ٩٪ من الهنود ، ٢٪ من العرب والاوروبيين ، ونعتبر مشكلة تعدد العناصر فى سنغافورة من أبرز مشكلاتها اللغوية ، ومع ذلك فان اللغة الصينية هى السائدة ، أما اللغة الانجليزية فهى اللغة المشتركة بين السكان ، والعقائد الدينية هى الاخرى عديدة وفى مقدمتها البوذية ثم الكونفوشية والمسيحية .

ومعظم السكان المسلمين من الماليزيين والاندونيسيين وبعضهم يرجع الى اصول عربية ، وكان التجار العرب هم أول من نشروا الاسلام فى القرون الاولى للهجرة ، ثم اتسع انتشار الاسلام فى القرن التاسع الهجرى حين وصلت جماعات مسلمة عديدة من البلدان المجاورة .

وبالرغم من محاولات السلطات هناك أضعاف وحدة المسلمين وتطبيق سياسة العزل والفصل العنصرى بين المسلمين وبقية السكان الا أن المسلمين هناك استطاعوا رفع راية الدين الاسلامى الخفيف من خلال بناء حوالى مائة مسجد وثمانين مصلى فى جميع انحاء البلاد وترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الماليزية والاندونيسية والانجليزية ويشرف المجلس الاسلامى هناك على شئون المساجد والاقواف وبناء المدارس الاسلامية وهى نحو مائة مدرسة وتدرّس اللغة العربية . وتنعكس مظاهر اضطهاد المسلمين هناك على قلة عددهم فى الوظائف الحكومية ، وضالة المشاركة فى الحياة السياسية حيث سياسة التفرقة العنصرية على اساس الدين هى السياسة المطبقة تجاه المسلمين ومن مظاهرها - بالاضافة الى ماسبقت الاشارة اليه - تعرض المسلمين لحملات تفتيشية واعتقالات وعزل اجتماعى فى أماكن مخصصة لهم تعاني من سوء الخدمات ، وقد عكس ذلك تأثيراته على الاحوال الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين وربما يفسر ذلك سبب تقديم المملكة العربية

السعودية المعونات للمنظمات الاسلامية لبناء المستشفيات والمدارس بالاضافة الى جهود رابطة العالم الاسلامى وهيئة الاغاثة الاسلامية العالمية فى هذا الصدد .

### كمبوديا :

تقع جمهورية كمبوديا فى جنوب شرق آسيا ، تحدها فيتنام من الشمال الشرقى والشرق والجنوب الشرقى ، وتحدها لاوس من الشمال ، وتايلاند من الشمال الغربى والغرب ، وتصل كمبوديا على خليج اسام من الجنوب الغربى ، ويقدر عدد سكانها بحوالى ستة ملايين نسمة منهم مايقرب من مليون من المسلمين وقد انتقل الاسلام الى كمبوديا شأنها شأن شبه جزيرة الهند الصينية بواسطة التجار العرب الذين كان لهم الفضل فى نشر الاسلام هناك بين جماعات « تشام » خلال فترة ازدهار مملكتهم فى القسم الجنوبى من شبه جزيرة الهند الصينية ، كما انتشر الاسلام بين الجماعات الجاوية التى تنتمى الى العناصر الاندونيسية المقيمة والذين شرواهم الآخرين الاسلام بين جماعات تشام وهم ينتشرون فى المناطق الجنوبية والساحلية .

ظلت كمبوديا مملكة حتى احتلتها فرنسا ، ثم أصبحت جمهورية منذ سنة ١٣٧٦ هـ ، ثم انتقل اليه النفوذ الشيوعى وفى مناطق أخرى من منطقة الهند الصينية حيث عزل الامير سيهانوك عن حكم كمبوديا ، ومنذ ذلك الحين والنفوذ الشيوعى يرداد فى كمبوديا ، وكان المسلمون يعيشون فى سلام وهدوء حتى عام ١٩٧٥ م ثم بدأ النظام الشيوعى « الهومير » يقوم بعمليات تصفية للاقلية المسلمة الأمر الذى جعل المسلمين يفرون الى ماليزيا وتايلاند .

ولعل من مظاهر الاضطهاد التى تعرض لها المسلمون هناك قتل قادتهم وزعمائهم وعلمائهم ومشايخهم ، وكان من بين القتلى الشيخ عبد الله

ادريس شيخ الاسلام فى كمبوديا ، كما هدم الشيوعيون المساجد ومنعوا المسلمين من تأدية الصلاة ، وأجبروا بنات المسلمين على الزواج بغير المسلمين ، كما منعوا المسلمين من استخدام لغتهم ، وأحرقوا كتب التراث الإسلامى ، ومنعت السلطات الشيوعية الشباب من سن الخامسة عشرة من الإقامة مع والديهم وأجبرتهم على الأسلوب الجماعى فى المعيشة فى معسكرات الشباب حتى يضعف تمسكهم بالدين الإسلامى القويم ، وقد انعكست مظاهر هذا الاضطهاد على انخفاض عدد المسلمين فأصبحوا يقلون عن ربع مليون نسمة يعيشون معزولين فى المناطق النائية دون خدمات تذكر .

### كوريا الجنوبية :

يفصل البحر الأصفر بين كوريا الجنوبية والصين ، كما يفصلها بحر اليابان من جهة الشرق ، أما الاتحاد السوفيتى فيقع فى شمال كوريا ، والصين فى الشمال الغربى ، وسكانها نحو ثمانية وثلاثين مليون نسمة ، أما الأقلية المسلمة فتبلغ حوالى خمسة وعشرون ألف نسمة إذ أن الإسلام دخلها مؤخرا ، ومع ذلك فإن المصادر التاريخية تشير الى وصول التجار العرب فى القرن الثالث الهجرى الى المملكة الكورية ، وأن علاقات تجارية قد اقيمت بها ، وأن العرب وفدوا اليها عن طريق بلاد الصين .

وقد سبقت الإشارة أن وصول الإسلام الفعلى الى هذه البلاد كان فى الفترة الاخيرة ، وعلى وجه التحديد سنة ١٩٥٠م من خلال القوات التركية المسلمة التى كانت ضمن قوات الامم المتحدة ، وكان لهذه القوات امام اسمه الشيخ عبد الرحمن ، كما شيدت القوات التركية مسجدا لتأدية الصلاة ، واعتنق أكثر من أربعة آلاف كورى الإسلام فى بضع سنوات ، وازداد عددهم ومكاثتهم الاجتماعية من خلال الزيارات المتبادلة بين علماء المسلمين هناك والدول الإسلامية بهدف توثيق العلاقات بين مسلمى كوريا

## والعالم الاسلامى

وقد اعترفت وزارة الارشاد الكورية بالاتحاد الاسلامى الكورى الذى يرأسه الشيخ صبرى سوح سنة ١٩٦٧ م ، وتبرع رئيس جمهورية كوريا بأرض لاقامة مسجد ومركز اسلامى فى مدينة سيئول العاصمة ، وتم افتتاح مسجدين آخرين سنة ١٩٨١ م ، وصدرت العديد من النشرات الاسلامية كما تكونت العديد من الجمعيات الاسلامية الخيرية ، وهذه الانشطة جعلت عدد المسلمين يرتفع الى حوالى خمسة وعشرين الف ويتنظر تضاعف هذا العدد بأذن الله من خلال الجهود الاسلامية الرائدة فى بناء جامعة اسلامية فى سيئول وجهود تثقيف الشباب المسلم ونشر الدعوة الاسلامية من خلال العديد الجمعيات والمنظمات المحلية ذاتها مثل الجمعية الاسلامية الخيرية والمنظمة الطلابية الكورية الاسلامية وجمعية الشباب المسلمين ولجنة الدعوة الاسلامية .

## هونج كونج :

تتكون هونج كونج من مجموعة من الجزر الصغيرة التى تقع على الساحل الجنوبى للصين الشعبية ، وسكانها خليط بشرى معظمهم من الصين الشعبية ، أما الاقلية منهم من الهنود والباكستانيين والماليزيين ، والديانات هناك مختلفة بين البوذية والكونفوشية ثم اليهودية والمسيحية أما الاقلية المسلمة فتبلغ نحو عشرين الف مسلم من مجموع السكان البالغ حوالى مليونين ونصف مليون نسمة .

كان شأن هونج كونج مثل بقية هذه الدول فى جنوب شرقى آسيا من حيث وصول الاسلام اليها من خلال التجار العرب والوفود الاسلامية الى كانتون - فى الصين انشيعية - اخاررة لجزر هونج كونج ، ثم توات هجرة المسلمين اليها من جزر الهند الشرقية ومن الملايو ، وكانت هونج كونج ملجأ

للمسلمين الصينيين الذين هاجروا اليها قرارا من الاضطهاد الشيوعى حيث لم تغلق الحدود بين هونغ كونج والصين الا فى عام ١٩٥٠ م . وبمقارنة أوضاع المسلمين فى هونغ كونج بأوضاعهم فى كوريا الجنوبية أو سنغافورة أو كمبوديا ، نجد أنه رغم ضآلة عددهم الا أنهم تمكنوا من رفع دين الاسلام وكلمة الحق ونشر الدعوة الاسلامية بدرجة مشرقة حيث يوجد عدد من الهيئات الاسلامية يضمها اتحاد المنظمات الاسلامية ، وتشرف هذه الهيئات على شئون المساجد والتعليم الدينى وتوجد الكثير من المدارس الابتدائية الاسلامية لتعليم ابناء المسلمين تعليما اسلاميا ، كما توجد كلية هونغ كونج الاسلامية ويهتم منهاجها بالدراسات الاسلامية واللغة العربية وقد اختلفت الهيئات الاسلامية فى هونغ كونج بقدم القرن الخامس عشر الهجرى فاقامت ثروة عالمية للشباب المسلم فى ابريل سنة ١٩٨٠ وشارك فيها ممثلون عن المسلمين فى اليابان وكوريا وتايوان والصين الشعبية والفلبين وتايلاند وغيرها .

### الصين الوطنية :

يطلق عليها تايوان وتقع فى جنوب شرقى آسيا ، فى المحيط الهادى ، ويفصلها عن الصين الشعبية مضيق فورموزا ، ويصل عدد سكانها الى نحو ثمانية عشر مليون نسمة ، وعدد المسلمين فيها حوالى عشرون الف هاجروا اليها من الصين الشيوعية سنة ١٩٤٩ م بعد استيلاء الشيوعيين على مقاليد الامور ، ثم ازداد عدد مسلمى تايوان ليصبح خمسين الف مسلم فى الفترة الاخيرة ، وهم فى زيادة مستمرة نظرا للاوضاع الجيدة لهم بسبب حرية العقيدة حيث حوالى ثلاثين عضوا فى المجالس التشريعية ، ويوجد نائبان للرزاء ، والعديد من الرتب العسكرية العليا فى الجيش ، كما أن أوضاعهم الاقتصادية جيدة .

ينتشر المسلمون في مدينة « تايبه » العاصمة ، وفي مدينة « شوغلي » ،  
ومدينة « تايشنج » ومدينة « كاوسنج » وينتمون أصلا الى الاتراك والصينيين  
الذين دخلوا الاسلام في مرحلة مبكرة ، وتوجد لهم عدة مساجد ، ولهم  
نشاطهم الشديد بأمر الدين الاسلامي حيث اصدروا عدة تراجم لمعاني القرآن  
الكريم باللغة الصينية بلهجتهم الماندارينية بالاضافة الى ترجمة العديد من  
الكتب الاسلامية ، وتشرف الجمعية الاسلامية الصينية على مشون المساجد  
وأمر التعليم الاسلامي ونشر مبادئ الاسلام وانشاء مركز ثقافي اسلامي  
وارسال البعثات التعليمية الى الدول الاسلامية للتخصص في العلوم الاسلامية  
وهناك مجلة اسلامية شهرية بعنوان « المسلمون في الصين » باللغة العربية  
واللغة الاسلامية كما أن رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة وهيئة الاغاثة  
الاسلامية العالمية تبدلان جهودهما لمساعدة مسلمي تايوان .

#### اندونيسيا :

تقع اندونيسيا في الجنوب الشرقي من قارة آسيا ، وتتكون من مجموعة  
كبيرة من الجزر ، وعدد سكانها نحو ١٤٥ مليون نسمة ، وهي تعتبر من  
أكبر الدول الاسلامية من حيث عدد السكان في التاريخ المعاصر ،  
وعاصمتها جاكارتا .

انتقل الاسلام الى اندونيسيا من خلال التجار العرب ، الذين زاد نشاطهم  
وخاصة تجار عمان ، وخضر موت ، واليمن وبعث الاسلام روحا جديدة  
وحضارة راقية لدى سكان هذه الجزر . وهناك من المؤرخين من يرى ان  
الاسلام وصل الى اندونيسيا بعد توقف موجة الفتوحات<sup>(١)</sup> الاسلامية في

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع : دكتور محمد نصر مهنا الفتوحات الاسلامية والعلاقات السياسية في  
اسيا ، مرجع سابق .

العصر العباسي حيث انصرف المسلمون الى التجارة ونشر العلوم الاسلامية ، واتجهت السفن من سواحل الجزيرة العربية الى المشرق ومعها الدعاة والعلماء الذين وهبوا أنفسهم للدعوة الاسلامية ، وتذكر مصادر أخرى أن تجار اندونيسيا كانوا يحضرون الى بغداد في عصر الخليفة هارون الرشيد في القرن الثاني الهجري ، وعند عودتهم منها كانوا يحملون معهم عقيدة الاسلام ونشرها بين مواطنيهم ، وأخذ الاسلام يتوسع انتشاره حتى أسس المسلمون في هذه البقاع مملكة « برلاك » التي تحدث عنها الرحالة الاوروبي ماركو بولو سنة ١٢٩٢م في جزيرة سومطرة التي لم تخلو هي الأخرى من جاليات اسلامية .

ونظرا لوضوح العقيدة الاسلامية في الامور الدينية والاخلاقية والاجتماعية بالاضافة الى بساطة تعاليم الاسلام في المساواة والعدل بين الاخوة المسلمين فقد أدى ذلك الى اعتناق الكثيرين للاسلام عن قناعة وايمان وعقيدة وحدث تزاوج بين العرب والنساء الاندونيسيات مع أن اندونيسيا ليست من البلاد التي تعرضت للفتوحات الاسلامية ، الا أندونيسيا تعد أكبر الدول الاسلامية اذ يبلغ عدد المسلمين مايقرب من مائة وأربعين مليونا من المسلمين من مجموع السكان ١٥٥ مليون نسمة الذين ينتمون الى جنس الملايو ، وأصلهم منغولي ، وعنصر الملايو هو الذي دخل معظم الناس فيه الى الاسلام ، وأكثرتهم يقمون في جزيرة جاوة ويتكلم السكان أكثر من ثلاثين لغة الا أن اللغة الملايوية هم الأكثر انتشارا ، ومع ذلك فان الاندونيسيين يفضلون اللغة العربية ويتمنون تعلمها وانتشارها في بلادهم .

وقد أسس المسلمون الاوائل عدة ممالك اسلامية في جزر مختلفة في اندونيسيا وأهمها مملكة ( مالاكا ) في الملايو ، ومملكة ( سومطرة ) التي زارها الرحالة العربي ابن بطرطة في القرن الثامن الهجري ، ومملكة ( بنتن ) في

عرب جاوة وقد أسسها السلطان حسن الدين فى القرن التاسع الهجرى ،  
ومملكة ( ديماك ) فى وسط جاوة التى أسسها السيد رمضان فى القرن الثامن  
الهجرى ، ومملكة ( مقارام ) فى شرق جاوة ، ومملكة ( بالمباغ ) فى جنوب  
سومطرة ، ومملكة ( آتشييه ) فى شمال سومطره التى يعتبرها البعض أول  
مملكة اسلامية .

وليس أدل على روعة " الاسلام وانتشار فى هذه البقاع النائية من قارة  
آسيا أن عدد المساجد الكبيرة فى اندونيسيا وحدها يبلغ نحو مائة ألف  
مسجد ، فى حين يبلغ عدد المساجد الصغيرة حوالى نصف مليون مسجد  
تؤدى فيها الصلوات الخمس ، وتدرس فيها العلوم الانسانية وتحفظ القرآن  
الكريم .

### الفلبين :

الفلبين مجموعة من الجزر تقع فى جنوب شرق آسيا ، وتقع الصين فى  
شمال الفلبين ، واندونيسيا فى الجنوب ، والمحيط الباسفيكى فى الشرق ،  
والهند فى الغرب ، واليابان فى الشمال الشرقى ، وهونج كونج فى الشمال  
الغربى ويبلغ عدد السكان نحو ٤٣ مليون نسمة ، منهم أكثر من ستة  
ملايين مسلم ، وكانت الوثنية هى الديانة القديمة لمعظم سكان الفلبين فى  
حين أصبح معظم سكانها يدينون بالمسيحية فى الوقت الحاضر .

انتشر الاسلام فى الفلبين من خلال جهود التجار العرب فى ارشاد  
السكان وتكونت امارات وسلطنات اسلامية ظلت فترة طويلة من الزمن حتى  
مجىء الاستعمار الاسبانى عام ٩٤١ هـ . وتجدر الاشارة أن التجار العرب  
كانوا مثالا يحتذى به فى المعاملات التجارية والاخلاق . ونرى كتابة : نجبة

---

(١) وهو ما لمسه الباحث بنفسه خلال عمله فى أماكن متفرقة من قارة آسيا .



الدهر فى عجائب البر والبحر» يحدد العلامة الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد الانصارى وكان نزول العرب من العلويين الى هذه الجزر قائلاً : « دخل قوم من العلويين فى ست جزر شرقية تسمى « سيلى » فاستوطنوا فيها ، وتنامت لوان فيها ، وملكوا عليها ، وماتوا بها ، وقال أهل العلم بذلك ، ومن أجزله سيلى بعض جزر الفلبين » . وفى كتابه « تاريخ اندونيسيا » ، يذكر على خير الدين أن دخول العلويين الاشراف الى الفلبين كان فى الفترة من ٧٨٥ حتى ٩٠٦ هـ وانهم قدموا من بلاد العرب - بقصد حضر موت - ومروا فى طريقهم بالهند ثم جزر المحيط الهندى ، ومنهم من توقف فى شبه جزيرة الملايو وجزيرة جاوه وجزيرة سومطره وجزيرة بورنيو وغيرها ، وبعضهم واصل الرحلة حتى جزر الفلبين ، وقام هؤلاء بجهود كبيرة فى نشر تعاليم الاسلام حتى اطلق عليهم المأؤرخون دعاة الاسلام فى الشرق الاقصى .

تعمل الكثير من المؤسسات الاسلامية فى الفلبين على نشر الاسلام وعلومه ، ومن أهم هذه المؤسسات مركز الدعوة الاسلامية فى مدينة مراوى ، وجمعية مسلمى الفلبين ، وجمعية كامل الاسلام ، وجمعية هداية الاسلام ، وجمعية التربية الاسلامية ، وجمعية اقامة الاسلام ، وجمعية مؤتمر الاسلام ، والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية . ويتم الانفاق على المدارس الاسلامية من تبرعات الاهالى ، وتهتم هذه المدارس حتى المرحلة الثانوية بالقرآن الكريم والدراسات الاسلامية واللغة العربية ، كما أنشئت جامعة الفلبين الاسلامية عام ١٩٥٥م فى مدينة مراوى ، ثم انشئ مركز الملك فيصل للدراسات العربية والاسلامية فى عام ١٩٧٣م وتحوله المملكة العربية السعودية . ويقدر عدد المساجد بنحو ثلاثة آلاف مسجد وقد تم تأسيسها من خلال الجهود الذاتية لمسلمى الفلبين .

## اليابان :

تقع اليابان فى شرق قارة آسيا ويبلغ عدد سكانها حوالى ١٢٠ مليون نسمة ، ويصل عدد المسلمين الى مائة الف نسمة ، وربما يفسر قلة عدد المسلمين هناك تأخر وصول الاسلام اليها ، فى حين وصل الاسلام الى الصين - المجاورة لليابان - فى زمن مبكر . وقد تصل اليابانيون بالمسلمين من خلال النشاط التجارى اليابانى وانفتاحه على الدول الاسلامية المجاورة مثل اندونيسيا وغيرها من دول الهند الصينية التى يعيش فيها الاقليات الاسلامية ، وكان هذا بمثابة مصدر أخذ اليابانيون الاسلام من خلاله ، بالاضافة الى ظروف الحرب العالمية الثانية والتى جعلت عددا من اليابانيين العسكريين يعتنقون الاسلام أثناء وجودهم فى هذه البلاد بالاضافة الى سكان المستعمرات اليابانية فى جنوب شرق آسيا التى كانت هى الاخرى مصدرا لاعتناق عدد من اليابانيين للاسلام .

عرف اليابانيون معلومات أولية عن الاسلام من جيرانهم الصينيين ، وكذلك مما كتبه الاوروبيون ، وبانفتاح اليابان على العالم الخارجى واتصالها بالعالم الخارجى بعد خروجها من العزلة فى القرنين الماضيين وجدت الدعوة الاسلامية طريقها الى قلوب اليابانيين وهو ما استدعى وقفة للتفسير ، فقد زارت إحدى السفن الحربية التركية موانئ اليابان فى مستهل القرن الرابع عشر الهجرى ، غير أنها تحطمت عند عودتها قرب جزر اليابان وأرسلت اليابان إحدى سفنها تحمل الاحياء الى استانبول ، وكان هذا أول اتصال اسلامى مع الدولة العثمانية ، وفى اعقاب الحرب العالمية الاولى افتح اليابانيون مفوضية فى استانبول وأرسلوا مبعوثا الى جدة لتوثيق العلاقات مع الدول الاسلامية ، وعقد مؤتمر الديانات فى طوكيو سنة ١٣٢٦هـ حضره مندوبون عن بعض الدول الاسلامية الذين بذلوا جهودهم فى التعريف

بالاسلام .

وتجدر الاشارة أنه عندما قامت الحرب الروسية اليابانية فى مستهل القرن العشرين الميلادى ، زاد اتصال اليابان بالعالم الاسلامى حيث وصل العديد من مسلمى روسيا الذين طردوا منها الى اليابان وكان منهم الدعاة الذين اقتنعوا أحد كبار العسكريين اليابانيين باعتناق الاسلام ، ودخل عدد اللاجئين المسلمين من روسيا الى اليابان حوالى الف مسلم وكان هذا أول وصول جماعى للمسلمين الى هناك وهو ما يفسر وجود المسلمين اليابانيين الذين ينتمون الى التركستان الغربية « أوزبكستان » .

ازدهر انتشار الاسلام بين اليابانيين عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية من خلال العسكريين الذين عادوا لليابان قادمين من الدول الاسلامية فى جنوب شرقى آسيا - كما سبقت الاشارة - كما اتجه الى اليابان الدعاة الاسلاميون من الهند وباكستان لنشر الاسلام هناك وهناك عدد من المسلمين اليابانيين أنفسهم الذين تحملوا مسئولية الدعوة الاسلامية ، ومن أنشطهم طبيب يابانى اسمه « شوقى فوتاكى » الذى اسلم على يديه نحو عشرة آلاف يابانى . ويوجد العديد من المساجد التى تبرعت بنفقات بنائها دولة الامارات العربية .

بذلت الجمعيات الاسلامية فى اليابان جهودا كبيرة فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية من خلال بناء المدارس الاسلامية والاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية ، كما اقامت رابطة العالم الاسلامى مركزا اسلامية فى مدينة طوكيو ، وأصبح هذا المركز مقرا معترفا به من الحكومة اليابانية والجامعات والهيئات العلمية حتى وصل عدد المسلمين اليابانيين من خلال هذه الجهود الى نحو ثلاثين الف ، ومن ناقلة القول أن الدستور اليابانى ينص على عدم التدخل فى المعتقدات الدينية وهو ما جعل المسلمين يقتربون من

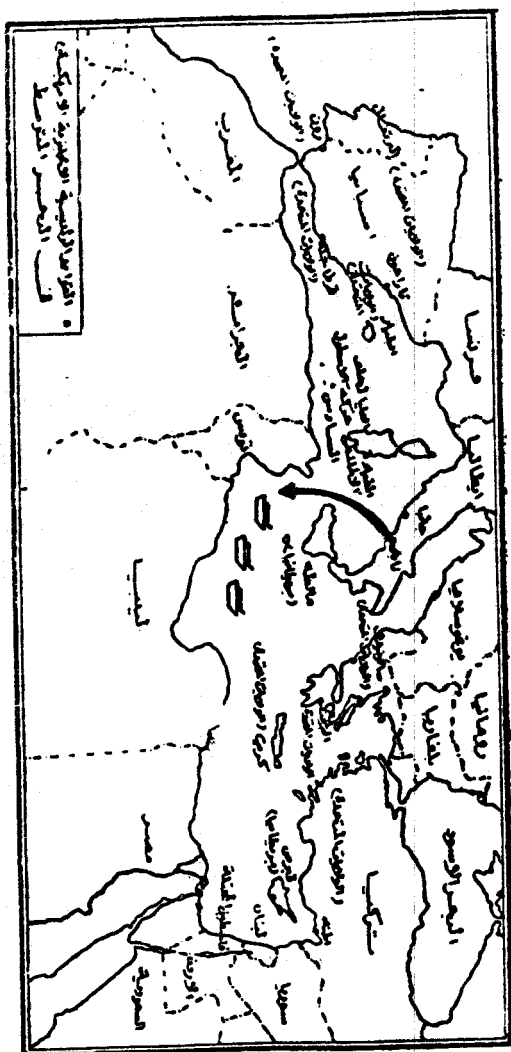
المائة الف نسمة وجاء انتشار الاسلام - على حد قول الطرازى (١) مكسب  
كبير للمسلمين وانتصار عظيم للاسلام .

---

(١) اعتمدنا فى هذا الجزء من الدراسة على الدكتور / عبد الله مبشر الطرازى ، مرجع سابق والذي  
اعتمد بدوره على المنشورات القيمة لرابطة العالم الاسلامى . حول خدمة الاسلام فى دول آسيا  
وافريقيا .

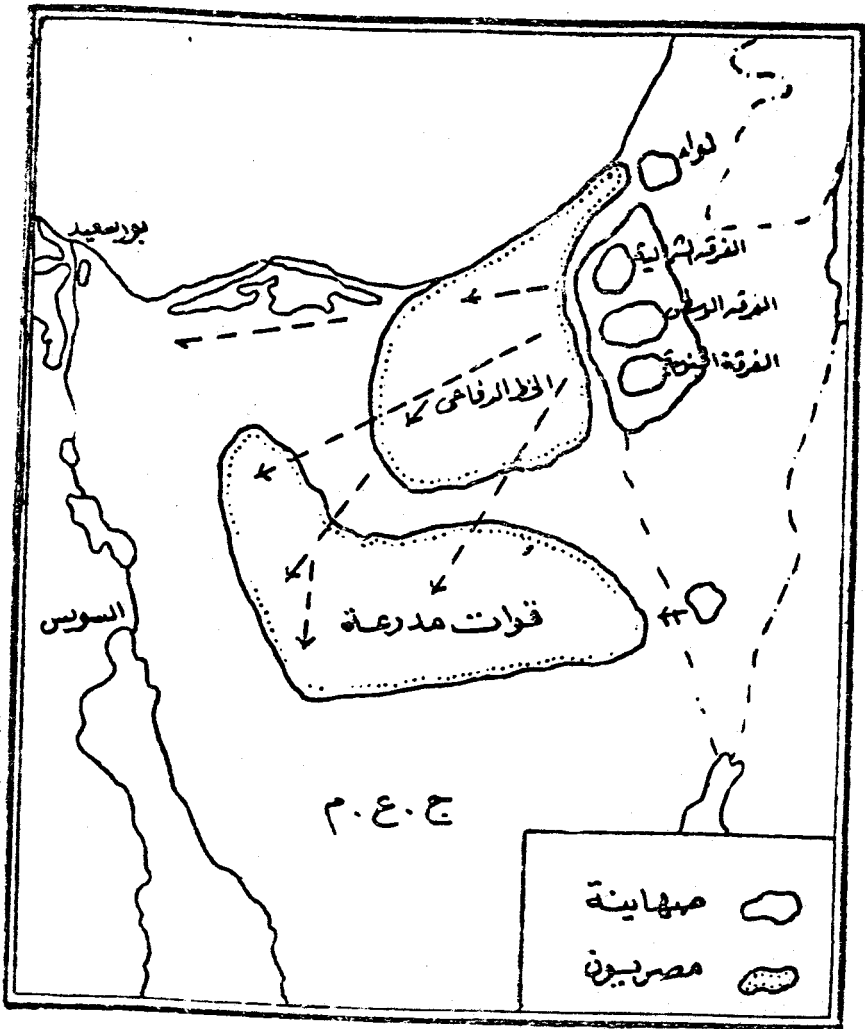
الخزائن ط





المصدر : صحيفة لوماسيتين في ١٩١٧/٥/٢٩

(شكل ٨)



المصدر: الجنرال بوفير - مجلة استراتيجية

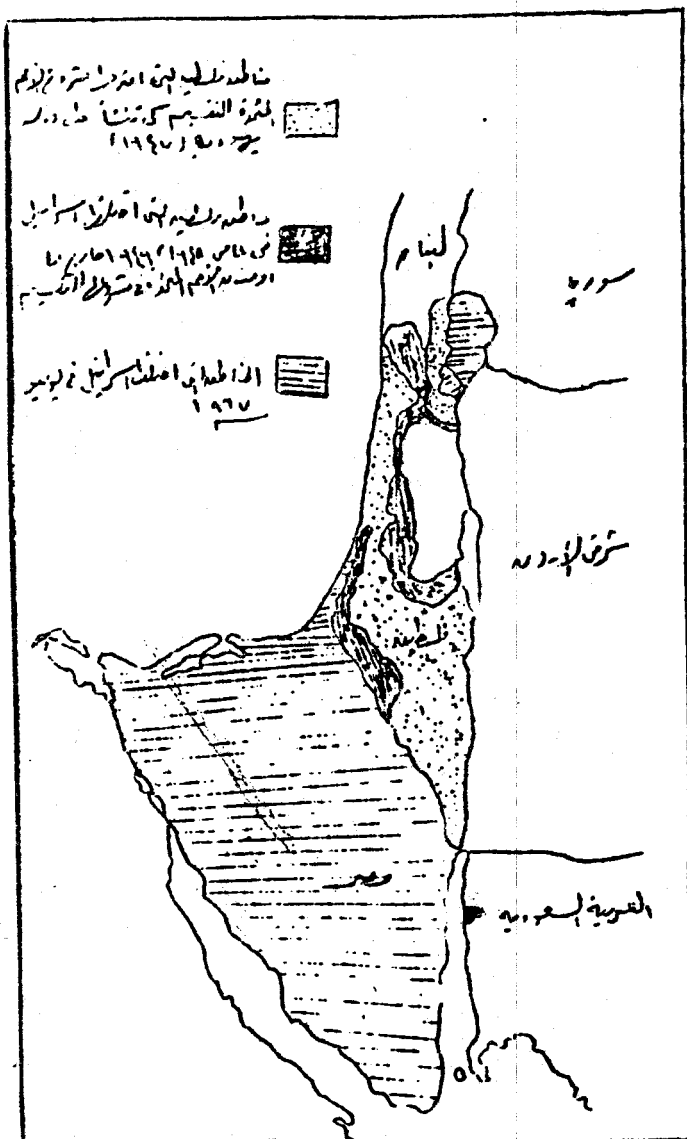






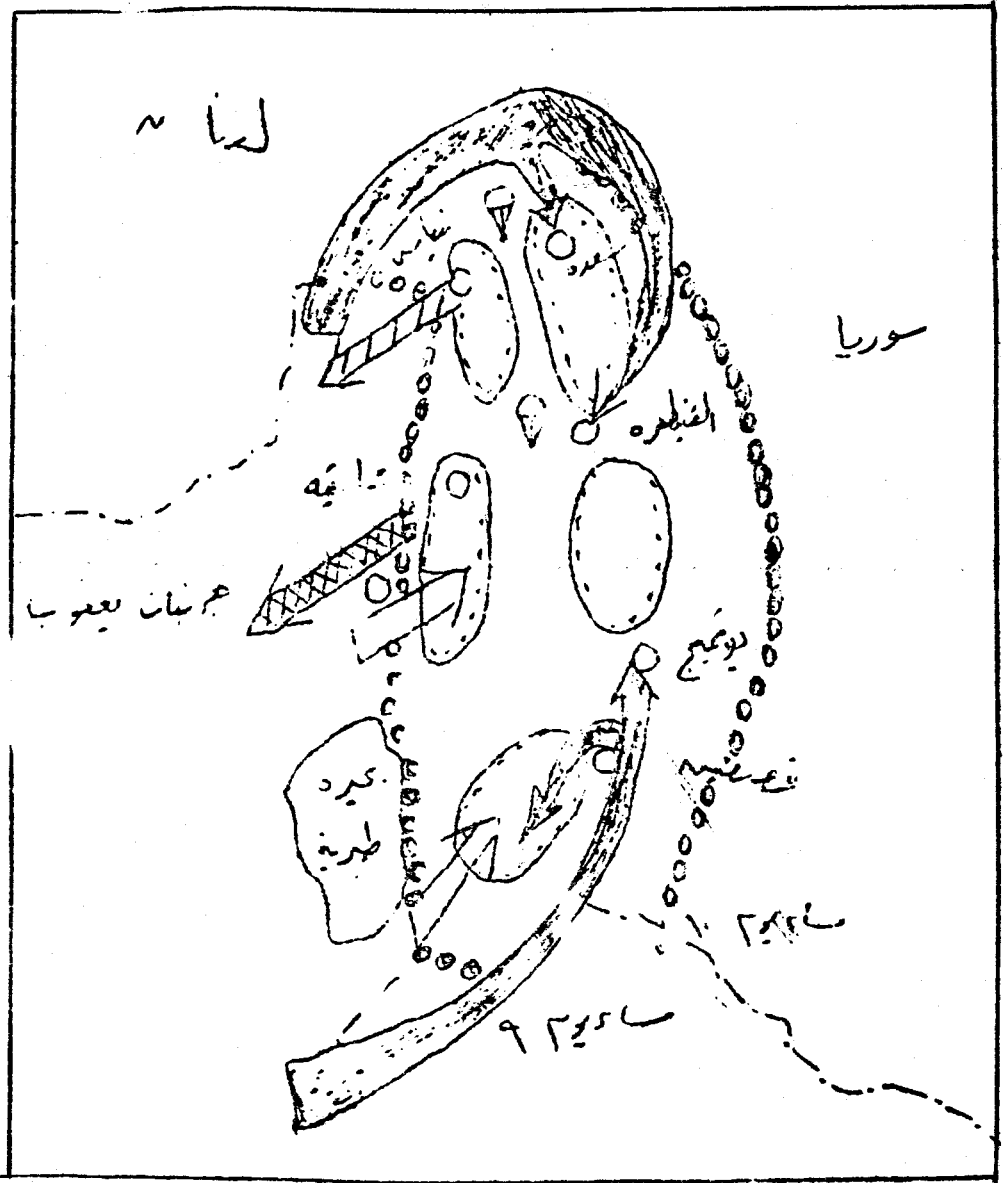






التوسع الاسرائيلي ١٩٤٧ / ١٩٤٨ - ١٩٦٧

# خطة عمليات : سقوط الجولان



المستعمرة الصهيونية في فلسطين

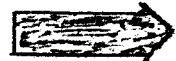
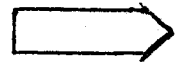
هجوم العدو يوم ٩

هجوم العدو يوم ١٠

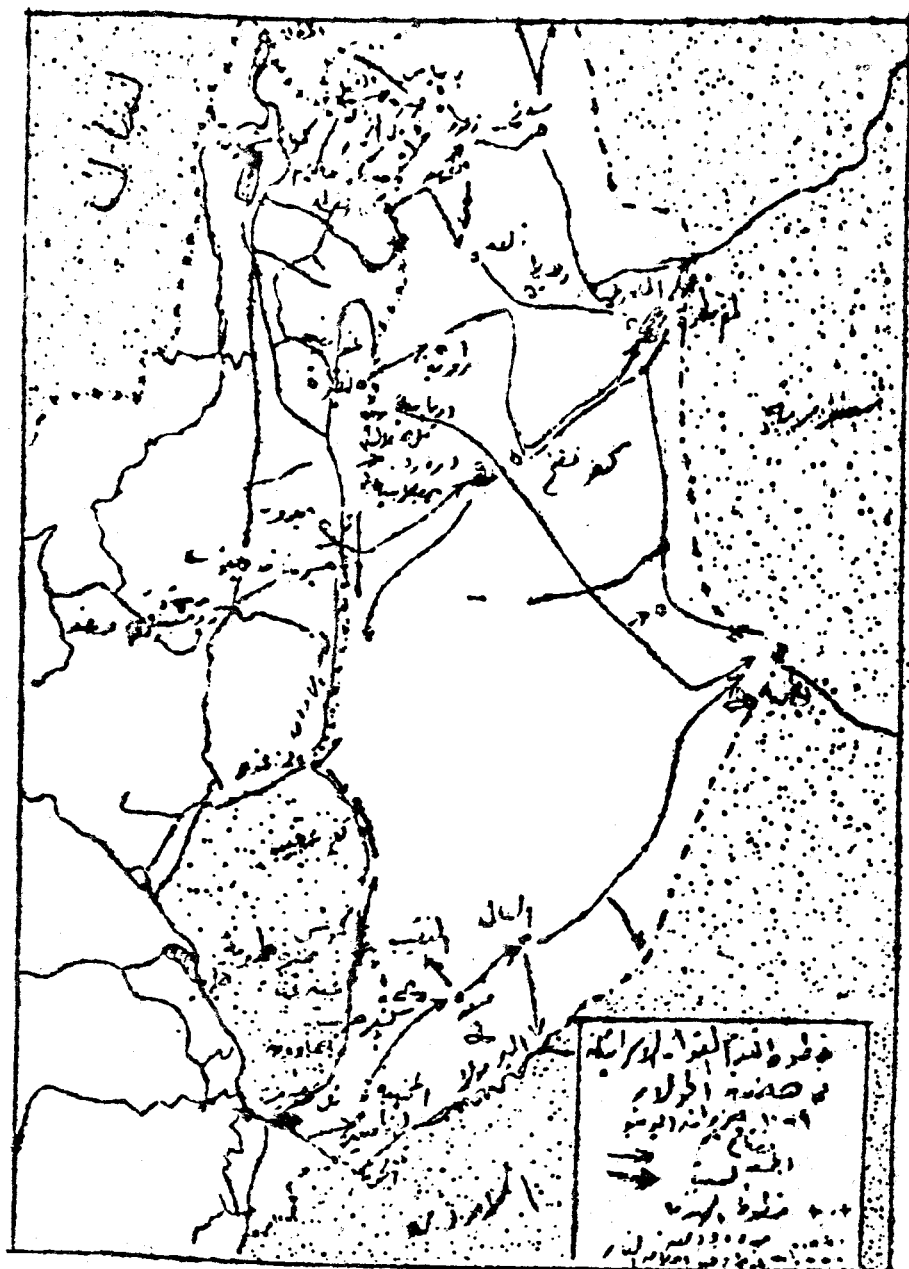
هجوم سوري يوم ٦

هجوم سوري يوم ٧

سوريا



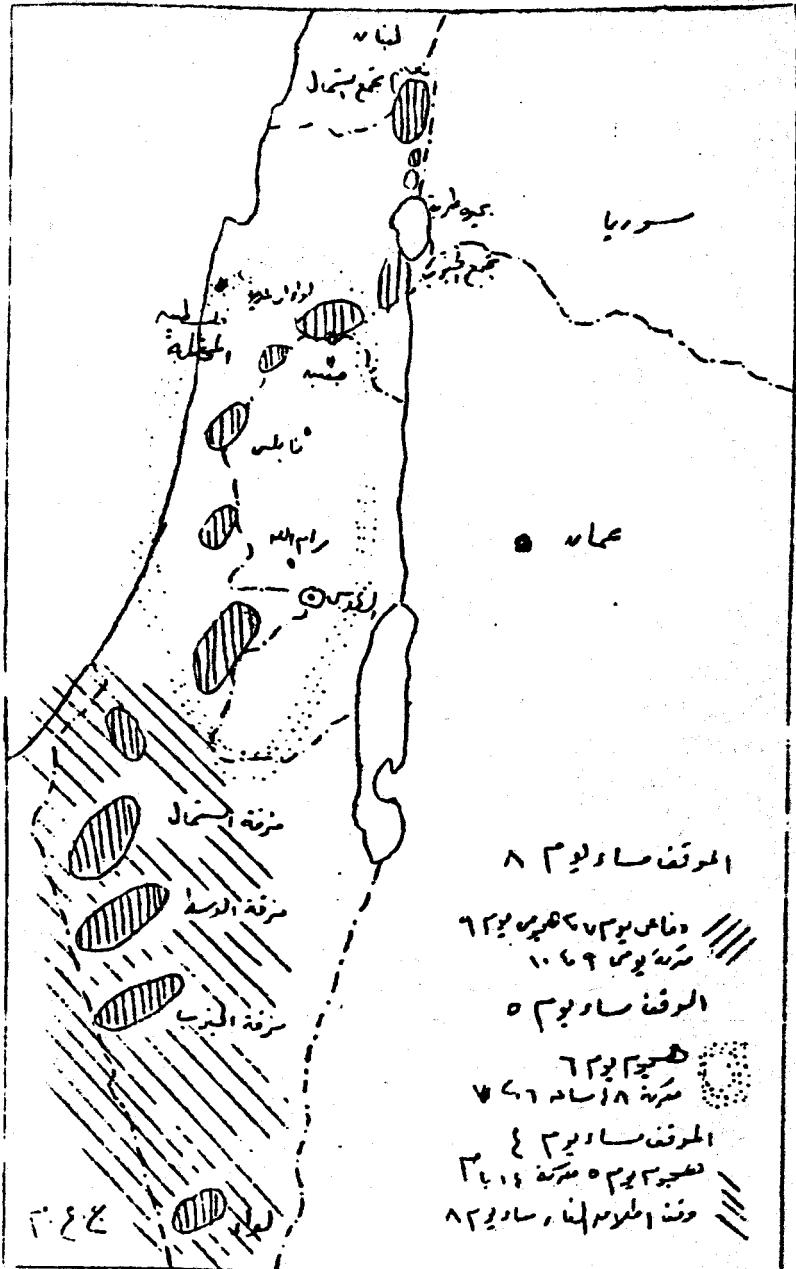




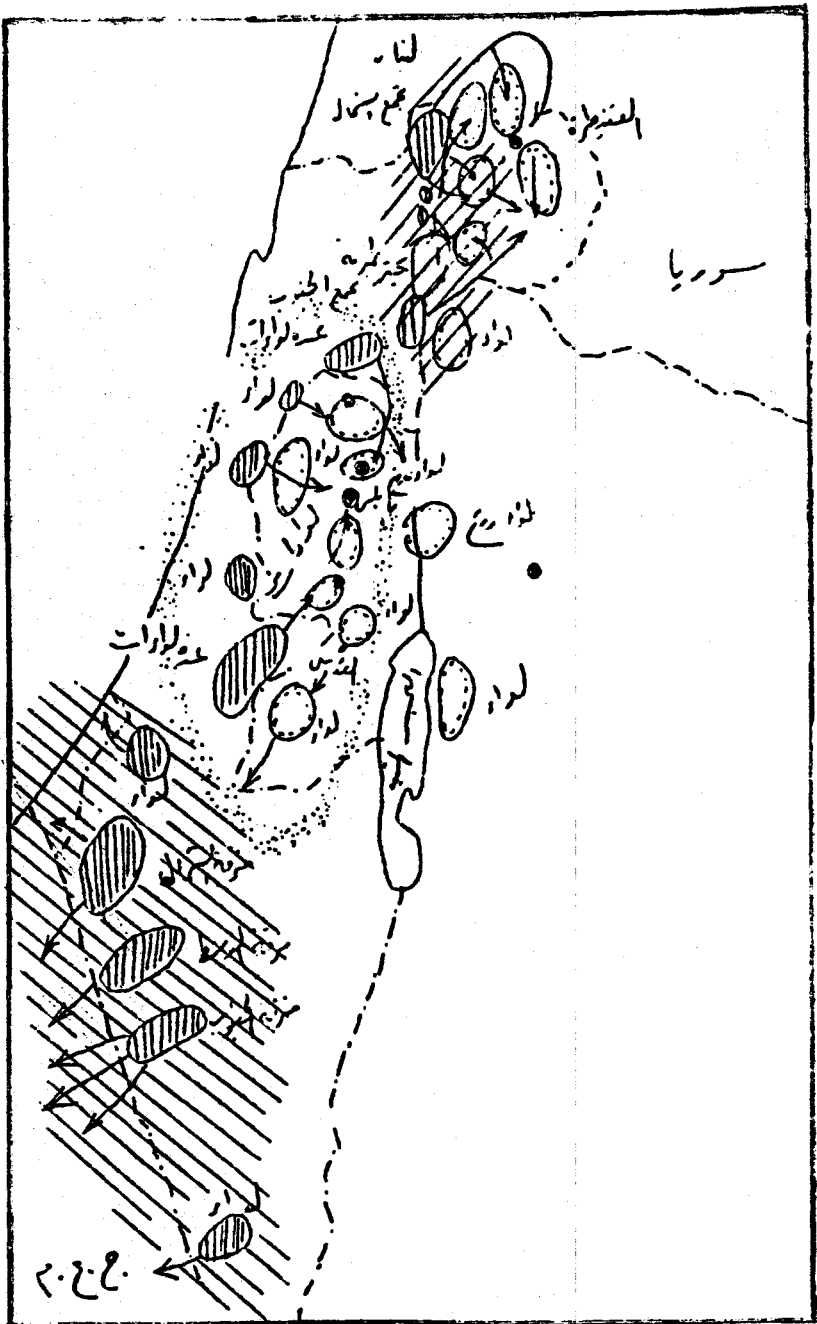
المصدر .. حرب الايام الستة وزارة الدفاع الاسرائيلية ١٩٦٧.



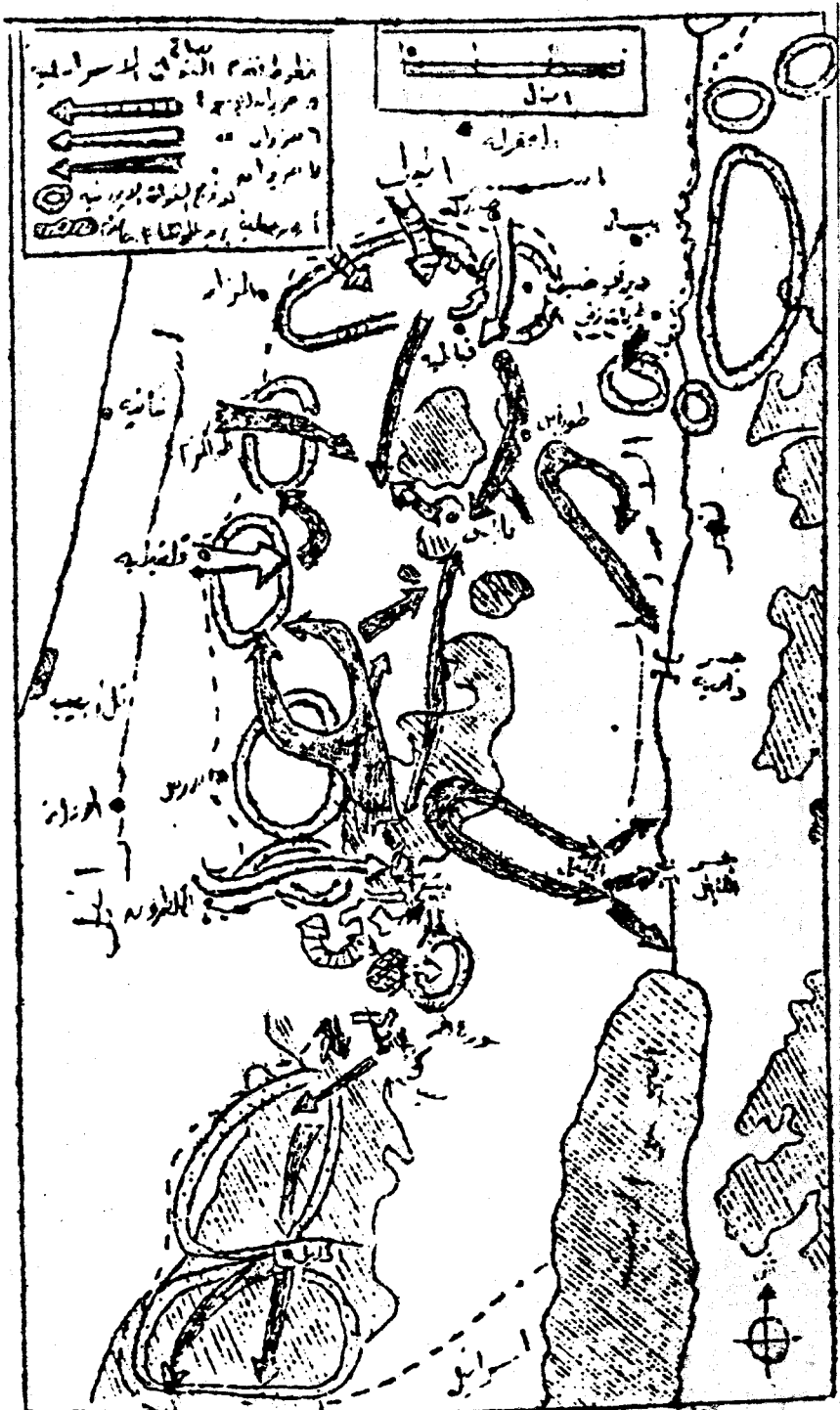




مواقع الجبهات الصهيونية الثلاثة .



عمليات على الجبهتين الشرقية و الشمالية .



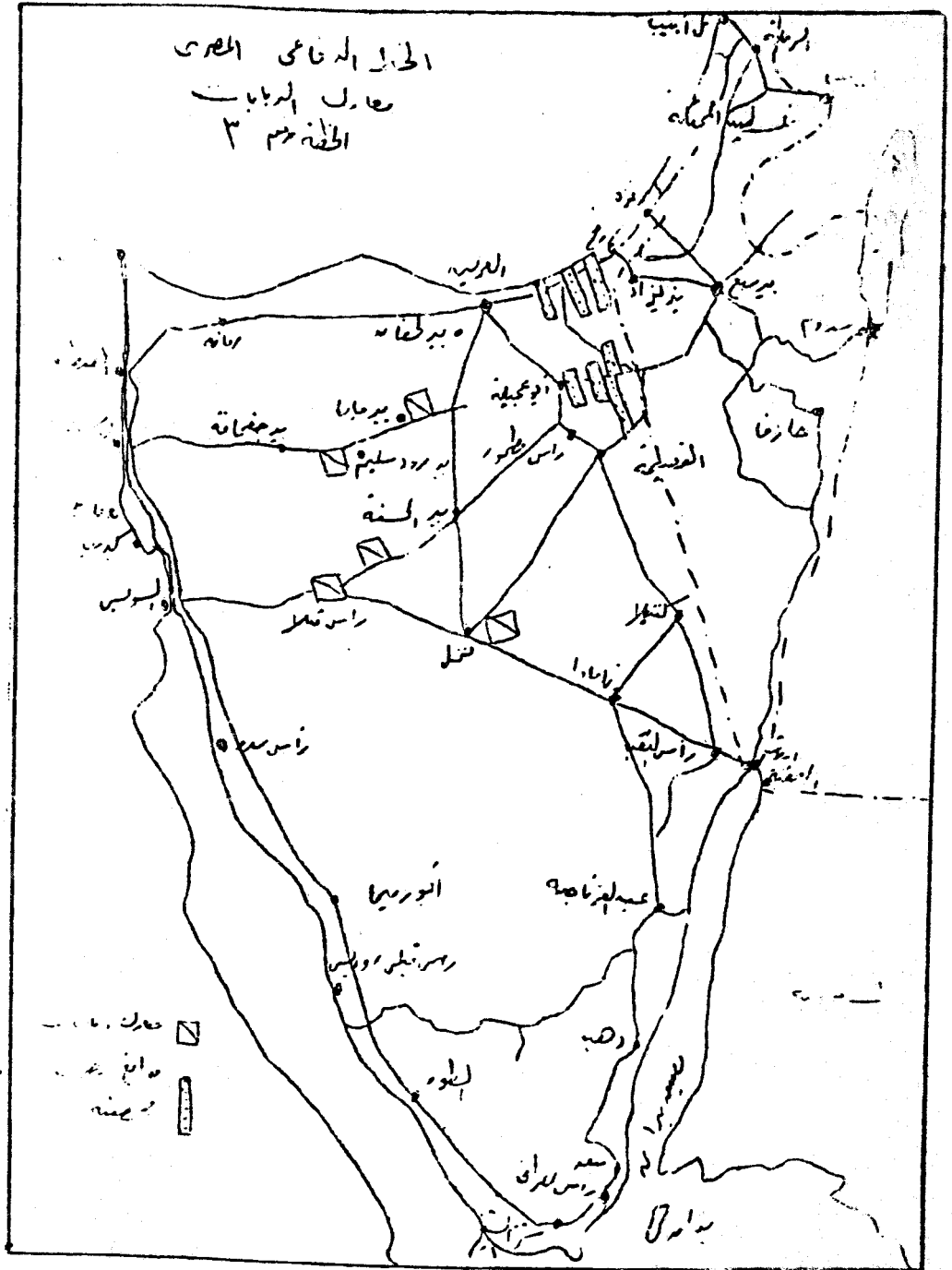
سدر .. حرب الايام الستة راندولف تشرشل دونستون تشرشل  
(نجد) ١٩٦٧ .







الحزب الإسلامي المصري  
معارف الشباب  
الطبعة رقم ٣



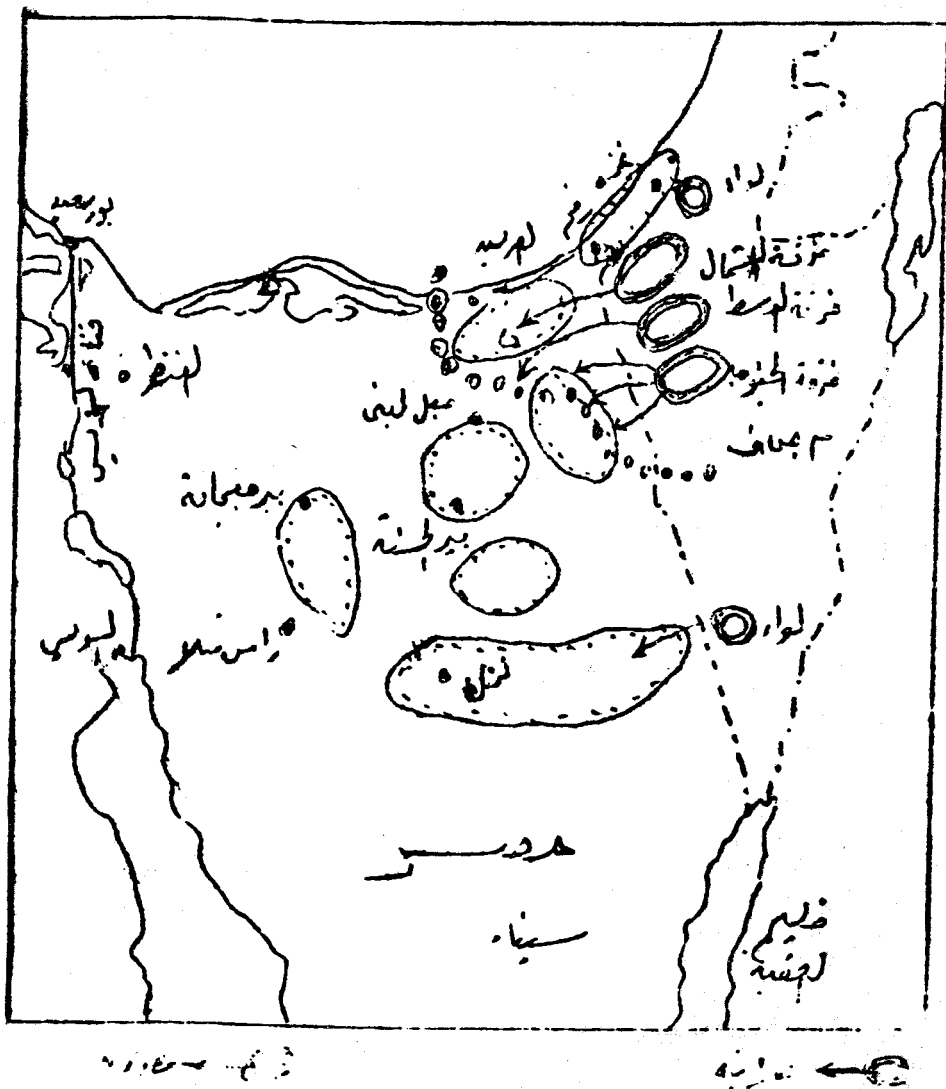








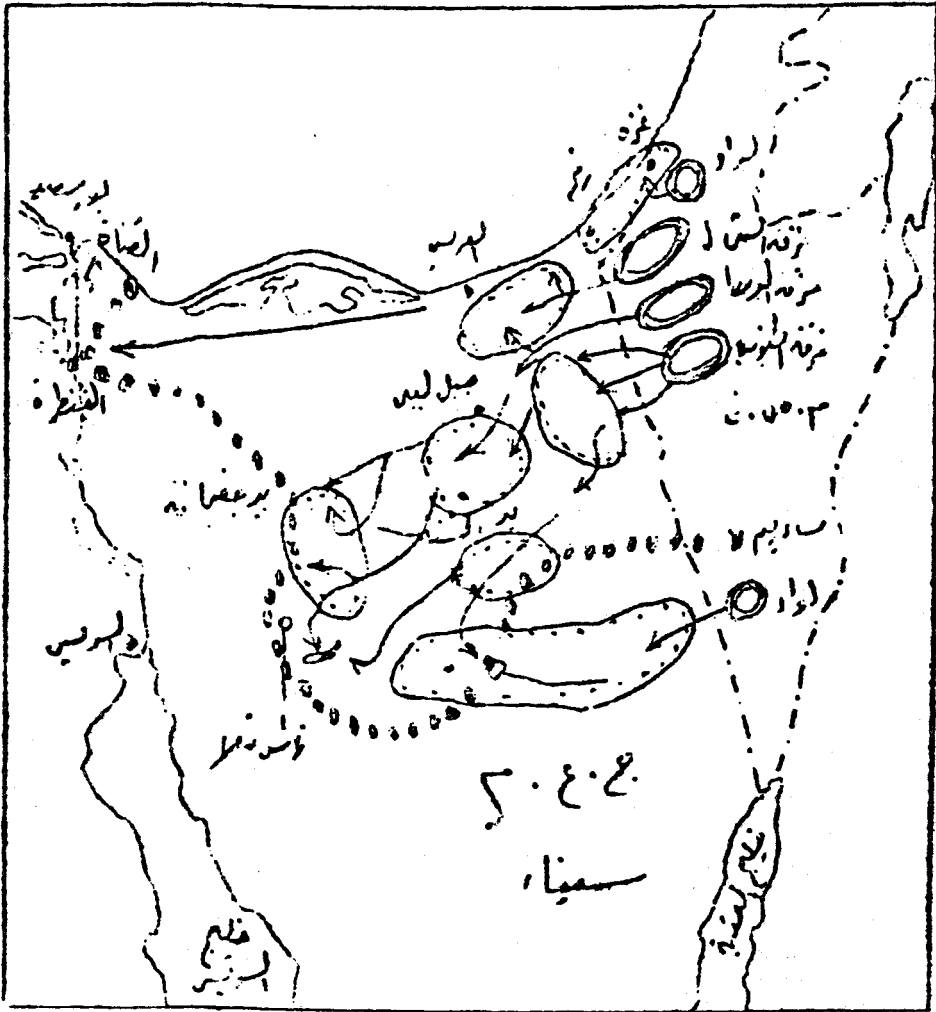
## عملية سيناء يوم الاثنين ٥



المصدر : الجنرال بوفر - مجلة استراتيجية .

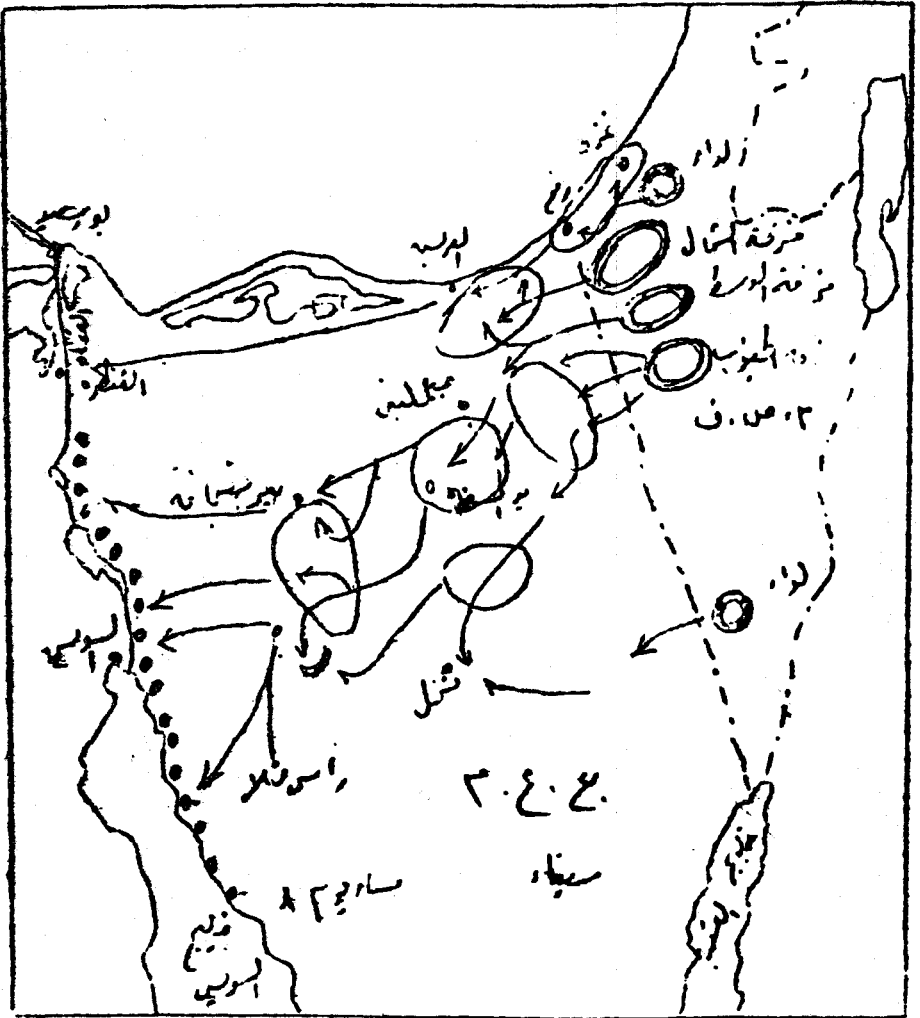


# عملية سيناء يوم الاربعاء ٧ .



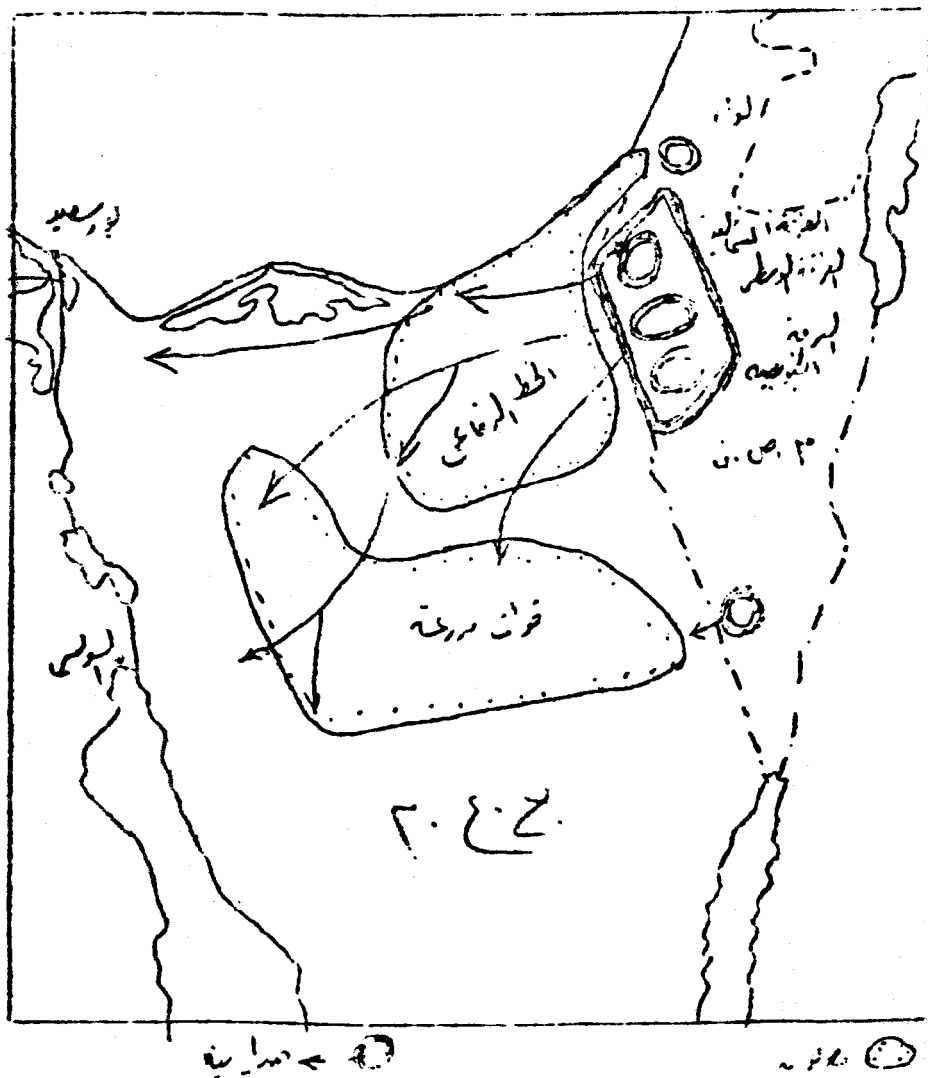
المصدر : الجنرال بوفر - المجلة الاستراتيجية .

## عملية سيناء يوم الخميس ٨



المصدر : الجنرال بوفر - المجلة الاستراتيجية .

# خطة المعركة الصهيونية ( اخطة رقم ١ )



المصدر : الجنرال بوفر - المجلة الاستراتيجية .



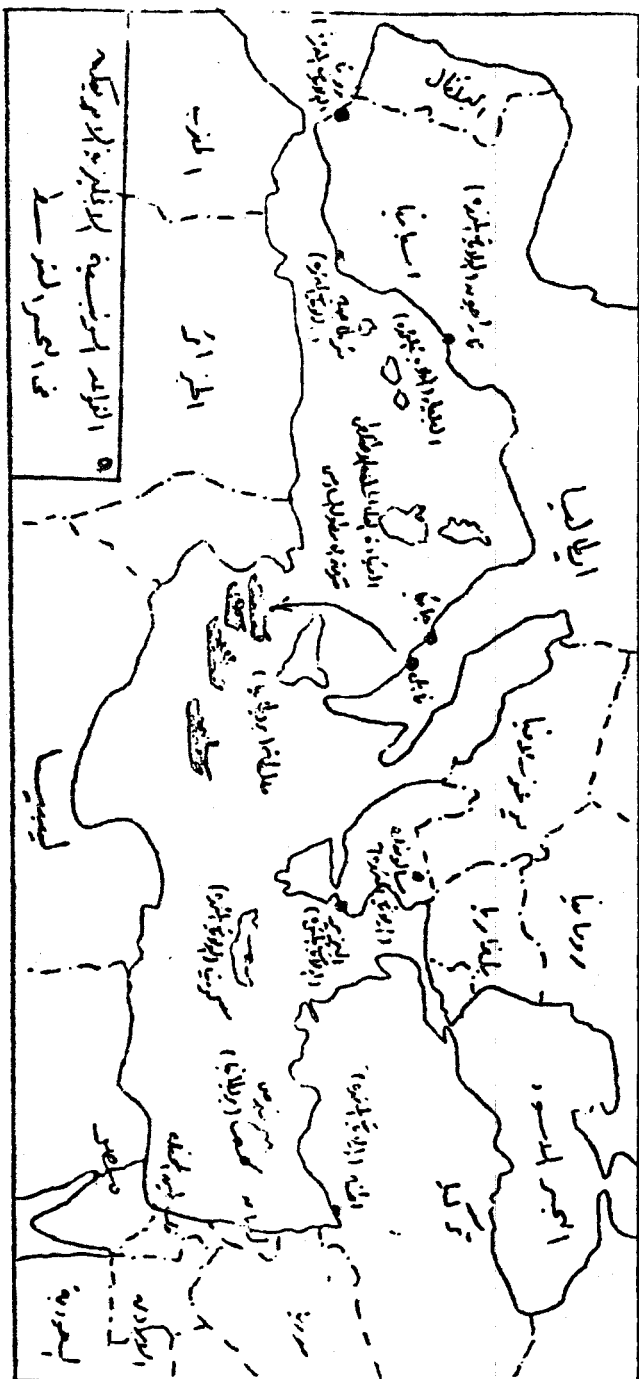
# خطة المعركة المصرية (الخطة رقم ١)



المصدر : الجنرال بوفر - المجلة الاستراتيجية .



# حركة الأسطول السادس يوم ١٩ مايو ١٩٦٧



المصدر : صحيفة لوثايتين في ١٩٦٧/٥/٢٦ .



## المراجع

اولا : المراجع العربية :

ابراهيم العدوى ( دكتور ) التاريخ الاسلامى . القاهرة بدون تاريخ اصدار  
أبو الحسن على الحسنى التدوكى ، الصراع بين الفكرة  
الاسلامية والفكرة الغربية فى الاقطار الاسلامية ، دار  
الندوة ، بيروت ١٩٦٨ .

احمد عزت عبد الكريم ( دكتور ) ، دراسات تاريخية فى النهضة العربية  
الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ اصدار .

احمد محمود الساداتى ( دكتور ) ، تاريخ الدولة الاسلامية بآسيا  
وحضارتها ، معهد الدراسات الاسلامية ، القاهرة  
١٩٧٦ .

احمد نورى النعيمى ، تركيا وحلف شمال الاطلسطى ، رسالة دكتوراه  
فى العلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧ .

الدوادارى ، ابو بكر بن عبد الله بن ايبك ، كنز الدرر وجامع الفهر  
تحقيق هانمى بوبرت رويمر ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

ارمنيوس فامبرى ، ترجمة الدكتور احمد محمود الساداتى ، والدكتور  
يحيى الخشاب ، تاريخ بخارى ، المؤسسة المصرية العامة ،  
القاهرة ، ١٩٦٥ .

اسماعيل ابو الفدا ، المختصر فى اخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت ،  
بدون تاريخ اصدار .

اسماعيل عبد العزيز الخالدى ، العالم الاسلامى والغزو المغولى ، مكتبة  
الفلاح ، الكويت ١٩٨٤ .

ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسين على بن أبي الكرم الشيباني ( ت  
٦٣٠هـ ) ، الكامل فى التاريخ ، دار الكتاب العربى

بيروت ١٩٦٧ .

ابن بطوطة ، تحفة النظار فى غرائب الانصار وعجائب الاسفار ، بدون  
مكان وتاريخ اصدار .

ابن خلدون ، عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب  
والمعجم والبربر ومن تبعهم من ذوى السلطان الأكبر ،  
القاهرة ١٩٦٢ .

ابن تعزى بردى ، النجوم الزاهرة فى اخبار ملوك مصر والقاهرة ، دار  
الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩ .

ابن عبد الظاهر ، مجبى الدين ، تشريف الامام والعصور فى سيرة الملك  
المنصور ، تحقيق مراد كامل ، وزارة الثقافة والارشاد  
القومى ، القاهرة ١٩٦٩ .

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ، البداية والنهاية ، القاهرة  
١٣٥١هـ .

الحموى ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، تصحيح محمد امين  
الخانجى القاهرة ، ١٩٠٧ .

الجبرتى ، عجائب الانار فى التراجم والاخبار ، مطبعة بولاق ،  
١٢٩٧هـ .

ارنست م . وافردر ، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ترجمة الدكتور صالح  
أحمد ، بيروت ١٩٦٠ .

ارنولد ويلسون ، الخليج العربى ، ترجمة عبد القادر يوسف ، الكويت  
١٩٧٠ .

السيد الباز العرينى ، المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٧ .  
انتونى نتنج ، العرب ، انتصاراتهم وامجاد الاسلام ، ترجمة الدكتور راشد  
البراوى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٤ .

اندرية جوسان ، تركيا بين جبارين ، سلسلة كتب ثقافية ، دار المكشوف  
، بيروت ، بدون تاريخ اصدار .

البلاذرى ، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي ( ت ٢٧٩هـ ) ، فتوح  
البلدان ، تحقيق محمد رضوان ، بدون مكان وتاريخ  
اصدار .

القلقشندي ، ابو العباس أحمد بن على ( ت ٨٢١هـ ) صبح الاعشى  
فى صياغة الانشا ، بدون مكان وتاريخ اصدار .

النسوى ، سيرة جلال الدين منكبرتى ، تحقيق حافظ أحمد حمدي ،  
دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

المقرئى ، تقى الدين أحمد بن على ، كتاب السلوك لمعرفة الملوك ،  
تحقيق محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة  
والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٤ .

الهمزاني ، رشيد الدين بن فضل الله ، جامع التواريخ فى تاريخ المغول  
تعريب محمد صادق نشأت وآخرون ، بدون مكان  
اصدار ، ١٩٦٠ .

بارنولد ، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة  
١٩٥٨ .

بارل شمتر ، الاسلام ، قوة الغد العالمية ، نقله الى العربية الدكتور محمد شامه ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، بدون تاريخ اصدار .

بدر الدين د . ل . جى ، تاريخ المسلمين فى الصين ، دار الانشاء للطباعة والنشر - طرابلس ، لبنان ، ١٣٩٤ هـ .

بديع جمعه ( دكتور ) ، أحمد الخولى ( دكتور ) ، تاريخ الصفويين وحضارتهم ، دار الرائد العربى للنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦

برنارد لويس ، استنبول ، تعريب الدكتور سيد رضوان على ، بدون مكان وتاريخ اصدار .

بلخ ت ، كورلر ، الشرق الاولى ، تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

جابر الراوى ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية ، بغداد ١٩٧٥ .

توفيق الطويل ، ( دكتور ) التصوف فى مصر ابان الحكم العثمانى ، القاهرة ١٩٤٦ .

توماس وارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم وآخرون ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

ج . ج . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخى ، الجزء الاول ، اعداد قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو امير دولة قطر .

جمال الدين الاتابكى ، النجوم الزاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٩ .

جورج كيرك ، موجز تاريخ الشرق الاوسط من ظهور الاسلام الى الوقت الحاضر ، ترجمة عمر الاسكندرانى ، دار الطباعة



الحديثة ، القاهرة ١٩٧٠ .

زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية ، مع دراسة تاريخية فى العلاقات التركية ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٢ .

سالم الرشيدى ( دكتور ) ، محمد الفاخ ، بدون مكان وتاريخ اصدار .  
ساطع الحصرى ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٥ .

سيد نوفل ( دكتور ) ، الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

شاكر صابر الضابط ، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، بغداد ، ١٩٦٦ .

صالح محمد العابد ، حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد ، فى مجلة المورد ، بغداد ١٩٧٩ .

فتحية النبراوى ( دكتورة ) ، محمد نصر مهنا ( دكتور ) ، قضايا العالم الاسلامى ومشكلاته السياسية بين الماضى والحاضر ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ .

فتحية النبراوى ( دكتورة ) ، محمد نصر مهنا ( دكتور ) ، تطور الفكر السياسى فى الاسلام ( جزآن ) ، دار المعارف ، ١٩٨٤ .

فتحية النبراوى ( دكتورة ) ، محمد نصر مهنا ( دكتور ) ، الخليج العربى ، دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية والاقليمية ، منشأة المعارف ، ١٩٨٨ .

فايد حماد عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ، بدون مكان

وتاريخ اصدار .

فؤاد الصياد (دكتور) ، المغول فى التاريخ ، مكتبة الشريف ، القاهرة  
١٩٧٤ .

فيشر ، هـ . أ . ل ، تاريخ اوربا فى العصور الوسطى ، دار المعارف بمصر  
القاهرة ١٩٥٧ .

فيليب حتى (دكتور) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة دكتور كمال  
البار ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٢ .

فيليب خورى حتى ، تاريخ العرب ، الطبعة الثالثة ، مطبعة دار العالم  
العربى ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

عادل طه (دكتور) المسلمون فى العالم ، اضواء على مشاكلهم وتوزيعهم  
دار البحوث العلمية ، الكويت ، بدون تاريخ اصدار .

عبد الله مبشر الطرازى (دكتور) الاسلام والمسلمون فى العالم ، انتشار  
الاسلام فى العالم ، عالم المعرفة ، جدة ١٩٨٥ .

عبد الله مبشر الطرازى (دكتور) موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة  
الاسلامية ، بدون مكان وتاريخ اصدار .

عبد الله الاشعل (دكتور) ، قضية الحدود فى الخليج العربى ، مركز  
الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، القاهرة  
١٩٧٨ .

عبد العزيز الشناوى (دكتور) الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها -  
جزآن - مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

عبد العزيز نوار (دكتور) الشعوب الاسلامية (الأتراك العثمانيون ، الفرس ،

مسلمو الهند ) ، دار النهضة العربية ، بيروت . ١٩٧٣

عبد العزيز نوار (دكتور) داود باشا والى بغداد ، القاهرة ، بدون تاريخ  
اصدار .

عبد الله الحويشى (دكتور) وآخرون ، الحدود الشرقية للوطن العربى  
دراسة تاريخية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، بدون تاريخ  
اصدار .

عبد الرازق الحسينى ، البياييون والبهائيون فى ماضيهم وحاضرهم بدون  
مكان وتاريخ اصدار .

عبد القديم زاروم ، كيف هدمت الخلافة ، بدون مكان اصدار ١٩٦٢ .  
على الوردى ، شحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ١٩٧١ .  
عمارة نجيب (دكتور) ، الانسان فى ظل الاديان ، المكشبة التوفيقية  
القاهرة ، ١٩٧٧ .

كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير  
البلبلكى ، بيروت ، ١٩٦١ .

كارل بروكلمان ، الانراك العثمانيون وحضارتهم ، بيروت ، ١٩٤٩ .  
كامل نامق ، عهد الفتح ، بدون مكان وتاريخ اصدار .

محمد اسعد طلس ، تاريخ العرب ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٨٣ .  
محمد امين زكى ، تاريخ السليمانية وانحائها ، ترجمة محمد جميل  
الروزينانى ، بغداد ، ١٩٥١ .

محمد انيس (دكتور) الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة ١٩٦٦ .

محمد جمال الدين سرور (دكتور) ، الظاهر يبرس وحضارة مصر في عصره ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٨ .

محمد حسن العبدروس ، التطورات السياسية في دولة الامارات العربية المتحدة الكويت ، ١٩٨٣ .

محمد عبد المنعم السيد ، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ .

محمد علي الداود ، التطور السياسي الحديث لقضية عمان ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

محمد ماهر حمادة ، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الاسلامي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦ .

محمد صالح القزاز (دكتور) ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، مطبعة القضاء ، النجف ، ١٩٧٠ .

محمد صفوت السقا ، المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، بدون مكان وتاريخ اصدار .

محمد علي البار (دكتور) ، المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ دار الشروق ، جدة ، ١٩٨٣ .

محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة ، ١٨٩٦ .

محمد وصفي ابو فعلى ، اتجاهات السياسة الايرانية نحو الخليج العربي ، مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٨٠ .

محمد نصر مهنا (دكتور) ، الفتوحات الاسلامية والعلاقات السياسية في آسيا ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٩٠ .

محمد نصر مهنا (دكتور) عبد الرحمن الصالحى (دكتور) علم السياسة  
بين التنظير والمعاصرة ، منشأة المعارف ، الاسكندرية  
١٩٨٥ .

محمد نصر مهنا (دكتور) ، صور من المشكلات السياسية فى العالم  
المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ .

محمد نصر مهنا (دكتور) ، مدخل الى النظرية السياسية الحديثة ، الهيئة  
المصرية العامة للكتب ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .

مصطفى طه بدر (دكتور) ، مغول ايران بين المسيحية والاسلام ، دار  
الفكر العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ اصدار .

محمود شاكر ، المسلمون تحت السيطرة المغولية ، مؤسسة الريالة بيروت  
١٩٧٥ .

محمود شاكر ، المسلمون فى تركستان الصينية الشرقية ، مؤسسة الرسالة  
بيروت ١٩٧٣ .

مسعود الندى ، تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند ، دار العربية ، ١٩٤٧ .

مصطفى عبد القادر النجار ، التاريخ السياسى لامارة عربستان العربية ،  
القاهرة ١٩٧١ .



ثانيا : المراجع الاجنبية :

- Ahmed Aly, The Muslims of China, Karachi, 1949.
- Alderson, A.D. The suructure of the ottaman Dynasty, Oxford, 1956.
- Bernard Lewis, The Emergence of Modern Turkey Royal; Institute of International Affairs, 1968.
- Cahunl, L'introduction a' L'HistoireL'Asie, Paris 1896.
- Darthold, V.V., Histoire des truce d'Asie centrale, Paris, 1945.
- Dunby, G.A. : History of India from the carlist times to the present day, London, 1943.
- Encyclo paedia Britannica, Vol 22. Art Turkey.
- Farmagan, H.F., The Policies and Reforms of hah Abas, Utah 1969.
- Fu Theng hsie, Chinese Muslim History, Chasha, 1940.
- Gibb Hamilton & Bowen Harold Islam Society and

the west, Oxford 1917 .

Gibbous, H.A., The Foundation of the Ottoman Empire Oxford, 1916. Grsn A.J., History of Europe 1494 - 1618 .

Has Iuck F. W., Christianity and Islam under the Sultans, Oxford, 1929 .

Heidborn A., Manuel de Droit Public et Administratif de L'Empire Ottoman Vienne, 1909.

Koprulu. M.F., Les Origines de l'empire Ottoman, Paris, 1935 .

Lyber A.H., The Government of Suleiman the Magnificent Harvard Univ- Press 1913

Miles, Samuel B., The Countries & Tribes of the Persian Gulf, London, 1969.

Price, M. Philips, A History of Turkey from Empire to Republic, George Allen, London.

Sauvaget J., Introduction a' L'histoire de L'Orient Musulman, Paris, 1926 .

Secton, Watson, R.W., The Rise of Nationality in the Balkans. London , 1917 .

Shiao Yi Shan, General History of the Ching Dynasty, Shan huy, 1927, .



**Spector Ivan, The Soviet Union and The Moslem  
World, 1917 - 1958 Washington Univ  
- Press .**

**Toynbee, Arnold, A Study of History , The Os-  
manlis, London, 1945 .**



# الفهرست

- مقدمة الطبعة الثانية ..... ٥  
مقدمة الطبعة الأولى ..... ١١

## الباب الأول

### الغزو المغولي

الفصل الأول : غزو القسم الشرقي للعالم الاسلامي

- وسقوط بغداد ..... ١٥  
الفصل الثاني : غزو الشام ..... ٤١  
الفصل الثالث : المغول يعتنقون الاسلام ..... ٥٩

## الباب الثاني

### جهود الدولة العثمانية

- الفصل الأول : نشأة الدولة وتوجهاتها ..... ٨٩  
الفصل الثاني : السلاطين العثمانيون والمد الاسلامي ..... ١٥٩  
الفصل الثالث : ضعف الدولة والتحديث ..... ١٩١

## الباب الثالث

### التطلعات الشيعية

- الفصل الأول : الدولة الشيعية ( الصفويون ) ..... ٢٤٥  
الفصل الثاني : ايران والعلاقات الإقليمية والدولية ..... ٢٦٣

٢٨٥ ..... الفصل الثالث : النزاع العراقي الإيراني

٣١١ ..... الفصل الرابع : أمن الخليج ومشكلات الحدود المعاصرة

## الباب الرابع

### انتشار الاسلام وتأثيرها في دول آسيا

٣٤٣ ..... الفصل الأول : الهند

٣٩١ ..... الفصل الثاني : باكستان

٤٠٩ ..... الفصل الثالث : مشكلة كشمير

٤٢١ ..... الفصل الرابع : الصين الشيوعية

٤٥٩ ..... الفصل الخامس : الاتحاد السوفيتي السابق

٤٩٩ ..... الفصل السادس : تطور مشكلة افغانستان « دراسة وثائقية »

٥٥٧ ..... الفصل السابع : دول أسيوية أخرى

٦٠٩ ..... المراجع

٦٢٣ ..... الفهرست